



جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالقاهرة

مجلة كلية اللغة العربية

العدد الثالث عشر

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

إشراف

د. طه مصطفى أبو كرسنة

عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة



جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالقاهرة

مجلة كلية اللغة العربية

العدد الثالث عشر

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

إشراف
د. طه مصطفى أبو كرسنة
عميد كلية اللغة العربية - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسرة التحرير

- ١ - ١. د / طه مصطفى أبو كريشة عميد الكلية رئيساً
٢ - ١. د / علي علي مصطفى صبح أستاذ بقسم الأدب عضواً
٣ - ١. د / عبد الشافي محمد عبد اللطيف د د التاريخ
٤ - د / حسن أحمد عبد السلام أستاذ مساعد بقسم الأدب د
٥ - د / عبد المنعم عبد الله محمد د د أصول اللغة
٦ - / بسيموني سعد أحمد لبن د د اللغويات
٧ - د / نعمان شعبان علوان د د بأداب غزة
٨ - / محمد أحمد عبد الوهاب مدرس بقسم اللغويات د
٩ - د / أحمد نجيب عبد الوهاب د د د
١٠ - د / شعبان أبو اليزيد شمس د د الصحافة
١١ - د / إبراهيم صلاح السيد الهدهد د د البلاغة
١٢ - د / رشاد محمد عبد الجواد سالم د د أصول اللغة

والله ولي التوفيق

تحريراً في ١٩٩٥/١/٢

البحوث المنشورة على مسئولية كاتبها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلس الإدارة

أولاً:

- ١- ١. د / طه مصطفى أبو كريشة عميد الكلية رئيساً
- ٢- ١. د / سعد عبد المقصود ظلام رئيس قسم الأدب عضواً
- ٣- ١. د / عبد الغفار حامد هلال د د أصول اللغة
- ٤- ١. د / محمد جلال الشيخ الذهبي د د البلاغة
- ٥- ١. د / صبحي عبد الحميد محمد د د اللغويات
- ٦- ١. د / محمد كرم شلبي د د الصحافة
- ٧- ١. د / مصطفى محمد رمضان الأستاذ بقسم التاريخ والحضارة د

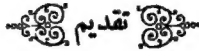
ثانياً:

- ١- ١. د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوى سكرتير في المجلة
- ٢- السيد / محمد عبد السميع على مشرفاً مالياً

والله ولي التوفيق

تحريراً في ٢ / ١ / ١٩٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ

١. د / طه مصطفى أبو كريشة

عبد الكلية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن والاه ..

أما بعد :

فبفضل من الله تعالى ، وبعمون منه عز وجل ، يتجدد اللقاء مع القراء-
الأهراء ، لقاء البحث العلبي الجاد ، المتعدد الأنحاء ، الواسع الأرجاء .
في هذا العدد الجديد ، من مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة .

ولهذا العدد سمعة خاصة ، لم تكن مقصودة من أحد قط ، لكن الروح
السارية في نفوس الباحثين ، جعلتهم يلتقون عند غاية واحدة ، يحسب
الناظر إليها أنهم قصدوا إليها باتفاق ، هذه السمة التي أهنيا ، هي قيام
أغلب البحوث على دراسات حول القرآن الكريم ، منه تأخذ موضوعاتها .
ومنه تقدم شواهدا ، ومنه تستبصر طريقها نحو نتائجها ..

ولا غرابة في ذلك ، فانه تعالى يقول : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون) الحجر (٩) - ومن غير شك فإن من وسائل حفظ الذكر الحكيم ،
أن تحفظ لغته العربية ، نقية فصيحة لا عوج فيها ، ولا هجمة ولا تصحيف
ولا تحريف ، وهذه هي رسالة الأزهر الشريف ورسالة جامعة ممثلة

على كليات اللغة العربية ، وذلك بما تقوم عليه من دراسات لغوية وبلاغية وأدبية ، تجعل القرآن الكريم أساساً لها ؛ إذ منه تأخذ توجيه القاعدة الصحيحة ، وتدق العبارة البليغة ، وطريقة تقويم النطق السليم ، والأداء الواضح الفصيح ، وصدق الله العظيم (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) الكهف (١) (قرأنا عربياً غير ذى عوج لعلمهم يتقون) الزمر (٢٨) (ورتل القرآن ترتيلاً ، إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) المزمّل (٤ - ٥)

فى مجال الدراسات الأدبية نلتقى ببحث (التصوير القرآنى لتعاقب الليل والنهار) للأستاذ الدكتور على صبح وفيه يحاول الباحث الوقوف على أسرار النسق القرآنى ، فى تقديم الليل على النهار أو فى تقديم النهار على الليل ، منتبهاً إلى أن كل واحد من لفظ الليل والنهار فى مكانه لعل له لغاية ولاسرار ، اقتضت أن يكون مقدماً أو مؤخراً وتلك هى إحدى دلائل الإعجاز فى كلام رب العالمين . .

وفى مجال الدراسات النحوية يطالعنا الدكتور بسيونى لبن يبحث عن بعض (المسائل النحوية المطردة فى القرآن الكريم) وفيه يتتبع المسائل التى سارت على نسق واحد فى القرآن الكريم مع ذكر ما قاله النحاة فيها وتحققها وذلك من خلال كتب المعانى والتفسيرات التى تعنى بالإعراب ، ومن هذه المسائل على سبيل المثال أن النداء لم يأت فى القرآن الكريم إلا بالأداة (يا) وأن الظرف (لى) لم يأت إلا مجروراً بحرف الجر (من) وأن (سنين) لم تأت فى القرآن مرفوعة ، وأن خبر (عسى) لم يأت إلا مقروناً بحرف النصب (أن) وهكذا فى أمثلة أخرى عرض لها الباحث .

كما نلتقى فى الدراسات النحوية بالدكتور أحمد عبد الوهاب فى بحث حول (أسماء الأفعال فى القرآن الكريم) وفيه جمع هذه الأسماء ، مبيناً آراء النحاة فيها ، وقد رتبها فى الحديث عنها هجائياً ، مع ذكر الآيات التى ورد فيها

كل اسم من هذه الأسماء ، مشيراً إلى المصادر والمراجع التي تحدثت عنها ، وهذه الأسماء هي (أف - أولى - تعال - عليك - مكانك - ها - هاء - هات - هلم - هيت - هيأت - وى) . .

وفي هذه الدراسات أيضاً يقدم الدكتور محمد عبدالوهاب بحثه عن (كي في اللغة والقرآن) وقد رأى الباحث أن لبعض الحروف في اللغة العربية عدة استعمالات ، مما يكون له أثر على المعنى المراد في الآية القرآنية ، ومن هذه الحروف الأداة (كي) التي قد يحدث الخطأ في فهم المعنى الذي جاءت لأدائه ، لأنها تأتي جارة تارة ، وناصبة تارة أخرى ، وأحياناً محتملة الوجهين ، وقد تتبع الباحث الآيات التي وردت فيها ، مرتباً لها حسب ورودها في القرآن الكريم ، مع ذكر آراء النحاة ؛ مرجحاً ما يتلاءم مع المعنى القرآني .

وفي مجال الدراسات البلاغية يقدم الدكتور إبراهيم الهدهد بحثه عن (وراء - مواضعها وأسرارها في نظم القرآن الكريم) وقد حاول الباحث في هذا البحث أن يجيب عن تساؤل مؤداه : إذا كانت « وراء » بمعنى (بعد وسوى وخلف وقدام) فلماذا لم تقع هذه الألفاظ موقع (وراء) وأى معنى يفوت بوضع ما يقارب (وراء) في موضعها ؟ وقد تتبع المواضع والمقامات التي وردت فيها في القرآن الكريم ، وبين أن غيرها لا يمكن أن يقوم مقامها : ومن هذه المقامات : مقام الإعراض والغفلة ، ومقام التهديد والوعيد ، ومقام التحسير والتبكيك ، ومقام التشديد في التحريم والنهي . إلى غير ذلك من مقامات كشف فيها الباحث عن وقاه (وراء) بحق المقام والسياق .

كما نتلقت في الدراسات البلاغية بالدكتور نعمان علوان في بحثه عن (الأثر النفسى للأسلوب البلاغى) ولو أنصف الباحث نفسه وبحثه لآضاف إلى العنوان (في آيات من القرآن الكريم) ذلك لأنه اعتمد اعتماداً كبيراً

(ح)

على الاستشهاد من القرآن الكريم وقد اختار من علم البيان كل أساليبه في (التشبيه والاستعارة والكناية) ومن علم المعاني أسلوب (الاستفهام والتكرار والتقديم والتأخير والقصر والاعتراض والايجاز) ومن علم البديع (الطباق والمقابلة وتأكيذ المدح بما يشبه الذم والتسكيل والتهذيب والتأديب والفرايد) وقد حاول الباحث في كل أسلوب أن يكشف عن الأثر النفسى فى الشاهد الذى يستشهد به ، مؤكدا بذلك أن لكل مقام مقالا ..

وفى مجال دراسات أصول اللغة يقدم الدكتور رشاد سالم بحثه عن (ظاهرة القفلة فى الأداء القرآنى) وقد بين الباحث أن هناك قصورا يعترى بعض قارئى القرآن الكريم فى فهم وتأدية صورة (القفلة) إذ هناك من يقلقل حروفا لا تمت لحروف القفلة بصلة ، ومنهم من يبالغ فى قلقل الحرف حتى يتولد حرف جديد يؤدى إلى دلالة أخرى للكلمة ، ومن هنا كانت غاية هذا البحث هى إلقاء الضوء على مفهوم القفلة وكيفيةها وشروطها ومراتبها وأقسامها وعدد حروفها وما لكل حرف من مخرج ، وما يتميز به من صفات فى ضوء الدرس الصوتى الحديث .

ولعل البحث الثانى فى دراسات أصول اللغة الذى يقدمه الأستاذ الدكتور عبد المنعم عبد الله ، يعين على أداء (القفلة) كما يلبنى ، ذلك لأنه يتحدث عن (آلية النطق فى ضوء الفكر الصوتى عند العرب - دراسة وصفية) وقد أبان أن من أهدافه بيان فقه الربط بين آلية النطق والسمات التمييزية للأصوات فى الفكر الصوتى العربى ، ومدى توافق معطياته مع المنظور الصوتى الحديث ، وقد ذكر أن من الصفات الأدائية للسبيج القرآنى (القفلة) وهى فى اللغة التحريك والاضطراب ، وفى ضوء آلية النطق لا تخرج عن هذا المفهوم ، إذ يراد بها تحريك المخرج والصوت بعد انضغاطهما وانحباسهما . هذا إلى ظواهر أخرى تتعلق بالتجويد والقراءات مثل الإظهار والإخفاء والإدغام .. إلخ ..

(ط)

فإذا فرغنا من هذا الجانب الأكبر من الدراسات التي اتخذت القرآن الكريم مجالاً لها فإننا نلتقي ببعض أبحاث أخرى تحقق سمة التنوع في العطاء العلمي من خلال هذه المجلة .

ففي مجال الدراسات التاريخية يقدم الأستاذ الدكتور عبدالشافى عبد اللطيف بحثه عن (موقف عمر بن الخطاب من الفتوحات الإسلامية) وقد بين أن الذى دفعه إلى كتابة هذا الموضوع أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعارض فى البداية إنشاء أسطول حربي إسلامي بدافع حرصه على سلامة المسلمين وحسم النزاع بينهم فى ميدان خطر قبل أن يستمدوا له تمام الاستعداد ، لكن بعض الباحثين تجاهل هذا السبب وعلل تعليلاً آخر وهو أن عمر بن الخطاب كان يجهل أمر البحر ولا يعرف عنه شيئاً لأنه رجل نشأ فى الصحراء وكان يخاف ركوب البحر ؟ وهو تعليل لا يراه الباحث - بحق - صحيحاً ، ذلك لأن عمر بن الخطاب هو الذى أمر بحفر قناة تصل النيل بالبحر الأحمر فكيف يجهله ، ومن هنا كانت غاية هذا البحث هى معرفة موقف عمر بن الخطاب من الفتوحات بصفة عامة ومن إنشاء أسطول بحري إسلامي يغزو المسلمون به فى البحار بصفة خاصة ، وهو موقف ينطلق من رؤية رجل دولة مسئول يعرف تماماً ماذا يريد وماذا يقدر عليه ، ولم يكن مرتجلاً لسياسته ولا متردداً ، كما تظهره بعض الروايات المتهاوية المتهاقة . .

وفى مجال الدراسات الأدبية نلتقى بالأستاذ الدكتور حسن عبدالسلام فى بحثه عن (الشخصية الأدبية لفلاسفة الأندلس) وقد رأى الباحث أنه كان فى المشرق فلاسفة كبار لهم تراث أدبي كابن سينا والسهروردى وابن الشبل البغدادي وغيرهم ، وقد ظهر فى الأندلس فلاسفة كبار كذلك كابن حزم وابن زهر وابن طفيل وغيرهم ، ولهم تراث أدبي أيضاً ، وقد تساءل الباحث عن قيمة التراث الأدبي الذى خلفه فلاسفة الأندلس ، وهل كانوا

فيه عيالا على فلاسفة المشرق الأدباء؟ أو كانوا مبدعين ذوي شخصية أصيلة في التعبير عن ذواتهم وبجتههم؟ ومن ثم كان البحث محاولة للإجابة عن هذا التساؤل من خلال شواهد الشعر والنثر. وقد انتهى الباحث إلى أن التراث الأدبي لفلاسفة الأندلس يكشف عن شخصية أصيلة متميزة، ظهرت في كثرة هذا التراث وتنوعه، كما ظهرت في مجال الابتكار والإجادة، وبذلك تميز أصحاب هذا الأدب عن نظرائهم في المشرق تميزا لاخطئه عين. الباحث المنصف.

وفي مجال الدراسات الإعلامية يقدم الدكتور شعبان شمس بحثه عن (العوامل المؤثرة على فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء، دراسة: استطلاعية) وقد بين الباحث أن دراسته لهذا الموضوع تهدف إلى التعرف على دور الإعلان في اتخاذ قرار الشراء من ناحية، ثم العوامل التي تؤثر على فاعلية الإعلان في اتخاذ المستهلك لهذا القرار، من ناحية أخرى وهل المستهلك يتخذ قراره بالشراء بعد تعرضه للإعلان مباشرة أو أن ذلك يتم بعد مواقف تحلل الرسائل الإعلانية، من خلال الأسرة أو زملاء العمل أو الأصدقاء أو المتخصصين في مجال السلعة، وهل النولة المنتجة للسلعة لها تأثير في فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء أولا؟ وهي دراسة قد تكون غريبة في وسط جاراتها، لكنه التنوع الذي تقوم عليه الكلية في أقسامها المختلفة ..

وبعد: فلقد حاول الباحثون جميعاً من خلال مصادرهم ومراجعهم، ومن خلال الرؤية الذاتية الواعية أن يقدموا الجديد، وأن يعرضوا العلم النافع المفيد، وأحسب أنهم وصلوا إلى كثير من هذا وذلك، وأرجو أنه يحمد القارىء مبتغاه من خلال سياحته العلية في معالم هذا العدد الجديد ..

وبالله التوفيق وعليه سبحانه قصد السبيل

القسم الأول

قسم الأدب والنقد:

١ - التصوير القرآني

لتعاقب الليل والنهار

أ. د / علي علي صبح

٢ - الشخصية الأدبية لفلاسفة الأندلس

د. / حسن أحمد عبد السلام

التصوير القرآني

لتعاقب الليل والنهار

المصطفى الدكتور
علاء الدين علي

القرآن الكريم كتاب الله المقدس ، وكلمات الله التامات ؛ فمن أراد أن يتحدث مع الله عز وجل بكلماته التامات وآياته المعجزات ؛ فليتخذ أسلوبا ومنهجاً يتفق مع قداسة القرآن وجلاله ، وأقرب شيء إلينا حينما نتحدث عن القرآن أن ننسب كل شيء إلى القرآن ؛ فنقول : إنه أسلوب قرآني ، ونظم قرآني ، وتعبير قرآني ، وتركيب قرآني ، وعبرة قرآنية ، وتصوير قرآني ، وإيقاع قرآني ، ونسق قرآني ، وأدب قرآني ، وخلق قرآني ، وتشريع إلهي قرآني ، وهكذا ، حتى لا نقع فيما تجاوز إليه الكتاب والباحثون ، والأدباء والنقاد ، وقالوا عنه : التصوير الفني في القرآن ، والقصص الفني في القرآن ، والتصوير الأدبي ، والصورة الأدبية ، والموسيقى في القرآن ، والنظرية الأدبية في القرآن ، والتعبير الفني في القرآن ، والوحدة العضوية في القرآن ، وفن القرآن ، والقرآن فن وخلق ، والقرآن نص

أدبي ، والقرآن الكتاب العربي الأول في الأدب ، والقرآن مظهر للأدب والفن والبيان ، وما أشبه ذلك من المصطلحات المستعملة في مجال الأدب والنقد والفن البشرى بما تحدثت عنه في بحث مستقل بعنوان : «التصوير القرآني» (١) .

وينبغي أن نسير على هدى القرآن وخلفه وأدبه ونهجه ، كما علينا القرآن الكريم قال تعالى : «حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون» (٢) فقال تعالى : فصلت آياته قرآنا عربيا ، وليس فنا عربيا ، ولا أدبا عربيا إلخ ، وقال تعالى : «بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ» (٣) ، وقال تعالى : «إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون» (٤) ، بل ينبغي أن نتعامل معه لا بالحسن نحسب ، بل بالأحسن في القول والعمل ، فشكونا للبشرى ، قال تعالى : «والذين اجتلبوا الطاغوت أن يعبدوها : وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب» (٥) .

ومن إبداعات الله البديع في الكون والحياة تعاقب الليل والنهار أبداً ، الدهر ، إلا إلى ما شاء الله تعالى ؛ فلا يتخلف أحدهما عن هذا التعاقب ساعة ، ولا يوماً ، ولا أسبوعاً ولا شهراً ، ولا سنة ، ولا يأتي أحدهما مكان الآخر . أو يتجاوز حده ، بل يدوران معاً في مدارهما المعهود في توازن واتزان ؛ لكل فصل من فصول السنة ؛ سواء أكان ربيعاً أو صيفاً أو

(١) الوحي الإسلامي عدد ٢٠٣ سبتمبر ١٩٨١ ونشر بعد ذلك في مجلات أخرى بصورة أكبر ، وتعرضت له في كتابي : «الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق» ص ٦٠ : ٧٦ ج ١ لقاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م المكتبة الأزهرية للتراث .

(٢) سورة فصلت آية ١ - ٣ (٣) سورة البورج آية ٢١ ، ٢٢

(٤) سورة الواقعة آية ٧٧ ، ٧٨ (٥) سورة الزمر آية ١٧ ، ١٨ :

خريفًا أو شتاءً ، قال تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار » (١) .

تقديم الليل على النهار في خمس وخمسين مرة :

من عجيب بديع الله عز وجل لتعاقب الليل والنهار معًا إلى حد الإعجاز
على الخلق ، وفي التصوير القرآني ، أن يصور القرآن الكريم الليل قبل
النهار في آيات كثيرة ، يتقدم فيها الليل على النهار في موقف واحد أحيانًا
في خمس وخمسين مرة ، وحينًا آخر يتقدم فيها النهار على الليل في أربع
مرات لأسباب كثيرة .

تقديم النهار على الليل في أربع مرات :

في هذه الآيات يأتي تصوير النهار متقدمًا على الليل في أربع مرات مثلاً
. يقتضيا الإعجاز في التصوير القرآني ؛ لدواعٍ إحصائية ؛ ومقتضيات بلاغية
تناسب مع المقام وهي .

١ - حين أقسم الله عز وجل « بالضحى » وهو نهار ، جاء الليل بعد
النهار في سورة « الضحى » ، فأقسم الله بضحى النهار ؛ فقال تعالى : « والضحى
والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى » (٢) .

٢ - بعد القسم أيضًا في سورة « الشمس » ؛ فأقسم الله بها ، وهي مصدر
الضوء في النهار ؛ فيأتي النهار متقدمًا على الليل ، قال تعالى : « والشمس
وضحاها والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها » (٣) ؛
مفارقة الإعجاز في التصوير القرآني يقتضي المقام فيها ، أن يتقدم النهار على
الليل ؛ ولذلك لم تدخل هذه الآية مع آيات تقدم الليل على النهار ، واكتفيت
بذكرها هنا ؛ لأن النهار يدور مع الشمس والضحى ، ثم القمر وهو نور أيضا ،

(٢) سورة الضحى آية ١ ، ٣

(١) سورة آل عمران آية ٩٠

(٣) سورة الشمس آية ١ ، ٤

ثم يأتي القسم بالنهار، يتلوه مباشرة القسم بالليل، لأن النهار والقمر والضحى كلها أنوار، تقابل الظلام الذي يسود الليل. في تصوير قرآني يجمع بين النسق والتلاؤم والتوازن ويدبح خلق الله وصنعه.

٣ - حين أقسم الله سبحانه وتعالى « بالفجر » وهو « نهار » فقال تعالى في سورة « الفجر » : « والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر » (١) فتأمل التقابل بين الفجر وركعتي الفجر وهي شفع . وبين ليل والوتر الذي يكون في الليل .

٤ - أثناء التصوير القرآني « للصلاة » يكون الحديث عنها ابتداءً ومن النهار أولاً ، لا عن الليل ؛ لأن النهار يجمع بين أبعاده أربعة فروض : فرضين يتعاقبان في الطرف الأول من النهار ، وهما : (الصبح والظهر) ، وآخرين يتعاقبان في طرفه الأخير وهما : (العصر والمغرب) ، بينما الليل يستقل بصلاة واحدة وهي صلاة (المشاء) ؛ لذلك كانت روعة الإيجاز في تقديم طرفي النهار ، وهما « النهار » على زلف من « الليل » قال تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » (٢) .

الإيجاز في خلق الليل والنهار :

البديع في خلق الليل والنهار ، يجعل العقل البشري يقف أمامه عاجزاً ؛ فهما تقدمت حلومه ، وظهرت وسائله ، وتجاوزت معتبراته الحدود المذهلة . فلا يستطيع أحد أن يزحزح الليل عن النهار ، ولا النهار عن الليل ، أو يعطل أحدهما لحساب الآخر ، أو يجعل النهار نهاراً كله أو ليلاً كله ؛ فالخالق وحده القاهر فوق عباده ، يسير الليل والنهار متعاقبين ، آيتين من آياته العجيبة ، وبصحب على العقل البشري أن يكشف الأسرار العجيبة في الخلق

(٧) سورة هود : آية ١١٤

(١) سورة الفجر آية ١ : ٤

والحركة والتعاقب والسوام ، فسبحان الله تعالى المبدع في خلقه وهو الخلاق العليم .

لذلك يهت « النروذ » الذى كفر ، حين حاجه إبراهيم عليه السلام فطلب منه أن يحول تعاقب الليل والنهار ؛ فيقلب ويغير موازين الشروق والغروب ؛ فيأتى بالشمس من المغرب وقت الشروق أو النهار ، ويأتى بها من المشرق . آخر النهار ؛ فأخرسته الحجة البالغة ، وتجمده عقله أمام قدرة الخالق وحده « فأتى يؤفكون » قال تعالى : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » (١) هذا من حيث إبداع البديع فى خلق الليل والنهار ، أما من حيث « التصوير القرآنى » فتعرض له بعلامات وإشارات تفتح الطريق أمام الكتاب والباحثين . .

الإعجاز فى التصوير القرآنى لليل والنهار :

أما من حيث النظم المجيب والإعجاز القرآنى فى التصوير ؛ فالله عز وجل البديع فى خلق الليل والنهار هو سبحانه وتعالى أيضا البديع فى نظمهِ وتصويرهِ القرآنى ، وقفت دونه أساطين الفصاحة والبلاغة عاجزة مهورة حتى قال أحدهم وهو الوليد بن المغيرة : « . . فإنه يعلو ولا يعلى عليه . . » تأمل كيف ينسلخ النهار عن الليل ، فيسود الظلام فى الكون شيئا فشيئا ، وتغيب الشمس رويدا رويدا ، حتى تختفى ؛ فيسود الظلام ؛ وذلك مثل كسـط الجلد عن لحم الشاة شيئا فشيئا ، حتى ينكشف اللحم كله ، والشأن فى الجلد - بالنسبة للحم الذى تحته - أن يكون مضمينا ، فهو كالتنهار للناظر ، كما أن الشأن فى اللحم تحت الجلد أن يكون مظلما للرائى . فهو كالليل . جاء ذلك فى تصوير قرآنى معجز حين عبر بالفعل المضارع الذى يدل على الاستمرار

والتجدد شيئاً فشيئاً في قوله تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) (١) ؛ فيتلاشى النهار عن الليل كما ينسلخ الجلد عن اللحم رويداً رويداً ؛ فكلما انسحب جزء من النهار أظلم الكون قليلاً بمقدار هذا الجزء ، وهكذا حتى يسود الليل ، ويعم الظلام ، ثم يتعاقب عليه بعد ذلك النهار ، فتبدأ حركة الأرض مع الشمس فتظهر شيئاً فشيئاً ، لتضيء وجهاً من وجوه الأرض ، وهكذا حتى ينتشر النهار كله ، ثم يعقبه الليل ؛ ليظهر فيه القمر منيراً ؛ فيكتمل بذلك يوم محسوب في عدد السنين والحساب .

هذا التفسير وأبلغ منه دون ما جاء في تصوير قرآني معجز بل دونه بكثير وكثير قال تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (٢) وقال سبحانه : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فنفحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبينوا فضلا من ربكم ولتعلموا ددد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً » (٣) .

وتقديم الليل على النهار دليل على أنه هو الأصل في الوجود ، فيسود الظلام بصفة عامة ، وعلى كوكب الأرض بصفة خاصة ، ثم يأتي النهار تالياً لليل ، وهذا ما أثبتته القرآن الكريم منذ خمسة عشر قرناً ، فيكون ذلك واضحاً وحقيقة في عصرنا الحديث ، وسيكون أكثر وضوحاً في المستقبل متجدداً خالداً إلى قيام الساعة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (٤) .

وكذلك الأمر في قضية تكوير الأرض ؛ لتكوير الليل على النهار ،

(٢) سورة يس: آية ٣٧ ، ٤٠

(١) سورة يس: آية ٣٧

(٤) سورة فصلت: آية ٥٣

(٣) سورة الإسراء: آية ١٢

وتسكور النهار على الليل ، مما يدل على أن الأرض كروية الشكل ؛ فالقرآن الكريم في تصويره لتسكير الليل على النهار ، وتسكير النهار على الليل أثبت كروية الأرض للإنسان منذ خمسة عشر قرناً . قال تعالى : (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) (١) .

وتأمل تصوير الليل متقدماً على النهار في خمس وخمسين مرة ، تجده قد تنوع تنوعاً بديعاً ومعجزاً ، فتارة يكون مع الجمل وتارة مع التيسيع أو الاختلاف أو التسكير وهكذا مما سنقف معه بإشارات تفتح الطريق أمام الباحثين :

تصوير الليل والنهار في آيات الجمل :

صور القرآن الكريم الليل والنهار ، بالجمل ، بمعنى أن الله عز وجل صير الليل والنهار ، وهما لعباده ليتمتعوا بنعم الله عز وجل بالليل فيسكنوا فيه ويستريحوا ويتأملوا إلى غير هذا من النعم التي تتلاد مع الليل فتأتي متقدمة لتقدم الليل ، وليتمتعوا أيضاً بنعم الله سبحانه وتعالى بالنهار فينتشروا في الأرض ، ويبتغوا من فضل الله إلى غير هذا من النعم التي تتلاد مع النهار ؛ فتأخر عن نعم الليل ، لتأخر النهار عن الليل ، وذلك من خلال تقابل وتزواج بينهما في نسق قرآني بديع ، ثم تعجب أيضاً لهذا النسق القرآني بين السموات والأرض في الآية السابقة وبين الليل والنهار والأرض مضيئة لانعكاس ضوء الشمس على سطحها فتأخر عن السموات - وهي مظلمة بالنسبة لنا - لتتلام وتوازن مع تأخر النهار . هذا التفسير وأبلغ منه مهما بلغ دون ما جاء في التصوير القرآني للجمل بكثير وكثير قال تعالى :

« ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من

(١) سورة الزمر آية ٥ .

دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ، هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون» (١) مرة واحدة .

وهذه الآية الأولى فى التصوير القرآنى «لجعل» من آيات الليل والنهار ، التى بلغت اثنى عشر موقعا من القرآن الكريم فى هذه الدراسة . وهذه بقية المواقع . قال تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا » (٢) وجاء الجمل مرتين هنا .

وقال تعالى : « فالتق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم » (٣) والشمس مقترنه بالنهار لذلك وقعت بعد الليل . مرة واحدة .

وقال تعالى : « وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا » مرة واحدة (٤) .

وقال تعالى : « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » مرة واحدة (٥) .

وقال تعالى : « ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » مرة واحدة (٦) .

وقال تعالى : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه »

(١) سورة يونس : آية ٦٦ ، ٦٧ (٢) سورة الإسراء : آية ٤٢

(٣) سورة الأنعام : آية ٩٦ (٤) سورة الفرقان : آية ٤٧

(٥) سورة الفرقان : آية ٦٢ (٦) سورة النمل : آية ٨٦

أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (١) ثلاث مرات .

وقال تعالى : « الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون » (٢) ، مرة واحدة .

وقال تعالى : « وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً » (٣) مرة واحدة .

تصوير الليل والنهار في آيات التيسيع :

من أجل نعم الله تعالى على عبادة تعاقب الليل والنهار بما يتناسب مع حاجة الجسد من الراحة والسكن ، وحشد الطاقة وتجديدها في سكن الليل والنوم فيه ، وبما يتلاءم مع مطالب الحياة من كد وسعى وتحصيل ، وتمتع الإنسان بما لذ وطاب من متاع الحياة الدنيا في النهار ؛ لذلك وجب على الإنسان أن يشكر ربه ؛ فيسبح الوهاب المنعم على عباده بهذه النعم بالليل والنهار ، ويزه الله عز وجل بالوحدة والتفديس ؛ فهو وحده الجدير بالعبادة والتنزيه والحمد والثناء ؛ فجاء التيسيع مع الليل والنهار سبع مرات في القرآن الكريم في هذا البحث .

قال تعالى : « فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى » (٤) . جاء التيسيع مع الليل والنهار هنا مرتين ، فالتيسيع قبل طلوع الشمس يكون بالليل ، وقبل الغروب يكون بالنهار ، وهذه مرة ، والأخرى آناء الليل ، وأطراف النهار .

(١) سورة القصص : آيات ٧١ - ٧٣

(٢) سورة غافر : آية ٦١ (٣) سورة النبا : آية ١٠ ، ١١

(٤) سورة طه : آية ١٣٠

وقال تعالى : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (١) مرة واحدة .

وقال تعالى : « فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسثمون » (٢) مرة واحدة

وقال تعالى : (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) (٣) . فاقتران الليل مع النهار هنا جاء مرة واحدة ، وهى التسييح قبل طلوع الشمس ، والمراد الليل ، وقبل الغروب والمراد النهار . أما قوله تعالى : (ومن الليل فسبح وأدبار السجود) فقد اتفقت جماعة الصحابة والتابعين على أن زمن التسييح هنا فى الليل من أوله إلى آخره حتى الفجر « ومن الليل ، أى فى بعض أجزاء الليل : أوله أو وسطه أو آخره ، وأدبار السجود ، ، النوافل بعد المغرب أو الرتر بعد العشاء » (٤) . والتسييح هنا فى الليل أيضا . وعلى ذلك فلم يجتمع الليل مع النهار فى هذه الآية الثانية وإنما اقتصر على الليل فقط ، ولذلك لم تدخل تحت الحصر السابق ؛ فكانت مرة واحدة .

وقال تعالى : (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) (٥) . مرة واحدة ، أى من الليل فسبحه ، أى أثناء الليل ، وإدبار النجوم بعد الفجر ، وظهور ضوء النهار ، لتختفى النجوم ، وتولى درها .

وقال تعالى : (وإذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ، ومن الليل فاسجد له

(١) سورة الانبياء : آية ٢٠ (٢) سورة فصلت : آية ٣٨

(٣) سورة ق : آية ٣٩ ، ٤٠

(٤) تفسير الكشاف : لزعزرى ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ / ٤ وفتح القدير :

الفوكاني ٨٠ ، ٨١

(٥) سورة الطور : آية ٤٨ ، ٤٩

وسبحه ليلا طويلا (١). مرة واحدة ، فالبكرة تصوير الليل ، والأصيل تصوير النهار ، ثم جاء التسبيح في الليل وحده غير مقترن بالنهار في الآية الثانية ، أما من جعل البكرة والأصيل لطرفي النهار ليقابل الليل في الآية ؛ فيكون النهار متقدما على الليل .

تصوير الليل والنهار في آيات الاختلاف :

ويظهر الإعجاز في التصوير القرآني لآيات اختلاف الليل والنهار في النسق القرآني البديع ، نجما تلتقى — في آية واحدة أو موقف واحد — السماوات والأرض مع اختلاف الليل والنهار ، نجد هذا التناسق القرآني في تقدم السماء لتلام مع تقدم الليل . لأن السموات بالنسبة لنا ظلمات ، والليل ظلمات ، وتأخر الأرض بعد السموات لتلام مع تأخر النهار بعد الليل لأن الأرض ينمكس عليها ضوء الشمس في النهار وضوء القمر في الليل وعلى ذلك فالأرض مضائة والنهار ضياء وهكذا جاء التصوير القرآني لاختلاف الليل والنهار ست مرات في هذه الدراسة . والاختلاف والحلقة بمعنى خلفه أى جاء بعده ، والمعنى أن يأتي أحدهما بعد الآخر ، وهكذا يتعاقبان : أى يختلف أحدهما بعد الآخر .

قال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (٢) .

وقال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار) (٣) .

وقال تعالى : (إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) (٤) .

(١) سورة الإنسان : آية ٢٥ ، ٢٦ (٢) سورة البقرة : آية ١٦٤

(٣) سورة آل عمران : آية ١٩٠ (٤) سورة يونس : آية ٦

وقال تعالى : (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) (١) . وقال تعالى : (إن فى السموات والأرض لايات للمؤمنين ، وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) (٢) .

تصوير الليل والنهار فى آيات الإبلاج :

ولج أوج يولج بمعنى دخل وادخل ويدخل ؛ فيولج أى : يدخل الليل فى النهار ، ويدخل النهار فى الليل ؛ فيصير ليلاً ، أما الأول فيصير نهاراً ، وعلى ذلك فقد عدت آيات الإبلاج من الآيات التى تبدأ بذكر الليل أولاً . وتقدمه من حيث اللفظ والظاهر لا من حيث المضمون والشكل كما فى الآيات الأربع السابقة التى تقدم فيها ذكر النهار متقدماً على الليل ، وإن كان مختلفاً من حيث المعنى فى آيات الإبلاج .

فأما آية الإبلاج الأولى فى تصوير الليل والنهار فهى فى قوله تعالى : « تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مِنْ تَحْتِهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » (٣) .

وتعجب كل المعجب فى نسقها القرآنى ؛ من خلال التصوير المعجز ، وذلك فى تلاحم التقابل والتزاوج ؛ فتصوير النهار أولاً فى قوله تعالى : « تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ » لأن النهار حياة ونشاط وعمل يتلام مع المتقدم وهو الحياة فى الفقرة الأولى من الآية « تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ » ، وكذلك فى تصوير الليل ثانياً فى قوله تعالى : « وَتُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ » ، والليل سكون وصمت وموت . فيه الموتة الصغرى وهى « النوم » ، وقد تتحول إلى الموتة

(١) سورة المؤمنون : آية ٨٠ (٢) سورة الجاثية : آية ٢ - ٥

(٣) سورة آل عمران : آية ٣٧

الكبرى فيه ، فتأخر تصوير الليل هنا عن النهار مع تصوير الموت ، الذى وقع متأخراً أيضاً فى قوله تعالى : « وتخرج الميت من الحى » إنه البديع سبحانه وتعالى فى التنسيق بين المعانى والمشاهد فى جلال التصوير القرآنى المعجز .

وأما الآية الثانية فهى فى قوله تعالى : « ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير » (٢) .

ويظهر الإحجاز هنا أيضاً فى التصوير القرآنى للإيلاج ، فيولج الليل فى النهار ليغم الضياء ، وتخرج الشمس من خدرها ، ويتنقى الناس من فضل الله عز وجل ، ويسعى الخلق إلى معاشهم وأعمالهم ، ويولج النهار فى الليل ، ليغم الظلام ويتألق القمر والنجوم ، ويسكن الناس ، ويستريحوا من جهاد العمل والكسب . نجد هذه المعانى وأكثر منها فى التصوير القرآنى لإيلاج الليل فى النهار ، ليكون نهاراً ، وليتقدم مع تقدم الشمس على القمر . وفى التصوير القرآنى لإيلاج النهار فى الليل . ليكون ليلاً ، بعد تصوير النهار ، ليتلام مع القمر ، الذى ورد متأخراً عن الشمس ، لأن القمر يتألق فى الليل مع النجوم . هذه المعانى والمشاهد قطرة من بحر التصوير القرآنى المعجز فى كل مشهد ولكل معنى ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليعذروا وما يزيدهم إلا نفوراً » وقال سبحانه وتعالى ، « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٣) .

وأما الآية الثالثة فى تصوير الإيلاج فهى قوله تعالى : « ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير » (٤) .

(٢) سورة الإسراء آية ٤١ ، ٨٨

(١) سورة لقمان آية ٢٩

(٣) سورة الحج آية ٦١

وأما الرابعة فهي قوله تعالى : « يولج الليل في النهار . ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلکم الله ربکم له الملك والذين تدعون من دونه ما یملکون من قطمیر » (١) .

فالتسبیق القرآنی فی التصویر المعجز لهذه الآیة علی نحو ما جاء فی الآیة السابقة ، فتقدمت الشمس لتقدم تصویر النهار ، وتأخر القمر لتأخر تصویر الليل فی تلاؤم وتوازن واتساق : « وإنه لتنزیل رب العالمین نزل به الروح الامین » (٢) .

وأما الخامسة فهي قوله تعالى : « له ملك السموات والارض وإلى الله ترجع الامور ، یولج الليل فی النهار ویولج النهار فی الليل وهو علیم بذات الصدور » (٣) .

تصویر الليل والنهار فی آیات القسم :

عظائم الامور ، وجلال النعم تنال من العناية والتقدير منزلة عالية ، نسمو إلى درجة القسم بها ، فإذا ما أقسم الخالق سبحانه وتعالى بها ازدادت منزلة ورفعة ، للدلالة علی عظم خلقها ، وعظیم نعمها وفضلها ، لهذا أقسم الله عز وجل باللیل والنهار فی القرآن الکریم أربع مرات فی هذا البحث .

قال تعالى : « كلا والقمر ، واللیل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر » (٤) . تقدم الليل علی الصبح والنهار ، لتجاوره مع القمر ، الذی تصدر به القسم . والقمر כوكب لیل یظهر فی الظلام أكثر منه فی النهار .

وقال تعالى : « فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، واللیل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ، إنه لقول رسول کریم ، ذی قوة عند ذی العرش مکین ، مطاع ثم أمین » (٥) .

(١) سورة فاطر آية ١٣ (٢) سورة الشعراء آية ١٩٢ ، ١٩٣

(٣) سورة الحديد آية ٦ ، ٥ (٤) سورة المدثر آیات ٣٧ : ٣٤

(٥) سورة التکویر آیات ١٥ : ٢١

تقدم تصوير الليل على الصبح لتجاوره مع النجوم الخنس والجواري
السيارة السبعة ، وهذه كلها تخنس أى : « تغيب » ، وتكنس أى : « تختفي » ،
فى النهار ، وتظهر فى الظلام والليل ، فهى كواكب ليلية ، تتلام مع الليل فى
تجاورها له .

وقال تعالى : « فلا أقسم بالشفق ، والليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق
لتركبن طبقا عن طبق » (١) .

وهنا تقدم الشفق على الليل ، لأنه أول الليل حيث يظهر بعد الغروب
وقيل العشاء ، ثم كان القسم الثالث بالقمر ؛ لأنه يبدو أكثر ظهورا وتألقا
بالليل منه فى وقت الشفق .

وقال تعالى : « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى » (٢) .

تصوير الليل والنهار فى آيات الإغشاء :

غشى غشيا وغشيانا ، وأغشى إغشاء ، وغشى تغشية كلها بمعنى غطاه
وستره تغطية وسترا ، وحل محله ، فأغشى الليل والنهار ، أى غطاه وستره
فيعم الظلام ويسود الليل ، وأغشى النهار الليل بمعنى غطاه وستره ، فيلتشر
الضياء ، ويسيطر النهار على الكون ، وجاء الإغشاء فى تصوير الليل
والنهار مرتين فى هذه الدراسة .

قال الله تعالى : « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة
أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » (٣) .
فالإعجاز فى التصوير القرآنى يظهر فى كل مرة حسب القراءات

(١) سورة الانشقاق آيات ١٦ : ١٩ .

(٢) سورة الليل آية ١ ، ٢ (٣) سورة الاحراف آية ٥٤

فالقراءة المشهورة وهى : « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » بضم الياء وكسر الشين غير المشددة ونصب الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات ، بمعنى يغطى الليل النهار ويستتره ويطلبه حثيثا كما يطلب الشمس والقمر والنجوم حالة كونها مسخرات بأمره ؛ وإن كان البعض قد نصب الشمس وما بعدها بالفعل «خلق» عطفا على السموات والأرض ، وإن طال المعطف هنا وفصل بقوله تعالى : « فى ستة أيام يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا » .

وقرأ عاصم وحزه والكسائى بتشديد الشين ورفع النهار ونصب الليل والمعنى يستر النهار الليل ويغطيه ، فيضئ الدنيا ويسيطر النهار على الكون ومن هنا كان حسن التلازم وروعة الاتساق حين تجاورت الشمس مع النهار متقدمة على ما بعدها ، ويؤيد هذا التصوير البديع قراءة رفع الشمس وما بعدها على الاستئناف ، فهى مصدر النور فى النهار ، ويؤيد هذا التصوير المعجز أيضا قراءة حميد بن قيس : « يغشى الليل النهار » بفتح الياء والشين غير المشددة ونصب الليل ورفع النهار (١) « إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ، لا يسره إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين ، أفبهذا الحديث أتم مدنون » (٢) .

وقال تعالى : « افقه الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تلقوا ربكم توفقون ، وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٣) .

(١) الكشف العشرى ١٠٩ / ٢ ، فتح القدير : الشوكاني : ٢ / ٢١١

(٢) سورة الواقعة آيات ٧٧ - ٨١

(٣) سورة الرعد آية ٢ ، ٣

وتأمل كيف تقدمت السموات بما فيها من آيات الله على الأرض بما عليها من نعم وآلاء، ليتسق ذلك ويتلاءم مع تقدم الليل على النهار كما تقدمت السموات على الأرض، وقد ظهر فيها روعة الإعجاز في التصوير القرآنى على نحو ما أشرنا إليه قبل ذلك .

تصوير الليل والنهار في آيات التسخير :

سخر الله عز وجل الليل والنهار لعباده بمعنى ذللهما وهياها لهم، وجعل كلا منهما يلبى حاجات البشر، ويستجيب لرغباته وطبيعته البشرية، التي تحتاج إلى كل منهما، وجاء التسخير هنا مرتين .

قال تعالى : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، (١) .

وقال تعالى : (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٢) .

ومن روعة الإعجاز في التصوير القرآنى في مجال ذكر النعم التي سخرها الله تعالى لعباده ؛ لينضموا بها ، مع تأتي النعمة الأكثر نفعاً والأعظم فضلاً للعباد متقدمة على مادونها في النفع والفضل ؛ لذلك تقدمت الشمس على القمر، لأن نعمة الشمس أكثر نفعاً وأعم فضلاً من نعمة القمر، ويؤيد هذا اتساق الآيات بعضها مع بعض، وتلاؤم ما بعدها وما قبلها في ترابط وتلاحم وثيق ؛ فالآية الأولى في سورة إبراهيم جاء قبلها قوله تعالى : (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) ، وجاء بعدها قوله تعالى : (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) (٣) . والآية الثانية في سورة النحل جاءت قبلها آيات تجمع كثيراً من النعم من

(١) سورة إبراهيم آية ٣٣

(٢) آية ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) سورة النحل آية ٣٢

أول قوله تعالى (والأنعام خلقها لكم فيها دفيء ومنافع ومنها تأكلون) (١).
وجاءت بعدها آيات تجمع كثيرا من النعم تلقى بقوله تعالى : (وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) (٢) .

تصوير الليل والنهار في آية الصيام :

قال الله تعالى : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم
وأتم لباس لمن علم الله أنكم كنتم تخفون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم
فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخط الأبيض من الخط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل
ولا تبashروهن وأتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها
كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) (٣) فتقدمت ليلة الصيام من
ظهور الخط الأبيض من الخط الأسود من الفجر ، والمراد به
هو النهار .

تصوير الليل والنهار مع الإنفاق :

قال الله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٤) . وانظر إلى
تقدم السر لتقدم الليل ، وتأخر العلانية لتأخر النهار .

تصوير الليل والنهار مع الخفاء والظهور :

قال تعالى : (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار) فما أرواح النسق القرآني بين الغيب والليل وبين
الشهادة والنهار في الآية السابقة : (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) (٥) .

(٢) الآيات ١٣ - ١٨

(١) الآيات ٥ - ١١

(٤) سورة البقرة آية ٢٧٤

(٣) سورة البقرة آية ١٨٧

(٥) سورة الرعد آية ٩ ، ١٠

تصوير الليل والنهار مع الخلق :

قال تعالى : (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) (١) .

تصوير الليل والنهار مع السكن :

قال تعالى : (قل لمن ما فى السموات والأرض قل الله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ، وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم) (٢) . فما أروع التناسق فى التصوير القرآنى فى تقدم السموات والأرض مع تقدم الليل على النهار على نحو ما ذكرناه من قبل ؟ وتقدم السميع على العليم ، لأن السمع بالليل أدق وأقوى ، وتحصيل العلم وتعليمه للناس يتصل بالنهار أكثر من الليل . تناسق وتلاحم بين عناصر التصوير القرآنى المعجز .

تصوير الليل والنهار مع التوفى :

قال تعالى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يجمعنكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » (٣) .

تصوير الليل والنهار مع الكلاء وهو الحفظ :

قال تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون » (٤) .

تصوير الليل والنهار مع التقلب :

قال تعالى : « يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » (٥) .

(٢) سورة الانعام آية ١٢ ، ١٣

(٤) سورة الانبياء الآية ٤٢

(٢) سورة الانبياء : آية ٣٣

(٣) سورة الانعام : آية ٦٠

(٥) سورة النور الآية ٤٤

تصوير الليل والنهار مع النوم :

قال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون » (١) .

تصوير الليل والنهار مع السير :

قال تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين » (٢) . وغالبا إذا ما أطلق اليوم يراد به النهار ، وخاصة في مقابلة الليل هنا .

تصوير الليل والنهار مع المكر :

قال تعالى : « وقال الذين إستضعفوا للنين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يحزون إلا ما كانوا يعملون » (٣) .

تصوير الليل والنهار للسلخ :

قال تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » (٤) .

تصوير الليل والنهار للسبق :

قال تعالى : « ولا الشمس ينهى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » (٥) .

(٢) سورة سبأ الآية ١٨

(١) سورة الروم الآية ٢٢ ، ٢٣

(٤) سورة يس الآية ٣٧

(٣) سورة سبأ الآية ٣٣

(٥) سورة يس الآية ٤٠

تصوير الليل والنهار للسجود :

قال تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » (١) .

تصوير الليل والنهار مع القيام والتهجد :

قال تعالى : يا أيها المزمل ، قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنأتيك قولاً ثقيلاً ، إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً ، إن لك في النهار سبحا طويلاً ، واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ، (٢) .

تصوير الليل والنهار مع الإغطاش :

قال تعالى : « وأغطش ليلاً وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاهة » (٣) .

تصوير الليل والنهار مع التقدير :

قال تعالى : « إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار فلم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما ينسر من القرآن » (٤) .

تصوير الليل والنهار مع التسكوير :

قال تعالى : « خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار » (٥) .

(١) سورة فصلت الآية ٣٧ (٢) سورة المزمل الآية ١ - ٨

(٣) سورة النازعات الآية ٢٩ ، ٣٠

(٤) سورة المزمل الآية ٢٠ (٥) سورة الزمر الآية ٥

إنه التصوير القرآني المعجز لليل والنهار ، أنزله البديع الحق بالحق ،
لأنه الحقيقة والحق ، حينما يدركه الذين أوتوا العلم فيؤمنوا به يخرون للأذقان
سجدا ويقولون متعجبين مبهورين من إعجازه وبديع تصويره : « سبحان
ربنا ، قال تعالى : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا
ونذيرا ، وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ، قل
أمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون
للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون
للأذقان يبيكون ويذبحون خشوعا » (١) .

الشخصية الأدبية

لفلاسفة الأندلس

دكتور محمد حسن (أبو عبد الله)
الأستاذ المساعد في قسم الفلسفة
والنقد

تمهيد :

على مدى ثمانية قرون شيد المسلمون في الأندلس حضارة شاعخة ،
أرسوا دعامها على الإيمان والعلم ، وغذوا جذورها بالعمل والإخلاص ،
حتى غدت حضارة الإسلام بالأندلس من أعظم الحضارات التي عرفها الإنسان .
ولقد أنتجت هذه الحضارة من أصحاب العقول الكبيرة والمواهب
الإصيلة من ردد الزمان أسماهم ، وخلد التاريخ آثارهم ، من علماء وفلاسفة
وأدباء . وليس غريبا أن كانت حضارة المسلمين في الأندلس امتداداً لحضارتهم
في المشرق ، إذ مصدر الإلهام في كلتا الحضارتين واحد ، وهو الإسلام العظيم .
ومع هذا فقد كان للأندلسيين ما أضافوه ، وتميزوا به عن إخوانهم في المشرق .
وقد عني كثير من الباحثين بدراسة الشخصية الحضارية للأندلس بغية
الوقوف على جوانب الأصالة وأوجه التميز فيها .
وهذا البحث محاولة للتعرف على جانب من الشخصية الأندلسية ، يتعلق
بآداب الفلاسفة .

والشخصية الأدبية هنا تعنى الملامح المميزة التي ينفرد بها إبداع طائفة الأدباء الأندلسيين .

فلقد كان في المشرق فلاسفة كبار لهم تراث أدبي كإبن سينا والسروردي وابن الشبل البغدادى وغيرهم (١) وظهر في الأندلس فلاسفة كبار كذلك ، لهم تراث أدبي أيضا ، فاقية التراث الأدبي الذي خلفه فلاسفة الأندلس ، وهل كانوا فيه عبالا على فلاسفة المشرق الأدباء ، أم كانوا مبدعين ، ذوى شخصية أصيلة في التعبير عن ذواتهم ومجتمعهم ؟ .

هذا التساؤل هو ما يهدف هذا البحث إلى الإجابة عليه .

الفلسفة في الأندلس :

كانت الفلسفة اسما جامعاً للعلوم الطبيعية والتجريبية ، وعلم الأديان ، والمثل ، والنحل ، والطب ، والفلك ، والدراسات التي تبحث في طبيعة النفس الإنسانية ، والمنطق (٢) وكان على من يريد التخصص في أحد هذه العلوم أن . يلم بقدر طيب من سائرهما ، ولهذا تعددت جوانب المهارة عند كثير من فلاسفة الإسلام ، ووجدنا للواحد منهم مصنفات قيمة في الطب والفلك والنفس . والمنطق وشروحا لمقولات الفلاسفة القدماء . ونقداً لأرائهم . ولم يكن طريق البحث الفلسفي مهاداً لطلابه في كل حال ، فقد كانت حرية البحث الفلسفي مرتبطة برضا الحكام وميلهم إلى الفلسفة أو سخطهم عليها ، فإذا كان الحاكم محبا للفلسفة نشط الدرس الفلسفي في عهده ، واكتسب المشتغلون به مكانة مرموقة عنده ، وأن كان غير محب لها تعطل الدرس الفلسفي ، وأبعد المشتغلون به ، وربما اتهموا بالزندقة والإلحاد (٣) .

ومع هذا التردد بين نشاط وسخول ، وإباحة ومنع ، ظهر في الأندلس فلاسفة كبار ، شرحوا فلسفة اليونان ، وكتبوا في الإلهيات ، والنفس ، والطبيعة والطب والفلك والمنطق والرياضيات .

وقد كان هؤلاء الفلاسفة - إلى جانب ذلك - أدباء مبدعين تركوا لنا تراثاً أدبياً رفيعاً لا تقل قيمته عن قيمة تراثهم الفلسفي .

الثراث الادبي لفلاسفة الأندلس :

أولا : الشعر : -

يبدو أن شعر فلاسفة الأندلس قصيدة من ديوان الشعر الأندلسي ،
تتمثل فيها مسالكه وسماته ، وتلوح فيها قسبات الحياة الأندلسية باشاع فيها
من جد ولهو ، وما تعاورها من وثوب وتقهقر .

وشعرهم - في الوقت نفسه - له ملامحه الخاصة التي شكلتها ثقافتهم الفلسفية
واهتماماتهم العلمية .

لقد قال فلاسفة الأندلس الشعر في أم الأغراض التي عرفت في بيتهم ،
وهي الغزل ، والوصف ، والحنين ، والشكوى ، والثناء - إضافة إلى شعر
التأمل الفلسفي .

فمن شعرهم في الغزل قول أمية بن أبي الصلت (٤) :

جد بقلبي وعبت	ثم معنى وما اكثرت
واحربا من شادن	في عقد الصبر نفت
فأى ود لم يخن	وأى عهد مانكت (٥)

وقوله :

عجبت من طارفك في ضعفه	كيف يصيد البطل الأصيدا
يفعل فينا وهو في غمده	ما يفعل السيف إذا جردا (٦)

ومزج بين وصف الخرو وصف جمال الساق في قوله :

ومبهف شركت محاسن وجهه	ماجه في الكأس من إبريقه
ففعلاها من مقلتيه ولونها	من وجنتيه وطعمها من ريقه (٧)

وعبر ابن الصائغ (٨) عن شوقه إلى أحبته ، وحزنه على فراقهم ، مصورا
قلبه أسيرا جريحا لديهم في قوله :

ضربوا القباب على أفاحة روضة

خطر التسم بها قفاح عيبرا

وتركت قلبي صار بين حولهم
 دامي الكلام يسوق تلك المعيرا
 هلا سألت أسيرهم هل عندهم
 عان يفك ولوسألت فيمورا
 لا والذي جعل النصور معاطفا
 لهم وصاغ الأقحوان ثنورا
 ما مر بي ريح الصبا من بعدهم
 إلا شفت له فساد سميرا (٩)

ويوجه ابن الصائغ رسالة شعرية رقيقة إلى أحبته ، يخبرهم فيها بأنهم
 يسكنون قلبه ، وأنه يقضى الليل مسهداً شوقاً إليهم وتفكيراً فيهم ، ويطلب
 منهم أن يكونوا أوفياء يحفظون الود كما يحفظه ، فيقول :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا
 بأنكم في ربيع قلبي مسكان
 ودوموا على حفظ الوداد قطالما
 بلينا بأقوام إذا استؤمنوا خانوا
 سلوا الليل حتى قد تنامت دياركم
 هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان
 وهل جردت أسياف برق سمانكم
 فكانت لها إلا جفوني أجفان (١٠)

أما ابن طفيل (١١) فيدع في وصف محبوبته التي ألت به ، فعمطرت
 المكان بعمطرها ، وأضأت الظلمة بوجنها ، ولجرت في نفسه بتاييع الشوق ،
 وأبصرت دلائل حبه لها وعلامات لطفه عليها ، لكنها ناشدته ألا يقترب
 إثمًا ، فاستجاب لها ، صونا للحرمان ، وترفعًا عن الشهوات :

يقول ابن طفيل ، مصورا جمال محبوبته ، وشوقه ، وصبره وعفافه :

أملت وقد نام المسيح وهبوما
 وأسرت إلى وادى العقيق من الحمى
 وجرت على ترب المحصب ذيلها فما زال ذاك الترب نهباً مقسماً
 تناوله أيدى التجار لطيمة ويحمله الداوى أمان يما
 ولما رأت أن لا ظلام يجننا وأن سراها فيه لن يتسكتما
 نصت عذبات الریط عن حر وجهها
 فأبدت عجا يدهش المتوسما
 فكان تجليها حجاب جمالها
 كشمس الضحى يمشى بها الطرف كلها
 ولما اتقينا بعد طول تهاجر
 وقد كاد جبل الود أن يتصرما
 جلت عن ثنایاها وأومض بارق
 فلم أدر دمع أينما كانا أسجما
 فقالت وقد رق الحديث وأبصرت
 قرائن أحوال أذعن المسكتما
 نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهبا
 يهون صعباً أو يرخص مأثماً
 فأمسكت لا مستغنيا عن نوالها
 ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرماً (١٧)

وقد وظف ابن طفيل في آياته السابقة مظاهر الطبيعة في رسم صورته
 الشعرية، فذكر وادى العقيق، وترب المحصب، والظلام، وشمس الضحى،
 والبارق، والغمام، وقد كانت الطبيعة الخلابة في الأندلس راغداً غنياً،
 وملهماً ثرياً، ظهر أثره بوضوح في الأدب الأندلسى.

ويصور الفيلسوف ابن رشد (١٢) الصراع بين عاطفته التى تدعوه إلى

العشق ، وهقله الذي ينهيه عن الاستجابة لداعى الجمال ، ثم غلبة الحسن لوقاره
وتصبره ، فيقول :

ما العشق شأنى ولكن لست أنكره
كم حل عقدة سلوانى تذكره
من لى بغض جفونى عن مخبرة الـ
أجفان قد أظهرت ما كنت أضمره
لولا النهى لأطعت اللحظ ثانية
فيمر رد سنا الألفاظ منظره
ما لائن ستين قادمه لغايته
عشرية فنأى عنه تصيره
قد كان رضوى وقاراً فهو سافية
الحسن يورده والمون يصدره (١٤)

وليس فى تعلق الفلاسفة بالجمال ، وتغزلهم فى النساء ما يستغرب منهم
أو يعاب عليهم ، ولما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل وإلف
النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه
بسم حلال أو حرام ، كما يقول ابن قتيبة (١٥) ولم ير ابن حزم الفقيه
والفيلسوف الأديب حرجاً فى الحب إذا صاحبه العفة ، فهو يقول :

..... فبحسب المرء أن يعف عن محارم الله عز وجل ، التى يأتينا
باختياره ، ويحاسب عليها يوم القيامة ، وأما استحسان الحسن وتمكن
الحب ، فطبع لا يؤمر به ، ولا ينهى عنه ، إذ للقلوب بيد مقلبيها ، ولا يلزمها
خير المعرفة والنظر فى فرق ما بين الخطأ والصواب ، وأن يعتسقد
الصحيح باليقين ، وأما المحبة بخلقها ، وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه
المكتسبة ، (١٦)

ولقد كان ابن حزم صاحب تجربة فى هذا الباب إذ أتاحت له نشأته

أن يخلص الحب في قلبه ، وفي قلوب المحيطين به كأشد ما يكون الإحساس (١٧)
وله أشعار كثيرة في وصف عاطفة الحب وأحوال المحبين ، كما أن له شعراً
في التغزل بالنساء ووصف جمالهن ، من ذلك قوله مدافعاً عن ذات
الشعر الأشقر :

يعيونها هندي بشقرة شعراً
فقلت لهم هذا الذي زانها هندي
يعييون لون النور والتبر ضلة
لأرى جهول في الغواية ممتد
وهل عاب لون الزرجس الغض عاب
ولون النجوم الزاهرات على البعد
وأبعد خلق الله من كل حكمة
مفضل جرم فاحم اللون مسود
به وصفت ألوان أهل جهنم
ولبسة باك مشكل الأهل محتد (١٨)

ويبدو أنه تعرض للوم من بعض الناس الذين استغريوا منه ذلك
المسلك في التغزل وبسط القول في فلسفة الحب ، ولم يعجبهم تصريحه بالحب ،
وهو الفقيه الإمام ، فقال في الرد عليهم :

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى
وسيان هندي فيك لاح وساكت
يقولون : جانبك التصون جملة
وأنت هليم بالشرعة قانت
فقلت لهم هذا الرياء بعينه
صراحاً وزى للمرائين ماقت
متى جاء تحريم الهوى عن محمد

وهل منعه في محكم الذكر ثابت (١٩)

ولا شك أن الهوى (الحب) لم يرد تحريمه في الشرع بشرط ألا يؤدي
هذا الحب إلى محرم .

وإذا كان التعلق بالجمال والتغزل بالنساء مع العفة أمرا لا حرج فيه
ولا غرابة أن نجد عند الفلاسفة الشعراء ، فإن الأمر الذي كنا نود أن
يتصورن الفلاسفة عنه ، هو الغزل الشاذ ووصف جمال الغلمان ، لكن الحقيقة
أن هذه الموجة التي جرفت كثيرا من الشعراء لم يسلم منها كذلك بعض
الشعراء الفلاسفة (٢٠) .

أما شغرم في الوصف ، فنه قول ابن زهرى يصف مجلس شراب دارت
الحر فيه بزموس أصحابه :

وموسنين على الأتف خدودهم
قد غالهم نوم الصباح وغالنى
مازلت أسقيهم وأشرب فضلمهم
حتى سكرت وغالهم ما غالنى
والخمر تعلم حين تأخذ ثأرها
أنى أملت إناهما فأمالنى (٢١)

ووصف ابن طفيل تباين حظوظ الناس من الفكر ، واختلافهم بين
نحج يطلبون الحقائق ، ويبحثون عن الب والجوهر ، وآخرين
لا يتجاوزون القشور ، ولا يدرون الحقائق ، فقال :

ما كل من شم نال رائحة
للناس فى ذا تباين عجب
قوم لهم فكر يحول بهم
بين المعانى ، أولئك النجب
وفرقة فى القشور قد وقفوا
وليس يدرون لب ما طلبوا

لا غاية . تنجلى لناظرم
منه ولا ينقضى لهم أرب
لا يتعدى امرؤ جبلته

قد قسمت في الطبيعة الرتب (٢٢)

ورصف أمية بن أبي الصلت الإصطراب فقال :

أفضل ما استصحب النبيل ولم يعدل به في المقام والسفر
جرم إذا ما التمس قيمته جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو إن تفتشه عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت عن صائب اللحظ صادق الأثر
تحمله وهو حامل فلكا لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الأرض وهو منبثا عن جل ما في السماء من خير
أبدعه رب فكرة بعدت غايتها أن تقاس بالفكر (٢٣)

وما روى من شعر المديح عن فلاسفة الأندلس قليل ، منه قول
ابن الصامع يمدح الأمير أبا بكر بن إبراهيم :

همام جوده يصف السوارى وسطوته يعيرها المجير
يقول عداه كيف وفي يديه سفير ترمى فيها بحور
وقلنا نحن كيف وراحته بحور يلتظي فيها سفير (٢٤)
ومنه أيضا قول أمية بن أبي الصلت فيمن وصله نواله قبل أن يمدحه :
لا غرو أن سبقت يداك مدائحي

وتدفقت جدواك ملء إنائها

يكسى القضيبي ولم يحسن إثمارة

وتطوق الورقاء قبل غنائها (٢٥)

واقتصاد الفلاسفة في شعر المديح يرجع إلى طبيعة استعدادهم النفسي ،
واعترازهم بكآتهم وهلمهم ، وترفعهم عن التكسب بالشعر (٢٦) . وفلاسفة

الأندلس شعر في الحنين إلى الديار والأهل ، منه قول ابن الصائغ .

فيا مسكرع الوادى أما فيك شربة

لقد سال فيك الماء أزرق صافيا

ويا شجرات الجزع هل فيك وقعة

وقد فاء فيك الظل أخضر ضافيا (٢٧)

وقال وهو أسير عند الأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، وقد ومض

له برق من ناحية برشلونة فأنس به وبهر :

إيه يا برق قل حديثك عن نجد

لحيا الإله عنى نجد

قل وإن كان ما نحدثه زو

رأ فقد تبرد الأسمى والوجد (٢٨)

وقال ابن زهر في التشوق إلى ولده الصغير :

ولى واحد مثل فرخ القطا صغير تغلف قلبي لديه

فأت عنه دارى فيا وحشتا لذاك الشخيص وذاك الوجيه

لقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إلى ومنى إليه (٢٩)

وقال ابن الصائغ يشكو ألمه وسوء حاله في الأسر :

لعلك يا يزيد هلأت حالى فتعلم أى خطب قد لقيت

ولانى وإن بقيت بمثل ما بي فمن عجب الليالى أن بقيت

يقول الشامتون شقاء نحت لعمر الشامتين لقد شقيت

أعندهم الأمان من الليالى وسالمهم بها الزمن المقيت (٣٠)

وقال ابن زهر في شكوى المشيب :

لنى نظرت إلى المرأة إذ جليت

فأنكرت مقتلئى كل مارأنا

رأيت فيها شيخا لست أعرفه

وكنت أعده من قبل ذاك فنى

فقلت أين الذى بالأمن كان هنا
 متى ترخل عن هذا المكان متى
 فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة
 إن الذى أنكرته مقلتك أتى
 كانت سليمي تنادى يا أخى وقد
 جارت سليمي تنادى اليوم يا أبتا (٣١)
 ولهم كذلك شعر فى الرثاء منه قول ابن الصائغ فى رثاء الأمير أبى بكر
 ابن إبراهيم :

أيها الملك قد لعمرى نعى الحمر
 مد نواعيك يوم قمى فنحن
 كم تقارعت والخطوب إلى أن
 غادرتك الخطوب فى الترب رهنا
 غير أنى إذا ذكرتك والده
 - إخال اليقين فى ذاك ظنا (٣٢)
 وله فى رثائه أيضاً :

سلام وإمام ووسمى مزنة
 على الجذث النائق الذى لا أزوره
 أحفأ أبو بكر تقضى فلا يرى
 ترد جماهير الوفود مستوره
 لئن أنست تلك القبور بلحده
 لقد أوحشت أقطاره وقصوره (٣٣)
 وقال ابن طفيل فى رثاء صديق له :

لأمر ما تغيرت الدهور وأظلمت الكواكب والبدور
 وطال على العيون الليل حتى : كأن النجم فيه لا يضور (٣٤)

أما شعرهم ذو الصبغة الفلسفية أو العلية فنه قول ابن طفيل ، - مشيراً إلى العلاقة بين الجسد والروح في الدنيا ، ثم اقتراقهما عند الموت ، حيث يرجع كل عنصر إلى أصله ، فتصعد الروح إلى عالم النور ، ويتحلل الجسم إلى طين ، يقول ابن طفيل :

يا با كيأ فرقة الأحباب عن شحط هلا بكيت فراق الروح للبدن
نور تردد في طين إلى أجل فانحاز علوا وخلي الطين للسكن
ياشدا ما اقترقا من بعد ما اعتلقا أظنها هدة كانت على دخن
إن لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيالها صفقة تمت على غبن (٣٥)
وقال سعيد بن عبد ربه (٣٦) يذكر فضل ربه عليه من علم بالحقائق
وانبساط في المواهب ، ثم يصف حال الدنيا ، وسرعة انقضاء الأجل
وحتمية الموت :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق وطول انبساطي في مواهب خالقي
وفي حين إشرافي على ملكوته أرى طالبا رزقا إلى غير رازقي
فأبام عمر المرء متعة ساعة تمر سريعا مثل لمعة بارقي
وقد آذنت نفسي بتقويض رحلها وأعنف في سوقى إلى الموت سائقي
وإني وإن بقيت أوردغت هارباً من الموت في الآفاق فالموت لاحق (٣٧)
وله أبيات يذكر فيها (بقراط) و (جالينوس) ويشيد بما خلفا من
كتب وعلم ، يقول فيها .

لما عدمت مؤانسا وجليسا نادمت بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفرجى وهما الشفاء لكل جرح يوسا
ووجدت عليهما إذا حصلته يذكى ويحيي للجسوم نفوسا (٣٨)
وقال أمية بن أبي الصلت في استقبال الموت ، معرباً عن خوفه من
ذنوبه ، وأمله في رحمة الله وعفوه :
سكتك يا دار الفناء مصدقا بأنى إلى دار البقاء أسير

وأعظم مافي الأمر أنني صائر إلى عادل في الحكم ليس يجوز
 فإليت شعري كيف ألقاه عندها وزادى قليل والذنوب كثير
 فإن أك مجزيا بذنبي فإتي بشر عقاب المذنبين جدير
 وإن بك عفو ثم عني ورحمة قم نعميم دائم وسرور (٢٩)
 ولما حضر ابن الصائغ الموت قال :

أقول لنفسى حين قابها الردى فراغت فراراً منه يسرى إلى يمنى
 قفى تحملى بعض الذى تكرهينه

فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنى (٣٠)

وأقوالهم فى الموت تدل على التسليم المطلق لسلطانه وعجزهم التام
 حياله ، ولإيمانهم بقدرة الله عز وجل ، وأنه لا يرد الموت شئ .
 يقول ابن زهر مخاطباً كتاباً اسمه (حيلة البرء) للطبيب اليونانى القديم
 جالينوس :

حيلة البرء صنعت لعليل يترجى الحياة أو لعليله
 فإذا جاءت المنية قالت حيلة البرء ليس فى البرء حيلة (٣١)
 هكذا قال فلاسفة الأندلس الشعر فى أغراضه المختلفة ، مصورين
 حياتهم ويبتتهم ، وأفكارهم ومشاعرهم فى رقة ودقة وجمال .

ثانياً : الموشحات :

يكاد يجمع الباحثون على أن الموشحات فن أندلسى اللشأة ظهر ونما
 بين رياض الأندلس ، وفى مجالس بهجتها وغنائها (٣٢) . وتمتاز الموشحة
 عن القصيدة بأنها أصلح للغناء ، وأطوع للتلحين لما فيها من تنوع الاوزان
 وتعدد القوافى .

ولأن الغناء - غالباً - مرتبط بالغزل والهوى مثلت معانى النسيب والغزل ،
 والحديث عن الحزن ، ووصف جماله الطبيعية ، للموضوعات الهامة التى عنى بها
 الوشاحون ، وأكثروا من القول فيها ، وإن قال بعضهم فى غيرها .

ولقد كان لفلاسفة الأندلس إسهام طيب في مجال التوشيح اضطلع به
ابن زهر الذي يعد من كبار الوشاحين لأنه مكثر عدداً ، متنوع فناً
وموضوعاً ، مبدع صوغاً ومعنى (٤٣) . والموضوع الغالب على موشحاته
هو الغزل ، وكثيراً ما يمزجه بوصف الخمر ، كما ضرب ابن الصائغ بسهم في
هذا الفن (٤٤) .

يقول ابن زهر في إحدى موشحاته : (٤٥)

سدن ظلام الشمور على أوجه كالبدور
سفرن فلاح صباح
هزرن قدود الراح
ضحكن ابتسام الأفاح
كأن الذى فى النحور تفهين منه الثغور
سلوا مقلتي ساحر
عن السحر والساحر
وهن نظير حائر
يريش سهام الفتور ويرى خبايا الصدور
لقد همت ويحي بها
وذلت قلبي لها
أما والهوى إنها
لظلي كناس قصور تغار عليه الحدور
حرمت لذيق الكرى
سهرت ونام الورى
ترى ليت شعري ترى
أسامات ليل شهور أم الليل حولي يدور

وفي أخرى يقول :

حى الوجوه الملاحا وحى كحل العيون
هل فى الهوى من جناح
وفى نديم وراح
رام النصوح صلاحى

وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والمجون
يا غابىسا لا يغيب
أنت البعيد القرب
كم تشتهيك القلوب

أثنتهن جراحا واسأل سهام الجفون
بيد أن أشهر موشحاته وأبدعها تلك التى يقول فيها : (٤٦)

أيها الساقى إليك المشتكى كم دعوتك وإن لم تسمع
ونديم همت فى غرته
وسقانى الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه وانكا وسقانى أربعا فى أربع
غصن بان مال من حيث استوى
بات من يهواه من خوف النوى
خاقق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر فى البين بكى ماله ييكى لما لم يقع
أيها المعرض عما أصف
تعرف الذنب ولا تعترف
بكبد حرى ودمع يكف

مثل حالى حقه أن يشتكى كد اليأس وذل الطمع .

ما لعينى شقيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
فإذا ما شئت فاسمع خبرى

عشبت عيناي من طول البكا وبكى بعضى على بعضى معى
قد برأى فى هواك السكد
بالقوى عدلوا واجتهدوا
أنكروا شكواى بما أجد
قد نما حبك هندى وزكا لا يظن الحب أنى مدعى

وواضح ما اتسمت به تلك الموشحات من سهولة فى اللفظ ، ورقة فى الصياغة ، وحلاوة فى النغم ، وجمال فى الصورة . وقد استحق ابن زهر شهادة النقاد فى القديم وفى الحديث له بالفوق والإبداع فى هذا الفن ، فقد قال ابن دحية :

«والذى افرد به شيخنا وانقادات لتخيلة طباعه ، وصارت إليه فيه حوله وأتباعه الموشحات» (٧٧) .

وقال الدكتور مصطفى الشكعة :

«فإن زهر مقتدر على التواشيع ذو سلطان عليها ، يستدعى معانيها فتجيبه ، ويدعو قوافيها فتتقاد إليه . . إن ابن زهر لا يكاد يكابد مشقة فى نظم توشيعه ، أو هكذا يبدو لنا على الأقل ، وهو شعور قلداغسه عند غيره ، فالرجل يقول التوشيع ، وكأنه ينظم قصيدا ناعما مستريحا غير مكابد ولا متصنع ولا تعب ، بل هو يرسم ويصور ، ويمجاس ويسعير . ويضرب فى آفاق الصناعة غير الثقيلة بأسهم مصيبة . وبأنصبه عديدة وفيرة . الأمر الذى يستحق من أجله أن يكون سيد الوشاحين وشيخهم . إذ ربما كان أول وشاح ينقل روح الشعر إلى جسم الموشحة : فيخفف من أثقال

صناعتها . ويلين من صلابة بيتها ، (٤٨) . أما ابن الصانع فنزلته في التوشيح دون ذلك بكثير .

ثالثاً : النثر :

يشمل التراث النثرى لفلاسفة الأندلس في ثلاثة آثار جليلة . تدل على ما كان يتمتع به مؤلفوها من عمق التفكير وسعة الأفق ، وتمكن من ناحية البيان وتملك لأدواته .

وأول هذه الأعمال : الرسالة المصرية لأمية بن أبي الصلت (٤٩) .

ألف أمية بن أبي الصلت رسالته هذه في وصف رحلته التي قام بها إلى مصر سنة خمسماية وعشر (٥١٠ هـ) تقريباً . وقد شرح فيها قصده من هذه الرحلة ، والدوافع التي حملته عليها . ثم وصف رحلته إليها حتى وصلها . ثم فصل القول في وصف أرض مصر متحدثاً عن موقعها وجغرافيتها . واصفاً نيلها وأهرامها . ومخلاطباع أهلها . ومبيناً حالة العلوم الطبية والفلسفية فيها . وأسلوب الرسالة أسلوب أدبي رائع استطاع ابن أبي الصلت أن يصوره به دقات أفكاره وملاحظاته . مع توشية بالمصنعات البديعية من سجع وجناس ومقابلة وازدواج ، وقد سلك سبيل التحليل والتعليل لمشاهداته . وأحياناً يقتبس أمية من القرآن الكريم . كما يضمن رسالته كثيراً من شعره ومن شعر غيره . وهذا نموذج منها (٥٠) :

يقول : وكنت إبان هصر الشباب موقن . وغصن الصبا مروق .

إذ لمحي مسودة . ولما وجهى رونق (٥١)

عن ساعج الدهر بغفاتي من غفلاته . وتجاهى له عن غفوة من غفواته .
فباش آمن السرب . سائع الشرب لا يتفرغ من أدب يرود رياضه . ويرد
حياضه . إلا إلى طرب يعمر مبدائه ، ويسحب ذيله وأزدانه ، ثم قلون
فقلب لي ظهر مجنه . وسقاني دردى دته . فتبارك بما أغضله واسترد ما بذله .
واضطرت إلى مفارقة الوطن ، والخروج عن العطن ، فهاسكت إشفاقاً من

مفارقة أول أرض مس جلدى ترابها . وشدت على التهام بها . وجاءت أمور
لا تطاق كبار . فلما لم يمكن القرار . ولم يبق إلا الفرار . قلت : ليس لى أن
أرمى بنفسى كل مرمى وأطرحها كل مطرح .

لأبلغ عذراً أو أنال رغبة . ومبلغ نفس عذرها مثل منتج
وسكنت إلى البيت المشهور :

تلقى بكل بلاد إن حلت بها . أهلاً بأهل وأوطاناً بأوطان

وإن كان يقول العامة : ليس بين بلدى وبلد تسب . فغير البلاد ماحلك .
لجملت أستقرى البلاد لأتيمم أوفقها للمقام . وأهونها على مقارعة الأيام .
فكانت مصر ما وقع عليه اختيارى . وصدقت حسن ظنى قبل اختبارى .
وسرت قاصدا إليها . أعتسف المجاهل والتناصف . وأخوض المهالك .
والخالف . فطوراً أمتطى كل حالكة الإهاب (٥٢) . مسودة الجلباب ثابتة
كصبغة الشباب . قد فسح ميدانها . ووضع براحة الريح عنانها . فجرت
جرى الطرف الجروح . وفاتت مدى الطرف الطموح ، وطوراً كل نقب
الأياطل كالهياطل (٥٢) . سبط المشافر جعد الأشعار . وليس لى غير مصر
مقصد . ولا ورامها مذهب . ولا دونها للفنى متطلب .

وكم فى الأرض من بلاد ولكن

عليك لشقوتى وقع اختيارى

فلما تفمرت ركابي من النيل واستنرت بظل المقطم . ألقيت عصا
النسيار . واستقرت فى النوى . وخفت ظهورهن من الرجال . وأرختن
من الحل والترحال . وقلت ضالتي المشودة . وبغيتى المقصودة : ها هنا
ألبت وأقيم . فلا أبرح ولا أريم . بلدة طيبة ورب غفور ، (٥٣) وحيث
التفت فروضة وغدير ، وخورتق وسدير ، وظل ظليل ، ونسيم عليل .

وكم تمنيت أن ألقى بها أحدا

يسلى من الهم أو يعدى على النوب

فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا
 كانت مواهبهم كالآل في الكذب
 وكان لي سبب قد كنت أحسبني
 أحظى به فإذا داني من السبب
 فما مقلم أظفاري سوى قلبي
 ولا كتياب أهدائي سوى كتيبي
 ولم تطل مدة اللبث حتى تبينت بما شاهدته أني فيها منحوس البضاعة .
 موكوس الصناعة . مخصوص بالإهانة والإضاعة

وتمضى الرسالة على هذا النحو من التعبير الجميل والتصوير البديع حتى
 نهايتها مما يجعلها مثالا راقيا لأدب الرحلات .

العمل الثاني: طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم :

يعد طوق الحمامة فريدا في بابهِ . ويرجع تفردهُ إلى أنه بحث عميق في
 فلسفة الحب . يعتمد على التجربة الذاتية والتحليل النفسي . في معرفة منازع
 الحب ، وأعراضه ، وأحواله .

ويمتاز طوق الحمامة عن زهرة أبي داود وحديث ابن فرج (٥٤)
 بعمق النظرة وشمول العرض واعتماده على التجربة الذاتية . ولا يفتك
 مثل خير .

وقد تحدث ابن حزم في كتابه عن أسباب الحب وأعراضه . ومنغصاته
 ومسعداته . وعن أحوال المحبين وما يعرض لهم . محلا ومعللا . وقاصا
 من الحكايات التي جربها بنفسه . أو شاهد أحداثها . أو سمع أخبارها
 ما يؤكده حديثه .

والكتاب صورة صادقة لشخصية ابن حزم التي انصفت بالشجاعة
 والصراحة ، ورقة الطبع ورفعة الذوق .

كما يتضمن الكتاب تفويضا للجوانب هامة من الحياة الأندلسية خبرها

المؤلف من نشأته في القصور واطلاعه على أطراف من أسرار الحياة فيها مما يتعلق بدنيا الحب والمحبين .

وفي طوق الحماة كثير من الأخبار المتعلقة بحياة ابن حزم وأطوار حياته من عز وسيادة وترف إلى سجن وتشريد . وفيه كذلك الكثير من أشعاره التي دعم بها آراءه وحكماته .

ويحتوى الكتاب على ثلاثين باباً مألهاً ابن حزم بفلسفته وتجاربته وحكايات الحب التي عاشها أو سمع بها .

ومن أبواب الكتاب : (باب علامات الحب - باب المراسلة - باب السفير - باب الصديق المساعد - باب الوصل - باب طي السر - باب العاقل - باب الرقيب - باب الواشى) وآخر بابين جعلهما (ابن حزم في السلام على قبيح المعصية وفضل التعفف . ليكون آخر كلامه الخص على طاعة الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أما أسلوب طوق الحماة . فهو الأسلوب المسترسل . المتخفف من الزينة . القاصد إلى أداء المعنى في غير تألق ولا تكلف ، مع رشاقة التعبير وجمال التصوير .

وهذه نماذج من الكتاب (٥٥) :

يقول عن حلاوة الوصال :

و لقد جربت الذات على تصرفها . وأدركت الحظوظ على اختلافها .
فما للدنوم من السلطان . ولا المبال المستفاد . ولا الوجود بعد العدم .
ولا الآوبة بعد طول الغيبة . ولا الأمن بعد الخوف من الموقع في النفس
ما للوصل لا سيما بعد الامتناع . وطول الهجر . حتى يتأجج عليه الجوى .
ويتوقد لهيب الشوق ، وتنضرم نار الرجاء ، وما ازدهار النبات بعد غيب
القطر . ولا إشراق الأزاهير بعد اقلاع السحاب . ولا خريف المياه المتخللة
لأقانيين النوار ، ولا تألق القصور البيض قد أحفبت بها الرياض الخضراء .

بأحسن من وصل حبیب قد رضیت أخلاقه . وحدث غزاة . وتقابلت
في الحسن أو صافه .

وعن تجربة ذاتية له يقول :

« إني أحببت في صباى جارية لى شقراء الشعر فاستحسنت من ذلك
الوقت سوداء الشعر ، ولو أنه على الشمس . أو على الحسن نفسه . وإني
لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت . ولا تواتيني نفسى على سواء .
ولا تحب غيره ألبته . وهذا العارض بعينه عرض لأبي رضى الله عنه . »

وفي وصف المحنة التي نزلت به ويقومه على يد المنصور بن أبي عامر الذي
أراد القضاء على الأمويين ومن كانوا يوالونهم يقول :

« إنا امتحننا بالاعتقال والتغريب . والإغرام القادح والاستتار .
وأرزمنا الفتنة وألقت باعها . وعمت الناس وخصتنا . وأجلينا عن منازلنا .
وتقلبت في الأمور إلى الخروج عن قرطبة . وسكنى مدينة المرية واعتقلنا
أشهرًا . . . »

ولقيمة طوق الحمامة الأدبية والتاريخية طبع عدة طبعات وترجم إلى عدة
لغات . وعده الدارسون العمل الأدبي الأول الذي يدخل به ابن حزم مع
النثرين والشعراء المجيدين من أوسع الأبواب (٥٦) .

العمل الثالث : حى بن يقظان لابن طفيل :

حى بن يقظان قصة فلسفية أدبية رائدة عبر ابن طفيل من خلالها عن
فلسفته التي اعتنقها بأسلوب أدبي يصطنع الخيال والتصوير والقص . لحى
ابن يقظان بطل القصة رمز للإنسان الذكى الطموح الذى يمكن أن يتهدى
إلى حقيقة الإيمان بالله بواسطة التفكير العقلى ، والتدرج فى العلم . دون
حاجة إلى عون من أحد (٥٧) .

والفكرة التي تنبئ عليها القصة هي (التقاء الفلسفة والدين . أو اتفاق
العقل والوحي . وعدم تعارض الشريعة والحقيقة) . وقد أثنى المؤلف

عرض فكرته الفلسفية بطريقة غير مباشرة بواسطة عناصر القصة من حبكة وأحداث أجاد تخيلها وعرضها . فالقصة تقول : إن حى بن يقظان ولد من غير أبوين في جزيرة نائية مقفرة — وهنا يناقش المؤلف نظرية تقول بإمكان التولد الذاتي عن طريق تخمر الطين في درجة حرارة معتدلة — ويمكن أن يكون في ذلك إيماء إلى بداية الخلق — خلق الإنسان من طين — وفي رواية أخرى أن العفل حى بن يقظان ولد لأم وأب وأن أمه خافت عليه من أخيه الملك الذى تزوجت من غير عليه بقرىها (يقظان) فوضعت وليدها في تابوت . وألقت به في اليم لحمله الموج إلى جزيرة نائية . وهناك عثرت عليه ظبية فقدت وليدها . فأشقت عليه . وتعهدهت بالرعاية . وأخذت ترضعه وتربيته . حتى نشأ على سجايا الطباء . يقلد حركاتها وأصواتها . لكنه أخذ يصكر بعقله فيما حوله . حتى أدرك الفرق بينه وبين أجناس الحيوان التى يتغاطها ، ووجد أنه عار وهى مكسوة بالشعر ، فاهتدى إلى طريقة يستر بها جسمه وهورته . وظل ملازما للظبية حتى كبرت . وأخذ يرباها ، وبعد أن ماتت أمه الظبية حزن عليها حزنا شديدا ، وحاول أن يعرف سبب موتها ، وظن أن المرض الذى ماتت بسببه كان كامنا في صدرها ، فمزق على شق صدرها بمحجر حاد . وعندما فعل ذلك اكتشف القلب وعرف أنه مركز الحياة ، واستنتج أن هناك شيئا خفيا فارق الجسد ، وبعد فترة تعفن جسد الظبية ، فتعلم حى من الغربان كيف يوارى جسدها التراب .

وحدث أن شب حريق بفعل إحدى الظواهر الطبيعية في مكان من الجزيرة فاكشف حى النار وأخذ منها قبسا أخذ يراقبه ويدركه حتى يظل دائم الاشتعال ، وعرف خواص النار . وانتبه إلى الحرارة التى يحس بها في الأجسام الحية . فعاود عمليات التشريح في الحيوانات . وتظل خبراته تنمو . ومعارفه تتطور . فيصنع الآبر . ويغزل لنفسه ثيابا . ويهتدى إلى البناء . ويروض الطيور الجارحة ويستخدمها في الصيد .

وما زال حتى يتطور ويرتقي في المعارف ، حتى يدرس أعضاء الحيوان ووظائفها ، وينشغل بسر الحياة الذي اكتشف أنه قارب أمه الظلية فكان سبب موتها .

وتسوقه تجاربه إلى الاعتقاد بأن كل موجود له علة فاعلة ، فأخذ يبحث عن هذه العلة فيما حوله ، في الأرض وفي الأجرام السماوية ، لكنه وجد كل ما حوله عرضة للتحول والفساد .

وأخذ يبحث حتى عن علة الوجود يتدرج حتى اهتدى إلى معرفة الله - عز وجل - فآمن به وأحبه وأخلص له ، وفاضت عليه المعارف بعد أن أشرقت نفسه بنور الإيمان .

ثم وفد على الجزيرة رجل اسمه (أبسال) وهو رجل متين تلقى دينه من طريق العلم الذي بلغه الأنبياء إلى الناس . والتقى أبسال بجي وأطلع كل منهما على ما عند الآخر من حقائق الإيمان ، فلم يجدا خلافا بينهما ، واتفقا على العمل معا من أجل هداية الضالين الذين تشوب عقائدهم أوهام وخيالات ، ويذهب حتى مع أبسال ليدعو الناس إلى طريقه ، لكنه يفشل في إقناعهم ، ويرجع هو وأبسال إلى الجزيرة المقفرة النائية ليعبدا الله بالمنهج الذي آمنا به .

ولتقف على أسلوب ابن طفيل في قصته نقدم منها هذه الفقرة :

يصور رعاية الظلية للطفل بقوله :

« ثم استغاث ذلك الطفل عند فناء مادة غذائه ، واشتداد جوعه ، فليته ظلية فقدت طلاها ... أن الظلية التي تكفلت به وافقت خصبا ومرعى أوثنا فكثر لحمها ، ودر لبنها ، حتى قامت بنذاء ذلك الطفل أحسن قيام ، وكانت معه لا تبعد عنه إلا لضرورة الرعي ، وألف الطفل تلك الظلية ، حتى كان بحيث إذا هي أبطأت عنه اشتد بكآؤه ، فطارت إليه ، ولم يكن بتلك الجزيرة شيء من البساع العادية ، قربى الطفل ونما واغذى

بلبن تلك الظبية، إلى أن تم له حولان ؛ وتدرج في المشى . فكان يتبع تلك الظبية، وكانت هي ترفق به وترحمه، وتحملة إلى مواضع فيها شجر مشمر، فكانت تطعمه مائة تساط من ثمراتها الحلوة النضيجة، وما كان منها صلب القشر كسرتة بطواحينها، ومتى عاد إلى اللبن أروته، ومتى ظمى إلى الماء أوردته، ومتى ضحى ظلته، ومتى حصر أدفاته، وإذا جن الليل صرفته إلى مكانه الأول، وجلته بنفسها ويريش كان هناك نامل به التابوت أولا في وقت وضع الطفل فيه . . . (٥٨) .

وأثر الثقافة الفلسفية والموروث الدينى واضح في القصة فالمقدمات والنتائج والتأمل العقلى، والبحث عن العلة الفاعلة . . . والتولد الذاقى من الطين . إلخ . فلسفة ووضع الأم طفلها في تابوت وألقاؤها إياه في اليم بعد أن خافت عليه، وتعلم الطفل كيف يوارى جسد أمه الظبية التراب بعد أن رأى الغربان تفعل ذلك - كل ذلك مصدره القصص القرآنى .

أما عنوان القصة فقد أخذ ابن طفيل عن ابن سينا الذى ألف قصة فلسفية رمزية بعنوان حى بن يقظان، كما جاء السهروردى . بعد ابن طفيل وكتب قصة ثالثة بالعنوان نفسه، لكن قصة ابن طفيل هى أكثر القصص الثلاث برآ من غموض الفاسفة وجفافها وبعداً عن تهويمات التصوف وشطحاته، وهى أوضحها عبارة وأجملها تصويراً، فهى لذلك أدخل الثلاث فى باب الأدب ويعدّها كثير من النقاد خير قصة فى القرون الوسطى جميعاً (٥٩) .

إن قصة ابن طفيل ثمرة ناضجة لموهبة نادرة منح الله صاحبها قلب مؤمن وعقل فيلسوف وخيال أديب والله يختص بفضله من يشاء .

أثر الفلسفة فى ذلك الأدب

أدى اجتماع الزعة الفلسفية والسليقة الأدبية لدى بعض الأدباء الفلاسفة إلى تفلسف كثير من الأدباء فى شتى العصور واليئات، وإلى إسهام كبار الفلاسفة بمجهود مرموقة فى مجال الأدب .

وكان الأستاذ العقاد — رحمه الله — يؤكد الصلة بين الفلسفة والأدب ، ومن كلامه في ذلك :

« لا بد للفيلسوف الحق من نصيب من الخيال والعاطفة ، ولكنه أقل من نصيب الشاعر ، ولا بد للشاعر الحق من نصيب من الفكر ولكنه أقل من نصيب الفيلسوف » (٦٠) .

ومن الطبيعي أن يؤثر التمازج بين النزعة الفلسفية والسليقة الأدبية في إبداع الفلاسفة الذين وهبهم السماء قوة الملاحظة وعمق التفكير مع القدرة على التخيل والبيان والتصوير .

وتبدو آثار هذا التمازج في التراث الأدبي الذي خلفه فلاسفة الاندلس متمثلة فيما يلي :

١ — التأثير بالرؤية الفلسفية :

لم يصحب الحس الأدبي والتصوير الفني الرؤية الفلسفية للفلاسفة الأدباء في تناولهم للعاني والموضوحات ، فقد عرضوا فكرة الحب وما يتعلق به من الغزل في صورة أدبية تتسم بالعمق والتعمق والتسامح وأشاروا إلى الصراع بين العقل والعاطفة وحاولوا البرهنة على أباحه الحب مالم يؤذ إلى اقتراح الآثام ، كما استبطنوا النوازع والدوافع التي تسببه ، وتطرقوا إلى أسباب فشله ومنغصاته .

وذلك كله واضح فيما تركه ابن طفيل وابن رشد وابن حزم من آثار شعرية ونثرية .

وعندما تأملوا حقيقة الموت تساءلوا عن العلاقة بين الروح والبدن وعن مصير كل منهما بعد انقضاء الحياة ، وتلك مسألة دار حولها الجدل في بينات الفلسفة ، فهذا ابن طفيل يذهب إلى أن الروح قيس من نور الله مكن الجسد إلى أجل . وعند الموت تصعد الروح إلى محلها الأعلى بينما يتحلل الجسد إلى مادته الأولى وهي الطين . وذلك في قوله :

ن نور تردد في ظنين إلى أجل
فانحاز علوا وخلى الطين للكفن
ياشد ما اقترقا من بعد ما اعتلقا
وأظنها هدية كانت على دخن
إن لم يكن في رضا الله اجتماعهما
فإنها صفقة تمت على غبن
وهذا قريب من رأى ابن سينا فيلسوف المشرق الذي ضمنه قصيدته في
(النفس) إذ يقول :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تقبج
وغدت مفارقة لكل غلف عنها حليف الترب غير مشج
وأثر الفكر الديني واضح في تصوير سعيد بن هديره سرعة انقضاء
الأجل وحتمية الموت في قوله :
ولنى وإن بقيت أورضت هاربا

من الموت في الأفاق فالمت لآحق
فهو ناظر إلى الآية القرآنية الكريمة :
(قل أن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم) سورة الجمعة آية ٨ .
والتأمل فى قدر الموت يرتبط فى كثير من الأحيان بملاحظة الزمن وأثره
والالتفات إلى ما يحدثه الشيب من تغيير وضعف .
وقد صور ابن زهر شيئا من ذلك فى أبيات شكها فيها أثر المشيب ، ومع
أن ابن زهر كان طبيبا ينظر فى حيل العلاج وأسباب الشفاء فإنه أعلن عجز
الحيل الطبية إذا حم القضاء حتى لو كانت هذه الحيل مأخوذة عن جالينوس
الطبيب اليونانى الأشهر صاحب كتاب (حيلة البره) يقول ابن زهر :
حيله البره صنف لعليل يترجى الحياة أو لعليله

فإذا جاءت المنية قالت - حيلة البره ليس في البره حيلة .

كما يظهر الأثر الفلسفي في التناول الأدبي بصورة مباشرة في وصف أمية ابن أبي الصلت للاصطرلاب ، وفي إشادة سعيد بن عبد ربه بتسقراط وجالينوس ووصفه كتبهما بأنها شفاء لكل جرح وعليهما بأنه حياة للأجسام والنفوس . ويظهر الأثر الفلسفي بوضوح كذلك في قصة حى بن يقطان لابن طفيل حيث صار الأدب وعاء للفكر الفلسفي وتقديم مسأله ونظرياته في إطار من الأسلوب القصي والتصوير الفني .

فقضية التوافق بين الدين والفلسفة ، والوحي والعقل ، والشرعية والحقيقة ومسألة الترقى في المعارف تدرجا ، ومعرفه الحقائق بالتجريب والاهتمام إلى سر الحياة في الإنسان ، واكتشاف التحول والفساد اللذين تتعرض لهما الكائنات ، والبحث عن هلة الوجود ، وفيضان المعارف بالكشف عندما يتوصل الإنسان إلى معرفة الله ، كل ذلك وغيره مرضه ابن طفيل في مزج موفق بين الأدب والفلسفة دون أن تذهب الفلسفة بجمال الأدب ، ودون أن يخفى الأدب رؤية الفيلسوف .

٢ - التأثر بأساليب الجدل :

تبدو في أساليب الفلاسفة الأدباء سمات أسلوبية ترجع إلى علمهم بالفلسفة واشتغالهم بالجدل والبحث العقلي . ولئن كان التأثر أقوى على استيعاب هذه السمات فإن شعر الفلاسفة لم يخل منها . ومن شواهد ذلك التعليل المنطقي في قول ابن حزم ردا على من عاب ذات الشعر الأشقر :

وهل عاب لون الترجس الغض عائب

ولون النجوم الزاهرت على البعد

والاستدلال الشرعي على عدم تحريم الحب في قوله :

مضى جاء تحريم الهوى عن محمد . وهل منعه في محكم الذكر ثابت

والتحليل المنطقي في قول ابن طفيل :

لا يتعدى امرؤ جبلته قد قسمت في الطبيعة الرتب .
والتقسيم العقلي في قول أمية ابن أبي الصلت :

فأى ود لم يخف وأى عهد ما نكف
وفي قوله :

فعلها من مقلتيه ولونها من وجنتيه وطعمها من ريقه
وقوله :

فإن أك مجزيا بذني فأتى بشر عقاب المذنبين جدير
وأن يك عفوثم عني ورحمة فثم نعيم دائم وسرور
وكا في قول ابن طفيل :

قوم لهم فكر يحول بهم بين المعاني أولئك النجب
وفرقة في القشور قد وقفوا وليس يدرون لب ما طلبوا
ومن هذه السمات كذلك اصطناع الحوار الجدلي كما في قول ابن حزم :
يقولون جانت التصون جملة وأنت عليم بالشرعية فانت
فقلت لهم هذا الرياء بعينه صراحا وزى للرايين ماقت
ومثله قول ابن الأصمغ :

يقول عداه كيف وفي يديه سعيير ترتنى فيها بحبور
قلنا نحن كيف وراحته بحبور يلتظى فيها سعيير

فطريقة : (يقولون فقلت ، ويقول عداه وقلنا) جاءت إلى شعر الفلاسفة
من يشتم التي يكثر فيها الحجاج وذكر أقوال الخصوم والرد عليها .

٣ - التأثير بالمعجم الفلسفي :

استخدم فلاسفة الأندلس في إبداعهم الأدبي كثيرا من الألفاظ ذات
العلاقة الوثيقة بقضايا الفلسفة وبحوثها مثل :

(النفس - البدن - الروح - العقل - النور - الدهر - الموت - الفكر -
الطبيعة - الشريعة - اللب - القشور - الملكوت - الحقائق - البقاء - الفناء -
بقرات - جالينوس) .

وهذه الألفاظ - وأن كانت من المعجم الفلسفي - فقد وظفها الفلاسفة
الأندلسيون في الأدب توظيفا ناجحا ، فلم تصب أدبهم بآفة الغموض
أو الجفاف وخير مثال لذلك هذه الآيات لابن حزم (٦١) :

أمن عالم الأملاك أنت أم أنسى
أبن لي فقد أزرى بتمييزي العي
أرى هيئة إنسية غير أنه
إذا عمل التفكير فالجرم علوى
تبارك من سوى مذاهب خلقه
على أنك النور الأنيق الطبيعي
ولاشك عندي أنك الروح ساقه
إلينا مثال في النفوس اتصال
عدمنا دليلا في حدوثك شاهدا
نقيس عليه غير أنك مرئ
خولوا وقوع العين في الكون لم نقل
سوى أنك العقل الرفيع الحقيقي

بقى أن نقرر أن الموشحات - والتي انفرد بالإبداع فيها ابن زهر -
لا تحمل أى أثر فلسفي ، وذلك راجع إلى أن الموشحات فن شعبي نشأ
في أوساط العامة مجارة لازدهار فن الموسيقى والغناء في البيئة الأندلسية
فهي غير صالحة لحل أفكار الفلسفة ، والفلسف فيها غير مرغوب
لارتباطها بأذواق العامة من جهة ، ولوظيفتها التي لها نشأت من جهة أخرى ،
وتفوق ابن زهر في فن التوشيح يدل - فيما أرى - على غلبة السليقة الشعرية

- هذه على النزعة الفلسفية ، وقد دخل ابن زهر عالم الفلسفة من باب الطب ، وقيمتها الفلسفية لا ترقى إلى قيمة ابن طفيل وابن رشد وابن الصائغ وأمثالهم .

ملامح الأصالة :

بعد هذا العرض للتراث الأدبي الذي أبدعه فلاسفة الأندلس والوقوف على أثر التمازج بين النزعة الفلسفية والسليقة الأدبية فيه ، نشير إلى ملامح الأصالة والتميز في ذلك الأدب وتتلخص هذه الملامح في مايلي :

أولا : الكثرة والتنوع :

إن الكم الذي حفظته لنا مصادر الأدب والتاريخ من أدب الفلاسفة شعراء ، وموشحات ، ونثر ، ليس بالقدر القليل ، مع الأخذ في الحسبان أن ماروي وما وصل إلينا ليس هو بالضرورة كل ما أبدعه فلاسفة الأندلس . فمن المؤكد أن هناك نصوصا لم تصلنا بدليل أن المصادر تشير إلى ديوان لامية بن أبي الصلت ، وديوان لابن حزم ، وكلا الديوانين ليس تحت أيدينا الآن ، كما أن النصوص التي وردت في هذا البحث ليست بالطبع كل ماروي في مصادر الأدب والتاريخ والتراجم ، وقد ظهر لنا أن إبداع فلاسفة الأندلس لم يقتصر على فن واحد من فنون الأدب ، فقد شمل الشعر والموشحات ، وألوانا من النثر ، وهم في كل هذه المجالات يصعدون عن أنفسهم ويصورون يشتم وأحداث حياتهم ويعبرون عن مشاعرهم وأفكارهم ..

ثانيا : الابتكار والجودة :

الابتكار والإضافة من علامات التميز بين الأفراد والأجيال والجماعات ، وقد تميز فلاسفة الأندلس الأدباء عن نظرائهم في المشرق بما ابتكروه وبرزوا فيه . من فنون التوشيح والنثر فوشحات ابن زهر وابن الصائغ والأثر النثرية لامية بن أبي الصلت وابن طفيل تشهد للأندلسيين بالتميز .

وعلى الرغم مما يلاحظ على أدبيهم من ميل إلى التحليل والتعليل
واستخدام عبارات المناطقة والفقهاء والعلماء - أحيانا - فإن أدبيهم
في عمومها جيد ، تسلم معانيه من الغموض والتفاهة ، وتبرأ صياغته من
ضعف التأليف والزكاة ، وتدفعه عواطف صحيحة صادقة ، ويحمل
صورا جميلة رائعة .

وأدب هذه السمات من كثرة وتنوع وابتكار وجودة لا يصدر
إلا عن شخصية أصيلة متميزة تبوئ فلاسفة الأندلس منزلة رفيعة بين
الأدباء .

هذا وبالله التوفيق

الحواشي

(١) راجع شعر فلاسفة المشرق في القرنين الخامس والسادس الهجريين .

د. حسن أحمد عبد الحيد عبد السلام

(٢) يفهم هذا من منهج القفطى في تاريخ الحكماء ، وابن أبى أصيبعة في عيون الأنباء . وفي مقدمة ابن خلدون ص ٤٠١ ما يدل على شمول الفلسفة لهذه العلوم .

(٣) راجع تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام د. محمد على أبو ريان ص ٤٣٥ .

(٤) هو أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت طبيب وفيلسوف وأديب له مصنفات فى الفلك والطب والأدب منها رسالة العمل بالاصطرلاب . والوجيز فى علم الهيئة . والأدوية المفردة . وله كتاب فى المنطق سماه تقويم الذهن . وصنف كتاب الحديقة على أسلوب يتيمة النهر . وكان له ديوان شعر توفى سنة ٥٢٩هـ . أنظر تاريخ الحكماء للقفطى ص ٨٠ وعيون الأنباء ج ١ ص ٥٠ والمغرب ج ١ ص ٢٥٦ والوفيات ج ١ ص ٢٢٠ .

(٥) الوفيات ج ١ ص ٢٢٠ .

(٦) الوفيات ج ١ ص ٢٢٠ وعيون الأنباء ص ٥٠٨ .

(٧) الوفيات ج ١ ص ٢٢٠ وعيون الأنباء ص ٥٠٨ .

(٨) هو أبو بكر محمد بن باجه التجيبي . السرقسطى . المعروف بابن الصائغ . من أكبر فلاسفة الأندلس وأشهرهم . وهو شاعر مكثر ومجيد . اتهم بالإلحاد . وتوفى سنة ٥٣٣هـ فى مدينة فاس . أنظر عيون الأنباء

ج ٥ ص ٥١ والمغرب ج ٢ ص ١١٩ - والإحاطة ص ٤١٦ ونفع الطيب
ج ٤ ص ٥٦ .

(٩) الوفيات ج ٤ ص ٥٦ .

(١٠) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠١ .

(١١) هو أبو بكر محمد بن طفيل كان من أعظم فلاسفة الأندلس
ورماضيها وأطبائها . له تصانيف في الإلهيات والطبيعات والنفس . وكان
حريصا على الجمع بين الحكمة والشريعة . توفي سنة ٥٧١هـ . أنظر المعجب
ص ٢٣٩ . والمغرب ج ٢ ص ٨٥ - والإحاطة ج ١ هامش ١٩٣ .

(١٢) المعجب ص ٢٣٩ .

(١٣) هو أبو الوليد ابن رشد الفيلسوف والطبيب والعالم . نشأ في أسرة
علم فتعلم علوم الشريعة ثم درس الطب والفلسفة على ابن باجه . وقدمه
ابن طفيل إلى الأمير يوسف الموحدى الذى شجعه على شرح كتب أرسطو ،
من مصنفاته فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، الكشف
عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، تهافت التهافت توفي سنة ٥٩٥هـ .

(١٤) المغرب ج ١ ص ١٠٤ . وعشرية أى بنت عشرين . (هيون
الأنباء ص ٥٣٠) .

(١٥) الشعر والشعراء ص ١٥ .

(١٦) و (١٧) ابن حزم هو أبو محمد هلى بن أحمد بن سعيد بن حزم
نشأ في بيت علم وعز واستقدم له المصلون في البيت ثم خرج إلى طلب العلم ،
فتبحر في علوم الشريعة والأصول ودرس الفلسفة ، كان مواليا للأمويين
فلما ذهب سلطانهم سجن وشرد ، وهو أمام المذهب الظاهرى له مؤلفات
كثيرة أشهرها : المحلى . والفصل في الملل والنحل ، وطوق الحمامة . توفي
سنة ٤٥٦هـ أنظر الأدب الأندلسى د . أحمد هيكى ص ٣٥١ - ٣٩٥ وراجع
في تراثه وما كتب عنه ابن حزم خلال ألف عام ل محمد بن عقيل الظاهرى .

- (١٨) أنظر ظهر الإسلام ج ٣ ص ١٥٥ .
- (١٩) الأدب الأندلسي د. هيكل ص ٣٩٩ .
- (٢٠) وردت أشعار في التغزل بالغلمان لامية بن أبي الصلت وابن الصائغ .
- أنظر عيون الأنباء ص ٥١٢ ونفع الطيب ج ٤ ص ٢٠١ .
- (٢١) أنظر المغرب ص ٢٠٧ ، وابن زهر هو أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء المعروف بابن زهر الحفيد ، كان من أهل بيت كلهم علماء ، وحكام ووزراء ، وهو فيلسوف وطبيب مشهور ، وله أشعار وموشحات جيدة . توفي سنة ٥٩٦ هـ عيون الأنباء ص ٥٢١ .
- (٢٢) المعجب ص ٢٤٢ .
- (٢٣) تاريخ الحكماء ص ٨١ .
- (٢٤) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠١ .
- (٢٥) المغرب ج ١ ص ٢٥٦ .
- (٢٦) أنظر شعر فلاسفة المشرق ص ١٥٨ .
- (٢٧) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٤ .
- (٢٨) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠١ .
- (٢٩) الوفيات ج ٤ ص ٦١ .
- (٣٠) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٣ .
- (٣١) الوفيات ج ٤ ص ٦١ .
- (٣٢) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠١ .
- (٣٣) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٣ . والمغرب ج ٢ ص ١١٩ .
- (٣٤) المعجب ص ٢٤١ .
- (٣٥) المعجب ص ٢٤١ .
- (٣٦) هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن محمد بن عبد ربه ؛ كان طبيباً وشاعراً ، وذا دراية بمذاهب القدماء ؛ ومعرفة بحركة الكواكب . توفي .

سنة ١٣٤٢ هـ - أنظر ترجمته في طبقات الأطباء والحكام لابن جليل ص ١٠٤ .
وعيون الأنباء ص ٤٨٩ .

(٣٧) طبقات الأطباء . ص ١٠٥ ونيمة الدهر المجلد الثاني ص ٦٤ .
وعيون الأنباء ص ٤٩٠ .

(٣٨) طبقات الأطباء ص ١٠٥ .

(٣٩) عيون الأنباء ص ٥٠٣ .

(٤٠) الوفيات ج ٤ ص ٥٦ .

(٤١) الوفيات ج ٤ ص ٦١ .

(٤٢) ذهب إلى ذلك أحمد أمين في ظهر الإسلام ج ٣ ص ١٩١
ود . أحمد هيكل - الأدب الأندلسي ص ١٤٤ ود . شوقي ضيف الفن
ومذاهبه في الشعر العربي ص ٥٠ ؛ ود . جودت الركابي في الأدب الأندلسي
ص ٢٨٦ ؛ ود . عبد العزيز هتيق الأدب العربي في الأندلس ص ٣٣٩
ود . عبد العزيز المواد . الشعر الأندلسي في ظلال الخلافة الأموية ص ٢٨٥
أما الدكتور مصطفى الشكعة فيذهب إلى أن الموشحات مشرقية النشأة -
الأدب الأندلسي - موضوعاته وفنونه ص ٣٩٩ .

(٤٣) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ص ٤١٧ .

(٤٤) أنظر موشحة له في ص ٣١٩ في الأدب الأندلسي د . جودت الركابي .

(٤٥) المطرب ص ٢٠٤ وعيون الأنباء ص ٥٢٧ .

(٤٦) المطرب ص ٢٠٥ وعيون الأنباء ص ٥٢٦ .

(٤٧) المطرب ص ٢٠٧ وأنظر الوفيات ج ٤ ص ٦١ .

(٤٨) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ص ٤١٩ .

(٤٩) راجع نواذر المخطوطات تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ج ٦

(٥٠) الرسالة المصرية ص ١١ .

(٥١) قال المحقق : اقتبس من قول أبي العليوب وتصرف فيه :

ولقد بكيت على الشباب ولقي مسودة ولما وجهي رونق

(٥٢) حالكة الالهاب .. إلخ ، السفينة ؛ ونقب الأياطل : القرس

(٥٣) من الآية (١٥) سورة سبأ .

(٥٤) ألف أبو داود الأصهباني كتاب الزهرة في موضوع الحب ؛

وعارضه ابن فرج الأندلسي وزاد عليه في كتابه الحدائق ؛ لكن طوق

الحامة أوفى منهما وأشمل ، كما كتب الإمام ابن قيم الجوزية في الحب بمنهج

مختلف كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين .

(٥٥) أنظر هذه النماذج وحديثا عن الكتاب في ظهر الإسلام ج ٣ ص ٢١٢

(٥٦) الأدب الأندلسي . أحمد هيكل ص ٣٩٨ .

(٥٧) أنظر عرضا وافيا للقصة في الأدب الأندلسي د . مصطفى الشكعة

ص ٦٨٥ .

(٥٨) السابق ص ٦٨٩ .

(٥٩) النقد الأدبي الحديث ص ٤٩٧ .

(٦٠) أنظر ظهر الإسلام ج ٣ ص ١٥٦ ، وشعر فلاسفة المشرق ص ١٦٢

المصادر والمراجع

- ١ - ابن حزم خلال ألف عام لأبي عبد الرحمن حمد بن عقيل الظاهري - بيروت ١٩٠٢ هـ.
- ٢ - الإحاطة في أخبار غرناطة - للسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمد عبد الله هنان دار المعارف القاهرة بدون تاريخ .
- ٣ - الأدب الأندلسي . د. أحمد ميكل - المعارف ١٩٧٨ .
- ٤ - الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه د. مصطفى الشكعة دار العلم للبلايين بيروت ١٩٧٥
- ٥ - الأدب العربي في الأندلس د. عبد العزيز عتيق دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٦
- ٦ - تاريخ حكماء الإسلام للقفطي - مكتبة المثنى ببغداد، وإلخافجي بمصر .
- ٧ - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د. محمد علي أبو ريان دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٦
- ٨ - الرسالة المصرية لامية بن أبي الصلت (ضمن نواذر المخطوطات) ج ١ : تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي - بالقاهرة ١٩٧٢
- ٩ - الشعر الأندلسي في ظلال الخلافة الأموية د. عبد العزيز العواد مطابع بحر العلوم ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- ١٠ - الشعر والشعراء لابن قتيبة - لندن ١٩٠٢
- ١١ - شعر فلاسفة المشرق في القرنين الخامس والسادس الهجريين د. حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام - القاهرة ١٩٩١

- ١٢ - طبقات الأطباء والحكام لابن بطيئ تحقيق فؤاد سيد مطبعة
المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية بالقاهرة .
- ١٣ - ظهر الإسلام للأستاذ أحمد أمين - دار الكتاب العربى - بيروت
سنة ١٩٣٨ - ١٩٦٩ م
- ١٤ - نغيمون الأنباء فى طبقات الأطباء - لابن أبى أصيبعة شرح وتحقيق
الدكتور فؤاد رضا - مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥
- ١٥ - الفتن ومذاهبها فى الشعر العربى د. شوق ضيف - دار المعارف ١٩٦٩
- ١٦ - فى الأدب الأندلسى - د. جودت الركابى - دار المعارف ١٩٧٥
- ١٧ - المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية - تحقيق إبراهيم الأياري،
وداد حامد عبد المجيد وداد أحمد بدوى - الاميرية مصر ١٩٥٤ .
- ١٨ - المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - عبد الواحد المراكشى تحقيق
محمد سعيد العريان ومحمد العربى - الاستقامة بالقاهرة .
- ١٩ - المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد - تحقيق الدكتور شوق ضيف
دار المعارف - بالقاهرة ١٩٥٣
- ٢٠ - المقدمة لابن خلدون - المطبعة الأزهرية بالقاهرة .
- ٢١ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب - لأحمد المغربى المطبعة
الأزهرية ١٩٠٢ هـ
- ٢٢ - النقد الأدبى الحديث - د. محمد غنيمى هلال - دار النهضة .
- ٢٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق الشيخ محمد محي الدين
عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية ١٣١٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ٢٤ - بريمة الدهر للشمس - تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد
دار الفكر بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧٣ م

الْقِيمُ الثَّانِي

قسم اللغويات :

١ - مسائل نحوية مطرودة في القرآن الكريم
جمعاً ودراسة

د/ بسيوني سعد لين

٢ - أسماء الأفعال في القرآن الكريم

د/ أحمد نجيب عبد الوهاب

٣ - (كي) في اللغة
والقرآن الكريم

د/ محمد أحمد عبد الوهاب المليجي

مِثْلُ النُّجُومِ الْمَطْلُوعَةِ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لِلدُّكْتُورِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

أما بعد ...

فإن القرآن الكريم - بلا شك - مجال خصب للدراسات اللغوية والنحوية والصرفية ، ومن الأشياء التي استرعت انتباهي ، أني وجدت في أثناء اطلاعي على بعض كتب المعاني والتفاسير التي تعنى بالإعراب أنهم يذكرون مثلا أن هذه مسألة قد سار عليها القرآن من أوله إلى آخره ، وربما أقرأ - بعد - في كتاب آخر من ينقض هذا الاطراد مستدلا عليه بآي من القرآن الكريم - أيضا - فمزمت على جمع ما يتيسر لي من هذه المسائل التي سارت على نسق واحد في القرآن الكريم مع ذكر ما قاله النحاة فيها ، وتحقيقها ، والحق أنها كثيرة ، منها :

١ - أنه لم يقع نداء في القرآن بغير (يا) ، وقد خالف بعضهم ، فذكر أن النداء وقع فيه بالهمزة - أيضا - مستدلا بقراءة من قرأ : (أمن هو قانت) - بتخفيف الميم - فبينت مع التوجيه أن الهمزة في هذه القراءة ليست للنداء ، وإنما هي للاستفهام ، وعليه فالنداء في القرآن لم يقع إلا بـ (يا) .

٢ - إذا اقترنت (إن) الشرطية بـ (ما) الزائدة جاء الفعل بعدها مؤكدا بالنون ، نحو قوله - تعالى - (وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) - (وإما ترين من البشر أحدا) ، وقد سار القرآن كله على ذلك ، أما في لغة العرب فقد جاء فيها الفعل غير مؤكد بالنون بعد (إما) ، قال الشاعر :

يا صاح إما تجدني غير ذي جدة فما التخلي عن الحلان من شيمي
وغير ذلك كثير ، ومجيء الفعل بعد إما غير مؤكد بالنون قبيح ، ولذلك لم يرد في القرآن الكريم مطلقا .

٣ - إن صلة الموصول من مادة الصبر لم تقع في القرآن إلا فعلا ماضيا وقد ذكرت كلام العلماء في أسباب ذلك ، ثم جمعت الآيات التي وقعت صلة للموصول في القرآن الكريم من هذه المادة اللغوية ، وهي إحدى عشرة آية .

٤ - (لن) من الظروف الملازمة للإضافة في كلام العرب ، ولم تأت في كلام الله - عز وجل - إلا مجرورة بـ (من) ، بخلاف لغة العرب ، فإنها قد أتت فيها غير مجرورة مطلقا ، فضلا عن أن يكون الجر بـ (من) أو غيرها .

٥ - كلمة سنين لم ترد في القرآن إلا منصوبة أو مجرورة ، فلم تأت فيه مرفوعة ، ولقد قمت بجمع كلام العلماء في ذلك وتحقيقه وبينت أنها جاءت فيه مجرورة بالإضافة في ستة مواضع ، ومنصوبة في أربعة ، وفي موضع واحد تحتل النصب والجر .

٦ - (عسى) معناها الرجاء والخوف في لغة العرب أما في القرآن فقد

جاءت بمعنى التحقيق واليقين إلا في آية واحدة فقد أتت بمعنى التخويف ، وهو قوله - تعالى - (عسى ربه إن طلقكن) ، وإنما لم تأت على أصلها في القرآن لأن الرجاء والخوف يستحيلان في حقه - سبحانه تعالى - وقد حاول بعض العلماء أن يثبت أنها قد أتت بمعنى اليقين في كلام العرب ، وقد ذكرت الرد على ذلك ، وعلمته ، فجيئها لليقين لم يأت إلا في القرآن ، وقد أطرده ذلك فيه إلا ما ذكرت من آية التحريم .

v — خبر (عسى) في القرآن لم يأت إلا مقرونا بـ (أن) ، وهو في لغة العرب غالب ، والتجرد قليل ، وقد قمت بذكر آراء العلماء في ذلك ، ثم حققته .

وما استرعى نظري أن السيوطي قد ذكر في معترك الأقران أن (هكذا) لم ترد في القرآن إلا للإشارة ، فمضى (أهكذا عرشك) أهذا عرشك ؟ وقد أطلعت على ما قاله العلماء في هذه الآية فلم أجد أنهم قالوا بذلك ، وإنماذكروا أن المعنى : أمثل هذا عرشك ، وعليه تكون الكاف بمعنى مثل ، و (ذا) هو اسم الإشارة وحده ، وإنما قال - سبحانه وتعالى - (أهكذا عرشك) ، ولم يقل : أهذا عرشك ، حتى لا يكون ذلك تلقينا لبليقيس بالجواب ، لذا لم يثبت لي ما قاله السيوطي ، وعليه فلم أذكر هذه المسألة ، ومن هذا النوع - أيضا - أنهم ذكروا عن الخليل أنه قال : إن (لولا) في القرآن الكريم من أوله إلى آخره بمعنى (هلا) إلا قوله - تعالى - (فلولا أنه كان من المسبحين للبث) ، وهذا مردود بآيات كثيرة في القرآن الكريم وردت فيها لولا بمعنى آخر ، لذا لم أعرض لهذه المسألة - أيضا .

واقه أسأل أن يوفقني لما يحب ويرضى ، ويجمعنا في مستقر رحمته .

د / بسيوتي سعد لبن

الأستاذ المساعد في قسم اللغويات بالكلية

(يا)

هي أم باب النداء ، ولذلك دخلت في جميع أبوابه ، وانفردت بباب الاستغاثة وشاركت (وا) في التندبة ، وهي لنداء البعيد مسافة أو حكا . وقد ينادى بها القريب على سبيل التوكيد ، وقيل : هي مشتركة ينادى بها القريب والبعيد ، لكثرة استعمالها (١) .

هذا ، ولم يقع نداء في القرآن الكريم إلا بها ، يقول أبو حيان : هو وهم بعضهم أنها اسم فعل معناها : أنادى ، وعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم يقع نداء إلا بها (٢) .

وعلى الرأي الصحيح ، وهو كونها لنداء البعيد يتأتى سؤال ، ألا وهو ما السر في اختصاص النداء بها في كتابه - عز وجل - ، وهو أقرب إلينا من جبل الوريد ، يقول - سبحانه - (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) (٣) .

والجواب عنه ما ذكره أبو السعود حيث يقول : « يا حرف لنداء البعيد » وقد ينادى بها القريب ، تزيلا له منزلة البعيد ، إما لإجلالا ، كما في قول الداعي : يا الله ، ويارب ، وهو أقرب إليه من جبل الوريد ، استقصارا لنفسه ، واستبعادا لها من محافل الزاني ، ومنازل الملقين ، وإما تنبيها على غفلته ، وسوء فهمه ، وقد يقصد به التنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير يعني بشأته (٤) .

(٢) البحر : ١/٩٢ ، ٩٣ .

(١) الجنى الثاني : ٣٥٥

(٤) تفسير أبي السعود ١/٥٨ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٦ .

وقال السيوطي : « أصل النداء بـ (يا) أن يكون البعيد حقيقة أو حكما ، وقد ينادى بها القريب ، لنسكة ؛ منها إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو ، نحو (يا موسى أقبل ولا تخف) (١) .

ومنها كون الخطاب المتلو معتنى به ، كقوله : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) (٢) .

ومنها قصد تعظيم شأن المدعو ، نحو (يارب) ، وقد قال - تعالى -
(فإني قريب) (٣) .

ومنها قصد انحطاطه ، كقول فرعون : « وإني لأظنك يا موسى مسحورا » (٤) ، (٥) .

وقد زعم الفراء وجاعة أن الحمزة قد أتت للنداء في القرآن ، حيث يقول : « وقوله (أمن هو قانت آناه الليل) (٦) قرأها يحيى بن وثاب بالتخفيف ، وذكر ذلك عن نافع ، وحمزة (٧) ، وفسروها بقولهم : يريد : يا من هو قانت ؛ وهو وجه حسن ؛ العرب تدعو بألف ؛ كما تدعو يا ؛ فيقولون : يا زيد أقبل ؛ وأزيد أقبل ؛ قال الشاعر :

أبني لبيني لستم ييد إلا يد ليست لها عضد (٨) .
وقال الآخر :

أضمر بن ضمرة ماذا ذكر ت من صرمة أخذت بالمرارة (٩)

(١) سورة القصص : ٣١ .

(٢) سورة البقرة : ٢١ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٦ .

(٤) سورة الإسراء : ١٠٩ .

(٥) معترك الأقران ١ / ٣٤٠ .

(٦) سورة الزمر من الآية ٩ .

(٧) للغاية في الفراءات المشر ٢٥٢ .

(٨) البيت من البسيط قاله الأجرود للثقفي .

ينظر معاني القرآن للفراء ٢ / ٤١٦ .

(٩) السابق .

وهو كثير في الشعر...

وقد تكون الألف استهزاماً ، بتأويل (أم) لأن العرب قد تضع (أم) في موضع الألف ، إذا سبقها كلام . . فيكون المعنى : أمن هو قانت خفيف كالأول الذي ذكر باللسان والكفر ، (١) .

ويقول ابن عطية مثبتاً جواز وقوع النداء في القرآن بغير (يا) : « قرأ ابن كثير ونافع وحزرة (أمن) - بتخفيف الميم - وهي قراءة أهل مكة ، والأعشى ، وعيسى ، وشعبة بن نصاح ، ورويت عن الحسن ، وضعفها الأخفش ، وأبو حاتم ، وقرأ حاصم وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، والحسن والأعرج ، وقتادة ، وأبو جعفر : (أمن) بتشديد الميم - .
فأما القراءة الأولى فلها وجهان :

أحدهما - وهو الأظهر - أن الألف ألف تقرير واستهزام ، وكأنه يقول : أهدا القانت خير أم هذا المذكور الذي يتمتع بكفره قليلا ، وهو من أصحاب النار ؟ .

وفي الكلام حذف يدل عليه سياق الآيات مع قوله آخرآ : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، ونظيره قول الشاعر :

فأقسم لو شيء أأتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
والوجه الثاني : أن يكون الألف نداء ، والخطاب لأهل هذه الأوصاف ، كأنه يقول : أصحاب هذه الصفات : « (قل هل يستوى) ، فهذا السؤال بـ (هل) هو للقانت .. وهذا معنى صحيح ، إلا أنه أجنبي من معنى الآيات قبله وبعده ، (٢) .

ويقول الصفاقسي : « (يا أيها الناس) . (يا) : حرف نداء ، وزعم بعضهم أنها اسم فعل ، أي أتأدى ، ولم يقع نداء في القرآن إلا بها مع كثرتها ..

(١) معاني القرآن للفراء ٤١٦/٢ ، ٤١٧ .

(٢) المحرر الوجيز ٦٧/١٤ .

قلت : ووقع بالهمزة على قول في قوله - تعالى - (أمن هو قانت) على قراءة التخفيف (١) .

وكذا نازع بعضهم في هذه المسألة ، فجوز وقوع النداء بالهمزة في قراءة طلحة (٢) (أمن زين له سوء عمله) (٣) - بغير فاء - يقول السمين : « قال أبو الفضل : الهمزة للاستخبار بمعنى العامة ، للتقرير - ويجوز أن يكون بمعنى حرف النداء ؛ لحذف التمام ، كما حذف من المشهور الجواب .

يعنى أنه يجوز في هذه القراءة أن تكون الهمزة للنداء ، وحذف التمام ؛ أى مانودى لأجله ، كأنه قيل : يا من زين له سوء عمله أرجع إلى الله وتب إليه ، وقوله : (كما حذف الجواب) يعنى به خبر المبتدأ الذى تقدم تقريره (٤) .

وتخرج هاتين القراءتين في الآيتين : على أن الهمزة فيهما للنداء ضميم مردود ، يقول أبو حيان . « وقرأ ابن كثير ونافع وحمة والاعمش ، وعيسى وشيبة والحسن في رواية (أمن) - بتخفيف الميم - والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير ، ومقابلة محذوف لفهم للمنى ، والتقدير : أهذا القانت خير أم الكافر .

وقال القراء : الهمزة للنداء ، كأنه قيل : يا من هو قانت ، ويكون قوله : (قل) خطاباً له ، وهذا القول أجنى مما قبله ، وما بعده (٥) .

وكذا ضعفه أبو على الفارسي بشئ قريب من هذا (٦) ، ويقول السمين : « وفيه بعد ، ولم يقع نداء في القرآن بغير (يا) ، حتى يحمل عليه (٧) .

(١) المجيد في إعراب القرآن المجيد ١٤٦/١ .

(٢) الدر المصون ٢٩٤/١ - سورة طاهر من الآية ٨ .

(٣) الدر المصون ٢١٤/٩ (٤) البحر المحيط ٤١٨/٧ .

(٥) المحجة لا يذرى على الفارسي ٢٣٠/٤ (خطوط) .

(٦) الدر المصون ٤١٥/٤ .

أما تضعيف هذه القراءة من أبي حاتم والأخفش (١) فغير معتد به ،
وأما تخريجها على أن الهمزة للداء فهو غير مقبول كما قالوا .

ويقول ابن هشام : « وقد أجاز الوجهان في قراءة الحرمين (أمن هو
قانت آناه الليل) ، وكون الهمزة فيه للداء هو قول الفراء ، ويبيعه أنه
ليس في التنزيل نداء بغير (يا) ويقربه سلامته من دعوى المجاز ، إذ لا يكون
الاستفهام منه - تعالى - على حقيقته ، ومن دعوى كثرة الحذف ، إذ التقدير
عند من جعلها للاستفهام : أمن هو قانت خير أم هذا الكافر ؟ أى المخاطب
بقوله - تعالى - (قل تمتع بكفرك قليلا) ، لحذف شيئين : محادل الهمزة
والخبر ، (٢) .

أقول : أما قوله : « يقربه - أى كون الآية على النداء - سلامته من
دعوى المجاز ، إذ لا يكون الاستفهام منه - تعالى - على حقيقته ، ففيه نظر ،
إذ أن الله قد وقع منه الاستفهام كثيرا ، فأنه قوله - تعالى - (ألم يحدك
يتيما ذأوى) (٣) - (ألم نشرح لك صدرك) (٤) (هل من خالئ غير الله
يرزقكم) (٥) ، وهو سؤال العارف ، فهو على غير حقيقته ، وهو غير
بعيد وغير مستغرب في حقه سبحانه - إذ أنه ثابت في القرآن فلا يستدل
بذلك على أن غيره أولى منه .

وقوله : (ومن دعوى كثرة الحذف) فيه نظر ، إذ أنه يجوز أن يكون
التقدير : أمن هو قانت كغيره ، فلا يكون هناك إلا حذف شيء واحد
فقط ، هو الخبر ، لا شيئين كما نص ابن هشام ، يقول المرادى : « وجمال
بعضهم من ذلك قراءة الحرمين (أمن هو قانت) - بتخفيف الميم -

(٢) المنفى ١٨ .

(١) البحر المحيط ٤١٨/٧ .

(٤) الانشراح الآية ١ .

(٣) سورة الضحى الآية ٦ .

(٥) سورة قاطر من الآية ٣ .

ويحتمل أن تكون همزة الاستفهام دخلت على (مَنْ) ، و (من) : مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : أمن هو قانت كثيره ؟ حذف لدلالة الكلام عليه - والله أعلم - ، (١) .

وأيضاً أقول : كل من جوز أن تكون الهمزة للنداء في الآيتين جوز الرأي الآخر فضلاً عن تضعيف بعضهم كونه للنداء ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، إذن لا يمكننا أن نثبت بذلك أن النداء وقع في القرآن بالهمزة ، فلم يبق لنا إلا أن نسلم بأنه لم يرد نداء في القرآن الكريم بنير (يا) - والله أعلم - .

* * *

توكيد فعل الشرط بالنون بعد (إما)

ذهب الزجاج والمبرد إلى أن الفعل الواقع بعد (إن) الشرطية المؤكدة بـ (ما) يلزم تأكيده بالنون نحو قوله - تعالى - (فإما يأتينكم) (١) .
(فإما ترين من البشر أحدا) (٢) ، قال الزجاج : « وإعراب (إما) في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاء ، إلا أن الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون الثقيلة أو الخفيفة لزمها (ما) ، ومعنى لزومها إياها معنى التوكيد . وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد » (٣) .

ويقول المبرد : « ومن مواضعها - يقصد نون التوكيد - الجزاء إذا لحقت (ما) زائدة في حرف الجزاء ، لأنها تكون كاللام التي تلحق في القسم في قولك : لأفعلن ، وذلك قولك إما تأتيني آتاك ، ومتى ما تقعن أقعد .

فإن ذلك قول الله - عز وجل - (فإما ترين من البشر أحدا) وقال : (ولما نعرض عنهم) (٤) .

فإن كان الجزاء بغير (ما) قبح دخولها فيه ، لأنه خبر يجب آخره .
بوجوب أوله (٥) .

وذهب سيبويه إلى أنه جائز لا واجب ؛ يقول في الكتاب : « ومن مواضعها حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل (ما) للتوكيد ؛ وذلك

(١) سورة البقرة من الآية ٣٨ - (٢) سورة مريم من الآية ٢٦ .

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ١/١١٧ .

(٤) سورة الإسراء من الآية ٢٨ .

(٥) ينظر المختضب ٣/١٣ ، ١٤ .

لأنهم شبهوا (ما) باللام التي في (لتفعلن) ، لما وقع التوكيد قبل الفعل ألزموا النون آخره ، كما ألزموا هذه اللام ، وإن شئت لم تقم النون ، كما أنك إن شئت لم تنجى بها ، فأما اللام فهي لازمة في اليمين ، فشبهوا (ما) هذه إذا جاءت توكيدا قبل الفعل بهذه اللام التي جاءت لإثبات النون وتصديق ذلك قوله - تعالى - (ولما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك) . وقال - عز وجل - (فإما ترين من البشر أحدا) (١) .

ودخول النون على فعل الشرط بعد (إن) الشرطية المقترنة بـ (ما) الزائدة يدل على تأكيد التعليق ، لأن (إن) الشرطية وحدها دالة على الشرط ، فلم يكن دخول (ما) الزائدة عليها كدخولها على بقية أدوات الشرط كـ : (متى) و (أين) ، و (أيان) ، وغيرها ، لأن هذه الأدوات إنما زيدت عليها (ما) لجعلها مفيدة معنى الشرط ، إذ أنها لم توضع له ، بخلاف (إن) ، وقد التزمنا العرب في الأعم الأغلب بتأكيد فعل الشرط مع (إما) بنون التوكيد ، لزيادة توكيد التعليق بدخول علامته على أدواته وعلى فعله ، فهو تأكيد لا يفيد تحقيق حصول الجواب ، لأنه مناف لتعليق ، ولذلك لم يؤكد جواب الشرط بالنون ، بل يفيد تحقيق الربط أى إن كون حصول الجواب متوقفا على حصول الشرط أمر محقق ، لا محالة .

ولذا نقول : خلو فعل الشرط مع (إما) من نون التوكيد ممتنع عند الزجاج والمبرد ، غير حسن عند سيبويه ، لذا لم يأت في القرآن إلا مقرؤنا بها معها ، يقول السمين : و (إما) أصلها (إن) الشرطية زيدت عليها (ما) تأكيدا وذهب الزجاج والمبرد إلى أن الفعل الواقع بعد (إن) الشرطية المؤكدة بـ (ما) يجب تأكيده بالنون ، قالوا ، ولذلك لم يأت التنزيل إلا هليه ، وذهب سيبويه إلى أنه جائز ، لا واجب ، لكثرة

ما جاء منه في الشعر غير مؤكد ، فكثره مجيء غير مؤكد يدل على عدم
الوجوب ، (١) .

وقال المهدوي : « (إما) هي (إن) الشرطية زيدت عليها (ما) للتوكيد
ليصح دخول النون لتأكيد الفعل ، ولو سقطت (ما) لم تدخل النون ،
فـ (ما) تؤكد أول الكلام ، والنون آخره » (٢) .

ويقول المرادي : « . . . ولم يرد في القرآن - يقصد الشرط - بعد
(إما) إلا مؤكدا ، وذهب المبرد والراجح إلى أن توكيده بعد (إما)
واجب في غير الضرورة .

قلت : فذكر حذف النون بعد إما في الشعر ، وأما النثر فعزيز ، وقد
حكى منه قراءة بعضهم (فَأَمَّا تَرَيْنَ) بنون الرفع ، ذكرها ابن جني ، وهي
شاذة ، (٣) .

ويقول الأشموني : « وأما التوكيد بعد العطف فليس بواجب اتفاقا ،
واختلفوا فيه بعد (إما) ، فذهب سيبويه أنه ليس بلازم ، ولكنه أحسن ،
ولهذا لم يقع في القرآن إلا كذلك ، وإليه ذهب الفارسي وأكثر المتأخرين ،
وهو الصحيح » (٤) .

وبحي . فعل الشرط مؤكدا بالنون بعد (إما) معطرد في القرآن الكريم ،
يصرف النظر عن القراءة التي ذكرها ابن جني ، إذ أنها شاذة ، والشاذ يحفظ
ولا يقاس عليه ، فتبوتها لا يؤثر في هذا الإطار من أجل ما ذكرنا .
أما في لسان العرب فقد ورد بكثرة عدم تأكيده بالنون بعد (إن)

(١) ينظر الدر المنصون ٢٩٨/١ .

(٢) الدار المنصون ٣٠٠/١ .

(٣) الجني الداني ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) ينظر الأشموني ٢١٦/٣ .

الشرطية المقترنة بـ (ما) ، ومن ذلك قول الشنفرى :

فأما ترى كائنة الرمل ضاحيا
على رقة أحق ولا أتمل^(١)

وقول الآخر :

يا صاح إما تجمدنى غير ذى جنة
فما التعلنى عن الخلان من شيمى^(٢)

وقول سلمى بن ربيعة :

دعت تمانى أتنى إما أمت
يسدد أينوها الأصغر غلى^(٣)

(١) البيت للشنفرى وهو من الطويل وقوله أحق : أكون حافياً ، وأتمل :
ألبس التمل .

ينظر الأشئونى ٢١٦/٣ والبحر ١٦٨/١ ، والدور المصون ٢٩٩/١ - والشاهد
هنا فى قوله : (فأما ترى) حيث ترك فيه نون التأكيد بعد (إما الشرطية) ،
وبه يرد على الزجاج فى اشتراطها بعدها .

(٢) البيت من البسيط ، ولم أقف على قائله .
والشاهد فيه : (إما تجمدنى) حيث ترك فيه التوكيد بالنون بعد .
إما الشرطية .

ينظر : الدور المصون ٢٩٩/١ ، والأشئونى ٢١٦/٣ والتعريب ٢٠٤/٢ ،
والعنى ٣٣٩/٤ .

(٣) البيت لسلمى بن ربيعة أو طلياء بن أرقم وهو من السكامل ، وهو فى
ابن يعيش ٥٩/١ ، والمجع ٦٣/٢ والبحر ١٦٨/١ ، والدور القوامع ٦٩/٢ ، وشرح
ديوان الحماسة للرزوقى ٥٤٧ .
والشاهد فيه كساقته .

وقول الأعمش .

فإما ترينى ولى لمة . فإن الحوادث أودى بها (١)
وقول امرئ القيس .

فإما ترينى لا أغمض ساعة من الدهر إلا أن أكب فأنعسا (٢)
وقول رؤبة :

لما ترينى اليوم أم حمز . قاربت بين عنق وحمزى (٣)

يقول السيوطى : « ويزاد (ما) تؤكد فى (إن) ، ومنه :
(وإما ينزغنىك) (وإما ينسبك) ، قال أبو جبان : وذلك فى القرآن
كثير ، ولم يأت فيه إلا والفعل مؤكد بالنون ، وأما فى لسان العرب فقد
جاء - أيضاً - بغير نون كثيرا » (٤) .

وقال - أيضاً - « وتدخل - أى نون التوكيد - كثيرا ، وقيل : لزوما
المضارع التالى (إما) الشرطية ، نحو : فلما تذهبن بك ، (وإما ينزغنىك) ،
ولم يقع فى القرآن إلا مؤكدا بالنون ، (٥) .

(١) البيت الأعمش وهو فى ديوانه ١٧١ : فإن تمهيدنى .

والشاهد فى قوله (فإما ترينى) حيث ترك فيه نون التأكيد بعد (إما)
الشرطية ، وهو من شواهد الكتاب ٤٦/٢ ، والعينى ٤١٦/٢ ، وابن يعيش
٩٥/٥ ، ورصف المبانى (١٠٣) ، واللسان (حدث) .

(٢) البيت لامرئ القيس ؛ وهو فى ديوانه (١٠٥) . والمقتضب ١٤/٣
والشاهد فيه كسابقه .

(٣) البيت فى الكتاب ٢٣٣/١ ، والمقتضب ٢٥/٤ والإنصاف : ٣٤٩ .
وابن يعيش : ٦/٩ .

وفيه نفس الشاهد السابق .

(٤) الجمع ٦٣/٢ (٥) الجمع ٧٨/٢

(٤) الجمع ٦٣/٢

صلة الموصول من مادة (صبر) في القرآن الكريم

قد ورد ذكر الصبر في القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعاً وذلك
لعظم موقعه في الدين :

قال بعض العلماء (١) : كل الحسنات لها أجر محصور في عشر أمثالها إلى
سبعمائة إلا الصبر ، فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : (إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب) (٢) .

ولما كان الصبر شرطاً في حصول التكليف لم تأت صلة الموصول في القرآن
منه إلا بلفظ الماضي ، يقول أبو حيان - في تفسير قوله - تعالى - (الذين
يوفون بعهد الله ، ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن
يوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه
ربهم ...) (٣) - « فجاءت الصلة هنا - أي في الصبر - بلفظ الماضي ، وفي
الموصولين قبل بلفظ المضارع في قوله : (الذين يوقون) ، و (الذين
يصلون) وما عطف عليهما على سبيل التفتين في الفصاحة لأن المبتدأ هنا
في معنى اسم الشرط بالماضي كالمضارع في اسم الشرط ، فكذلك فيما
أشبهه ، ولذلك قال النحويون : إذا وقع الماضي صلة ، أو صفة لنكرة
عامة ، احتمل أن يراد به الماضي ، وأن يراد به الاستقبال ، فن المراد به
الماضي في الصلة : (الذين قال لهم الناس) (٤) ، ومن المراد به الاستقبال
(إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) .

(١) معترك القرآن ٣٥٦/٢ (٢) سورة الزمر من الآية ١٠ .

(٣) سورة الرعد الآية ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ . (٤) سورة آل عمران من الآية ١٧٣ .

ويظهر أن اختصاص هذه الصلة بالماضى، وتبتك بالمضارع أن تبتك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائماً، وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تبتك الصلتين، وما عطف عليهما، لأن حصول تلك الصلات إنما هي مترتبة على حصول الصبر، وتقدمه عليهما، ولذلك لم تأت صلة في القرآن إلا بصيغة الماضى، إذ هو شرط في حصول التكليف، وإيقاعها (١).

وقد وقع الصبر صلة في القرآن على صورة المضى التي ذكرتها إحدى عشرة مرة هي:

- ١ - (وتمت كلمة ربك الحسى على نبي إسرائيل بما صبروا)
(الأعراف (١٣٧))
- ٢ - (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات)
(سورة هود (١١))
- ٣ - (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة)
(سورة الرعد (٢٢))
- ٤ - (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)
(سورة النحل (٤٢))
- ٥ - (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)
(سورة النحل (٩٦))
- ٦ - (إلى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون)
(سورة المؤمنون (١١١))
- ٧ - (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، ويلقون فيها تحية وسلاماً)
(سورة الفرقان (٧٥))

(١) البحر المحيط ٣٨٥/٥، ٣٨٦.

- ٨ - (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)
 (سورة القصص (٥٤)
- ٩ - (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)
 (سورة العنكبوت (٥٩)
- ١٠ - (وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)
 (سورة فصلت (٣٥)
- ١١ - (وجزاءهم بما صبروا جنة وحريرا)
 (سورة الإنسان (١٢)

(لندن)

ظرف لا ابتداء غاية زمان أو مكان ، وهي من الكلمات الملازمة للإضافة ،
قال ابن مالك (١) :

والزموا إضافة (لندن) لجر ونصب (غدوة) بها عنهم نذر
لذلك يلزم أن يكون ما بعدها مجروراً لفظاً إن كان معرباً ، ومجلاً إن
كان مبنيّاً أو جملة ، فالأول نحو قوله - تعالى - (من لندن حكيم عليم) (٢) ،
وقول الراجز :

تلتهمز الرعدة في ظهري من لندن الظهر إلى العصور (٣)
والثاني نحو قوله - تعالى - (وعليناه من لدنا علماً) (٤) - (لينذر بأساً
شديداً من لدنه) (٥) - والثالث كقوله :

وتذكر نعماء لندن أنت يا فع
قال الأشموني : « ولم يضاف من ظروف المكان إلى الجملة إلا (لندن)

(١) ينظر شرح الالفيه لابن عقيل ٦٧/٣ ، والأشموني ٢/٢٦٢ .

(٢) سورة النحل من الآية ٦ .

(٣) راجده طائي لم يدرك اسمه ، والرعدة من الارتعاد ، وظهرى تصغير ظهر ،
يعنى : يقوم على الارتعاد من عند الظهر إلى العصور .

والشاهد فيه : (من لندن) حيث جاء ما بعدها مجروراً لفظاً لأنه معرب .

ينظر : الأشموني ٢/٢٦٢ ، وشرح الالفيه لابن عقيل ٦٧/٣ .

(٤) الكهف من الآية ٦٥ . (٥) الكهف من الآية ٢ .

و (حيث) وقال ابن برهان : حيث فقط ، هذا هو الأصل الشائع في لسان العرب ، (١) .

وقال ابن عقيل : « ويجز ما ولى (لن) بالإضافة إلا (غدوة) فإنهم نصبوها بعد (لن) . كقوله : وما زال مهري مزجر الكلب منهم »

لن غدوة حتى دنت لغروب (٢)

ونصب (غدوة) بعد (لن) ؛ إنما هو على التمييز ؛ وقيل : هي خبر لكان المحذوفة ؛ والتقدير : لن كانت الساعة غدوة ، وقيل : على التشبيه بالمفعول (٣) .

ويجوز جر (غدوة) بالإضافة على الأصل ؛ فلومطقت على (غدوة) المنصوبة جار جر المعطوف مراعاة للأصل ؛ وجار نصبه مراعاة للفظ (٤) .

وحكى (٥) الكوفيون الرفع في غدوة بعد (لن) ؛ وهو مرفوع بـ (كان) المحذوفة ؛ والتقدير : لن كانت غدوة ؛ و (كان) تامة .
والذى أردت أن أبينه في هذه المسألة أن (لن) لم ترد في القرآن إلا مجرورة بـ (من) ؛ يقول ابن مالك : « قال أبو الفتح بن جني : استعمال

(١) ينظر الأشموني ٢/٢٦٣ .

(٢) البيت من الطويل . ومزجر الكلب خير ما زال ، و (منهم) في محل نصب على الحال .

والقاعدي في (لن غدوة) حيث نصب غدوة بعدها تمييزا بالمفعول ومنهم من يرقبها تشبيها بالفاعل ومنهم من جرهما على القياس .

ينظر شرح الألفية لابن حقييل ٣/٦٨ ، ٦٩ . والأشموني ٢/٢٦٣ .

(٣) الأشموني ٢/٢٦٣ .

(٤) شرح الألفية لابن حقييل ٣/٦٩ والأشموني ٢/٢٦٣ .

(٥) ابن حقييل على الألفية ٣/٦٩ .

(لن) دون (من) قليل ؛ قلت ؛ ولذلك لم تغل في القرآن من (من) (١) .
 وقال ابن عقيل : « ولا تخرج من الظرفية - يقصد (لن) - إلا بجرها
 بـ (من) ؛ وهو الكثير فيها ؛ ولذلك لم ترد في القرآن إلا بـ (من) ؛ كقوله
 - تعالى - (وعلمناه من لدنا علماً) ؛ وقوله - تعالى - (لينذر بأساً شديداً من
 لدنهِ) ؛ وقيس تعربها ؛ ومنه قراءة أبي بكر عن عاصم (لينذر بأساً شديداً
 من لَدُنْهِ) لكنه أسكن الهمزة ؛ وأشبهها الضم » (٢) .

ويضم من قوله : (وقيس تعربها) أنها مبنية عند أكثر العرب وقد
 وردت (لن) في القرآن في ثمانية عشر موضعاً هي :

- ١ - قوله - تعالى - (كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لَدُنْهِ حكيم
 خبير) . (١) سورة هود
- ٢ - (ولذلك تلتقي القرآن من لَدُنْهِ حكيم عليم) (٦) سورة الفل
- ٣ - (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لَدُنْكَ رحمة) .
 (٨) سورة آل عمران
- ٤ - (قال رب هب لي من لَدُنْكَ ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)
 (٨) سورة آل عمران
- ٥ - (واجعل لنا من لَدُنْكَ ولياً) (٧٥) سورة النساء
- ٦ - (واجعل لنا من لَدُنْكَ نصيراً) (٧٥) سورة النساء
- ٧ - (واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً) (٨٠) سورة الإسراء
- ٨ - (ربنا آتنا من لَدُنْكَ رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً)
 (١٠) سورة الكهف
- ٩ - (وكانت امرأتى هاقرأ فهب لي من لَدُنْكَ ولياً)
 (٥) سورة مريم

(١) ينظر شرح التيسيل ٢/٢٣٧ .

(٢) شرح الانفية لابن عقيل ٢/٩٧ .

- ٢٠ - (إذا لا تفتنهم من لدنا أجرًا عظيمًا) (٦٧) سورة النساء
- ١١ - (آتيناه رحمة من عندنا وعلمتنا من لدنا هدًى)
- (٦٥) سورة الكهف
- ١٢ - (وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقياً) (١٣) سورة مريم
- ١٣ - (وقد آتيناك من لدنا ذكراً) (٩٩) سورة طه
- ١٤ - (لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين)
- (١٧) سورة الأنبياء
- ١٥ - (أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا)
- (٥٧) سورة القصص
- ١٦ - (وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا)
- (٤٠) سورة النساء
- ١٧ - (قيلاً ليتنذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين)
- (٢) سورة الكهف
- ١٨ - (قد بلغت من لدنى عذراً) (٧٦) سورة الكهف

• • •

كلمة (سنين)

جمع سنة ، وهى تطلق على الحول ، وهى الجذب ضد الخصب (١) ، يقول أبو حيان : « وبهذا المعنى تكون من الأسماء الغالبة ، كالنجم والبران ، وقد اشتقوا منها بهذا المعنى ، فقالوا : أسنت القوم : إذا أجذبوا ومنه قوله :

ورجال مكة مستنون عجاف (٢)

وقال حاتم (٣) :

فإننا نحن المال من غير ضنة ولا يستكينا في السنين ضريرها
وقال الجوهري (٤) : « .. يقال : أرض بنى فلان سنة ، إذا كانت مجدبة .

(١) اللسان مادة سنة .

(٢) هو حجر بيت من الكامل قاله عبد الله بن الزبير ، وروى بنه :

عمر الذى هشم الفريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

ينظر : المقتضب ٣١١/٢ . والإيضاح (٦٦٣) ، وابن يعيش ٣٦/٩ ، والمعنى ١٤٠/٤ والبحر المحيط ٣٩٩/٤ .

(٣) البيت من الطويل .

ينظر ابن يعيش ، والبيت فيه برواية أخرى لا تصلح شاهداً لما نحن فيه .

والبحر المحيط ٣٩٩/٤ .

(٤) الصحاح مادة (سنة) ٢٢٣٦/٦ .

والعرب تقول : تسليت هذه ، وتسنت هذه ، واستأجرته مسانة
ومسانة ، وفي التصغير سنية ، وسنية .

وكلمة (سنين) بالياء أو الواو عند جمهور العرب لا تكون إلا بكسر
السين وبعضهم يقول : سنون - بضم السين .

وفى لمتان : أشهرهما (١) : إعرابها بالواو رفعا ، والياء جرا ونصبا
والأخرى جعل الإعراب فى التنون ، والتزام الياء فى الأحوال الثلاثة ،
تقلا أبو زيد والفراء (٢) .

ولما كانت سنون - بكسر السين - و (سنة) بفتحها حكم النحاة بأنها
من الكلمات الملحقة بجمع المذكر السالم فى الإعراب ، ويضاف لذلك أن
(سنة) مؤنث غير ماقول ، وهو لا يجمع جمع مذكر (٣) سالما ، لذلك
حكموا بأنها ليست منه ؛ وإنما هى ملحقة به .

وبما يسترعى أنها لم ترد فى القرآن من أوله إلى آخره إلا منصوبة
أو مجرورة فلم تقع فيه مرفوعة أبدا .

ولم يدخل عليها فى القرآن الكريم - أيضا - حرف من حروف الجر
إلا الباء ؛ وذلك فى موضع واحد هو قوله - تعالى - (ولقد أخذنا آل فرعون
بالسنين ونقص من الثمرات) (٤) .

وقد جاءت مجرورة بالضاف فى ستة مواضع هى :

- ١ - قوله - تعالى - (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) .
- ٢ - سورة يونس آية (٥)

(١) ينظر البحر المحيط ٤/٣٦٩ .

(٢) البحر المحيط ٤/٣٦٩ .

(٣) شرح شذور الذهب ٥٧ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ١٣٠ .

- ٢ - (فأنساه الشيطان ذكر ربه ، فلبث في السجن بضع سنين) .
سورة يوسف آية (٤٢)
- ٣ - (قال تزرعون سبع سنين دأباً ، فاحصدتم قدروه في سبله) .
سورة يوسف آية (٤٧)
- ٤ - (لتبتقوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) .
سورة الإسراء آية (١٢)
- ٥ - (قال لكم لبتن في الأرض هدد سنين) . سورة المؤمن (١١٢)
- ٦ - (وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) . سورة الروم ٤
وقد وردت فيه منصوبة في أربعة مواضع هي :
- ١ - قوله - تعالى - (فضرينا على آذانهم في الكهف سنين عددا) .
سورة الكهف آية (١١)
- ٢ - (فلبثت سنين في أهل مدين ، ثم جئت على قدر يا موسى) .
سورة طه آية (٤٠)
- ٣ - (قال : ألم نريك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عرك سنين) .
سورة الشعراء آية (١٨)
- ٤ - (أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) .
سورة الشعراء آية (٢٠٥)
- وقد جاءت في موضع واحد محتملة للنصب والجر ، ألا وهو قوله
- تعالى - (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) .
سورة الكهف آية (٢٥)
- يقول ابن هشام : « ومن شواهد سنين قوله - تعالى - (ولبثوا في كهفهم
ثلاثمائة سنين) ، تقرأ (مائة) على وجهين : منونة ، وفير منونة ؛ فن
نونها فـ (سنين) بدل من ثلاث ، فهي منصوبة . والياء علامة النصب .
قليل ، أو مجرودة بدل من مائة . والياء علامة الجر ، وفيه نظر . لأن البدل

يعتبر لصحته إحلالة محل الأول مع بقاء المعنى ولو قيل : ثلاث سنين
لاختل المعنى ، كما نرى . ومن لم ينونها فسنين مضاف إليه . فهي
مختوضة ، (١) .

ويقال الجوهرى (٢) : « وقوله - تعالى - (ثلاثمائة سنين) .

قال الأخفش : إنه بدل من (ثلاث) ومن (المائة) . أى لبثوا
ثلاثمائة من السنين .

قال : فإن كانت السنون تفسيرا للمائة فهي جر . وإن كانت تفسيرا
لثلاث فهي نصب .

أما في غير القرآن فقد جاءت مرفوعة (٣) قال الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام (٤)

(١) شرح شذور الذهب ٥٨ .

(٢) الصحاح مادة سنه ٧٢٣٦/٦ .

(٣) شرح الشذور الذهب (٥٨) .

(٤) البيت من الكامل قاله أبو تمام .

ينظر : شرح شذور الذهب لابن هشام (٥٨) وديوانه ٣٧٩ .

عسى لليقين

اختلف النحاة في عسى فذهب الجمهور^(١) إلى أنها فعل ، لقبولها تام .
التأنيث الساكنة التي لا تنقلب هاء في الوقف ، نحو : هند عست أن تفلح ،
ولا تصالها بضمائر الرفع البارزة ، نحو قوله - تعالى - (فهل عسيتم
إن توليتم)^(٢) .

وأطلق ابن السراج القول بحرفيتها ، كـ (لعل) بسبب جمودها ،
ودالتها على الرجاء . ونقل هذا الرأي عن ثعلب ، قاله ابن عقيل^(٣) .

وهذان القولان بعيدان عن الصحة ، يقول الزيدى وـ (عسى) قيل :
فعل مطلقاً ، أو حرف مطلقاً ، قال شيخنا : كلا القولين غير محرز ، بل
(عسى) فيها تفصيل الحرفية ، إذا دخلت على ضمير متصل كـ مساه ، وهو .
مذهب سيبويه وجماعة ، وفعل من أفعال المقاربة إذا دخلت على ظاهر .
كما هو رأى المبرد والأخفش : ولكل من الاستعمالين شروط في التسجيل .
وشروحه وكلام المصنف - يقصد الفيروز آبادي - غاية في القصور والتقصير .
وعدم التحرير . فلا يعتد به ، (٤) .

وهي تدل على الرجاء ، وذلك كثير فيها . وقد تأتي للإشفاق . يقول
السيوطي : وقد ترد (عسى) للإشفاق من المسكروه وهو أقل من مجيئها !

(١) يس على التماكبي ٦٥/١ .

(٢) سورة محمد ٢٢ .

(٣) شرح الألفية لابن عقيل ٣٢٢/١ .

(٤) تاج المروس باب الزاو والياء فصل العين ٢٤٢/١٠ .

للرجاء ، وقد اجتمعا في قوله - تعالى - (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) (١) .

وذهب أبو عبيدة إلى أنها تأتي لليقين ، يقول الجوهري : « وقال أبو عبيدة جاء على إحدى لغتي العرب ، لأن (عسى) في كلامهم رجاء ويقين . وأنشد لابن مقبل :

ظنى بهم كمسى وهم يتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال (٢)

أي ظننى بهم يقين (٣) ؛

وقال في اللسان : « قال أبو عبيدة : عسى من الله إيجاب لجاءات على إحدى اللغتين ، لأن (عسى) في كلامهم رجاء ويقين ، قال ابن سيده ، وقبل عسى كلمة تكون للشك واليقين . . قال ابن بري : هذا قول أبي عبيدة » (٤) .

وجيئنا لليقين في كلام العرب فيه نظر ، لأننى لم أعر على شاهد لما ذهب أبو عبيدة وابن سيده إليه إلا البيت المنسوب لابن مقبل ، وقد خرجته الأصمعي على أن عسى فيه للرجاء والطمع ، فقال : (ظننى بهم كمسى) ، أى ليس بثبت كعسى يريد أن الظن هنا ، وإن كان بمعنى اليقين فهو كمسى في كونها بمعنى الطمع والرجاء » (٥) ،

وقال الرضى : « وأنا لا أعرف عسى في غير كلامه - تعالى - لليقين .

(١) المجمع ١/ ١٢٩ .

(٢) البيت من الكامل قاله : تميم بن مقبل .

ينظر : ابن عيش ٧/ ١٢٠ واللسان (جوز ، عسى) وديوانه ٢٦١ ، والخرائط

٧٦/٤ ، والصجاح مادة (حسا) ٢٤٢٦/٦ .

(٣) الصجاح (حسا) ٢٤٢٦/٦

(٤) اللسان (حسا) ٥٥/١٥

(٥) السابق .

فقوله (عسى اليتيم) فيه نظر ، ويجوز أن يكون معنى (ظنى بهم كعسى) ،
أى مع طمع ، (١) .

أما فى القرآن فقد أطردها لهذا المعنى إذا كانت من الله ، لأن الرجاء
والطمع يستحيلان فى حقه - عز وجل - إلا قوله - تعالى - (عسى ربه إن
طالعكن) ، فهى فيها بمعنى التخويف ، يقول السمين الحلبي فى (عمدة
الحفاظ) : « قال سيبويه : (عسى) ، (ولعل) من الله إيجاب ، أى لا يراد
بهما الترجى والإشفاق ، لأن ذلك محال فى حق البارى - تعالى - » (٢) .

وقال فى الدر المصون : « وعسى من الله واجبة ، لأن الترجى والإشفاق
محالان فى حقه » (٣) .

وقيل : هى مطردة لهذا المعنى فى القرآن من أوله إلى آخره ، ما عدا
الآية المذكورة ، أى سواء أكانت من الله أم من غيره ، يقول ، أبو حيان :
« وقالوا كل عسى فى القرآن للتحقيق ، يعنون به الوقوع إلا قوله - تعالى -
(عسى ربه إن طالعكن) (٤) » (٥) .

وقال فى تفسير قوله - تعالى - (فمضى أولئك أن يكونوا من
الممتدين) (٦) .

« و (عسى) من الله واجب حيثما وقعت فى القرآن ، وفى ذلك قطع
لأطماع المشركين أن يكونوا مهتدين » (٧) .

وقال - أيضا - : « ... (عسى الله أن يتوب عليهم) (٨) » ، قال

(١) شرح الكافية الرضى ٣٠٢/٢

(٢) عمدة الحفاظ : ٩٢/٣

(٣) سورة التحريم من الآية ٥٠

(٤) لبحر : ١٤٤/٢

(٥) لبحر : (٢٠ / ٥)

(٦) الدر المصون ٢٨٨/٢

(٧) سورة التوبة من الآية ١٨

(٨) سورة التوبة من الآية ١٠٢

ابن عباس : « (عسى) من الله واجب انتهى ، وجاء بلفظ (عسى) ليكون المؤمن على وجل ، إذ لفظة (عسى) طمع وإشفاق ، فأبرزت التوبة في صورته ، ثم ختم ذلك بما دل على قبول التوبة ، وذلك صفة الغفران والرحمة » (١) .

ويقول - أيضا - في تفسير قوله - تعالى - (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) (٢) - « و (عسى) من الله - تعالى - واجبة الوقوع ، والله قدير على قلبب القلوب ، وتيسير العسير ، والله غفور لمن أسلم من المشركين » (٣) .

ويقول ابن عطية : « وقوله - تعالى - (وعسى أن تكرهوا شيئا) الآية . قال قوم : عسى من الله واجبة . والمعنى : عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة ، وهو خير لكم في أنكم تغلبون ، وتظهرون وتغنمون . وتؤجرون ، ومن مات مات شهيدا . وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال . وهو شر لكم في أنكم تغلبون ، وتذلون ، ويذهب أمركم » (٤) .

ويقول الفيروز آبادي : « عسى - للترجى في المحبوب . والإشفاق في المكروه . واجتمعا في قوله - تعالى - (عسى أن تكرهوا شيئا) الآية وللشك واليقين ومن الله إيجاب » (٥) .

ويقول الزيدى : « و (عسى) من الله إيجاب في جميع القرآن إلا قوله - تعالى - (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا) (٦) .

ويقول الجوهري : « و (عسى) من الله واجبة في جميع القرآن . إلا في

(١) البحر : ٩٥/٩ (٢) سورة الممتحنة من الآية ٧

(٣) البحر المحيط : ٢٥٥/٨ (٤) المحرر الوجيز : ١٥٩/٢

(٥) القاموس باب الياء قبل العين (صا) .

(٦) تاج للمروس باب الواو والياء فصل العين ٢٤٢/١٠

نقوله (عسى ربه إن طلقك أن يبدله) : وقال أبو عبيدة : (عسى) من الله إيجاب ، (١) .

وقال ابن منظور : (و (عسى) في القرآن من الله - جل ثناؤه - واجب . وهو من العباد ظن . كقوله - تعالى - (عسى الله أن يأتي بالفتح) . وقد أتى الله به ، (٢) .

وكونها من الله واجبة الوقوع في جميع القرآن مذهب كثير من المفسرين واللغويين . وقد رده الأصفهاني فقال : (عسى) : طمع وترج وكثير من المفسرين فسروا لعل وعسى في القرآن باللام . وقالوا : إن الطمع والرجاء لا يصح من الله ، وفي هذا منهم قصور نظر ، وذلك أن الله إذا ذكر ذلك يذكره ، ليكون الإنسان منه راجيا ، لا لأن يكون هو - تعالى - يرجو ، فقوله : (عسى ربكم أنه يهلك عدوكم) : أى كونوا راجين في ذلك ، (٣) .

والحق أن ما ذهب إليه الجمهور هو الصواب فمن من الله بمعنى اليقين . وأما قول الأصفهاني : (إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجيا ، معناه أن الفاعل يكون مسندا في اللفظ إلى الله ، وفي المعنى مسندا إلى العباد والحدث إذا أسند إلى ذات ، وقصدت ذات أخرى يكون قبيحا في لغة العرب إذ أنه يؤدي إلى مجاز بعيد وعليه فلا يكون مقبولا في كلام أحكم الحكماء ، أما إذا أسند إلى كل وقصد بعضه ، أو العكس فهو مجاز قريب مقبول عند العرب .

إذن نستطيع أن نقول إن (عسى) في جميع القرآن واجبة الوقوع . أى أنها قد إطردها كذا في القرآن إلا في آية سورة التحريم ولا عبرة

(١) الصحاح (٢٢٤٦/٦) (٢) اللسان (١٥٠/١٥)

(٣) المفردات : ٣٣٥

يقول الألوسي - في تفسير قوله - تعالى - (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم - د و) عسى (الأولى للاشفاق والثانية للترجي على ما ذهب إليه البعض ، وإنما ذكر (عسى) الدالة على عدم القطع ، لأن النفس اذا ارتاضت وصفت انعكس عليها الأمر الحاصل لها قبل ذلك ، فيكون محبوبها مكروها ، ومكروها محبوبا فلما كانت قابلة بالارتياض لمثل هذا الانعكاس لم يقطع بأنها تكره ما هو خير لها ، وتحب ما هو شر لها ، فلا حاجة إلى أن يقال : لأنها هنا مستعملة في التحقيق كما في سائر القرآن ، ما عدا قوله - تعالى - (عسى به إن طلقكن ، (١) ، لأن التأويل فيه ظاهر ، وهو خلاف الأصل ، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل .

اقتران خبر (عسى) بـ (أن)

اقتران خبر عسى بـ (أن) كثير، وتجريده منها قليل، لأن الترجي مستقبلي، فناسبه (أن)، وهو مذهب سيبويه، حيث يقول: «وتقول: عسى أن يفعل، وعسى أن يفعلوا وعسى أن يفعلا، و (عسى) محمولة عليها (أن)، كما تقول: دنا أن يفعلوا وكما قالوا: اخولقت السماء أن تمطر وكل ذلك تكلم به عامة العرب.

واعلم أن من العرب من يقول: عسى يفعل، يشبهها بـ (كاد يفعل)، (ف يفعل) حيثلث في موضع الاسم المنصوب» (١).

ومذهب جمهور البصريين أن التجرد من (أن) خاص بالشعر، يقول أبو حيان: «فأما (عسى) لجمهور البصريين على أن حذف (أن) من خبرها لا يكون إلا في الضرورة، وقاله الفارسي وأجاز حذفها في التذكيرة في الكلام» (٢).

ويقول ابن عقيل: «اقتران خبر (عسى) بـ (أن) كثير، وتجريده من (أن)، قليل، وهذا مذهب سيبويه ومذهب جمهور البصريين أنه لا يتجرد خبرها من (أن) إلا في الشعر» (٣).

ويقول الشيخ خاله: «وكان القياس وجوب اقتران خبرها بـ (أن) حتى ذهب جمهور البصريين إلى أن التجريد من (أن) خاص بالشعر» (٤).

(١) الكتاب: ١٥٨/٣ (٢) الارتشاف: ١٢٠/٢

(٣) شرح الالفية لابن عقيل: ٢٢٧/١

(٤) التصريح: ٢٠٦/١

ومن وروده بدون (أن) قول الشاعر :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراه فرج قريب (١)
وقوله :

عسى فرج يأتي به الله أنه له كل يوم في خليقته أمر (٢)

أما في القرآن الكريم فقد اطرده بجيء خبرها مضارعا مقترنا بها ، يقول ابن هقيل « ولم يرد في القرآن إلا مقترنا بـ (أن) قال الله - تعالى - (فمضى الله أن يأتي بالفتح) (٣) ، وقال - عز وجل - (عسى ربكم أن يرحمكم) (٤) . ويقول السمين : « و (عسى) : فعل لا يتصرف خرج عن حقيقته من المضى إلى الإنشاء ، وهو ناقص ، ككان ، إلا أن خبره لا يكون في الأمر العام إلا مضارعا مقترنا بأن ، كقوله - تعالى - (فمضى الله أن يأتي بالفتح) ولم يرد التنزيل إلا عليه . »

(١) البيت من الوافر قاله هدية بن الحشرم .

والشاهد فيه بجيء خبر عسى مجردا من (أن) المصدرية .

بنظر : الكتاب ٤٧٨/١ ، وللقضب ٧٠/٣ ، وابن عيش ١١٧/٧ - ، والمتن ٢٣٥ ، والخزانة ٨١/٤ ، والمعنى ١٨٤/٢ والجمع ١٣٠/١ . والاشموني ٢٦٠/١ ، والتعريح ٢٠٦/١

(٢) البيت من الطويل ولم أقف على قائله .

وفيه نفس الشاهد السابق .

بنظر : المعنى ٢١٤/٢ ، والجمع ١٣١/١ والدرر ١٠٩

(٣) سورة المائدة من الآية ٥٢ . (٤) سورة الإسراء من الآية ٨

المصادر والمراجع

- ١- الإنصاف للأبنبارى تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد - السعادة - ١٣٨٠ هـ.
- ٢- البحر المحيط لأبي حيان - دار الفكر - الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٣- تاج العروس للزبيدي - الحثيرة - ١٣٠٦ هـ.
- ٤- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ٥- تفسير أبي السعود - دار إحياء التراث العربى - الطبعة الثانية - ١٩٩٠ م - ١٤١١ هـ - بيروت - لبنان .
- ٦- الجنى الدانى فى حروف المعانى للبرادى - تحقيق محي الدين قباوة وعبد نديم فاضل - دار الآفاق - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٧- الحجة لأبي على الفارمى (مخطوط) بدار الكتب المصرية .
- ٨- خزانة الأدب للبغدادى بولاق - ١٣٩٩ هـ .
- ٨- الرد اللوامع لأحمد الأمين الشنقيطى كردستان - الجمالية ١٣٢٨ .

- ٩ - الدار المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د/ أحمد الخراط - دار القلم - دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٠ - ديوان امرىء القيس - تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف ١٩٥٨ .
- ١١ - ديوان أبي تمام - شرح محي الدين الخياط - بيروت - ١٣٢٣ هـ .
- ١٢ - ديوان تميم بن مقبل تحقيق عزة حسن - دمشق ١٣٨١ هـ .
- ١٣ - ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان تحقيق د/ مصطفى أحمد النحاس - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ١٤ - وصف المباني في شرح حروف المعاني للباليق تحقيق / أحمد محمد الخراط - دمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ١٥ - شرح الألفية للأشمونى مع حاشية الصبان - عيسى الباني الحلبي ١٣٦٦ هـ .
- ١٦ - شرح الألفية لابن عقيل - دار الفكر - الطبعة السادسة عشرة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٧ - شرح المفصل لابن يعيش عالم الكتب - بيروت - لبنان - مكتبة المتنبي - القاهرة .
- ١٨ - شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الوحن السيد، و د/ محمد بدوى المختون - حجر للطباعة والنشر - الطبعة الأولى .
- ١٩ - شرح ديوان الحماسة للرزوقي - تحقيق / عبد السلام هارون - لجنة التأليف ١٣٧٢ هـ .

- ٢٠- شرح شذور الذهب لابن هشام - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
توزيع مكتبة الأزهر .
- ٢١- شرح الكافية للرضي - الأستاذة ١٢٧٥ هـ .
- ٢٢- الصحاح للجوهري - بولاق ١٢٨٢ هـ .
- ٢٣- عمدة الحفاظ للسمين الحلبي - عالم الكتب - بيروت - تحقيق -
التوزيع - ١٩٩٣ م .
- ٢٤- العيني بنهاش الخزانة - طبعة بولاق - ١٢٩٩ هـ .
- ٢٥- النفاية في القراءات العشر للنيسابوري - تحقيق محمد غياث الجنبار
الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢٦- القاموس المحيط للفيروز آبادي - مؤسسة الحلبي وشركاه .
- ٢٧- الكتاب لسبويه تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة
للكتاب - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٢٨- اللسان لابن منظور - دار المعارف .
- ٢٩- المحرر الوجيز - لابن عطية تحقيق / المجلس العلمي بفاس مكتبة
ابن تيمية .
- ٣٠- معاني القرآن وإعرابه للزجاج - تحقيق عبد الجليل عبده شلبي
- عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٣١- معاني القرآن للقراء - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثانية -
١٩٨٠ م .
- ٣٢- معترك الأقران في إيجاز القرآن للسيوطي - تحقيق - أحمد
شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى -
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- ٣٣- مغنى اللبيب لابن هشام - تحقيق محمد محي الدين - مطبعة المدني
١٣٨٧ هـ .
- ٣٤- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني . دار المعرفة - بيروت -
لبنان تحقيق محمد سيد كيلاني .
- ٣٥- المختضب للبرد تحقيق محمد عبد الحائق عزيمة - القاهرة -
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٨ هـ .
- ٣٦- مع الموامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للسيوطي -
دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ٣٧- يس على الفاكي - الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م - مطبعة
مصطفى الباني الحلبي .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٦٥	المقدمة
٦٨	(يا)
٧٤	توكيد فعل الشرط بالنون بعد إما
٧٩	صلة الموصول من مادة (صبر)
٨٢	لذن
٨٦	كلمة سنين
٩٠	عسى لليقين
٩٦	اقتران خبر عسى بـ (أن) المصدرية
٩٨	المصادر والمراجع
١٠٢	فهرس الموضوعات

أَسْمَاءُ الْأَفْعَالِ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لِلدُّكْتُورِ
أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الحمد لله رب العالمين . خلق الإنسان . عليه البيان . والصلاة والسلام
على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
ياحسان إلى يوم الدين .

وبعد . . .

فقد ورد في القرآن الكريم كثير من أسماء الأفعال ، منها ما هو متفق
عليه . . ومنها ما هو مختلف فيه .

وقد رأيت أن أجمع هذه الأسماء التي تناثرت في كتب النحو والتفسير
مبيناً آراء النحاة فيها .

فكان منهجى فيها كما يلي :

أولاً : كلمة موجزة عن أسماء الأفعال .

ثانياً : الأسماء التي وردت في القرآن الكريم .

وقد رتبها ترتيباً هجائياً ، وهي كما يلي :

أف - أولى - تعال - حسب - عليك - مكانك ها أو ها - هات - هلم - هيت - هيات - وى .

وذكرت الآيات التي ورد فيها كل اسم من هذه الأسماء مئيناً سورتها ورقها وآراء النحاة فيها .

ثم ذكرت أهم المصادر والمراجع التي تناولتها .

وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، (١) .

د . أحمد نجيب عبد الوهاب

قسم اللغويات

أولاً : كلمة موجزة عن أسماء الأفعال

اسم الفعل هو : ما ناب عن الفعل معنى واستعمالاً ، ويمتاز عن الفعل بالإيجاز والمبالغة في أداء المعنى الذى يدل عليه الفعل .

ويرد بمعنى الأمر كثيراً نحو : صه ومه بمعنى : اسكت وانكف .

وبمعنى الماضى والمضارع نحو : شتان وهيات بمعنى : افرق وبعد ، ولوه . وأف بمعنى : أتوجع وأتضجر .

ومنه : مرتجل وضع من أول الأمر اسم فعل كما سبق .

ومنه : منقول من ظرف نحو : مكانك وأمامك بمعنى : اثبت وتقدم .

أو جار ومجرور نحو : عليك بمعنى : الزم .

أو مصدر استعمل فعله نحو : رويدزبدأ ، أو أهمل فعله نحو : بهلزيداً .

وهذه الأسماء سماعية إلا ما كان منها على وزن فعال نعت الفعل الثلاثى . التام المتصرف نحو : حذار ونزال بمعنى : احذر وأزل .

وهى مبالية ، منها : المبني على الفتح نحو : هيات ، والمبني على الكسر

نحو : نزال ، والمبني على الضم نحو : آه بمعنى أتوجع ، والمبني على الشكوى

نحو : صه ومه ، ولا موضع لها من الإعراب على الأصح . وتعمل عمل

الفعل الذى تدل عليه ، فإن كان متعدباً كانت متعدبة ، وإن كان لازماً ،

كانت لازمة ومنها ما يكون متعدباً ولزماً نحو : هلم ، ولا يتقدم

عليها معمولاتها إلا على مذهب الكوفيين (١) .

(١) ينظر فى ذلك : أوضح المسالك ٨١/٤ - ٩٠ ، شرح التصريح ١٩٥/٢ -

٢٠١ ، شرح الأشعري بحاشية الصبان ١٩٤/٣ - ٢٠٧ .

ثانياً : الاسماء التي وردت في القرآن الكريم

(أ ف)

وردت هذه الكلمة في ثلاث آيات من القرآن الكريم هي :
قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً لما يبلغن
عندك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما
قولا كريماً » (١) .

وقوله تعالى « أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (٢) .
وقوله تعالى « والذي قال لوالديه أف لكما أتعدا أني أن أخرج وقد
خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول .
ما هذا إلا أساطير الأولين » (٣) .

وهي اسم فعل بمعنى أتضجر ، وفيها لغات كثيرة (٤) .
قال ابن منظور : الأقف . الضجر ، وأف : كلمة تضجر ، وفيها عشرة .

(١) سورة الإسراء : ٢٣ (٢) سورة الأنبياء : ٦٧

(٣) سورة الأحقاف : ١٧

(٤) قال السمين ، وفيها لغات كثيرة وصلها الرماقي إلى تسع وثلاثين .
وذكر ابن حطية لفظة بها تمت الأربعون ... إلخ .

الدرر المصونة ٣٨٤/٤ . وينظر أيضاً : معاني القرآن للأخفش ٣٨٧/٢ ،
الخصائص ٣٩/٣ ، المحتسب ١٨/٢ ، المكشاف ٦٥٧/٢ ، البيان في غريب
إحزاب القرآن ٨٨/٢ ، الإملاء على الفتوحات الإلهية ٧٧/٣ ، شرح للنقل
٦٩/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧١/٥ ، ارتشاف الضرب ٢٠٣/٣ ، البحر
المحيط ٣٢/٧ ، شرح التصريح ١٩٧/٢ ، حاشية الصبان على الأشعري ١٩٨/٣

أوجه : أف له وأف وأف وأف وأف ، وفي التنزيل العزيز
 « ولا تقل لها أف ولا تنهرهما ، وأفئ مال وأفئ وأفئ وأف خيفة من
 أف المشددة (١) » .

(أَوَّلَى)

قيل إنها اسم فعل ماضٍ معناه : دنوت من الهلكة أو قاربك ما يهلكك
 أو وليك شر بعد شر .
 وقد فُكِّرَتْ هذه الكلمة خمس مرات في ثلاث آيات هي :

قوله تعالى : « ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة
 محكية وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر
 المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف .. » (٢) .
 وقوله تعالى : « أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى » (٣) .

قال ابن الأثيري : قوله تعالى « فأولى لهم » : مبتدأ وخبر ، وأولى
 اسم للتهديد كأنه قال : الوعيد لهم ، ولا ينصرف « أولى » ، لأنه على وزن
 أفعل معرفة . وقيل : إنه اسم للفعل ، فقولهم : أولى لك : اسم لقاربك
 ما يهلكك ، وهو أفعل من الوئى وهو : القرب ، يقال : تباعد عنا بعد
 وئى أى بعد قرب (٤) .

وقال ابن منظور : قوله عز وجل « أولى لك فأولى » معناه : التوعد
 والتهديد ، أى الشر أقرب إليك .

(١) اللسان ١/٩٥ (أفئ) ، القاموس المحيط ٣/١١٤

(٢) سورة محمد ٢٠-٢١ ، وتام الآية ... فإذا حرم الأمر فلو صدقوا
 الله لكان خيراً لهم . . .

(٣) سورة القيامة : ٣٤ ، ٣٥

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٣٧٥ - ٤٧٨

وقال ابن جني : « أولى » اسم دنوت من الهلكة . الخصائص ٣/٤٦

وقال ثعلب : معناه : دتوت من إهلكة ، وكذلك قوله تعالى : فأولى لهم ، أى : وليهم المكروه ، وهو اسم لدنوت . أو قارب
وقال الأصمى : « أولى لك » قاربك ما تكره . أى : نزل بك يا أجاهل ما تكره .
قال ثعلب : ولم يقل أحد فى « أولى لك » أحسن مما قال الأصمى الخ (١)

(تعال)

قيل أيضاً : إن هذه الكلمة اسم فعل أمر ، والصحيح أنها فعل صريح .
قال ابن السجرى : يقال للرجل : تعال أى تقم ، وللبرأة تعالى وللأثنين والاثنتين تعالياً وبنجاة الرجال : تعالوا ، وبنجاة النساء : تعالين ، وجعلوا التقدم ضرباً من التعالى والإرتفاع ، لأن المأمور بالتقدم فى أصل وضع هذا الفعل كأنه كان قاعدة فقيل له : تعال ، أى : ارفع شخصك بالقيام وتقدم ، واتسعوا فيه حتى جعلوه للواقف والماسئ . . . الخ (٢) .

وقال أبو حيان : تعالى : تفاعل من العلو ، وهو فعل لاتصال الضمائر المرفوعة به ، ومعناه : استنداء المدهو من مكانه إلى مكان داعيه . . . الخ (٣)
وقال السمين : تعال : فعل صريح وليس باسم فعل لاتصال الضمائر المرفوعة البارزة به . . . الخ (٤) .

-
- (١) اللسان ٤٩٢٣/٦ (ولى) ، وينظر فى ذلك أيضاً : الإملاء على الفتوحات الإلهية ٤/٢٥ . الجامع لأحكام القرآن ٩/٦٢٩٤ ، ١٠/٧١٥٠ ، ارتششاف الضرب ٣/٢٠٦ ، البحر المحيط ٩/٥٦ ، الدور المصون ٦/١٥٣ ، ٤٣٤ .
(٢) الأمالى الشعرية ١/٤٧ المجلس الثامن .
(٣) لبحر المحيط ٣/١٧٢ .
(٤) الدور المصون ٢/١٢٢ .

وقال الأشعوري ، غلط بعض النحويين (١) فقد هات وتعال من أسماء الأفعال وليس منها بل هما فعلاان غير متصرفين لوجوب اتصال ضمير الرفع البارز بهما ، كقولك : لأثني هاتى وتمايى وللاثين والاثنتين : هاتيا وتماآيا ، وللجاعتين : هاتوا وتماآوا وهاتين وتماين (٢) .

وقد وردت هذه الكلمة فى ثمانى آيات من القرآن الكريم هى :
 قوله تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسكم وأنفسهم ثم نبذل لعلك لعنت الله على الكاذبين ، (٣) .

وقوله تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ، (٤) .

وقوله تعالى : ولعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لا تبعدنا كم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ، (٥) .

وقوله تعالى : وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ، (٦) .

وقوله تعالى : وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول

(١) قال الصبان : قال الدمامي : لا وجه للتغليب فإن الذهاب إلى هذا لا يلتزم ما قيل من أن لحوق الضمائر البارزة لا يكون إلا فى الأفعال ، بل من عددها من أسماء الأفعال يجوز لحوقها بما قوى شبهه بالأفعال ، ويستدر عن لحوق الضمائر بهما بقوة مشابهتهما للأفعال فعولاً مماثلتها فى ذلك . حاشية

(٢) شرح الأشعوري ٢ / ٢٠٥

الصبان على الأشعوري ٢ / ٢٠٥

(٣) سورة آل عمران : ٦٤

(٣) سورة آل عمران : ٦١

(٤) النساء : ٦١

(٥) سورة آل عمران ١٦٧

قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون» (١) .

وقوله تعالى : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيهاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون» (٢) .

وقوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُن تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَمِثْلَ مَا أُعْطِيَ الْغَنَى (٣) أَمْتَعْنِي وَأَسْرَحْنِي سَرَّاحاً جَمِيلاً» (٤) .

(١) سورة المائدة : ١٠٤ (٢) سورة الانعام : ١٥١

(٣) قال السمين : ثبتت الياء في أمر جماعة الإناث كما تقول : يَا نِسْوَةَ تَعَالَيْنِ إِذْ لَا مَقْتَضَى لِحذف ولا للقلب ، وذلك أن : تعالى يتعالى أصل ألفه ياء كترأى يترأى ، وأصل هذه الياء واو ، لأنه مشتق من العلو وهو الارتفاع ، والواو منى وقعت رابعة فصاعداً قلبت ياء فصار : تعالو : تعالى فتحرك حرف الهمزة وانفتح ما قبله فقلب ألفاً فصار : تعالى كترأى وتعاضى ، فإذا أمرت منه الواحد قلت : تعال يا زيد بحذف الألف ، وكذا إذا أمرت الجمع المذكر قلت : تعالوا ، لأنك لما حذف الألف لأجل الأمر أبقى الفتحة مشعرة بها . وإن شئت قلت : الأصل : تعاليوا وأصل هذه الياء واو كما تقدم ثم استغلت الضمة على الياء لحذفت فالتقى ساكنان لحذف أولهما وهو الياء وتركزت الفتحة على حالها ، وإن شئت قلت : لما كان الأصل : تعاليوا تحرك حرف الهمزة وانفتح ما قبله وهو الياء فقلب ألفاً فالتقى ساكنان لحذف أولهما وهو الألف وبقيت الفتحة دالة عليه . والفرق بين هذا وبين الوجه الأول أن الألف هناك حذفت لأجل الأمر وإن لم تصل به واو ضمير ، وهنا حذفت لالتقاءها مع واو الضمير ، وكذلك إذا أمرت الواحدة تقول لها : تعال ، فهذه الياء هي ياء الفاعلة من جملة الضمائر والتصريف كما تقدم ، وأما المثني المذكر والمؤنث فإن الياء تثبت فيه كما كان في أمر جماعة الإناث . البر المصون ٢ / ١٢١ بتصرف .

(٤) سورة الاحزاب : ٤٨ .

وقوله تعالى « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لواد
رؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون » (١).

(حَسْبُ)

ذكر بعض النحويين أن هذه الكلمة اسم فعل بمعنى : ليكف ،
أو اسم فعل ماضٍ بمعنى : كفى ، وردَّ ذلك فيما سنذكره بعد ذكر الآيات
التي وردت فيها هذه الكلمة ، إذ وردت في ثمان آيات هي :

قوله تعالى « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم
ولبس المهادر » (٢) .

وقوله تعالى « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فخادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٣) .

وقوله تعالى « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتمون » (٤) .

وقوله تعالى « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٥) .

وقوله تعالى « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
سيؤتيهم الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون » (٦) .

وقوله تعالى « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » (٧) .

وقوله تعالى « ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا

(٢) سورة البقرة : ٢٠٦

(١) سورة المنافقون : ٥

(٤) سورة المائدة الآية ١٠٤

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٣

(٦) سورة التوبة الآية ٥٩

(٥) سورة الانفال الآية ٦٤

(٧) سورة التوبة الآية ٦٨

عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ونعصيت الرسول وإذا جاؤك جيوك
بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يغذينا الله بما تقول حسبهم جهنم
يصلونها فيلس المصير» (١).

وقوله تعالى «... ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث
لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل
شيء قدرا» (٢).

قال أبو حيان : وما فيه خلاف - أى من أسماء الأفعال - حسب :

تقول العرب : حسبك درهمان ، فزعم الجري أن حسب فى معنى
الأمر ، والضمة فى البناء ضمة بناء ، والكاف حرف خطاب لا موضع له
من الإعراب» (٣).

وقال فى موضع آخر : وأما قول العرب : حسبك ينم الناس .
فذهب أبو عمرو بن العلاء والجري إلى أن ضمة حسبك بناء ، وهو
اسم سمي به الفعل ، والكاف حرف خطاب .

وذهب الجمهور إلى أنها ضمة إعراب ، فقليل : مبتدأ محذوف الخبر
لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : حسبك السكوت ينم الناس .

(١) سورة المجادلة الآية ٨

(٢) سورة الطلاق الآية ٢ ، ٣

(٣) وقيل : الضمة ضمة بناء ، والكاف فى موضع جروهم مفعولة فى المعنى.
ولم يمنع البناء الإضافة كما قالوا : اقرب أيهم قائم .

وذهب المازنى إلى أن حسبك : مبتدأ ، ودرهمان : خبره ، وذهب بعضهم
إلى أنه مبتدأ ، ودرهمان : مفعوله ، تقديره : ليسكفك درهمان ، ولا خبر له
لأنه فيه معنى الأمر .

ارتشاف الضرب ٢ / ٢٠٥

وذهب جماعة منهم الأخصى الى أنه مبتدأ لا خبر له ، إذ معناه :
اكتف وهو اختيار أبي بكر بن طاهر (١) .

وأبطل عند قوله تعالى «حسبه جهنم» (٢) كون حسب اسم فعل حيث
قال : «حسبه جهنم» أى كافيه جزاء وإذ لا لا جهنم ، وهى جملة مركبة من
مبتدأ وخبر .

وذهب بعضهم إلى أن «جهنم» فاعل به «حسبه» لأنه جملة اسم فعل ،
إما بمعنى الفعل الماضى أى : كفاه جهنم ، أو بمعنى فعل الأمر ، ودخول
حرف الجر عليه واستعماله صفة وجريان حركات الإعراب عليه يبطل
كونه اسم فعل (٣) .

وقال السمين «حسبه» مبتدأ و «جهنم» خبره .

وقيل : جهنم : فاعل بحسب ثم اختلف القائل بذلك فى حسب ، فقيل :
هو بمعنى اسم الفاعل (٤) أى الكافى . وهو فى الأصل مصدر أريد به اسم
الفاعل ، والفاعل هو : جهنم سد مسد الخبر ، وقوى حسب لاعتقاده على
الفاء الرابطة للجملة بما قبلها ، وقيل : بل «حسب» اسم فعل ، والقائل
بذلك اختلف ؛ فقيل . اسم فعل ماضى أى كفاهم ، وقيل : اسم فعل أمر
أى : ليكفهم ، إلا أن إعرابه ودخول حرف الجر عليه يمنع كونه اسم فعل (٥)

(١) ارتشاف الضرب ٢ / ٢٢ سورة البقرة : ٢٠٦

(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٣٣

(٤) قال الزعزعى فى قوله تعالى «حسبنا الله ونعم الوكيل» آل عمران :
١٧٣ . «حسبنا الله» محسبنا أى كافينا ، يقال : أحسبه لشيء إذا كفاه والدليل
على أنه بمعنى المحسب أنك تقول : هذا رجل حسبك ، فتصنف به النكرة ، لأن
إضافته لكونه فى معنى اسم الفاعل غير حقيقية .

الكشاف ١ / ٤٤٢

(٥) الدر المصون ١ / ٥٠٨

(مَلَيْكَ)

اسم فعل بمعنى الزم ، منقول من الجار والمجرور ، وقد ورد ذكره في ثلاث آيات من القرآن الكريم هي :

قوله تعالى : والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ، (١) .

وقوله تعالى ، يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبشكم بما كنتم تعملون ، (٢) .

وقوله تعالى ، قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إصلاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، (٣) .

فـ «عليكم» في قوله تعالى «كتاب الله عليكم» اسم فعل بمعنى : الزموا كتاب الله على أن كتاب منصوب على الإغراء بعلينكم ، والتقدير : عليكم كتاب الله أي : الزموا ، وهذا على رأي الكوفيين حيث أجازوا تقديم معمول اسم الفعل عليه ، أما البصريون فيمنعون ذلك ويؤولون الآية على أن «كتاب» منصوب لأنه مصدر ، والعامل فيه فعل مقدر . والتقدير كتب كتاباً الله عليكم ، وإنما قدر هذا الفعل ولم يظهر لدلالة ما تقدم عليه (٤) .

(١) سورة النساء الآية ٢٤

(٢) سورة المائدة الآية ١٠٥ (٣) سورة الانعام الآية ١٥١

(٤) الإنصاف ١ / ٢٢٨ - ٢٣٥ ، مسألة رقم ٢٧ ، البيان في غريب إعراب

القرآن ١ / ٢٤٨ ، اتلاف النصرة : ٢٤ ، ٣٥

قال أبو البقاء : « كتاب » منصوب على المصدر بكتب مجذوفة دل عليه قوله « حرمت » (١) لأن التحريم كتب ، وقيل : انتصابه بفعل محذوف تقديره : الزموا كتاب الله و عليكم « إغراء » .

وقال الكوفيين : هو إغراء والمفعول مقدم ، وهذا عندنا غير جائز لأن عليكم وبابه حامل ضعیف ، وفي التقديم تصرف ... إلخ (٢) .

وأما « عليكم » في قوله تعالى « عليكم أنفسكم » فالجمهور على أنها اسم فعل نأي : الزموا أنفسكم .

قال الزحشرى : « عليكم » من أسماء الفعل بمعنى : الزموا لإصلاح أنفسكم ، ولذلك جزم جوابه (٣) .

وقال ابن الأنباري : « أنفسكم » منصوب على الإغراء ، أي : احفظوا أنفسكم كما تقول : عليك زيداً ، ولا يضركم في موضع الجزم لأنه جواب « عليكم » وكان ينبغي أن يفتح آخره إلا أنه أتى به مضموماً تبعاً لضم عاقبته (٤) .

وأما « عليكم » في قوله تعالى « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » .. فقيل : إنها اسم فعل على أن يكون الكلام قد تم عند قوله « ربكم » ثم ابتدأ فقال « عليكم » ألا تشركوا ، أي الزموا نفي الإشراف وعدمه .

(١) سورة النساء آية ٢٣ . قال تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » ... الآية

(٢) الإملاء على الفتوحات الإلهية ٢ / ٢٢٦ ، وينظر أيضاً : المقتضب ٣ / ٢٠٣ ، البحر المحیط ٣ / ٥٨٤ ، الدر المنصون ٢ / ٣٤٥ ، شرح المصباح البدرية ٢ / ١١٣ ، أوضح المسالك ٤ / ٨٨ .

(٣) التفسير ١ / ٦٨٦ ، وينظر أيضاً : البحر المحیط ٤ / ٣٨٨ ، الدر المنصون ٢ / ٦٢٣ .

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٣٠٧ .

قال ابن الأنباري: ... ويجوز أن تقف على قوله «ربكم» ثم تبتدىء وتقرأ «عليكم ألا تشركوا» أي: عليكم ترك الإشراك، فيكون «ألا تشركوا» في موضع نصب على الإغراء بـ «عليكم» (١) واستبعد أبو حيان ذلك فقال: وهذا بعيد لتفكيك الكلام عن ظاهره (٢) وضعفه السمين فقال: وهذا ضعيف لتفكيك التركيب عن ظاهره، ولأنه لا يقدر إلى الذهن (٣).

(مَكَانَكَ)

اسم فعل أمر بمعنى اثبت (٤). منقول من ظرف المكان، وقد ورد ذكره في آية واحدة وهي:

(١) قال ابن الأنباري قبل هذا الكلام: «ما» يجوز أن تكون اسماً موصولاً، وأن تكون استئنافية فإن كانت اسماً موصولاً كانت بمعنى الذي في موضع نصب لأنها مفعول «أهل» و«حرم ربكم» صاته، والعائد محذوف للتخفيف وتقديره: حرمه ربكم، و«ألا تشركوا» في موضع نصب على البدل من الجاء أو من «ما» ولا، زائدة وتقديره: حرم أن تشركوا. ويجوز أن تكون «ألا تشركوا» في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف، وتقديره: هو ألا تشركوا، ويجوز أن تكون «أن» بمعنى أي، ولا، نهي، وتقديره: أي: لا تشركوا، وإن كانت ما استئنافية كانت في موضع نصب بـ «حرم» وتقديره: أي شيء حرم ربكم، ويجوز أن تقف. إلخ. البيان ١ / ٣٤٩، وينظر أيضاً: الإملاء ٢ / ٦٥٢، البحر المحیط ٤ / ٦٨٦، حاشية الصبان على الأشموني ٣ / ٢٠٠.

(٢) البحر المحیط ٤ / ٦٨٦ (٣) الدر المصون ٣ / ٢١٥

(٤) فسره الزحشرى وابن الأنباري وأبو البقاء و«يرم بالرموا» قال أبو حيان: هذا ليس جيد، إذ لو كان كذلك لكان «مكانك» الذي هو اسم فعل يعدي كما يعتمد: «الرموا» ألا ترى أن اسم الفعل إذا كان الفعل لازماً كان اسم الفعل لازماً، وإذا كان متعدياً كان متعدياً. مثال ذلك: طيبك زيداً، =

قوله تعالى « ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم
موشركاؤكم فزعلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم لئانا تبعدون . . » (١)

قال ابن يعيش ؛ وقالوا : مكانك بمعنى : اثبت . قال الله تعالى « مكانكم
أنتم وشركاؤكم » فأكد الضمير في « مكانكم » حيث عطف عليه الشركاء ، فهو
كقولك : اثبتوا أنتم وشركاؤكم (٢) .

وقال السمين : « مكانكم » اسم فعل ، فسرهُ النحويون بأثبتوا فيتحمل
ضميراً ، ولذلك أكد بقوله « أنتم » وعطف عليه « وشركاؤكم » (٣) .

(هَا أَوْ هَاء)

هذه الكلمة تكون فعلاً واسم فعل أمر ، ومعناها في الحالين : خذ ،
فإن كانت اسم فعل ففيها لغتان : القصر على أنها ثنائية مثل ؛ صه ومه ،
والمد على أنها ثلاثية مثل ؛ خاف وهاب .

وقد وردت هذه الكلمة في آية واحدة هي ؛

بقوله تعالى « فأما من أوتي كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه » (٤)
نقال ابن يعيش ؛ اعلم أن ها من الأصوات المسمى بها الفعل في الأمر ،

لما ناب متاب الهم تدى ، وإليك لما ناب متاب : تنح لم تبعه ، ولنكون
« مكانك » لا يتعدى قدره النحويون : اثبت ، واثبت لا يتعدى ، البحر المحيط
٤٩/٦١ . واتمس السمين للعذر طويلاً بأنهم يقصدون تفسير المعنى : حيث قال :
والعذر لمن فسره بذلك - أى الزموا - أنه قصد تفسير المعنى « الدار المصون »
٢٧ / ٤

- (١) سورة يونس ٢٨ (٢) شرح الفصل ٧٤/٤
(٣) الدار المصون ٢٦/٤ ، وينظر الكشف ٣٤٣/٢ . البيان في غريب
أعراب القرآن ١/١١٠ . الإملاء ٣/٢٢٨ . الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٧٢٠
(٤) سورة الحاقة الآية ١٩

ولمستأه يأخذ وتناول ونحوهما ، ومنهم من يجعله ثنائياً مثل : ضه ومه ،
وتلحقه كاف الخطاب فيقال : هاك يا رجل ، هاك يا امرأة ، وهاكا للمثني .
المذكور والمؤث ، وهاكم وهاكن ، فالإسم ها وفيه ضمير بحسب المخاطبين .
إلا أنه لا يظهر ذلك الضمير ، والكاف حرف خطاب لا موضع له من
الإعراب . . . ومنهم من يقول : هاء بهمزة بعد الألف يجعله ثلاثياً كخاف .
وهاب ، ويفتح الهمزة مع المذكر ويكسرهما مع المؤنث . . ويكون فيه ضمير
مستتر ، فإن ثنى أو جمع ظهر نحو : هاؤما وهاؤم . قال الله تعالى : هاؤم .
اقرأ كتابيه ، وفي جماعة المؤنث : هائن ، وهذه أجود لغاتها . وبها ورد
الكتاب العزيز . . إلخ (١) .

وقال السمين : هاؤم ، أى خذوا . وفيها لغات . وذلك أنها تكون
فعلاً صريحاً ، وتكون اسم فعل ، ومعناها في الحالين : خذ ، فإن كانت
اسم فعل وهى المذكورة فى الآية الكريمة فقيا لغتان : المد والقصر .
ثم قال : فقلوه «هاؤم» يطلب مفعولاً وهو «كتابه» يتعدى إليه بنفسه
إن كان بمعنى خذ أو اقصد . ويلى إن كان بمعنى : تعالوا ، و «اقرأوا»
يطلبه أيضاً ، فقد تنازعا فى «كتابه» وأعمل الثانى (٢) واختلف فى مدلولها ؛
فالمشهور أنها بمعنى : خذوا ؛ وقيل : معناها : تعالوا فيتعدى يلى ، وقيل :

(١) شرح المفصل ٤/٢ ؛ بتصرف .

(٢) قال الومشري : «كتابه» منصوب بـ «هاؤم» عند الكوفيين . وعند
البصريين : «اقرأوا» لأنه أقرب للعاملين . وأصله : هاؤم كتابيه اقرأوا كتابيه .
لحذف الأول لدلالة الثانى عليه . الكشف ٤/٦٠٢

قال ابن مالك : مذهب البصريين ترجيح إعمال الثانى على الأول . ومذهب
الكوفيين العكس وماذهب إليه البصريون هو الصحيح لأن إعمال الثانى أكثر
فى الكلام من إعمال الأول ، وموافقة الأكثر أولى من موافقة الأقل . . إلخ ؛
شرح التيسيل ٢/١٦٧ . والمسألة بتمامها فى الإيضاف ١/٨٠ - ٨٦ مسألة رقم ١٣

هي كلمة وضعت لإجاية الداعي عند الفرج والنشاط ٧٠ إلخ (١) :

(هَاتِ)

وردت هذه الكلمة في أربع آيات من القرآن الكريم وهي ؛
قوله تعالى « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك
أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (٢) .

وقوله تعالى « أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » (٣) .

وقوله تعالى « أم يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض
أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (٤) .

وقوله تعالى « وزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعملوا
أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون » (٥) .

قيل ؛ إنها اسم فعل أمر بمعنى ؛ أخفّر أو أخطّئ وناولني ؛
قال ابن يعيش ؛ ومن ذلك - أى من أسماء أفعال الأمر - هات الشيء أى
أعطنيه ، وهو اسم لأعطني وناولني ونحوهما ، وهو مبنى لوقوعه موقع
الأمر ، وكسر لا لتقاء الساكنين ؛ الألف والتاء ، وقال بعضهم ؛ هو من
آتى يؤاتى ، والهاء فيه بدل من الهمزة ٧٠ إلخ (٦) .

وقيل ؛ إنها فعل - وهو الصحيح -

(١) القبر المصون ٦ / ٣٦٥ وينظر شرح الكافية قرطبي ٢ / ٦٩ ، البحر

المحيط ١ / ٢٦٠ ، ارتشاف الضرب ٣ / ١٩٩

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ (٣) سورة الانبياء الآية ٢٤

(٤) سورة البقرة الآية ٦٤ (٥) سورة القصص ٢٥

(٦) شرح المفصل ٤ / ٣٠

قال أبو البقاء : « هاتوا » فعل متعد إلى مفعول واحد ، وتقديره
أحضروا (١) .

وقال السمين : اختلف في هات على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه فعل ، وهذا هو الصحيح لاتصاله بالضمائر المرفوعة
البارزة نحو : هاتوا ، هاتى ، هاتيا ، هاتين (٢) .

الثانى : أنه اسم فعل بمعنى أحضر .

الثالث : وبه قال الزحشرى (٣) أنه اسم صوت بمعنى ها التى بمعنى
أحضر .

ثم قال : وأصل هاتوا : هاتوا فاستثقلت الضمة على الياء لحذفت فالتقى
ساكنان ، لحذف أولهما : وحذف ما قبله لمجانسة الواو ، فصار هاتوا (٤) .

وغلظ الأئمة من مدّ هات من أسماء الأفعال . وقال : إنه فعل
لوجوب اتصال ضمير الرفع البارز به (٥) .

(١) الإملاء على الفتوحات ٢٣٢/١ .

(٢) قال ابن منظور . يقال : هات يا رجل بكسر التاء أى : أعطنى .
وللاتين : هاتيا مثل آتيا . والجمع : هاتوا . وللرأة : هاتى بالياء ، وللرأتين :
هاتيا . وللنساء : هاتين مثل : عاطين .

اللسان ٤٧٣٢/٦ (هيت) .

(٣) الكشف ١٧٨/١ .

(٤) الدر المصون ٣٤٤/١ .

(٥) شرح الأئمة بحاشية الصبان ٢٠٥/٣ وقد ذكرت كلامه وكلام الصبان
في الحديث عن : تعال .

(هَلَمْ)

اسم فعل أمر عند الحجازيين ، وفعل عند التميميين ، ذُكرت في آيتين
عن القرآن الكريم هما :

قوله تعالى : « قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن
شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين
لا يؤمنون بالآخرة وهم يبدلون » (١) .

وقوله تعالى : « قد يعلم الله المعوقين منكم والقاتلين لإخوانهم هلم إلينا
ولا يأتون البأس إلا قليلا » (٢) .

قال سيبويه : في باب (ما لا تجوز فيه نون خفيفة ولا ثقيلة) : وذلك
الحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل ، وذلك نحو : إليه وصه ومه
وأشبابها ، وهلم في لغة أهل الحجاز كذلك . ألا تراهم جعلوها للواحد
والاثنتين والجمع والمذكر والأنثى سواء . وقد تدخل الخفيفة والثقيلة في هلم
في لغة بني تميم . لأنها عندهم بمنزلة : رُدَّ ورُدَّا ورُدَّى واردة كما تقول :
هلم وهلمنا وهلمى وهلمن . والهاء فضل . إنما هي ما أتى للتنبيه . ولكنهم
حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم (٣) .

وقال المبرد : في باب (ما جرى مجرى الفعل وليس بفعل ولا مضند) :
ومنها : أى من أسماء الأفعال - ما يتعدى وهو قولك : عليك زيداً ،
ودونك زيداً إذا أغريته وكذلك : هلم زيداً ، فهذه اللغة الحجازية ، يقع
هلم فيها موقع ما ذكرنا من الحروف فيكون للواحد والاثنتين والجمع على
لفظ واحد كأخواتها المتقدّمات . قال تعالى : « والقاتلين لإخوانهم هلم

(١) سورة الانعام ١٥٠ .

(٢) سورة الاحزاب ١٨ .

(٣) الكتاب ٣/ ٥٢٨ .

إلينا ، فأما بنو تميم فيجعلونها فعلاً صحيحاً ، ويجعلون الهاء زائدة .. إلخ (١) .
قال ابن جني : وأعلى اللغتين الحجازية ، وبها نزل القرآن (٢) .

وقال ابن يعيش بعد ذكره مذهب أهل الحجاز : وهو القياس ، وبه ورد التنزيل ، وإنما كان هو القياس لأنه قد قامت الدلالة على أنه اسم وليس القياس في الأسماء أن تتصل بها علامة الضمير المرفوع ، إنما ذلك للأفعال والذي يدل على خروجه من حكم الأفعال مخالفتهم مجراه في لغتهم ، لأن لغتهم أن يقولوا للواحد : ألم يَظهر التضعيف نحو : اردد واشدد ، فلما ركبوه مع غيره وسموا به خرج عن حكم الفعل ، فلم يظهر فيه علامة ثنية ولا جمع .

ثم قال بعد ذكره مذهب بنى تميم : واعلم أن بنى تميم وإن كانوا يجرونها بجرى الفعل في اتصال الضمير بها لشدة شبهها بالفعل وإفادتها فائدة الفعل فبنى عندهم أيضاً اسم للفعل ، وليست مبنية على أصلها من الفعلية قبل التركيب والضم ، والذي يدل على ذلك أن بنى تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف ، فمنهم من يُقْبِص فيقول : رُدُّ بالضم وقرُّ بالكسر وعَضُّ بالفتح ، ومنهم من يكسر على كل حال ، ومنهم من يفتح على كل حال ، ثم رأيتهم كلهم مجتمعين على فتح الميم من هلم ، وليس أحد يكسرها ولا يضمها ، فدل ذلك على أنها خرجت عن طريق الفعلية وأخلقت اسماً للفعل نحو : دونك ورويدك وعندك (٣) .

وتستعمل هلم متعدية بمعنى : أخفِر وقرَّب ، وقاصرة بمعنى : أقبل .
قال ابن يعيش : وهى - أى هلم - تكون على وجهين : متعدية وغير

(١) المقتضب ٢٠٧/٣ .

(٢) الخصائص ٣٨/٣ .

(٣) شرح المفصل ٤٧/٤ وذكر ذلك أيضاً ابن جني في الخصائص ٣٨/٣ .

متعدية ، فالمتعدية نحو قولهم : هلم زيدا بمعنى : قربه وأخفزه ، فتكون
كها ، قال الله تعالى : هلم شهداءكم (١) ، وغير المتعدية قولك :
هلم يا زيد بمعنى : آيت وأقرب ، قال الله تعالى : هلم إلينا (٢) فعده بصرف
الجر . الخ (٣) .

وأصل هلم عند الخليل وسيبويه (٤) : هاضمت إليها : لم أمرأ من لم الله
شعته أى جمعه والمعنى عليه فى هلم ، لأنه أجمع نفسك إلينا ، ثم حذفت
ألف ها لكثرة الاستعمال ، وذهب القراء : إلى أنها مركبة من : هل إلى
الزجر ومن أم أمرأ من الأم وهو القصد ، وقيل : هى على لفظها تدل على
معنى هات ، قال القرطبي : وفى كتاب العين للخليل : أصلها : هل أو هم ،
أى ، هل أقصدك ثم كثر استعمالهم إياها حتى صار المقصود بقولها :
احضر ، كما أن تعال أصلها أن يقولها المتعالى للمتسافل ، فكثر استعمالهم
إياها حتى صار المتسافل يقول للمتعالى : تعال (٥) .

قال السمين : جمهور البصريين على أنها مركبة من ها التى للتنبيه ، ومن
المم أمرأ من لم يلم ، الخ ، حيث ذكر المذاهب كلها ثم قال : وقد رُدَّ
كل واحد من هذه المذاهب بما يطول الكتاب بذكره من غير فائدة (٦) .

(١) سورة الأنعام ١٥٠ .

(٢) سورة الأجواب ١٨ .

(٣) شرح المفصل ٤٣/٤ ارتفاع الضرب ٢١٠/٣ البحر المحيط ٦٨٣/٤

الدر المصون ٢١٢/٣ .

(٤) الكتاب ٥٢٩/٣ قال : والهاء فضل . إنما هى ها التى للتنبيه . ولكنهم

حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٦٤٩/٣ .

(٦) الدر المصون ٢١٢/٣ وينظر أيضاً فى هلم عموماً : معانى القرآن للأخفش .

٢٩٠/٢ المختص ٢٠٢/٣ المسائل المضديات ٢٧٨ لخصائص ٣٧/٣ الكشف

(هَيْتَ)

تستعمل هيت اسماً للفعل الماضى بمعنى تيات ، واسماً لفعل الامر بمعنى ؛ أقبل أو تعال ، وتستعمل فعلاً بمعنى تيات ، وذلك بحسب اللغات التى وردت فيها .

وقد وردت هذه الكلمة فى آية واحدة هى ؛

قوله تعالى : وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وظفقت الأبواب . وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه بى أحسن مشاوى إنه لا يفلح الظالمون ، (١) .

قال ابن جنى : فيها لغات : هَيْتَ لك ، وهَيْتَ لك ، وهَيْتُ لك ، وهَيْتِ لك ، وكلها أسماء سمي بها الفعل بمنزلة ؛ صه ومه وإيه فى ذلك . ومعنى هيت وبقية أخواتها ؛ أسرع ويادر . . .

ثم قال : وأما : هَيْتُ (٢) بالهمز وضم التاء ففعل ، يقال فيه : هَيْتُ (٣) أى هَيْتَةً كَهَيْتُ أَجْبَى جَهَنَّمَ أى : تهيات ، وقالوا أيضاً : هَيْتُ ، أهأك كَهَيْتُ أخاف ، هذا بمعنى خذ . . . وأما : هَيْتُ لك ففعل صريح كَهَيْتُ لك ،

== ٧٧/٢ ؛ ٥٢٩/٣ الإملاء على الفتوحات الإلهية ٦٥٠/٢ شرح المفصل ٤١/٤ ، شرح الكافية لرضي ٧٢/٢ لسان العرب ٦٩٤/٦ (هلم) المستوفى ١٠٤/١ ، ارتشاف الضرب ٢٠٩/٣ البحر المحيط ٦٨٣/٤ ، الدر المنون ٤٠٧/٥ . شرح اللمحة البدرية ١١٣/٢ شرح الاثنتونى ٢٠٦/٣ .

(١) سورة يوسف ٢٣

(٢) قوائم من القراءات التى وردت فيها ، وكذلك : هَيْت . المحتسب

٣٣٧/٢

(٣) الهيئة : الحالة الظاهرة . يقال : هاء جوء زهى . هيئة حسنة إذا صار إليها ، المصباح للنور ٨٨٨/٢ (هيا) .

كقولك : أَصْلَحْتُ لَكَ ، أَى : فدونك ، وما انتظارك ؟ واللام متعلقة بنفس :
هَيَّئَتْ وَهَيَّئَتْ وَهَيَّئَتْ كمتعلقها بنفس علم لك ، وإن شئت كانت خبر
مبتدأ محذوف ، أَى : إرادتى لذلك ، فأما هَيَّئْتُ لَكَ وَهَيَّئْتُ فاللام فيه متعلقة
بالفعل نفسه كقولك : أَصْلَحْتُ لَكَذَا وَصَلَّحْتُ لَكَذَا^(١) .

وقال أبو البقاء : قوله تعالى « هَيَّئْ لَكَ » فيه قراءات :

إحداها : فتح الهاء والتاء وياه بينهما ، والثانية : كذلك إلا أنه يكسر
التاء ، والثالثة : كذلك إلا أنه يضمها ، وهى لغات فيها ، والكلمة : اسم
للفعل ، فمنهم من يقول : هو خير معناه : تهيأت ، وبنى كما بنى شتان ،
ومنهم من يقول : هو اسم للأمر ، أَى : أقبل وهلم ، فمن فتح طلب الحقة ،
ومن كسر فعل التفاء الساكنين مثل : جبر ، ومن ضم شبهه بحيث ، واللام
على هذا التبيين مثل التى فى قولهم : سقياً لك ، والقراءة الرابعة : بكسر
الهاء وهزمة ساكنة وضم التاء ، وهو على هذا فعل من هاء يهأ مثل شاء
يشاء ، ويهأ مثل : فاه يفهأ ، والمعنى : تهيأت لك ، أو خلقت ذا هيئة لك ،
واللام متعلقة بالفعل ، والقراءة الخامسة : هَيَّئْتُ لَكَ ، والسادسة : بكسر
الهاء وسكون الهزمة وفتح التاء ، والأشبه أن تكون الهزمة بدلا من الياء ،
أو تكون لغة فى الكلمة التى هى اسم للفعل ، وليست فعلا ، لأن ذلك
يوجب أن يكون الخطاب ليوسف عليه السلام وهو فاسد لوجهمين :
أحدهما : أنه لم يتهأ لها ، وإنما هى تهيأت له ، والثانى . أنه قال « لك »
ولو أراد الخطاب لكان . هتلى (٢) .

(١) المحتب ١/ ٣٢٧ ، ٣٣٨ .

(٢) الإملاء على الفتوحات ٣/ ٣٢٧ وينظر أيضاً : البيان فى غريب إعراب
القرآن ٢/ ٣٧ شرح الفصل ٣٢/ ٤ الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٣٤٨٥ البحر المحيوط
٢/ ٢٥٦ ، ارتشاف الضرب ٣/ ٢٠١ ، لند المصون ٤/ ١٦٧ ، المغنى ٢٩٣ .

(هَيَاتَ)

اسم فعل ماضى بمعنى ، بعد ، وفيها لغات كثيرة أيضاً ، وورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين في آية واحدة هي :

قوله تعالى : هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تَوَعَدُونَ ، (١) .

قال الفارسي : هَيَاتَ اسم سمي به الفعل في الخبر ، كما أن رويد في مثل : رويد زيداً وعليك ونحوهما أسماء سمي بها الفعل في الأمر .

ثم قال : فأما إعراب الاسم الواقع بعدها في قولهم : هَيَاتَ أَنْ يَكُونَ كَذَا ، وهَيَاتَ كَرْنَ كَذَا فَرَفَعَ بَأْتَهُ فاعِلٌ ، فأما هَيَاتَ نَفْسَهَا فَلَا مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الْإِهْرَابِ فِي قَوْلٍ مِنْ لَمْ يَجْعَلْهَا ظَرْفًا ، كَمَا لَا مَوْضِعَ لِقَوْلِنَا : ذَهَبَ مِنْ ذَهَبَ زَيْدٌ وَقَامَ عَمْرُو ، وَالْأَسْمَاءُ الَّتِي بَعْدَهَا مَرْفُوعٌ فِي الْقَوْلَيْنِ بَأْتَهُ فاعِلٌ ، فَأَمَّا مَا فِي التَّنْزِيلِ مِنْ قَوْلِهِ هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تَوَعَدُونَ ، فَفِيهِ ضَمِيرٌ فاعِلٌ ، وَذَلِكَ الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى الْإِخْرَاجِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وَأَنْتُمْ مَخْرُجُونَ ، (٢) .
التقدير : هَيَاتَ هَيَاتَ إِيخْرَاجَكُمْ ، أَيْ . بَعْدَ ذَلِكَ وَامْتَنِعْ عَلَى نَحْوِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ إِنْكَارِهِمُ الْبَيْعَ وَالْإِحْيَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ : فَالتقدير : بَعْدَ إِيخْرَاجِكُمْ لَوْعَدِكُمْ لِأَنَّ الْوَعْدَ عِنْدَهُمْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا . . . إلخ (٣) .

قال ابن هشام : اختلف في قوله تعالى : أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مَخْرُجُونَ . هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تَوَعَدُونَ ، فَقِيلَ . اللام زائدة ، وما . فاعِلٌ ، وَقِيلَ : الْفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَقَرٌّ رَاجِعٌ إِلَى الْبَيْعِ أَوِ الْإِخْرَاجِ

(١) سورة المؤمنون ٣٦ .

(٢) سورة المؤمنون ٣٥ ، قال تعالى : (أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مَخْرُجُونَ) .

(٣) المسائل النضديات ١٦٧ - ١٧٣ . يتصرف .

خالام للتين . وقيل : هيات مبتداً بمعنى البعد . والجار والمجرور :
خير^(١) .

هذا وقد جمع السمين^(٢) ما قيل في هيات إذ ذكروا فيها لغات كثيرة
تزيد على الأربعين مما يضيق المقام عن ذكره .

(وَى)

اسم فعل مضارع بمعنى : أعجب ، وردت في القرآن الكريم مرتين في
آية واحدة هي :

قوله تعالى « وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله
يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لحسف بنا
ويكأنه لا يفلح الكافرون »^(٣) .

قال الشيخ خالد : وا ، ووى ، وواهاً كلها بمعنى : أعجب بفتح
الهمزة .

كتوله تعالى « ويكأنه لا يفلح الكافرون » ، قوى : اسم فعل مضارع
بمعنى : أعجب لعدم فلاح الكافرين هذا قول الخليل وسيبويه^(٤) .

(١) المثنى ٢٩٣ .

(٢) الدر المصون ١٨٣/٥ وينظر أيضاً : الكتاب ٢٩١/٣ المختضب ١٨٢/٣
المحلب ٩٠/٢ الخصائص ٤٣/٣ ، الكشف ١٨٦/٣ ، البيان في غريب إعراب
القرآن ١٨٤/٢ ، الإملاء على الفتوحات الإلهية ٥٦/٤ ، شرح المفصل ٦٥/٤ ،
شرح الكافية للرضي ٧٣/٢ المستوفى ١٥٥/١ ، ارتشاف الضرب ٢٠٧/٣ ،
البحر المحيط ٥٦٠/٧ شرح التصريح ١٩٦/٢ شرح الأشموني ١٩٩/٣ .

(٣) سورة القصص آية ٨٢

(٤) في الكتاب ١٥٤/٢ : وسألت الخليل رحمة الله تعالى عن قوله « ويكأنه »

وقال أبو الحسن: وى بمعنى: أعجب ، والكاف حرف خطاب ،
وقيل : الكاف للتشبيه بمعنى الظن ، فهما كلمتان .

وقال الكسائي : وى محذوفة من : ويلك ... إلخ (٢) .

قال الأشموني : لحذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وفتح أن بفعل
مضمر كأنه قال : ويلك أعلم أن .

وقال قطرب : قبلها لام مضمرة ، والتقدير ، ويلك لأن ، والصحيح
الأول (٢) .

= لا يفلح الكافرون ، ومن قوله تعالى جده « ويسكان الله » فزعم أنها وى
مفصلة عن كيان ، والمعنى وقع على أن القوم انتهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو
نهبوا قليل لهم : أما يهنبه أن يكون هذا عندكم هكذا ، والله تعالى أعلم ، وأما
المفسرون فقالوا ألم تر أن الله ؟

قال السيرافي ، في ويسكان ثلاثة أقوال :

أحدها : قول الخليل الذي ذكرناه ، تكون وى كلمة تندم يقولها المتندم
ويقولها المتندم لغيره ومعنى كأن التحقيق .

الثاني : قول الفراء ، تكون ويلك موصولة بالكاف ، وأن منفصلة ومعناها
عنده تقرير كقولك ، أما ترى ؟

والثالث : يذهب إلى أن ويلك بمعنى ويلك ، وجعل أن مفتوحة بفعل مضمر ،
كأنه قال : ويلك أعلم أن الله . هامش الكتاب ٢ / ١٥٤

(١) شرح التصريح ٢ / ١٩٧

(٢) قال الصبان : قوله : والصحيح الأول : أى كون وى اسم فعل بمعنى :
أعجب والكاف للتعليل بقرينة تقويته بكلام سيبويه .

شرح الأشموني بحاشية الصبان ٣ / ١٩٩

وقيل : إن «ويكأن» كلمة مستقلة بسيطة ، ومعناها : ألم تر؟ (١) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

(١) الدر المصون ٥ / ٣٥٤ . وينظر في ذلك أيضاً : الخصائص ٣ / ٤٢ ،
الكشاف ٣ / ٤٣٤ البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٢٢٧ ، الإملاء على
الفتوحات الإلهية ٤ / ١٥٨ ، شرح المفصل ٤ / ٧٦ الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٥٢٠٦ ،
ارتشاف الضرب ٣ / ١٩٩ ، البحر المحيط ٨ / ٣٢٩ ، الجنى الداني : ٨٤ ، المفتى :
٤٨٣ ، أوضح المسالك ٤ / ٨٣

أهم المصادر المراجع

- ١ - ائتلاف النصرة في اختلاف نخاة الكوفة والبصرة لعبد اللطيف
ابن أبي بكر الشرجي . ت د / طارق الجنابي . عالم الكتب .
مكتبة النهضة العربية .
- ٢ - ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان . ت د / مصطفى
الغساس . الطبعة الأولى .
- ٣ - الآمال الشجرية . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت -
لبنان .
- ٤ - الإملاء على الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين - مطبعة
عيسى البابي الحلبي .
- ٥ - الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري . ت / الشيخ
محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة المصرية - صيدا -
بيروت .
- ٦ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام . ت / الشيخ
محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة المصرية - صيدا -
بيروت .
- ٧ - البحر المحيط لأبي حيان ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- ٨ - البيان في غريب أعراب القرآن - الهيئة المصرية العامة
للكتاب .
- ٩ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الفد العربي .

١٠ - الجنى الدافى فى حروف المعانى للرادى - دار الكتب العلمية - بيروت .

١١ - حاشية الصبان على شرح الأشموني - دار إحياء الكتب العربية .

١٢ - الخصائص لابن جنى . ت / محمد على النجار ، الطبعة الثالثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٣ - الدر المصون للسفين الحلبي - دار الكتب العلمية - بيروت .

١٤ - شرح الألفية للأشموني - دار إحياء الكتب العربية .

١٥ - شرح التيسيل لابن مالك . ت د / عبد الرحمن السيد ، ود / محمد بدوي المختون . هجر للطباعة والنشر - الطبعة الأولى .

١٦ - شرح النصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى - دار إحياء الكتب العربية .

١٧ - شرح الكافية للرضى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٨ - شرح المححة البدرية لابن هشام . ت د / صلاح راوى - الطبعة الثانية .

١٩ - شرح المفصل لابن يعيش - عالم الكتب - بيروت .

٢٠ - القاموس المحيط للفيروزابادى - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢١ - الكتاب لسيبويه . ت / عبد السلام هارون - الطبعة الثالثة .

٢٢ - الكشاف للزحشرى - دار الريان للتراث .

٢٣ - لسان العرب لابن منظور - دار المعارف .

٢٤ - المحتسب لابن جنى . ت / على النجدى ناصف ، وعبد الفتاح

إسماعيل شلبي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الكتاب التاسع .

٢٥ - المسائل العضديات لأبي علي الفارسي . ت / شيخ الراشد - وزارة الثقافة - إحياء التراث العربي .

٢٦ - المستوفي لابن فرخان . ت د / محمد بنوى المختون - دار الثقافة العربية .

٢٧ - المصباح المنير للفيومي - الطبعة الخامسة - المطبعة الأميرية - بالقاهرة .

٢٨ - معاني القرآن للأخفش - ت / فخر فارس - الطبعة الثانية .

٢٩ - مفتي اليب لابن هشام . ت د / مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله - دار الفكر - الطبعة الخامسة .

٣٠ - المقتضب للبرد . ت / محمد عبد الخالق هضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

في اللغة والفرائد

للمكتبة محمد طه الدين

المقدمة

أحمدك بني حمدا يوافي نعمك ويكافئه مزيدك ، وأشهد ألا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك ، وصفيك وخلياك ، الرحمة للهداة ، والنعمة للسداة ، والسراج المنير الوهاج .

وبعد ، ، ،

قالقرآن الكريم كلام الله تعالى ، الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا تُحصى وجوه إعجازه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولقد كان ، ولا يزال منذ أن نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ، ليكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ، معينا لا ينضب ، وبحر لا ينفد ، وهو أعظم تبراس يستضيء به الدارسون ، ويهتدى به الموحدون ، وقصر كل قلم ولسان عن وصف

إبداع هذا البيان الخالد على مر الزمان والعصور ، تلاوته عبادة ، وتدبره هداية ، وفي العمل به كل سعادة ، ولهذا هي بيحوته الشريفة كثير من العلماء والتبلاء السعداء من القدماء والحديثين ، والاولين والآخرين ، طمعا في رحمته - سبحانه - وجهه ورضاه

والقرآن الكريم أول أصل من أصول التقعيد ، وفي رحاب الحفاظ عليه كانت نشأة علم النحو .

ولقد رأى العلماء أن النظر في إعراب القرآن الكريم من أقوى الوسائل إلى فهم معانيه وقرآته . فقاموا بالدراسة حوله ، وكرسوا جهدهم لحلمته ، فألقوا في إعرابه الكثير من الكتب ، حتى يتسنى للمسلم فهم المعاني بسهولة ويسر .

والله - عز وجل - قد تعهد بحفظ كتابه ، الذي نزل بلسان عربي مبين ، وفي هذا حفظ وبقاء للغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، قال تعالى :
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) :

ولما كان لبعض الحروف في اللغة العربية عدة استعمالات مما يكون له أثره على المعنى المراد في الآية القرآنية ، اخترت أحد هذه الحروف ، ألا وهو (ك) في اللغة والقرآن الكريم ، لما لها من أثر في بيان المعنى المراد ، ونظراً لخطأ كثير من الناس فيها ، لأنها تأتي تارة جارة ، وأخرى ناصبة ، وأحياناً محتملة للوجوهين .

وقسمت هذا البحث إلى مبحثين :

الاول : تناولت فيه : آراء النحاة واللغويين في (ك) ويتمثل ذلك في : أوجه استعمالات (ك) - احتمالها التعليل والمصدرية - آراء

(١) سورة الحجر : الآية (٩) .

النحاة فيها - الفصل بينها وبين الفعل - حكم تقديم معمول محمولها عليها - أحكامها - زيادتها - كما بمعنى كيا - إضمارها -

وفي المبحث الثاني : تناولت استعمالات (كي) في القرآن الكريم ، ثم ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

وكان منهجى في هذا البحث على النحو التالى :

١ - ذكر آراء النحاة فى المسألة التى أقوم بمناقشتها ، مرجحاً ما أراه راجعاً مع التعليل .

٢ - نسبة الآراء إلى أصحابها ، معتمداً فى ذلك على كتب أصحابها .

٣ - ذكر نص الآية التى وردت فيها (كي) ميّناً سورتها ورقها .

٤ - الضبط التام للنص القرآنى على ما يوافق رواية حفص عن عاصم .

٥ - ترتيب الآيات حسب ورودها فى القرآن الكريم .

٦ - القيام ببيان بعض المفردات الصعبة فى الآية ، مع عدم الإصراف فى ذلك كيلا يخرج البحث عن هدفه ، ثم أتبع ذلك ذكر آراء النحاة فى (كي) مناقشاً لتلك الآراء مرجحاً ما أراه راجعاً ، مع التعليل ، ثم تلوث ذلك بإعراب الآية .

٧ - تجنب التكرار فى مناقشة الآيات المتشابهة ، وذلك بالإحالة إلى أول نص ورد فيها فى القرآن الكريم .

٨ - مناقشة الآيات بما يتلاءم مع المعنى القرآنى ، مراعيًا ما تملبه قواعد النحو .

هذا وقد اعتمدت على مصادر ومراجع متنوعة تخدم البحث ، ويتمثل ذلك فى : كتب اللغة ، والنحو ، والقراءات ، والتفسير ، والدراسات القرآنية ، وهذا ألم آله جهداً فى إخراج هذا البحث المتواضع على هذه

العسيرة فاصداً بذلك المساهمة في خدمة لغة القرآن الكريم - لغة الضاد -
والإدلاء بدلوى في خدمة كتاب الله المجيد ، آملاً أن يفيد منه
الباحثون والدارسون .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ، وأن يكون
في ميزان حسناتي يوم القيامة ، إنه سميع مجيب ، وبالإجابة جدير ، وهو
على كل شيء قدير .

الدكتور

محمد أحمد عبد الوهاب المليجي

مدرس اللغويات بكلية اللغة العربية بالقاهرة

المبحث الأول

د كي في اللغة ، (٥)

نستعمل (كي) في اللغة العربية على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون اسماً مختصراً من كيف ^(١) ، كقول الشاعر ^(٢) :

(٥) انظر (كي) بالتفصيل في : البحر المحيط لأبي حيان ، والبيان في إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ، وتفسير النسفي ، والتوطئة ، وشرح الرمادي على الألفية ، والجداول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود حافي ، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي ، وتفسير الطبري ، والجنى الداني للبرادي ، وحاشية محيي الدين شيخ زاده على البيضاوي ، والحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين لمهدي عطية مطر ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ عزيمة ، والدر المصون للسمين الحلبي ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، وشرح الكافية للرضي ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ، وشرح ابن الناطم على الألفية ، وشرح ابن عقيل ، وقطر الندى ، والمقرب لابن عصفور ، والكشاف للزمخشري ، والكتاب لسيبويه ، والمقضب للبرد ، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيس ، ومغني اللبيب لابن هشام ، ومعجم الهوامع للسيوطي ... وغير ذلك من المصادر والمراجع التي لا تحيط الحديث بذكرها الآن .

(١) انظر : توضيح المقاصد والمسالك ٤ / ١٧٤ ، ومعجم الهوامع ٢ / ٥ ،

وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٣ / ١٥٣٤

(٢) هذا البيت من أبيات سيبويه ، لم ينسب لقال ، وهو من بحر البسيط =

أراد : كيف ، لحذف الفاء ، كما قال بعضهم : « سَوْ أَعْمَلُ » ، يريد : سوف (١).

الوجه الثاني : أن تكون بمنزلة لام التعليل معنى وعملا ، وذلك في أربعة مواضع :

١ - إذا دخلت على (ما) الاستفهامية ، كقولهم في السؤال عن العلة : « كَيْفَ ؟ »

بمعنى « لِمَ » ؟ (كي) جارة تعليلية ، وحجة البصريين لحرفيتها حذف ألف (ما) الاستفهامية ، ولا يحذف إلا إذا كانت في موضع جر ، واتصل بها الحرف الجار ، والهاء للسكت (٢).

٢ - إذا دخلت على (ما) المصدرية (٣) ، كقول الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَقَرُّ قَائِنًا
يُوجِبِي النَّقَى كَيْبًا يَفُزُّ وَيَنْفَعُ (٤)

== والشاهد : قوله (كي) . فإنه اسم مختصر من كيف .

أظنه في : توضيح المقاصد والمسالك ٤ / ١٧٤ ، وشرح ابن الناظم للألفية ص ٦٦٦ ، وشرح شواهد المنقح للسيوطي ٢ / ٥٥٧ ، والحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين ص ٤٨٩

(١) انظر : مغنى اللبيب ١ / ٣٠٩

(٢) انظر : الكتاب لسيبويه ٦ / ٣ ، وشرح ابن الناظم ص ٦٦٦ ، وجمع الموامع ٥١٢ ، وتوضيح المقاصد ٤ / ١٧٥ ، والحروف العاملة في القرآن الكريم ص ٤٧٨

(٣) انظر : توضيح المقاصد ٣ / ١٧٥ ، وشرح ابن الناظم ص ٦٦٦ ، وجمع الموامع ص ٢١٢ ، والجنى الداني ص ٢٧٦ ، ومغنى اللبيب ١ / ٣٠٩

(٤) اللبيب من الطويل ، وهو النابغة - وقيل : لقيس بن الخطيم - شاعر ==

أى : الضر والنفع ، فالمصدر مسبوك من (ما) والفعل ، و (كى) - جارة لا ناصبة - ، لأن الحرف المصدرى لا يدخل على مثله ، وقيل : (كى) مصدرية و (ما) كفتها عن النصب ، والمصدر المسبوك من (كى) والفعل مجرور بلام مقدرة (١) .

٣ - إذا دخلت على (أن) المصدرية مضمرة ، نحو : جئت كي أتعلم ، إذا قدرت النصب بـ (أن) ، ولا تكون (كى) مصدرية ، حتى لا يدخل الحرف المصدرى على مثله مع إمكان الإحراز عنه (٢) .

ولا تظهر (أن) المصدرية بعد (كى) إلا فى الضرورة ، كقول الشاعر :

وَقَالَتْ أَكَلُ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مَا مِمْحَا

إِسَانِكَ كَيْمَا أَنْ تَنْزُرَ وَتَحْدَعَا (٣)

= الأوس وأحد أبطالها فى الجاهلية ، وله فى وقعة بعاث التى كانت بين الأوس والخزرج أشعار كثيرة

المعنى : إذا لم يكن فى مقدورك أن تنفع من يستحق النفع والعون فضر من يستحق الضرر والإيذاء ، فإن الإنسان لم يقصد منه فى الحياة غير هذين العمليتين .
الشاهد : قوله ذكيا ، حيث جاءت ذكى ، جارة لدخولها على د ما ، المصدرية .

انظر : معجم الهوامع ٥١٢ ومغنى ، القليب ٣٠٩ / ١ ، وتوضيح المقاصد ١٧٥ / ٤ .

(١) انظر : مغنى القليب ٣٠٩ / ١ ، والحروف العامة فى القرآن الكريم ، ص ٤٨١ .

(٢) انظر : مغنى القليب ٣٠٩ / ١ وشرح ابن الناظم ص ٦٦٧ ، والجنى الدانى ص ٢٧٦ .

(٣) البيت من الطويل ، لجمل بن معمر ، وهو المعروف بجمل بثينة ، وبثينة ابنة عمه ، أحبا وتهاك في حبها ، ولكن لم يزوج منها . لأنه شب بها . فقطع حياته مثلها إلى أن مات فى سرقه غرامية ولوعة يأسه .
=

ووجوب الإضمار مذهب البصريين ، فقال سيبويه - رحمه الله - وأعلم
 بأن (أن) لا تظهر بعد (حق) و (مي) ، كما لا يظهر بعد (أما) الفعل
 في قولك : أما أنت منطلقاً انطلقت ، (١) .

أما الكوفيون فجوزوا إظهار (أن) بعد (كي) في السعة ، وقد أشار
 إلى ذلك الإمام السيوطي ، فقال : (٢) « وإضمار (أن) بعد الجارة على
 جهة الوجوب فلا يجوز إظهارها عند البصريين إلا في الضرورة ، وجوزها
 الكوفيون في السعة ، قال أبو حيان : والمخفوظ إظهارها بعد (كي)
 الموصولة بما ، كقوله : كَيْتاً أَنْ تَنْزِرَ وتخدما ، ولا أحفظ من كلامهم :
 جئت كي أن تكرمني ، أم .

فـ (كي) في البيت السابق حرف جر ، ويمتنع أن تكون ناصبة
 ثلثاً يدخل الحرف المصدرى على مثله مع إمكان الإحتراز عنه .

ويضعف أن تكون (أن) تأكيداً لـ (كي) ، لأن الأصل في حمل
 النصب لـ (أن) فلا تكون تأكيداً لما حمل عليها (٣) ، وبجيء (أن)
 بعد (كي) ضرورة أو قليل ، كما ذكرت آنفاً .

ولا فرق في تَمَيُّزها للجريين أن تكون (أن) ظاهرة كما في الشاهد
 السابق ، أو مضمرة كما في نحو : جئت كي أفهم ، إذا قدرنا أن الناصب
 للفعل هو (أن) المضمرة .

== والشاهد في قوله (كَيْتاً أَنْ تَنْزِرَ) حيث جمع بين (كي) و (أن) الضرورة
 الشعرية .

انظر : مفتي الباب ٣١١/١ ومع الوامع ٥١٢ وابن الناطم ص ٦٦٧ .
 حـ الكافية ٢٣٩/٢ والجنى الداني ص ٢٧٦ .

(١) انظر : الكتاب لسبويه ٧/٣ .

(٢) انظر : مع الوامع ٥١٢ ودراسات لاسلوب للقرآن ٤٣٠/٢ .

(٣) انظر : شرح التصريح على التوضيح ٢٣١/٢ .

٤ - إذا دخلت على اللام ، نحو : جئت كي لأتعلّم . ف (كي) هنا جارة
تعليلية ، واللام مؤكدة لها ، والفعل منصوب بـ (أن) مضمرة بعد
اللام ، ولا يجوز جعل (كي) ناصبة للمضارع ، وذلك للفصل بينها وبين
الفعل باللام .

فإذا وقعت (كي) قبل اللام تعيدت للجر ، وذلك عند سيبويه
والجمهور ، وهذا التركيب نادر ، نحو : جئت كي لأقرأ ، ونحو قول
حاتم الطائي :

وَأَوْفَدْتُ نَارِي كَمَا يُبْهِرُ صَوْدُهَا
وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَغَرَّ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ^(١)
وقول عبد الله بن قيس الزيات :

كَمَا إِدَّةُ ضَيْقِي دُفْعُهُ مَا وَعَدْتَنِي غَيْرَ مُخْلَاسٍ

فـ (كي) في هذين البيتين جارة تعليلية ، واللام مؤكدة لها ، والفعل
منصوب بـ (أن) مضمرة بعد اللام ، ولا يجوز أن تكون (كي) ناصبة ،
للفصل بينها وبين الفعل باللام ، ولا يجوز الفصل بالجار ولا بغيره ،
ولا يجوز أن تكون (زائدة) ، لأن (كي) لم يثبت زيادتها في غير هذا
الموضع ، فيحمل هذا عليه (٢) .

(١) هذا البيت من بحر الطويل . وقائله : حاتم بن عدى الطائي .
والشاهد : قوله « كي ليصر » ، فإن « كي » هنا تميم أن تكون حرفاً جارياً
للتعليل بمعنى اللام . لظهور اللام بعدها . وجمع بينهما لتأكيد . وهذه
التركيب نادر .

انظر : شرح السكافية للرضي ٢/٢٤٠ وتوضيح المقاصد للرازي ٤/١٧٩ .

(٢) انظر : معجم الهوامع للسيوطي ٥١٢ .

ومن الناحية من يرى أن اللام في نحو : « كى لتفضينى » زائدة أو بدل من (كى) (١) .

و (كى) في كل تخريج للام مقبولة للجر عند البصريين ، للفصل بينها وبين الفعل ،

الوجه الثالث : أن تكون بمنزلة (أن) المصدرية معنى وعلا ، وذلك إذا وقعت (كى) بعد اللام وليس بعدها (أن) كقولك : جئت لكى أتعلم ، وكذا في قوله تعالى : « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ » (٢) فاللام هنا جارة تعليلية و (كى) ناصبة مصدرية لا جارة لدخول حرف الجر عليها ، والجار لا يدخل على الجار في الفصيح بلا ضرورة تدعو إليه (٣) .

فـ (كى) من فواصب المضارع ، ومذهب سيبويه والأكثرين أنها حرف مشترك ، فتارة تكون حرف جر بمعنى اللام فتَقْوِمُ المَلَّةُ ، وتارة تكون حرفاً ينصب المضارع بعده ، واختلف هؤلاء :

فذهب سيبويه إلى أنها تنصب بنفسها ، وذهب الخليل والأخفش أن (أن) مضمره بعدها .

وذهب الكوفيون إلى أنها محضة بالفعل ، فلا تكون جارة للاسم ، وقل : إنها محضة بالإسم ، فلا تكون ناصبة للفعل .

واحتج من قال : إنها مشتركة ، بأنه سمع من كلام العرب : جئت لكى

(١) انظر : شرح الكافية ٢/٢٤٠ .

(٢) من الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٣) انظر : شرح ابن الأنازم من ٦٦٧ ومعجم البوامع ٢/٥ والجنى الداني

من ٢٧٧ ودراسات لاسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عضية ٢/٤٣٠ .

أتمم ، وسمع من كلامهم : كَيْتَمَةٌ ؟ ، فأما (لكى أتعلم) فهي ناصبة بنفسها
 لدخول حرف الجار عليها ، وليست (كى) فيه حرف جر ، لأن حرف
 الجر لا يدخل على حرف الجر ، وأما (كَيْتَمَةٌ) فهي حرف جر بمعنى اللام ،
 كأنه قال : لَيْتَمَةٌ ؟ :

ويوجه الاستدلال من هذا اللفظ أنه قد تقرر من لسان العرب أن
 (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر حذف ألفها ، نحو : هم ،
 ولم ، وقيم ، وعم ، فإذا وقف عليها جاز أن تلحقها هاء السكت (١) .
 وقد سبق أن أشرنا إلى المواضع التي يتعين فيها بأن تكون
 (كى) جارة .

احتمال (كى) التعليل والمصدرية :

تحتل (كى) أن تكون جارة تعليلية وناصبية مصدرية في موضعين :
 الأول : أن تقع متوسطة بين اللام و (أن) ، كقول الشاعر .

أَرَدْتُ لِكَيْمًا أَنْ تَطِيرَ زَيْرٌ بَقِي فَتَرَكَهَا شَنَا فَبَيْدَاءَ بِهَلَمٍ (٢)

(١) انظر : هجج البوامع ٥/٢

(٢) البيت من الطويل . وهو غير منسوب لقائل .

اللغة : تطير : تذهب بسرعة . شنا : القربة الخلق البالى . بيداء : المفازة .
 بلقع — بفتح الباء وسكون اللام وفتح القاف — قفر خالية من كل شيء .
 المعنى : يخاطب الشاعر طائرًا جارحًا أو سارقًا ماهرًا ، فيقول : رغبت أن
 تأخذ قريتي بسرعة وتتركها قطعة عمدة بصحراء لا يصل إليها إنسان .
 الشاهد : قوله : لكما أن تطير ، حيث يجوز أن تكون دكى ، مصدرية
 و دأن ، مؤكدة لها : وأن تكون تعليلية مؤكدة اللام : ولولا وجود دأن ،
 لوجب أن تكون دكى ، مصدرية : ولولا وجود اللام لوجب أن تكون
 تعليلية .

فـ (كى) إما تعليلية مؤكدة للآم ، أو مصدرية مؤكدة بـ (أن) ، ولا تظهر (أن) بعد كى إلا فى الضرورة ، أما فى السعة فلا ، كما ذكرت سابقاً (١) . ويترجح فى البيت كون (كى) جارة تعليلية مؤكدة للآم على كونها ناصبة مؤكدة بـ (أن) . لأن (أن) هى التى وليت الفعل ، وهى م الباب ، وما كان أصلاً فى بابه لا يجعل تأكيداً لما ليس أصلاً ، مع ما فيه الفصل بين الناصب والمنصوب ، وأيضاً لو جعلت (كى) ناصبة و (أن) مؤكدة لزم تقديم الفرع على الأصل .

الثانى : أن تنفرد عن اللام و (أن) (٢) نحو قوله تعالى :
 « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » (٣) .

فإن قدرت قبلها اللام فهى مصدرية ، وإن لم تقدر قبلها اللام فهى تعليلية ، فيكون الفعل على الأول منصوباً بـ (كى) نفسها ، وعلى الثانى منصوباً بـ (أن) مضمرة بعد (كى) ، والأولى أن تكون مصدرية (٤) . لأنه كثيراً ما يعرّج باللام قبل (كى) ، بخلاف (أن) فإن ظهورها بعد (كى) شاذ أو قليل .

= انظر : منفى اللبيب ١ / ٣١٠ ومجمع الهوامع ٢ / ٥ وتوضيح المقاصد ٤ / ١٧٨ وشرح السكاكية النافية لأن مالك ٢ / ١٥٣٣ وشرح السكاكية للرضى ٢ / ٢٣٩ .

(١) انظر : شرح ابن الناظم ص ٦٦٧ ومنفى اللبيب ١ / ٣١٠ ، ٣١١ ، ومجمع الهوامع ٢ / ٥ والجنى الدانى ص ٢٧٦ وشرح السكاكية للرضى ٢ / ٢٣٩ .

(٢) انظر الجنى الدانى ص ٢٧٧

(٣) من الآية ٧ من سورة الحشر

(٤) شرح التعرّيج ١ / ٢٣١

ويرجع كون (كى) ناصبة أيضا أن الإضمار خلاف الأصل ، أمّا حذف حرف الجر فهو مقيس قبل (كى) المصدرية .

ويجى (كى) ناصبة مصدرية وجارة تعليلية هو مذهب جمهور البصريين، أما الكوفيون فيذهبون إلى أنها ناصبة للفعل دائماً (١) ، ولا تقع جارة أبداً ، وقول البصريين هو القول الراجح لسلامته عما وجه إلى غيره من اعتراضات .

آراء النحاة فى (كى) .

اختلف النحاة فى (كى) ، أمى حرف مختص بالاسم ، أم هى حرف مشترك ، أم هى حرف مختص بالفعل ؟ فترام قد أنقسموا إلى ثلاثة مذاهب .

أولاً : مذهب الأخفش والخليل :

ذهب الخليل والأخفش إلى أنها لا تجىء إلا جارة ، وإذا وقع الفعل بعدها منصوباً فـ (بأن) مضمرة أو مظهرة ، و (كى) عندهما حرف مختص بالاسم ، فلا تكون ناصبة للفعل .

وردة نحو : « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ » (٢) .

فإن زعم أن (كى) تأكيد للام كقوله :

فَلَا وَاقِهِ لَا يُلْقَى لِمَا بِي

وَلَا لِلْمَكِينِ أَهْدَأَ دَوَاءَ

(٥) انظر : معجم البرامع ٥١٢ والجنى الدانى ص ٢٧٦ وشرح الكافية للإمام الرضى ٢٤٠/٣ وتوضيح المقاصد للبرادى ١٧٨/٤ والحروف العاملة فى القرآن الكريم ص ٦٦٢ .

(١) من الآية ٢٣ من سورة الحديد

رَدُّ بَأَنَّ الفصيح للقبس لا يُخْرَج على الشاذَّ ، لأن اجتماع حرفي جرٍّ عند
إمكان الإحتراز منه شاذٌّ (١) .

ثانياً . مذهب سيبويه والجمهور .

ذهب سيبويه والجمهور إلى أن (كى) حرف مشترك ، فتارة تكون
حرف جر بمعنى اللام فتفهم العلة ، وتُسمى (أن) بعدها ، وتارة تكون
حرفاً ينصب المضارع بعده (٢) .

أمّا دليل بجيئها جارة فقد تقدم ، وأمّا دليل بجيئها مصدرية فهو دخول
حرف التعليل عليها في نحو قوله تعالى . د لكىلا تأموا ، (٣) . ولصحة
حلول (أن) محلها .

فـ (كى) في الآية وفي نحو قولهم . جئت لكى أتعلم ، ناصبة
بنفسها لدخول حرف الجر عليها ، لأن حرف الجر لا يدخل على الجر
إلا شذوذاً .

هذا عند سيبويه والجمهور ، وقد تبين (كى) للجر أو النصب في
مواضع ، وتتمثل إحداهما في مواضع أخرى ذكرناها آنفاً .

ثالثاً : مذهب الكوفيين :

يرى الكوفيون أن (كى) ناصبة دائماً ، ويردّه قولهم : كَيْتُهُ ؟ ،
كما يقولون : رَيْتُهُ ؟ ، وقول حاتم :

(١) انظر : معنى اللبيب ١ / ٣١٢ والحروف العاملة في القرآن الكريم
ص ٨١ وتوضيح المقاصد والمسالك ٤ / ١٧٨ وشرح الكافية للإمام الرضى
٣ / ٢٣٩ وجمع الهوامع ٢ / ٥ .

(٢) انظر : جمع الهوامع للسيوطى ٢ / ٥ .

(٣) من الآية ٢٣ من سورة الحديد .

وَأَوَدَّتْ نَارِي كَيْ يُبْعَرَ صَوْدُهَا
وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَفَوَّ فِي التَّيْتِ دَاخِلَهُ

لأن لام الجر لا تفصل بين الفعل وناصبه .

وأجابوا عن الأول : بأن الأصل : كَيْ يَفْعَلْ مَاذَا ؟ فيلزمهم كثرة الحذف ، وإخراج (ما) الاستغماية عن المدد ، وحذف ألفها في غير الجر ، وحذف الفعل المنصوب مع بقاء عامل النصب ، وكل ذلك لم يثبت (١) .

ولا يخفى أيضا ما في هذا التأويل من التكلف .

وإن أعوا أن حذف المنصوب وبقاء ناصبه قد ثبت في صحيح البخاري في تفسير قوله : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ » (٢) فيذهب كيما فيعود ظهره طبقا واحدا ، أي : كما يسجد .

فقد قال ابن هشام معقبا على ذلك : « إنه غريب جداً لا يحتمل القياس عليه » (٣) .

الفصل بين (كي) والفعل :

إذا فصل بين (كي) والفعل لم يطل عملها ، خلافا للكسائي نحو : جئت كي فيك أرغب ، والكسائي يجزئه بالرفع لا بالنصب ، قيل : والصحيح : أن الفصل بينها وبين الفعل لا يجوز في الاختيار إلا بـ (لا)

(١) انظر : مفتي اليب لابن هشام ٣١٢ / ١ ، والجنى الباقى ص ٢٧٦ ،

٢٧٧ .

(٢) القيامة ٢٢

(٣) انظر : مفتي اليب ٣١٢ / ١ والجنى الباقى ص ٢٧٧

أو بـ (ما) الزائدة ، أو بهما معاً ، نحو : أرضي ربك لكما لا تفشل (١) .
 قال أبو حيان : وأجمعوا على أنه يجوز الفصل بينها وبين معمولها بـ (لا) ،
 النافية نحو : دكيلا يكون دولة ، وبـ (ما) الزائدة ، وبهما معاً ،
 وأما الفصل بغير ذلك فلا يجوز عند البصريين وهشام ومن وافقه .
 من الكوفيين في الإختيار ، وجوزوه الكسائي بمعمول الفعل الذي دخلت
 عليه ، وبالقسم ، وبالشرط ، فيعطل عملها ، فتقول : أدورك كي .
 والله تزور (٢) .

تقديم معمول معمولها عليها :

منع الجور تقديم معمول معمولها عليها ، فلا يقال : جئتك ويدا
 كي تضرب ، لأن (كي) المصدرية من الموصولات الحرفية ، ومعمول
 الصلة لا يتقدم على الموصول ، أما الكسائي فأجاز ذلك . نحو : د جئت
 النحو كي أعلم (٣) .

وتقديم معمول معمول (كي) له عدة صور أشار إليها السيوطي -
 رحمه الله في الجمع . فقال (٤) : د وتقدم معمول معمولها بمنوع . وله
 ثلاث صور :

-
- (١) انظر : توضيح المقاصد والسالك ٤ / ١٧٩ والجمع ٥ / ٢ ودراسات
 لاسلوب القرآن الكريم ٢ / ٤٣٠
 - (٢) انظر : جمع البوامع ٢ / ٥ والحروف العاملة في القرآن الكريم بين
 النحويين والبلاغيين ص ٦٦٣
 - (٣) انظر : توضيح المقاصد للرازي ٤ / ١٧٨ وشرح الكافية في النحو للإمام
 الرضوي ٢ / ٢٤٠ ودراسات لاسلوب القرآن الكريم ٢ / ٤٣٠ وتسهيل الفوائد
 وتكامل المقاصد لابن مالك ص ٢٠٣
 - (٤) انظر : جمع البوامع ٦ / ٢

إحدهما : تقدمه على المفعول فقط ، نحو : جئت كي أنعلم .
 الثانية : على (كى) (١) والمفعول ، نحو : جئت النحو كي أنعلم .
 الثالثة : على (كى) وعاملها (٢) ومفعولها أيضا نحو : النحو جئت
 كي أنعلم .
 وعلة المنع : في الأول للفصل ، وفي الثانية والثالثة أن (كى) من
 الموصولات ومفعول الصلة لا يتقدم على الموصول ، ١٥ .

أحكام (كى) :

تأخير المفعول :

من أحكام (كى) أنه لا يتمتع تأخير مفعولها ، فيجوز أن تقول : كى
 تكرمنى جئتكم ، سواء كانت الناصبة أم الجارة . وذلك أنها في المعنى مفعول
 من أجله ، وتقدم المفعول من أجله سائغ (٣) .

زيادة (كى) :

ذكر السيوطى أنه لا يجوز أن تكون زائدة ، ولا يجوز أن تكون
 تأكيداً (٤) لـ (أن) .

وقد رجح بعض النحاة كونها جارة إذا لم تقترن باللام ، أو إذا ظهرت
 (أن) بعدها ، فإن اقترنت باللام فهي الناصبة للفعل ، وإن تجردت فالنصب
 لـ (أن) المضمر (٥) .

(١) في الهمع ٦/٢ : « على كى فقط ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الهمع ٦/٢ : « على المفعول أيضا ، ولعل الصواب ما أثبتته

(٣) انظر : همع الهوامع ٥/٢

(٤) السابق نفسه .

(٥) انظر : الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين

ص ٦٦٣ ، ٦٦٤

كما بمعنى كيا :

أثبت الكوفيون من بحروف النصب (كا) بمعنى (كيا) ، ووافقهم المبرد (١) ، واستدلوا بقول الشاعر :

وطرفك إما جئتفا فأصرفته

كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر (٢)

وأنكر ذلك البصريون وتأولوا ما ورد على أن الأصل (كيا) حذف. باؤه ضرورة ، أو الكاف الجارة كفت بـ (ما) ، وحذفت النون من الفعل ضرورة (٣).

(١) انظر : توضيح المقاصد والمسالك للرازي ١٧٩/٤ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١٥٣٥/٣

(٢) قاله : جميل بن معمر ، وقيل : ليبيد العامري . وهو من الطويل .

الفة : طرفك — يفتح الطاء — العين ، والمعنى : وعينك

الإعراب : (طرف) : مبتدأ والكاف مضاف إليه ، (إما) : أصله (إن) . (ما) ، و (إن) : للشرط ، و (ما) : زائدة . (جئتفا) : فعل وفاعل ومفعول . وهو فعل الشرط ، (فأصرفته) : الفاء واقعة في جواب الشرط ، والضمير المنصوب يرجع إلى الطرف ، والجملة كلها في موضع الرفع على الخبرية (الهوى) : اسم إن (حيث تنظر) : خبر أن . وأن مع اسمها وخبرها سدت سد المفعولين . ليحسب .

الشاهد : قوله (كما يحسبوا) حيث إن (كما) تعصب بنفسها بمعنى كيا ، واستدل به الكوفيون والمبرد . وعلامة للنصب سقوط النون . والصحيح ما ذهب إليه البصريون . وهو المنع ، ويحتمل أن تكون النون حذفت للضرورة . أو يكون الأصل (كيا) لحذفت الياء للضرورة .

انظر : توضيح المقاصد ١٧٩/٤ وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١٥٣٥/٣

(٣) مع البوامع ٦/٢

وقد جاء الفعل بعدها مرفوعا في قوله : لا تشتم الناس كما لا تشتم (١) .

إضمار (كى) :

فيه ابن هشام في المغنى (٢) إلى : « أنه إذا قيل : جئت لثكرمنى ، بالنصب ،
فالنصب بـ (أن) مضمرة ، وجوز أبو سعيد كون المضمرة (كى) ،
والأول أولى ، لأن (أن) أمكن في عمل النصب من غيرها ، فهي أقوى
على التجويز فيها بأن تعمل مضمرة » ١٨٠ .

وقد أشار ابن الناطم أيضا في شرحه على الألفية إلى أن الراجع والأولى
أن يكن المضارع منصوبا بـ (أن) مضمرة (٣) .

أما قولك : « جئت كى أعلم » و « جئت كى تُحسِنَ إلى » وذلك إذا
وقع الفعل بعد (كى) لا اللام ، فالوجه أن تكون (كى) مصدرية ناصبة
للمضارع ، ولام الجر قبلها مقدرة : وذلك لكثرة وقوع اللام قبلها ؛
كفوله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم » (٤) ؛ وحرف الجر لا يدخل

(١) قاله : هو رؤية بن العجاج ، وهو من الرجز .

المعنى : إنك إن شتمت شتمت وإذا لم تشتم لم تشتم ، ولعلك إن لم تشتم لا تشتم .
الإعراب : (لا) تامة (تشتم) فعل مضارع مجزوم بلا ، وحرك بالكسر
لالتقاء الساكنين ، والفاعل ضمير مستتر فيه (الناس) مفعول به (كما) ما . كافة
(تشتم) فعل مضارع مرفوع بالضمة الطاهرة ، والفاعل ضمير مستتر فيه .

الشاهد : قوله (كما لا تشتم) حيث وقع الفعل بعد قوله (كما) ولم ينصب ،
فقال الكوفيون : لأنها لم تكن بمعنى (كذا) ، فلذا لم تنصب ، وقال البصريون :
هذا على أصله ، لأن (كما) ليست من النواصب .

انظر : توضيح المقاصد والمسالك للبرادى ٤ / ١٨٠ ، والكافية للرضي
٢ / ٢٤٠ ، ومعجم المواع ٢ / ٦ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٣ / ١٥٣
(٢) انظر : مغنى اللبيب ١ / ٣١٢ .

(٤) الحديد : من الآية (٢٣)

(٣) شرح ابن الناطم ص ٦٦٧

على مثله ولا يباشره إلا في ضرورة قليلة؛ وإنما يدخل على اسم : إما صريح
أو مؤول به .

فلولا أن (كى) هنا مع الفعل بمنزلة المصدر ما جاز أن تدخل عليها
اللام ، ويجوز في (كى) مع الفعل إذا كانت مجردة عن اللام أن تكون
الجارّة والفعل بعدها منصوب بـ (أن) مضمرة ، كما ينتصب بعد اللام ،
بدليل ظهور (أن) بعد (كى) في الضرورة ، كقول الشاعر :

فَقَاتَ : أ كُلِّ النَّاسِ أَصْهَحَتْ مَا مِثْلًا
إِيَّانَكَ كَمَا أَنَّ يُنْزَرُ وَمَخْدَمًا ؟^(١)

(١) انظر : شرح ابن الناطم على الألفية ص ٦٦٧ ، ومع المراجع
للسيوطي ٤ / ٥ .

المبحث الثاني

(كى) فى القرآن الكريم

بعد أن تناولنا آراء النحاة واللغويين فى (كى) الناصبة للمضارع بالبحث والدراسة ، ننتقل إلى المبحث الثانى ، وهدفنا فيه توثيق ما ذكره النحاة واللغويون ، وتطبيق ذلك على آيات الذكر الحكيم من خلال دراستنا لمواضع (كى) فى القرآن الكريم ، وقد التزمت بما يأتى :

١ - استقصاء مواضع (كى) فى القرآن الكريم ، ومناقشة كل موضع من هذه المواضع ، وذكر رأى الراجح .

٢ - ذكر كل ما تحتمله (كى) الناصبة من ناحية الإستعمال ، هل تتعين ناصبة ؟ أو يحتمل أن تكون جارة ؟ ومن ناحية الموقع الإعرابى ، هل تتعين لموقع معين أولاً ؟ وذكر ذلك من خلال ما يوائم المعنى القرآنى دون النظر إلى صاحب رأى أو اتهمته إلى مذهب بعينه .

٣ - مناقشة كل استعمال ورد لـ (كى) فى القرآن الكريم ، مع ذكر آراء النحاة واختيار ما أراه راجحاً .

وبعد أن ذكرنا آراء النحاة فى (كى) وأن بعضهم يراها ناصبة دائماً ، وبعضهم يراها جارة دائماً ، وآخرون يهوزون بينها جارة وناصبية ، نأتى إلى تناول الآيات التى وردت فيها (كى) فى القرآن الكريم بالبحث والدراسة .

وإذا مرضنا هذه الآيات على مذهب سيدييه والجمهور نراها تتعين
لأن تكون حرفاً مصدرياً ناصباً للضارع إذا دخلت عليها اللام الجارة ،
إذا الجار لا يدخل على الجار ، وذلك في الآيات الآتية :

١ - قوله تعالى : « فَأَنَابَكُمْ فَأَقَامَ يَمِينَهُمْ لَكُمْ تَحْتَهُ وَأَمَّا أَتَسْكَبُونَ »
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١) .

فقوله (لكيلاً) اللام لام كى ، وهى لام جر والنصب هنا بـ (كى)
لثلاث يلزم دخول حرف جر على مثله ، وثق متعلق هذه اللام قولان :

أحدهما : أنه (فأنا بكم) ، وفى (لا) على هذا وجهان .
الأول : أنها زائدة ، لأنه لا يترتب على الاعتماد انتهاء الحزن .
والمعنى : أنه غمهم ليحزنهم عقوبة لهم على تركهم مواقعهم .
الثانى : أنها ليست بزائدة .

القول الثانى : أن اللام تتعلق بـ (عفا) (٢) ، لأن عفوه أذهب
كل حزن (٣) .

وقد أشار أبو البقاء العكبرى إلى زيادة (لا) أيضاً فقال (٤) : « قيل :
(لا) زائدة ؛ لأن المعنى أنه غمهم ليحزنهم عقوبة لهم على تركهم مواقعهم . »

(١) آل عمران : الآية ١٥٣ .

(٢) فى الآية السابقة ، وهى قوله تعالى : (ولقد عفا عنكم ذوقه فضل على
المؤمنين) سورة آل عمران من الآية ١٥٢ .

(٣) انظر : التبيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء العكبرى ١ / ٣٠٢ والدر
المصون للسمين الحلي ٣ / ٤٤٣ وجامع البيان لابن جرير الطبرى ٣ / ١٣٤ ، ١٣٥ ،
وتفسير النسفى ١ / ٦٢ وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١ / ٧٤٩ .

(٤) التبيان ١ / ٣٠٢ .

وقيل : ليست زائدة، والمعنى على نقي الحزن عنهم بالتوبة، و (كى) ههنا
هى العاملة بنفسها لأجل اللام قبلها، ٥١.

٢- قوله تعالى: «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَفَى لَا يَنْتَهِمَ
بِنَدَاهُمْ شَيْئًا» (١).

أردل العمر: آخره الذى تقسد فيه الحواس، ويختل اللفظ والفكر،
وخص بالرديلة، لأنه حال لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد (٢).

وقد أشار الإمام الزعفراني في الكشف (٣) إلى أن أردل العمر :
أخسه وأحقره، وهو خمس وسبعون سنة عن على رضى الله عنه، وتسعون
سنة عن قتادة، لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم.

قال أبو حيان (٤): «واللام فى (لكيلا) قال الحوفي: هى لام (كى)
دخلت على (كى) للتوكيد، وهى متعلقة بـ (يرد)، فيكون بذلك قد
ذهب مذهب الاخفش فى كون (كى) جارة و (أن) مضرة بعدها،
والذى ذهب إليه محققو النحاة فى مثل (لكي): أن (كى) حرف مصدرى
إذا دخلت عليها اللام، وهى الناصبة كـ (أن) واللام جارة، فينسبك
من (كى) والمضارع بعدها مصدر مجرور باللام تقديراً، فاللام على هذا
لم تدخل على (كى) للتوكيد. لاختلاف معناهما واختلاف عملهما: لأن
اللام مشعرة بالتعليل و (كى) حرف مصدرى واللام جارة و (كى)
ناصبته، ٥١.

(١) النحل: ٧٠

(٢) انظر البحر المحيط ٥٦٢/٦

(٣) الكشف ٦١٩/٢، وانظر: زاد المسير ٦٤٧/٤، والنسفي ٣١٤/٢

(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٥٦٢/١٦

الإعراب :

اللام حرف جر (كي) حرف مصدرى ونصب (لا) نافية (يعلم) مضارع منصوب والفاعل (هو) ، (بعد) ظرف زمان منصوب متعلق بـ (يعلم) ، (علم) مضاف إليه مجرور (شيئا) مفعول به للبصدر (علم) ، ومفعول (يعلم) ضمير مستتر يعود على (شيئا) على سبيل التنازع ، وقد يصح العكس على مذهب الكوفيين (١) .

وقد ردّ السمينُ الحلبي في تفسيره رأى الكوفيين ، فقال (٢) : وقوله : (شيئا) يجوز فيه التنازع . وذلك أنه تقدمه حاملان : يَعلَمَ وعِلِمَ فعلى رأى البصريين - وهو المختار - يكون منصوبا بـ (علم) ، وعلى رأى الكوفيين يكون منصوبا بـ (يعلم) وهو مردود . إذ لو كان كذلك لأضمر في الثاني . فكان يقال : لكيلا يعلم بعد علم إياه شيئا ، اهـ .

٣- قوله تعالى : « وَمِنْكُمْ مَنْ بَرَدُ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا » (٣) .

المعنى : (لكيلا يعلم) أى : ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في اللسان ، وأن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه ، فلا يعلمه إن سئل عنه ، وقيل : يرجع إلى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الأمور لفرط الكبر ، وقد قيل : هذا لا يكون للنؤمن : لأن المؤمن لا ينزع عنه علمه : وقيل المعنى : لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا وقيل : لئلا يعلم زيادة علم على علمه .

(١) انظر ، الجدول في إعراب القرآن وعصره - المجلد السابع ص ٢٩٣

(٢) الدر المنون ٧ / ٢٩٤ ، وانظر : جامع البيان الطبري ١٤٢ / ٨ ، وحاشية

شيخ زاده على البيضاوى ١٨٩ / ٣

(٣) سورة الحج : الآية (٥)

وقال القرطبي (١) : والمعنى المقصود : الاحتجاج على منكرى البعث ،
أى الذى رده إلى هذه الحال قادر على أن يبعثه ثم يبعثه ، اهـ .

الإعراب : (لكيلا) اللام حرف جر ، و (كي) حرف مصدرى
ونصب (لا) حرف نفي (من بعد) متعلق بـ (يعلم) ، والمصدر المؤول
(كيلا يعلم) فى محل جر باللام متعلق بـ (يرد) (٢) .

٤ - قوله تعالى : « فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُهَا يَكْتِلَا
يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ
وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا » (٣) .

فـ (كي) : ناسبة مصدرية هندسيوية والجهور ؛ (لا) : نافية ،
وهى فاصلة بين الفاعل ومفعوله ، وقد ذكرنا أنه يجوز الفصل بلا بين
كى والفعل ، (على المؤمنين) متعلق بخبر (يكون) ، (حرج) : اسم
يكون ، وجملة (لا يكون ..) لا محل لها صلة المؤول الحر فى
(كي) (٤) .

٥ - قوله تعالى : « قَدْ عَلِمْنَا مَا قَرَضْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَكْتِلَا يَكُونَنَّ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا » (٥) .

فاللام فى (لكيلا) حرف جر ، (كي) حرف مصدرى ونصب (لا)

(١) تفسير القرطبي ١٠/١٤١ ، وانظر : تفسير أبى السعود ٦/٤٧ ،

وروح البيان ٦/٧

(٢) انظر : الجنول فى إعراب القرآن وصرفه - المجلد التاسع ص ٥٩

(٣) الأحزاب : ٣٧

(٤) انظر : الجنول فى إعراب القرآن وصرفه - المجلد العاشر ص ٢٦٤

(٥) الأحزاب : الآية ٥٠

نافية (عليك) متعلق بغير (يكون)، والمصدر المؤول (كي لا يكون...) في محل جر باللام متعلق بـ (أحللنا) (١).

٦- قوله تعالى: «لَسَوْفَ تَأْعَمُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَذَرْتُمُوهُم بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُبْدِي كُلَّ مِخْفَالٍ فَخُورٍ» (٢).

(لكيلا): اللام لام الجر: و (لا) نافية، و (تأسوا) منصوب بـ (كي) لا بتقدير (أن) بعدها، لأن اللام هنا حرف جر، لأن حرف جر وقد دخلت على (كي)، فلا يجوز أن تكون (كي) هنا حرف جر، لأن حرف الجر لا يدخل على حرف الجر والمصدر المؤول (كيلا تأسوا) في محل جر باللام، واللام متعلقة بما تعلق به (في) في قوله تعالى: «و في كتاب» (٣)، والتقدير: إلا مقدر في كتاب لكيلا تأسوا، وقيل: متعلقة بمحذوف، أي: أخبرناكم بذلك لتلاعننوا» (٤).

وجملة (تأسوا) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (كي)، وكذا جملة (فأتاكم) لا محل لها أيضاً صلة الموصول (ما) الأول، وجملة (تفرحوا) لا محل لها معطوفة على جملة (تأسوا)؛ وجملة (أتاكم) لا محل لها صلة الموصول (ما) الثاني، وجملة (واقه لا يجب...) لا محل لها استئنافية (٥).

(١) انظر: البحر المحيط ٢٤٢/٧، والجدول في إعراب القرآن - المجلد العاشر ص ٢٧١

(٢) الحديد: الآية ٢٣

(٣) في الآية السابقة، وهي قوله تعالى: «وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن تبراها إن ذلك على الله يسير».

(٤) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ٢/٢٤٤ - والبحر المحيط لأبي حيان ٢٢٥/٨

(٥) انظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه - المجلد الثاني عشر ص ٢٧٧

٧- قوله تعالى : « كَذَّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتِيَكُمُ كَيْفَ تَهْتَفُونَ مِنْ دُونِهِ وَيَجْعَلْ أَسْمَاءَكُمْ تَوَارًا تَمْشُونَ يَدًا وَيَغْفِرَ
لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَتَقَفَرُونَ عَلَى
فُتًى مِنْ تَفْضُلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ يَبْدَأُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ » (١) .

قرأ الجمهور « لئلا يعلم أهل الكتاب » ، وقد وضعت هذه الآية
هنا ، لأن هناك قراءة منسوبة إلى عبدالله بن عباس ، وهي : (كى
يعلم) ، وعنه أيضا (لكيلا يعلم) ، وعن عبدالله بن جبير وعكرمة :
(لكى يعلم) (٢) .

و (كى) فى القراءتين (لكيلا - لكى) تتعين هند سيويه والجمهور
للمصدرية لدخول الجار عليها (اللام) ، وقوله (لكيلا) متعلق بمضمون
الجملة الطلبية المتضمنة معنى الشرط ، إذ التقدير : إن تتقوا الله وتؤمنوا
برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب ، أى ؛
ليعلموا ، و (لا) مزيدة ، كما ينبنى منه قراءة (ليعلم) و (لكى يعلم)
و (لأن يعلم) (٣) .

بجى (كى) محتملة للتعليلية والمصدرية :

جاءت (كى) محتملة لأن تكون حرفا مصدريا ناصبا للمضارع ، وأن
تكون جارة وتضمير (أن) بعدها على مذهب سيويه والجمهور فى الآيات
القرآنية الآتية ؛

(١) الحديد : الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) انظر : البحر المحيط لآبى حيان ١٠ / ١١٧ ، وتفسير روح البيان

٣٨٦١٩

(٣) انظر : تفسير أبى السعود ٦ / ١٤٢

١ - قوله تعالى : « أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى . وَأَشْرِكُهُ فِي أُمْرِى . مَنِ
نَسَبُكَ كَثِيرًا » (١) .

فـ (كى) فى الآية القرآنية تحتل أن تكون مصدرية ، وأن تكون
جارية ، وذلك عند سيبويه والجمهور .

فإذا عددناها جارة كانت (أن) مضمرة بعدها ، والفعل منصوب
بـ (أن) المضمرة . أما الأخفش فلا يراها إلا جارة ، وكذلك الخليل .
والنصب يكون بـ (أن) مضمرة ، كما وضعنا فى المبحث الأول ، وجمهور
الكوفيين لا يرونها إلا ناصبة .

وعلى ذلك فـ (كى) حرف مصدرى ونصب ، و (كثيرًا) نعت لمصدر
محذوف ، تقديره : تسبيحك كثيرًا . أو نعت لوقت محذوف . تقديره .
لسبيحك وقتًا طويلًا (٢) .

٢ - قوله تعالى : « قَرَّبْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ » (٣) .

فـ (كى) هنا محتملة أن تكون ناصبة للمضارع . وأن تكون جارة
والمضارع بعدها منصوب بـ (أن) المضمرة . وكون (كى) ناصبة
أرجح . لأن الإضمار خلاف الأصل .

٣ - قوله تعالى : « قَرَّبْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ وَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ وَلَسْكَنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (٤) .

(١) - سورة طه : الآيات ٣١ - ٣٣

(٢) انظر : التبيان فى إعراب القرآن ٢ / ٢٩٠ ، والتبيان فى غريب إعراب

القرآن ٢ / ١٤٢

(٣) سورة طه ، الآية ٤٠

(٤) سورة القصص : الآية ١٣ .

ف (كى) ناصبة . ويجوز كونها جارة . أما كونها ناصبة فهو الراجح .
و (تقر) منصوب بها ، وجملة (كى تقر) في تأويل مصدر في محل جر
بلام مقدره متعلق بـ (رددناه) (١)

٤- قوله تعالى : « مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَخْلِ الْقُرَى فَطُورِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَقَامَى وَالسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ
لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ أَرْسُولٌ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (٢)

ف (كى) حرف مصدرى ونصب ، (لا) حرف نفي ، واسم (يكون) ضمير يعود على النفي ، و (بين) ظرف زمان متعلق بنعت لـ (دولة) .
والمصدر (كيلا يكون) في محل جر بحرف جر محذوف هو اللام متعلق
بفعل محذوف . أى . جعل النفي كذلك لكي يكون (٣) .

(١) انظر : الجدول في إعراب القرآن وصرفه - المجلد الثامن ص ٣٠٠

(٢) سورة الحشر : الآية ٧

(٣) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه - المجلد الثامن ص ٣١٥

الخاتمة

نتائج البحث

بعد الدراسة التي قدمتها عن (كى) في اللغة واستعمالاتها في القرآن الكريم ، يمكننا أن نلخص النتائج التي توصلنا إليها فيما يلي :-
١ - لم تأت (أن) مظهرة بعد (كى) في القرآن الكريم .

٢ - لم ترد (كى) في القرآن الكريم متعينة للجر إلا بعد إختصار (أن) في نحو « كى تفر عينها » (١) عند سيوريه والجمهور ، على عكس الانقش الذي يراها متعينة للجر دائما ، ورأى الجمهور هو الراجح كما ذكرت .

٣ - ورد الفصل بين (كى) والفعل بـ (لا) زائدة أو نافية في آيات الذكر الحكيم على النحو الآتي :

ورد الفصل بـ (لا) الزائدة في الآية رقم (١٥٣) من سورة آل عمران باحتمال ، والآية رقم (٢٩) من سورة الحديد على قراءة ابن عباس وجاء الفصل بـ (لا) النافية في الآية رقم « ١٥٣ » من سورة آل عمران باحتمال ، والآية « ٧٠ » من سورة النحل ، والآية « ٥٠ » من سورة الحج ، والآيتين « ٣٧ ، ٥٠ » من سورة الأحزاب ، والآية « ٢٣ » من سورة الحديد .

٤ - جواز الفصل بين (كى) ومفعولها بـ (لا) النافية و (ما) الزائدة ، وقد ورد ذلك في آيات الذكر الحكيم كما ذكرت آنفا .

تم بحمد الله وفضله

(١) من الآية (٤٠) من سورة طه .

مصادر البحث ومراجعته

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الفراءى - دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٣ - البيان في غريب إهراب القرآن لأبي البركات الأنباري ت د / طه هيد الحميد طه الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٤ - الثيان في إهراب القرآن لأبي البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ ت / علي محمد الجاوي - عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٥ - تفسير القرآن الجليل للإمام النسفي - بيروت - لبنان .
- ٦ - التوطلة لأبي علي الشلويني - دراسة وتحقيق - رسالة ماجستير إهداء / يوسف أحمد المطوع بكلية دار العلوم ١٩٧٢ م .
- ٧ - تفسير روح البيان للإمام الشيخ / إسماعيل حقي البروسوي الناشر المكتبة الإسلامية .
- ٨ - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للرازي ت د / عبد الرحمن علي سليمان - ط ١ - ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٩ - الجدول في إهراب القرآن وصرفه - تصنيف / محمود صافي - مراجعة / لينه الحصى دار الرشيد - بيروت .
- ١٠ - جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الفكر ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

١١ - الجنى الداني في حروف المعالي للرازي / طه محسن ١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر .

١٢ - جواهر الأدب في معرفة كلام العرب لعلاء الدين بن عل الأربلي
تقديم السيد محمد مهدي - المطبعة الحيدرية ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م
١٣ - حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي -
المكتبة الإسلامية - تركيا .

١٤ - الحروف العامة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين
اعداد هاوي عطيه مطر - عالم الكتب - ط ١ - ١٤٠٦ هـ
١٩٨٦ م

١٥ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم - تأليف / محمد عبد الجالقي
هضيمة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م

١٦ - الترمضون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي -
ت د / أحمد محمد الخراط دار القلم - دمشق - ط ١ -
١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

١٧ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي - المكتب الإسلامي .
١٨ - شرح الكافية في النحو للإمام الرضي - دار الكتب العلمية
- بيروت - لبنان .

١٩ - شرح ألفية ابن مالك لابن الناطم ت د / عبد الحميد السيد محمد
عبد الحميد - دار الجيل - بيروت .

٢٠ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ت / الشيخ محمد محي الدين
عبد الحميد - مكتبة دار التراث - ط ٢٠ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

٢١ - شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة
٧٦١ هـ ت / محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر

٢٢ - شرح الكافية الشافية لابن مالك - حققه وقدم له د / غيد المنعم
مريدي - دار المأمون للتراث .

٢٣ - المقرب لابن عصفور د / أحمد عبد الستار الجرارى وعبد الله
الجبورى - مطبعة العائى بغداد - ط ١ - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م

٢٤ - الكشف للإمام الزمخشري - ترتيب وضبط / مصطفى حسين
أحمد - الناشر - دار الريان للتراث - ط ٣ - ١٤٠٧ هـ

١٩٨٧ م .

٢٥ - الكتاب لسيويه - شرح وتحقيق / عبد السلام محمد هارون -
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م .

٢٦ - المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - ت الشيخ / محمد
عبد الخالق عظيمه ١٣٩٩ هـ

٢٧ - مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسى - ت / ياسين
محمد السواس ، دار المأمون للتراث .

٢٨ - منى اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام - حققه وبوبه
ح . الفاخوري . دار الجليل بيروت - ط ١ - ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م

٢٩ - مع الحوامع شرح جمع الجوامع للإمام السيوطى المتوفى سنة
٩١١ هـ - تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني - دار المعرفة
للطباعة والنشر بيروت .

القسم الثالث

قسم البلاغة :

١ - « وراء »

مواضعها وأسرارها في نظم القرآن الكريم

د/ إبراهيم صلاح المدهد

٢ - الأثر النفسي للأسلوب البلاغي

د. / نعمان شعبان علوان

وراء مواضعها وإسراها

في نظم القرآن الكريم

بقلم الدكتور
إبراهيم صالح الظفر

توطئة :

إن تقدير مطارح لفظة ما ، وإبصار مواقعها في آيات الله هو من النصيحة لكتاب الله - عز وجل - ولا سيما ما اشتجر الخلاف في دلالة . وما من ريب في أن تحرير معاني الالفاظ في معجمات العربية قائم على إبصار مواضعها في سياقات كلام العرب وآيات الله والحكمة ، وذلك لأمر ظاهر قاهر ، هو أن السياق نوراً - ولا سيما في الكتاب العزيز - يشع في دلالة اللفظ ، يصير اللفظ فيه لؤلؤة منظومة في عقد من اللآلئ ، فإذا أبتها عن موضعها اغرطت حبات هذا العقد ، وانطفأ وهج تلك اللؤلؤة . وهو كلام يحتاج إلى تبيان وإيضاح بالرجوع باللفظ إلى سياقاته .

يذكر كثير من الأئمة أن « وراء » في القرآن تأتي بمعنى « بعد » ، « سوى » ، « خلف » ، « قدام » فلم تقع هذه الالفاظ في موقع « وراء » ، وأى جنابة على سبالة المعنى بوضع ما يقاب « وراء » في موضعها ؟ والسبيل

إلى الجواب هو تدمير وإبصار سياقاتها في الكتاب العزيز ، وهذه اللفظة التي
نبحر بها في الكتاب العزيز ، أو تبحر بنا هي ذات اعتلاق وثيق بقضية
الأضداد عند اللغويين ، وقد قال بالأضداد ناس وأنكره آخرون . والذين
قالوا بالأضداد هدوها ضرباً من المشترك اللفظي ، ولا يمكن عندهم أن
يجتمع الضدان في الصدق على شيء واحد ، ولا بد من استعمال اللفظ
ذو المعنيين المتضادين في لغة واحدة والأضداد عندهم من سنن العربية ،
والذين أنكروا زعموا أن في إثبات الأضداد طعناً في حكمة العرب
وبلاغتهم ، وأن ذلك يفضي إلى كثرة الالتباس في المحاورات والمخاطبات ،
وقالوا ما جاء على الوجه بالاتساع ، وأن يكون أحد المعنيين لحى من
العرب والآخر لحى غيره ثم أخذ بعضهم عن بعض ، وحججهم عقلية
كما ترى . ويبقى كلامهم منقوضاً حتى تقيمه البراهين اللغوية .

والذين قالوا بالأضداد أكثر . ذكر ابن فارس أن الأضداد من سنن
العرب ثم قال : وقد أنكروها قوم وليس بشيء محتجاً بما روى عن العرب ،
وقد ذكر السيوطي القائلين والمنكرين ، والذي يعني هنا هو رد القائلين أدلة
المنكرين ، فقد ردوا اعتراضهم بالالتباس في المحاورات والطعن في الحكمة
والبلاغة ، بأن ذلك مدفوع بالحكومة إلى السياق في ضبط دلالة معنى
اللفظ ، وهذا شأن العربية الأعظم في فقه المعنى قالوا : والجواب أن كلام
العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطأ
منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، لحاز وقوع اللفظة الواحدة
على المعنيين المتضادين ، لأنها تتقدمها ، ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية
أحد المعنيين دون الآخر ، فلا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى
واحد ، ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني
المختلفة ، وإن لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم
الحروف ، ويتأخر بعده بما يوضح تأويله ، وفي الفاظ كثيرة يطوله

إحضاؤها ، تصحيبها العزب من الكلام ما يدل على المعنى المخصوص منها .
وهذا العزب من الالفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب (١) وإيصار
اللفظ في سياقه هو الطريقة في فقه المعنى وهو واجب شرعى قال الشاطبي :-
رحم الله - المسافات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل ،
وهذا معلوم في علم المعاني والبيان ، فالذى يكون على بال من المستمع
والمستمع الالتفات إلى أول الكلام وآخره ، بحسب القضية وما اقتضاه
الحال منها لا ينظر في أولها دون آخرها ، ولا في آخرها دون أولها ، فإن
القضية ، وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض ، لأنها قضية واحدة
نازلة في شيء واحد ، فلا يحصى التفهم من رد آخر الكلام إلى أوله ، وأوله
على آخره ، وإذا ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف فإن فرق في
النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده (٢) .

دلالة وراء عند اللغويين والمفسرين :

الذى يراه ابن جني « أن همزة واء » يجب أن تكون مبدلة من حرف
هله ، لقولهم : توأريت عنك ، إلا أن اللام لما أبدلت همزة أشبهت الزائدة
في « ضيأة » ، فكأنك لو حقرت ضيأة لقلت : ضيئة ، فكذلك قالوا
في تحقير وراء : وريئة ، ويؤكد ذلك قول بعضهم فيها ورية . . .
وأما أبو هلى - رحمه الله - فكان يذهب إلى أن لامها في الأصل همزة -
وأنها من تركيب (وراء) وأنها ليست من تركيب (ورى) واستدل على
ذلك بثبات الهمزة في التحقير على ما ذكرنا ، وهذا - لعمرى - وجه من

(١) انظر هذا الموضوع في فقه اللغة وسر العربية ص ٢٤٧ ، المزهر في علوم
اللغة وأنواعها ٣٨٧/١ - ٤٠١ بتصرف ومقدمة في فقه اللغة العربية واللغات
السامية د/ البركاوي .

(٢) الموافقات في أصول الشريعة ٣/ ٣١٣

القول، إلا أنك تدخ منه الظاهر والقياس جنيهاً ، أما الظاهر ، فلاها في معنى توازيت ، وهذه اللام حرف علة لا همزة ، وأن تكون ياء واجب ، لتكون الفاء واواً ، وأما القياس فما قلناه : من تشبيه البدل بالواحد (١) ، وعلى هذا الظاهر جرت كتب اللغة ، فإن القويين يوردونها في مادة (ورى) والمادة ، دائرة حول معنى الستر ، فتواري : استتر ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد غزوا ورى بغيره ، وذلك إذا ستر خبراً وأظهر غيره ، والورى : الخلق قال الخليل : الورى الأنام الذين على وجه الأرض في الوقت ، ليس من معنى ولا من يتناسل بعدهم ، فكأنهم الذين يسترون الأرض بأشخاصهم .

وراء : إذا قيل : وراء زيد كذا ، فإنه يقال : لمن خلفه فهو قوله (ومن وراء إسحق يعقوب) (٢) - ارجسوا وراءكم (٣) - فليكونوا من وراءكم (٤) ويقال لما كان قدامه فهو : (وكان وراءهم) (٥) وقوله : (أؤمن وراء جدر) (٦) فإن ذلك يقال في أى جانب من الجدار ، فهو وراءه باعتبار الذى في الجانب الآخر ، وقوله : (وراء ظهوركم) (٧) أى خلفتموه بعد موتكم ، وذلك تبكيت لهم في أن لن يتوصلوا بما لهم إلى اكتساب ثواب الله تعالى به ، وقوله : (فنبذوه وراء ظهورهم) (٨) تبكيت لهم أى لم يعملوا به ، ولم يتدبروا آياته ، وقوله : (فن ابتغى وراء ذلك) (٩) أى من ابتغى أكثر مما بيناه وشرعناه ، من تعرض لمن يحرم التعرض له فقد تعدى

- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| (١) الخصائص ٢٨١/٣ ، ٢٨٢ | (٢) سورة هود الآية ٧١ |
| (٣) سورة الحديد الآية ١٣ | (٤) سورة النساء الآية ١٠٢ |
| (٥) سورة الكهف الآية ٧٩ | (٦) سورة الحشر الآية ١٤ |
| (٧) سورة الانعام الآية ٩٤ | (٨) سورة آل عمران الآية ١٨٧ |
| (٩) سورة المؤمنون الآية ٧ | |

طوره ، وخرق سنته ، (ويكفرون بما وراه (١)) اقتضى معنى ما بعده .

وأكثر ما يكون مجيئها بمعنى خلف وقدام في المواقف من الأيام والليالي ، لأن الوقت يأتي بعد مضي الإنسان فيكون (وراه) وإن أدركه الإنسان كان قدامه ، وشواهد هذه الاستعمالات من الشائع المستفيض في كلام العرب أوردت المعاجم طرفاً منها ، فلتراجع في مواضعها ، وقيل : الورا : أيضاً : ولد الولد ، وفي حديث الشعبي : أنه قال لرجل رأى معه صبياً : هذا ابنك ؟ قال : ابن ابني ، قال : هو ابنك من الورا ، قال لولد الولد : الورا (٢) .

وقد نازع في كونها من الأضداد ناس منهم الأمدى ، وهو يرد قول من يقول بأن «دون» من الأضداد مثل «وراء» بأن معنى «دون» التقصير عن الغاية ، وذلك يتأتى في الخلف والأمام .

ثم يقول : وكذلك «وراء» إنما هي من المواجهة والاستار ، فإستتر عنك فهو وراء : خلفك كان أو قدامك ؛ هذا إذا لم تره ولم تشاهده ، فأما إذا رأيته فلا يكون أمامك وراء ، وإنما قال لييد :

أليس ورائي إن تراخت مني
لنوم العصا تمنى عليها الأصابع

بمعنى أليس أمامي ، لأنه قال ذلك قبل أن يرى ويشاهد نفسه ، وقد لزم العصا وكذلك قول الله تعالى : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل

(١) سورة البقرة الآية ٩١

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن للراغب واللسان والقاموس المحيط والمصباح المنير مادة (ورى) .

حقيقة غصبا) قالوا : إنه كان أمامهم ، وصلح ذلك لأنهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه (١) .

وكلامه ظاهر في أن قرائن الحال والمقال ، هي الفاصلة في ضبط الدلالة ، وأن اللفظة بطبيعة وضعها اللغوي تطلق على المعنيين ، لذلك فقد أورد الشهاب الخفاجي كلامه السابق ، ثم بين أنه لا تعارض بين كلام الأمدى والبيضاوى ، قال : - رحمه الله - وهذا لا ينافي قول المصنف - رحمه الله تعالى - ولذلك يعد من الأضداد ، لأن معناه : أنه لما أطلق على « خلف » وقدم ، وهما ضدان عد ضدا تسمحا على عادة أهل اللغة وإن كان موضوعا لمعنى شامل لهما ، لأنه مصدر بمعنى السترفيما ، لكنه قد يستعمل بمعنى الساتر ، وقد يستعمل بمعنى المستور ، ولذا قال في القاموس : هو من الأضداد أولا ، وقيل : إنه مضاف إلى الفاعل مطلقا ، لأن الرجل يوارى ما خلفه على من هو قدامه ، وما قدامه على من هو خلفه ، (٢) .

فالقائلون بأن « وراء » من الأضداد ناظرون إلى المعاني التي تطلق عليها اللفظة ؛ وهي معان متضادة ؛ والرافضون ناظرون إلى أصل دلالة اللفظ ؛ وهما قولان متجاوزان متجاوزان ؛ وليس متناقضين متنافرين عند التحقيق كما سيأتى بيانه .

وقد تأول أئمة التفسير لفظ « وراء » بمعنى أمام ؛ ومعنى خلف في آيات الذكر الحكيم ؛ وقد وجدت ذلك عندهم مطردا فيما استقرت من التفاسير (٣) ؛ بيد أنى وجدت العلامة ابن عاشور دون غيره من المفسرين

(١) المواقفة ١/ ١٨٢ ، ١٨٣

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوى : ٢/ ٢٠٤

(٣) انظر في الآيات الواردة فيها « وراء » ، الكشف ، مفاتيح الغيب ، جامع القرطبي ، نظم الدرر البقاعى ، وفتح القدير للشوكاني ، وتفسير أبى السعود ، =

يجعل « وراء » بمعنى خلف أبداً ؛ فإذا ما تظاهر السياق بأن معناها « أمام » جعل ذلك من باب الاستعارة (١) ، ثم عد ما دونه كتب اللغة بأنه من غلط اللغويين لأنه منقول عن المفسرين ؛ ولم يرد ما أدوات المفسرين ؟ فهم حفاظ اللغة ورواة الأحاديث يقول : - رحمه الله - « وبعض المفسرين فسروا (وراء) ملك بمعنى أمامهم ملك ؛ فتوهم بعض مدوني اللغة أن وراء من أسماء الأضداد ، وأنكره القراء . وقال : لا يجوز أن تقول للذي بين يديك هو وراءك برد شديد . وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليال تقول : وراءك برد شديد . وبين يديك برد شديد . يعني أن ذلك على الجواز . قال الزجاج : « وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة (٢) » . والحق أن المنكرين هم البعض .

فاصلة :

الذي أبصرته في مواقع الكلمة في القرآن الكريم هو أن السياق إذا تظاهر على تحديد معنى « الخلف » في وراء . فإنه يضبط الدلالة بقرينة تصرف اللفظ إلى هذه . تدبر : (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم (٣) - فنبذوه وراء ظهورهم (٤) - واتخذتموه وراءكم ظهوريا (٥) - وترككم ما خولناكم وراء ظهوركم (٦) - قيل أجمعوا

== تفسير البيضاوى ، والشهاب على البيضاوى ، وبحر العلوم للسمرقندى ، والفتوحات الإلهية للشيخ اجل والساوى على الجلالين ، تفسير ابن كثير وأرقام الصفحات مذكورة فيما يرد في البحث في كل موضع .

- (١) انظر التحرير والتنوير في الآيات الواردة فيها « وراء » .
 (٢) التحرير والتنوير ١١/١٦ (٣) سورة البقرة الآية ١٠١
 (٤) سورة آل عمران الآية ١٨٧ (٥) سورة هود الآية ٩٢
 (٦) سورة الانعام الآية ٩٤

فالتسويوا نورا (١) - وأما من أوفى كتابه وراء ظهره (٢) لو لم تكن «وراء» دالة على والامام لما أضافها إلى الظهر ، وإنما أراد النظم أن يمحضها لهذه الجهة ، والذي يوقع ما أبصرته عندك موقعا حسنا أن لفظ (خلف) لم يضاف للظهر أبدا ، ولم يطلب قرائن تضبطه بهذه الجهة لأنه منضبط بها ، واستعمل مقابلا ليين أيديهم في أغلب المواطن (٣) وأظنك الآن تبصر ثراء «وراء» على خلف في المواطن التي استخدمت فيها وراء ، فما موقع كلام العلامة ابن هشور عندك الآن ؟

والقرائن المقالية أبدا تضبط المراد وتحدده . والبديع أن القرآن في سياقات استخدام «وراء» بمعنى «أمام» أو «قدام» يضع قرائن حالية ، ويترك القرائن اللفظية ، وذلك كقوله تعالى : (وكان وراءهم ملك - ومن ورائهم برزخ - من ورائه جهنم) .

فالقرائن الحالية والسياقية هي التي تغلب معنى الامام والقدام في «وراء» وهناك مواضع أخرى لا ترى فيها قرائن لفظية ولا حالية ، وذلك عندما يريد القرآن الجهتين كما سيأتي بيانه - إن شاء الله - في التحليل . فاحتياج وراء إلى قرائن في الجهتين دال على توضيحها لهما ، لذا ترد في بعض مواطن الذكر الحكيم مرادا بها الجهتان ، وهو مما يجعل لما ثراء في مواطنها على غيرها مما يقاربها ، على أنك تبصر أن الأشهر في استخدام (وراء) هو معنى الخلف . لذا تراه متواريا في معناها عند إيرادها في معنى الامام .

(١) سورة الحديد الآية ١٣

(٢) سورة الانشقاق الآية ١٠

(٣) أبصر في الكتاب العزيز: يونس ٩٢ ، البقرة ٦٦ ، ٢٥٥ ، آل عمران ١٧٠ ، النساء ٩ ، الزعد ١١ ، الأقوال ٥٧ ، الإعراف ١٧ ، مريم ٦٤ ، الانبياء ٢٨ ، طه ١١٠ ، يس ٤٥ ، فصلت ٤٢ ، الحج ٧٦ ، إلخ .

وبعد الإبحار في التأويل النظري لـ « وراه » نبحر في التأويل الجمالي
جـ « وراه » في الكتاب العزيز .

مواضع « وراه » في القرآن الكريم :

ذكر الشيخ عبد الحائق عضيمة (١) أنها وقعت في ثلاثة وعشرين
موضعا ، وقد وجدناها أربعة وعشرين موضعا (البقرة ٩١ ، ١٠١ -
آل عمران ١٨٧ - النساء ٢٤ ، ١٠٢ - الأنعام ٩٤ - هود ٧١ ، ٩٢ - إبراهيم
١٦ - ١٧ - الكهف ٧٩ - مريم ٥ - المؤمنون ٧ ، ١٠٠ - الأحزاب ٥٣ -
الشورى ٥١ - الجاثية ١٠ - الحجرات ٤ - الحديد ١٣ - الحشر ١٤ - المعارج
٣١ - الإنسان ٢٧ - الإنشقاق ١٠ - البروج ٢٠) وقد أضيفت في مواضعها
هذه ، وجرت بمن في اثني عشر موضعا منها .

مقامات استعمال « وراه » في القرآن الكريم :

استعملت وراه في الذكر الحكيم في مقامات كثيرة ، وتناولنا لها
بحسب المقامات لاستكشاف وفاتها بحق المقام والسياق الذي وردت
فيه بحيث لا يفي بحق المقام الذي جاءت فيه سواها . ولا يؤدي دورها
غيرها .

مقام الإعراض والغفلة :

وقد جاءت في هذا المقام في عدة مواضع الأول منها قوله تعالى : (ولما
جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب
كتاب الله وراه ظمورهم كأنهم لا يعلون - البقرة ١٠١) .

السياق الذي أحاط بالآية الكريمة من بين يديها ومن خلفها يتظاهر على
بيان إعراض اليهود عن نبيهم وكتابتهم ، وكل أمر الله بعامة (وإذا قال موسى

(١) راجع دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث ٧١٢/٢ ، ٧٧٨ ،

لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل...) (واذ قلتم يا موسى
 إن تؤمن لك حتى ترى آية جبرة) (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية...) (فبدل
 الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم...) (واذ قلتم يا موسى لن
 نصبر على طعام واحد) (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذا
 ما آتيناكم بقوة...) وقصة البقرة العجيبة الشأن (ثم قست قلوبكم من بعد
 ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة...) وهي غاية في البيان عن الإعراض
 ثم البيان عن تحريف الكتاب، ثم نسبته إلى الله، ثم نقض الميثاق وسفك
 السماء، ثم إخبارهم عن أنفسهم بغاية الأعراض (وقالوا قلوبنا غلف...) (وهو
 ومنتهى التبجح وكانوا من قبل مبعث نبينا - عليه الصلاة والسلام -
 يستنصرون به على الكافرين، فلما بعث كفروا به، ثم إعراضهم عن
 الإيمان به، ورفضهم الإيمان بغير التوراة، والحق أنهم يكفرون بالتوراة،
 وآية ذلك قتلهم أنبياء الله، والسياق يحشد الأخبار الكاشفة عن إعراضهم
 في تواصل عجيب، لو تأملت قوله: (أو كذبوا عهدا عبدا نبذ فريق
 منهم...) لوجدته مناديا على قوله تعالى من قبل (واذ أخذنا ميثاقكم
 لا تسفكون...) وقوله من قبل: (واذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل...) وقوله من قبل:
 (واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) إلى غيره في
 هذا السياق البديع، وقوله تعالى: (أو كذبوا عهدوا...) فقد لأخبارهم
 السابقة وبدء لأخبار لاحقة، فكل مامضى يفيد الإعراض عن أمر الله
 ورأسه الإعراض عن التوراة، وما لحق يفيد اتباعهم ماتلو الشياطين...
 هذه وجازة لا بد من ذكرها في تناول الآية الكريمة.

وقد وقع لفظ وراء «متعلقا» بقوله تعالى: (نبذ) «والنبذ: الطرح
 والإلقاء وهذا مثل يضرب إن استخف بالشئ فلا يعمل به» تقول العرب:
 اجعل هذا خلف ظهرك، ودبراً منك، وتحت قدمك، أى اتركه وأعرض.

عنه، (١) وقال الشباب : « النبذ أصله ما لا يعتد به كالنعل البالية » (٢) والكلام على المجاز ، فقد « شبه تركهم كتاب الله وإعراضهم عنه بمجالة شيء يرمى به وراء الظهر ، والجامع عدم الالتفات وقلة المبالاة » (٣) وذلك على سبيل الاستعارة ، ووجهه على سبيل الاستعارة أعطى الكلام ثراء وخصوصية لأن الأئمة قد اختلفوا في المفعول به (كتاب الله) أهو التوراة أم القرآن ؟ وذلك آت من إجراء النبذ على الحقيقة لأن الواقع يأبى تأويل النبذ بالحقيقة ، لأنه يتعاند مع تأويل الكتاب بالتوراة ، فلم يطرحوها وراء ظهورهم على الحقيقة ، بل هم يعظمونها ويقرمونها إلى زماننا هذا ، ويتعاند مع القرآن أيضا ، لأنهم لم يصنعوا به هذا بل إنهم لم يقبلوه أصلا والذي يشهد به السياق - والله أعلم - أن المراد بكتاب الله التوراة رأسا وبالذات والقرآن ضمنا ، وأن الأسلوب - كما قال الصاوي رحمه الله - « كناية عن عدم العمل بما في التوراة » (٤) ، إن إنكارهم صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتبديلها عدم إذعان لأحكام التوراة والسياق شاهد أنهم نبذوا التوراة ، ونبذوا القرآن وأنكروا الرسول - صلى الله عليه وسلم .

المهم أنك ترى هذه الاستعارة وقعت في امتداد سياق كشف عن نبذ اليهود أمر الله وبجيب أبو السعود - رحمه الله - عن إعادة ذكر النبذ ، برغم وروده في الآية الماضية بما يكشف لنا أن الآية فاصلة بين حالين من أحوال اليهود ، الحال الأول حال تمام الإعراض ، والحال الثاني حال

(١) تفسير القرطبي ١/٥٣٧ ، ٣٨ ، الكشف ١/٣٠٠ . مفاتيح النيب

٢/٢٧٥ ، فتح القدير ١/١١٩ ، وهو للعلوم ١/١٤٠

(٢) الشباب على البيضاء ٢/٢١٣

(٣) السابق من الطيبي ٢/٢١٤

(٤) الجلالين والصاوي عليه ١/٤٨

تمام الإتياع ، يقول رحمه الله « وإفراد هذا التنبؤ بالذكر مع اندراجہ تحت قوله - عز وجل - (أوكلنا عاهدًا . . .) لأنه معظم جنائياتهم ولأنه تمهيد لذكر إتياعهم لما يتلو الشياطين ، ولينارهم عليه (١) ، ألست تبصر معنى أن اليهود واقفون ، وقد طرحوا التوراة وراءهم ، وأقبلوا على ما تملو الشياطين بكل قلوبهم ، ثم تأمل بدائع الذكر الحكيم في المفارقة الدقيقة بين الاستعارتين المذكورتين في الآيتين (نبذ) و (نبذه) ألا تراه قال في الآية الأولى (نبذه) دون ذكر القيد الذي جاء مع الاستعارة الثانية (وراء - ظهورهم) وكأنه بناء متتابع يقفك على جلال توليد المعاني في الذكر الحكيم ، فالأولى قيد الطرح وعدم الاعتداد ، أما الثانية فقد أفاد القيد الأول (وراء) النسيان ، وقد أفاد (ظهورهم) الإغراق في النسيان ، فكانت الأولى تمهيداً للثانية ، فقد أفادت الأولى الترك والإعراض . وأفادت الثانية الثانية ما أفادته الأولى مع الإغراق في النسيان ، وذلك لأن « وراء » لا يعادر الستر معناها بعكس خلف ، فلو قال: خلف ظهورهم ، لما أضاف إلا تمام الطرح والترك المفاد من الاستعارة ، أما وراء فقد أضاف ما ذكرنا ، وهو المتناسب مع موقع الاستعارة وعلامتها بسوابقها: ولواحقها ، وإنما يظهر هذا المعنى إذا عرفت أنه لا يقال وراء ظهرك إلا إذا كان يعقبك مباشرة بحيث لا تراه إلا إذا التفت إليه برأسك ، فإذا تمكنت من رؤيته دون التفت كان خلف ظهرك ولم يكن وراء ظهرك ، فإن الخلف من الممكن أن يكون خلفك بجذاء يمينك أو بجذاء شمالك (٢) لما أبان عن تمام الحفظ قال : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) الرعد ١١ . ولما أراد أن يبين عن إحاطته علما بالخلقين . قال : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) - البقرة ٢٢٠ (ألا ترى إلى الشيطان

(١) تفسير أبي السعود ٦٤٢/١ بهامش الرازي .

(٢) انظر لسان العرب مادة (خلف) .

عندما أراد أن يكتي عن تمام إحاطته الإنسان بالغواية قال : (ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) - الأعراف (١٧) . ولا تراها إلا في حديث الله عن الشيطان عندما يصعد القرآن بيانه في التحذير من غواية الشيطان يذكر جهتي اليمين والشمال ، ولكنك لا تراها . فيما مضى ، وذلك لأن معنى الخلف على ما ذكرت من كلام الغويين يشمل الجهتين ضمنا ، لذا لم يقل : يعلم ما بين أيديهم وما وراءهم . وما عرضت تستطيع أن تتبين لماذا اصطفى الذكر الحكيم « وراء » على « خلف » . وغيرها مما يقاربها ، فإن التعبير بـ « وراء » متناسب مع تمام الإعراض المعبر عنه بالنبذ ، وتتمام الإقبال المعبر عنه بالاتباع في قوله تعالى : (واتبعوا ما تتلو الشياطين ...) فاقه أعلم . وما يزيدك بصرا بموقع هذه الاستعارة قول الشيخ الجبل « وهذا أشنع عليهم مما قبله حيث أفاد أنهم نبذوا كتابهم الذي كانوا قبلوه (١) » وقول السدي : « لما جاءهم محمد حاضوا به بالتوراة ، فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوها لموافقة القرآن لها ، وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ، فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى : (ولما جاءهم رسول ...) (٢) » ، وما جاء عليه التركيب يشمل كل لون من ألوان إعراضهم ، مما هو مذكور في كتب التفسير ، لأن التركيب ينظر على بيان إعراضهم ألا ترى إلى قوله تعالى : (كأنهم لا يعلمون) وهو تشبيه لهم بمن لا يعلم إذ فعلوا فعل الجاهل . فيجوز من اللفظ أنهم كفروا علم (٣) ، وما مضى تبير لك وفاء « وراء » بحق المقام :

الموضع الثاني : قوله تعالى : وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب

(١) الفتوحات الإلهية ٨٤/١

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٤/١ ، القوطي ٣٣٨/١

(٣) القوطي ٥٣٩/١ ، فتح القدير ١١٩/١ ، الصاوي ٢٨٧/١

لتبيينه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فبئس ما يشترون) - آل عمران ١٨٧ - .

كن على ذكر من أن القرآن الكريم كله سياق واحد ، وأن هذه الآية
امتداداً لحديث القرآن عن اليهود في سورة البقرة ، والسياق لتبيان إعراض
أهل الكتاب عن أمر الله - عز وجل - والملاحظ أن الآية مستهلة
بالتذكير بأخذ الميثاق ، والميثاق أشد في التأكيد من العهد ، وأخذ الميثاق
ههنا متعلق بالكتاب (التوراة) لذا فقد اصطفى القرآن الاستعارة
الثانية من سورة البقرة ، لذا لو قال فنبذوه واشتروا لكان كلاما
فاسدا . ثم إنه عبر ب وراء ظهورهم ، تناسبا مع الأمر والنهي السابقين على
فعلتهم ، ألا تراه أكد الأمر بالتبيين « لتبيينه » من بعد ما بين أنه ميثاق جاء
الكلام كله على لاجب التوكيد ، ثم عطف النهي الذي جاء في صورة الخبر
على الأمر ، وفي إيراد الخبر معربا عن النهي « إيماء إلى أنه من حقه ألا يكون
منهم فيخبر به عنهم (١) » وهو ضرب من توكيد النهي بديع جاء على نهج
قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن بأنفسن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن
يكتمن . . . - البقرة (٢٢٨) « فكأنه قيل : « ليتربصن ولا يكتمن » فكما
أكد الأمر بالتربص وأخرجه في صورة الخبر ، أكد النهي عن كتمان
ما خلق الله في أرحامهن من حيض أو ولد ، فأخرجه في صورة الخبر ،
إذ الغاية فيهما الإبلاغ في دعوتهن إلى الحرص على إيفاء الرجل حقه
في الرجعة ، (٢) .

وإيراد الخبر معربا عن النهي فيما نحن فيه « إعراب لهذه الأمة من أنه

(١) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم د / عمود توفيق ٨٥

(٢) السابق ٨٧ .

إذا ما كان هذا مطلوباً مرغوباً فيه من بني إسرائيل في زمان موسى فكيف هو فيكم في زمان النبي - الخاتم الأعظم - صلى الله عليه وسلم ، (١) .

وتأكيد النبي كما رأيت قول من أهل الكتاب بما هو علم في الإعراض (وراء ظهورهم) فهو في الحسيات مبين عن تمام النسيان ، وفي المعنويات كاشف عن تمام الكتمان ، لذا اصطنى القرآن وراء على خلف ، إذ هي لا تفيد تمام النسيان ، وإنما تفيد تمام الغفلة وليس ذلك متناسباً مع السياق الذي حدثت له ، وما يرشح ذلك أن الكتمان كان ذا مقابل (واشتروا به ثمناً قليلاً) ، مما يفتح لنا أن الأمر بالتبيين غير النبي عن الكتمان ، فقد يكفي التبذ في عدم التبيين ، وذلك لأن التبيين لكشف ما استتر ، والكتمان لإخفاء ما ظهر ، كأنهم مأمورون بتبيين ما استتر ومنهون عن إخفاء ما ظهر ، ومعلوم أن الثاني يحتاج إلى إجتهد أكثر ، فكشف القرآن بالتعبير بوراء عن هذا الاجتهاد رغم أنه كفاه ثمن قليل ذمه الذكر الحكيم (فبئس ما يشترون) من بعد ما مهد له بهذا التشبيه البليغ (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - آل عمران ١٨٥) ، ولن يعسر صفاء هذا الفهم أن يعود الضمير في « لتبينته » إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فيكون النبي كتمان نعمته هندهم ، وذلك هو الأعلى هندهم في الاجتهاد في الكتمان ، أو أن يكون حامداً للتوراة ، فإن نعمت النبي - صلى الله عليه وسلم - من أحكامها وكثيراً ما يكون هذا الاختلاف ناظر إلى السياق فالقائلون بالرأى الأول ناظرون إلى قوله تعالى : (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب) والقائلون بالثاني : يعيدون الضمير إلى أقرب مذكور (٢) ، والذي يعني هو ما بيناه

(١) السابق ٨٦

(٢) راجع الكشف ٤٨٦/١ ، بحر العلوم ٥٠٢/١ ، القرطبي ٢٥٦٥/٣ ، مفاتيح الغيب ٤٤٣/٦ ، البضاوى ٣٢٢/١ ، والفتوحات الإلهية ٦٥/٢ ، والضاوى على الجلالين ٣٣/٢ ، والتحرير والتنوير ١٩٢/٤ .

من اتصال وراء بهذا المقام . بحيث لا ينهض بدورها ها هنا سواها .
والله أعلم .

الموضع الثالث : قوله تعالى : « قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول
وإنا لنراك فينا ضعيضا ولولا رهطك لرجمناك وما أمت علينا بعزيز .
قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراء ظهوركم إن نبي
بما تعملون يحيط - هو ٩١ ، ٩٢) .

جاءت الآية الكريمة في معرض تبيان لإهراض الكافرين عن دعوة
النبيين وإنما وقع هذا التركيب في قصة شعيب خصوصا ، لخوف قومه من
رهطه دون الله ، وذلك لم يقع في قصة أخرى في السورة الكريمة على
حشدها قصص النبيين على الترتيب التاريخي وهي خصيصة لها دون سواها
من سور الذكر الحكيم (١) . وظاهر من كلامهم في الآية السابقة على شاهدنا
أنهم تناسوا قوة الله - عز وجل - وقدرته ، ولم يحشوا إلا بأس رهط
شعيب عليه السلام - وهذا يدل على تمام الغفلة .

والذى نلاحظه هو أن الفعل الذى يتعلق به (وراء) اختلف عنه
في الموقعين السابقين ، وإنما عبر في الموضعين السابقين بالنبذ الذى
أصله الطرح ، لأن الخطاب لأهل الكتاب ، وكان التوبيخ عليهم
أن أخذوا التوراة ثم تركوها ولم يعملوا بها ، أما قوم شعيب ، فلم يقبلوا
حتى يقال فيهم نبذوا ، لذا فقد توفر السياق ها هنا على بيان غفلتهم ،
والأعلى أن يكون الضمير فى (واتخذتموه) عائدا على الله ، (واتخذتموه
وراءكم ظهريا) استعارة أيضا : قال جار الله : (واتخذتموه . .
ونسيتهم وجعلتهم كالشئ المنبذ وراء الظهر ، والظهرى منسوب إلى

(١) راجع حلاقة المطالع بالمقاصد فى القرآن الكريم دكتوراه الكاتب بكلية
اللغة العربية بالقاهرة سورة هود من الباب الثانى .

الظهر (١) ، « وخلق الشهاب على قول البيضاوى المنقول عن الكشف » يشير إلى أنه استمارة تصريحية شبه إشراكهم بالله وإهانة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنسيان والرمى وراء الظهر (٢) ، « وقد جوزوا أن يكون « ظهريا » مفعولا ثانيا ، والهاء مفعولا أول ووراءكم ظرف ، أو أن يكون « وراءكم » مفعولا ثانيا (٣) والجملة برمتها في موضع الحال من اسم الجلالة أى الله أعز عليكم في حال أنكم نسيتم ذلك » (٤) والأظهر أن « ظهريا » حال مؤكدة للظرف ، فيكون الظرف مفيدا للنسيان ، ويكون الحال مفيدا للإغراق في النسيان ، لأن السياق هاهنا يتظاهر على بيان الغفلة والإعراض ، ألا ترى إلى قولهم : (ما نفعه كثيرا ما تقول) ، والفرق بين إضافة (وراء) إلى المخاطب (وراءكم) وإضافتها إلى الظهر مباشرة (وراء ظهوركم) فرق كبير جدا فإنه في الموضعين السابقين أضاف الظرف إلى الظهر ، ثم أضاف الظهر إلى ضمير المخاطبين (اليهود) فكان كشفا أنهم أعرضوا عن علم ، وشرح هذا الفهم قوله تعالى : (كأنهم لا يعلمون) في البقرة ، والذي يظهر أن لإضافة تشبه الملك ، فيكون في إضافة الظهر إليهم ، كشف عن جهلهم بمطالع الكتاب ، أما المخاطبون هنا فمعرضون عن جهل إذا رأيت (ظهريا) معرة من الإضافة ، كأنهم أطرحوه وراء أى ظهر ، المهم عندهم أن يكون وراء فكان في التعرية عن الإضافة كشف عن جهلهم بالمطالع . وشيء آخر هو أن الله قال في اليهود (أوتوا الكتاب) فدل ذلك على تملكهم إياه ، فشاكل البناء في الإعراض البناء في الإعطاء وشيء آخر هو

(١) الكشف ٢٨٩/٢

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ١٢١/٥

(٣) راجع الوجوه الإعرابية في الفتوحات الإلمية ٤١٨/٢ ، ٤١٩ ،

والصاوى ٢٢٦/٢

(٤) التحرير والتوير ١٥٢/١٢

أن في تركيب بني اليهود مينا من حكيهم في إرضائهم وفي هذا التركيب بيان عن غباوتهم وجهلهم إذ لم يطرحوه وراء ظهورهم ، ربما تابوا إلى رشدهم فوجدوه كفعل الحكياء بما لم يحتاجوا إليه ، لكنهم أطرحوه أطراح جهالة لذا كان من أمرهم ما كان من الإهلاك ، وكان من أمر اليهود ما نرى ونسمع ، وشيء آخر هو أنك لو قلت في آيتي اليهود فنبذوه وراءهم ظهريا لكان كلاما فاسدا نائيا عن السياق فوجد أنه مخالف للواقع . أما مخالفته للسياق ، فإنه يتناقض مع أمرهم بالتبيين ونهيهم عن الكتمان ، وأما مخالفته للواقع فإن الواقع يشهد بأن التوراة في أيديهم مع أنها محرقة ، و فرق بين أطراح العمل بالشئ . وأطراح الشئ ذاته و فرق بين مدعى التوحيد والكافر بالواحد المجيد . وبما يقرب هذا الفهم أن الظاهر يحى مضافا إلى الضمير بعد إضافة الراء إليه عند حديثه عن شئ ينسب ملكا لذاك الضمير (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الأنعام ٩٤) (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره - الانشقاق ١٠) فالكتاب كتابه ، والمال ماله وهذا فرق دقيق جدا فتدبره .

مقام التهديد والوعيد :

وهو أكثر مقامات بحى . وراء في الذكر الحكيم وقد جاءت في مواطن متعددة : الموضع الأول : قوله تعالى : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - من وراءه جهنم ويسقى من ماء صديد . يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن وراءه عذاب غليظ - إبراهيم ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

أكثر أهل العلم على أن (من وراءه) هنا بمعنى « من بين يديه » ، أو « من أمامه » (١) . قال أبو السعود : أى بين يديه فإنه مرصدا لما واقف

(١) انظر بحر العلوم ٢/٢٠٣ ، الكشاف ٢/ ٣٧١ ابن كثير ٢/ ٢٦٦ =

على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة (١) ، وغالف في ذلك ابن حاشور قال : « والوراء » : مستعمل في معنى ما ينتظره ويحل به من بعد ، فاستعين لذلك بجامع الغفلة عن الحصول كالشيء الذي يكون من وراء المرء لا يشعر به ، لأنه لا يراه كقوله تعالى : (وكان وراءهم ملك ...) أي وهم غافلون عنه ، ولو ظفروا بهم لأفتك سفيتهم ، (٢) ولمرئى ألو كان الشيء أمامك ولا تراه أتشعر به ؟ فوراء تطلق على ما كان متواريا عنك من الآمام ، وتطلق على ما كان متواريا عنك في الخلف من أجل ذلك امتازت على (أمام وخلف) .

والذي تجب الإجابة عنه هو : لم اصطفى النظم الكريم « وراء » هنا على ما تأولها به الأئمة من الالفاظ ؟ والجواب أن الحكومة إلى السياق ، سياق السورة بخاصة وسياق القرآن بعامة .

وأول جهات النظر في السياق أن نبصر المقصود بالتهديد (كل جبار عنيد) والجبار هو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا ، والعنيد : المعاند للحق والمجانب له ، وقيل هو من العند وهو الناحية ، وعاند فلان أي أخذ في ناحية معرضا ، والعنود من الإبل الذي لا يخاطبها إنما هو في ناحية أبدا كما قال أهل العلم (٣) ، فالمقصود بالتهديد معرض ، لا الخفاء الدليل على الحق ، وإسناد الخيبة إليه ترشح لهذا ، وإنما يقال خاب لمن كان الأمر ظاهرا بين يديه ، ولم يلتفت إليه ، لذا لم يكن النظم خسر أو هلك .. والذي

= مفاتيح الغيب ١/ ٣١٢ الصاوي على الجلالين ٢/ ٢٨٢ الفتوحات الإلهية

٢/ ٥١٩ ، الفيضاني ١/ ٥٢٧

(١) تفسير أبي السعود ٥/ ٣٢٩

(٢) التحرير والتنوير ١٣/ ٢١٠

(٣) انظر تفسير القرطبي ٥/ ٣٨٦ ، ٣٦٨٧

يرشح هذا أيضاً أن الجبار العنيد جاء في مقابل من خاف الله والوعيد .
والذى شأنه هذا يكون موقف الحساب نصب عياله ؛ ووعيد الله بين يديه .
وذلك ليقينهم بأدلة عذاب الله الشاهدة على عذابه العاقب . وإهلاك الظالمين
له أدلته الشاهدة ، انظر ما قبل هذه السورة (قد خلت من قبلكم سنن
فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين - آل عمران ١٣٧)
(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين - الأنعام ١١)
أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من قديمهم . -
يوسف ١٠٩) .

وهذا ظاهر في أن ذلك من عذاب الله الشاهد أمامهم وكان الواجب
أن يكون يقينا على عذاب الله المستور أمامهم . والتعير عن الآمام المستور
بالوراء في مقامات التحذير والخوف سامع عريضة .

قال الشاعر :

ومن ورائك يوم أنت باله لا حاضر معجز عنه ولا بادي
وقول ليبي :

أليس ورائي أن تراخت مني لزوم العصا تحي عليها الأصابع (١)

وفوق هذا فإن التحذير بالمستور هو الأعلى في مقام التهديد من
التحذير بالمشهود .

والذى يظهر من سياقات القرآن الكريم والسنة المطهرة . أن جهنم
وإن كانت مستورة هنا . هي عند المالكين غير مستورة . على أن تعذيبهم
في مشاهدتها . أليس يبصر الظالم مقعده من النار ، فيكون ذلك أشد في
تعذيبه وإيلاهما . وذلك من جلس عمله . كما لم يوقن بعذاب الله الشاهد .

(١) انظر تفسير القرطبي ٥ / ٣٦٨٧ .

فيخشى عذاب الله الغائب تدبر قوله تعالى : (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - غافر ٤٦) .

وهو إن تدبرت شرح لقوله تعالى هنا : (ومن ورائه جهنم . . ومن ورائه عذاب غليظ) فيكون التعبير عن القدام وراء في هذا المقام وراء المستور بالنسبة لمخاطب حتى . ووراء المشهود بالنسبة للبيت . أرايت لو قال من قدامه أ يكون متناسبا مع المخاطبين ؟ ولو كان من خلفه لكان متناقضا مع الذكر الحكيم . ثم ماذا ترى أ يعرض عليه مقعده من أمامه أم من خلفه ؟ ومع هذا العذاب يطن العنيد . إذا ما شاهد عذاب يوم القيامة . أنه كان في مرقد . فذلك قوله : (ومن ورائه عذاب غليظ) وهذا الغليظ من الأمام المستور بهذا التركيب البديع كل عذاب مشهود أمامك ينبغي أن يوقنك بالعذاب المستور أمامك فالعذاب الغليظ أمام المستور بالنسبة لهم أيضا .

تأمل كلمة الزعششري (من ورائه) « من بين يديه وهو على شفيرها (١) » في نور آية غافر الماضية . وتأمل كلمة أبي السعود « أي بين يديه فإنها مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة (٢) » مع وعيها رحمة الله - أن المقام للتهديد والوعيد .

ألا يمكن أن نقول مع كل ما مضى : إن التعبير بكلمة (وراء) فيه تناسب مع المتكلم الله عز وجل - فكل شيء بالنسبة إلى حله خلف معروف على الوجه الآثم . فتكون وراء بمعنى « خلف » بالنسبة إلى الذات العلية . وتكون بمعنى (قدام) بالنسبة إلينا وإلى هلنا . مع أن هذا يقين عقدي . إلا أنه بيان أسلوب . هل أنى أحس فوق هذا أن في التعبير بـ (وراء) هنا إيحاء بتصور المستور عنا من العذاب بآيات التهريب في الذكر الحكيم .

(١) الكشف ٢ / ٣٧١

(٢) أبو السعود ٥ / ٣٢٩ بهامش الرازي .

الموضع الثاني : قال تعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني . لعل أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) (المؤمنون ٩٩ - ١٠٠) .

الآية كما ترى واردة بعد آية الاحتضار ، وهو سياق متواصل مع قوله تعالى : **أَوَدَّامِتْنَا وَكُنَّا تَرَابَا** . [إلى قوله] : **إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** كما قال القرطبي ، وقال رحمه الله : ودلت الآية على أن أحدا لا يموت حتى يعرف اضطراداً أهو من أولياء الله أم من أعداء الله ؛ ولولا ذلك لما سأل الله الرجعة (١) .

والخطاب - كما ترى - لمنكرى البعث وهو من الإمام المستور ؛ فإذا ما كانوا في مقام الاحتضار آمنوا وأيقنوا وأبصروا أمامهم ما كانوا ينكرون ؛ فكان مشهودا أمامهم مستورا أمامنا ؛ وقد تأول الأئمة (وراء) هنا بمعنى أمام (٢) ، وقد اصطفاهما القرآن الكريم دون غيرها من الكلمات المتقاربة ؛ لتناسبها مع حالهم وحالنا وحال الأحياء من حول المحتضرين والملاحظ أن (من ورائهم) خبر مقدم و (برزخ) مبتدأ مؤخر ؛ والبرزخ هو ما بين الدنيا والآخرة . أو هو حاجز بين ما هو فيه وبين الدنيا والقيامة مستمر لا يقدر أحد على رفعه وعند السمرقندي يقال : لكل حاجز بين الشيئين برزخ . ويقال هو بين النفتين . وقال الحسن : القبر بين الدنيا والآخرة . وكل ذلك دائر حول الحجز والستر . فالمتناسب معه وراء . لأنه يحجز الميت فلا هو يرجع إلى الدنيا . ولا هو يذهب إلى البعث . وآية ذلك قوله تعالى بعد (فإذا نفخ في الصور . . .) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٦٨٣

(٢) انظر بحر العلوم ٢ / ٤٢١ ، الكشاف ٣ / ٤٢ ، الصاوي ٣ / ١٢٥ ،

ابن كثر ٣ / ٢٥٥ ، مفاتيح الغيب ١١ / ٤٠٦ ، والشهاب على البيضاوي

قال البقاعي - رحمه الله - في « من وراثتهم » « من خلفهم ومن أمامهم »
محيط بهم» (١) .

وكذا قال القرطبي « من أمامهم وبين أيديهم » (٢) وذلك نظرا لطبيعة
دلالة المسند إليه لذا وقعت (وراء) هنا ناهضة بالمعنيين على بابها من
المواراة والستر، فكان ذلك دالا على الإيجاز وعند ابن عاشور « أن
الوراء هنا مستعار للشيء الذي يصيب المرء لاحتالة وبناله وهو لا يظنه يصيبه .
شبه ذلك بالذي يريد اللحاق بالسائر فهو لاحق » (٣) .

الموضع الثالث : قوله تعالى : (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا
أولئك لهم عذاب مبين . من وراثتهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا
ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء . ولهم عذاب عظيم) الجاثية ١٠ ، ٩ .

المقام مقام تهديد . ومع ذلك فإنك تجد أهل العلم (٤) يفسرون وراء هنا
بـ (قدام) وهذا يعني أن الأنسب بالمقام أن تفسر بذلك ، وذلك غير من
جملها في الخلف على الحقيقة ثم جره ذلك النظر إلى إجرائها على الاستعارة ،
قال ابن عاشور : وفي قوله (من وراثتهم) تحقيق لحصول المذاب ، وكونه
قريبا منهم ، وأنهم عاقلون عن اقترابه كغفلة المرء عن عدو يتبعه من ورائه ،
ليأخذه ، فإذا نظر إلى أمامه حسب نفسه آمنا ، ففي الوراء استعارة تمثيلية
للاقتراب والغفلة . . . ومن فسرو (وراء) بـ (قدام) فارعى حق
الكلام (٥) والأعلى أن من فسر به بالخلف فارعى حق المقام ولو كان النظم

(١) نظم الدرر ١٣ / ١٨٦

(٢) تفسير القرطبي ٦ / ٤٦٨٤

(٣) التحرير والتنوير ١٨ / ١٢٤

(٤) بحر العلوم ٣ / ٢٢٣ ، الكشاف ٣ / ٥١٠ ، مفاتيح الغيب ١٤ / ١٧١ ،

القرطبي ٩ / ٦٢٠٩ ، الصاوي ٤ / ٦٨ ، الفتوحات ٤ / ١١٤

(٥) التحرير والتنوير ٢ / ٣٣٣

على ما يريد - رحمه الله لكان . ومن خلفهم جهنم دون هذا الإشكال ، ولئن كان كما ذهب - رحمه الله - فلماذا عبر عن (خلف) بـ (وراء) أليس كذلك لأن (وراء) خلف مستور على ما ذكرنا من أصل معناه .

والظاهر أن الآية جارية على التهديد من أمام مستور ، وذلك هو الأولى .
 باخذ الحنف والالصق بمقام النصح ، وشئ آخر هو أن المقصود بالتهديد في الآيات السابقة (ويل لكل أفاك ...) يجعل آيات الله وراءه ظهريا على حد ما عرضت في قوم شعيب كان المعنى : إذا تلى عليه آياتنا اتخذها وراءه ظهريا ومن وراءه جهنم ... هذا ما ينتج به السياق - فيما أرى - وشئ آخر هو في جملة (ولا يغنى عنهم ما كسبوا ...) وهى في قوة قوله تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) .. (الأنعام ٩٤)

فالمحوظ أنه مقام تهديد مع التحسير . تهديد بما هو آت ، وتحسير على ما فات ، والآفة أن القائلين بأنها بمعنى (خلف) يرون ذلك ألصق بالتهديد .
 والأمركا بينت لك . ثم كشف أبو السعود والبيضاوى عن أن (وراء) ههنا سواء أولت بمعنى خلف أو قدام فإن سواها لا يقوم مقامها ، لأنها وفقت بحق المقام والسياق ، وتلك طريقة القرآن الكريم العليا في تكتين المعنى وتقليل اللفظ . قال البيضاوى : « من قدامهم ، لأنهم متوجهون إليها . أو من خلفهم لأنها بعد آجالهم » (١) وفي كلتا الحالتين هى متوادية عنهم . وقال أبو السعود : « أى من قدامهم ؛ لأنهم متوجهون إلى ما أعد لهم ؛ أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا ؛ فإن الراء اسم للجهة التى يوارىها الشخص من خلف وقدام (٢) وقال ابن كثير ، أى كل

(١) البيضاوى ٢ / ٣٨٠

(٢) أبو السعود ٧ / ٤٨٢

من إتصيف بذلك سيصيدون إلى جهنم يوم القيامة (١) .

فكما ترى ، جاءت هذه الكلمة لتوائم كل التأويلات ، ولكل مستند في السياق إما بقرينة لفظية ، وإما بقرينة حالية ، والذي أطمئن إليه أن (وراء) هنا قدام مستور ، وهو الأول بمقام التحذير ، والله أعلم .

الموضع الرابع : قوله تعالى : (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) (الانسان ٢٧) .

تأول العلماء (٢) « وراء » هنا بمعنى « قدام » ، أو بمعنى « خلف » ، وظاهر كلامهم الاختلاف وليس كذلك ولكن لما وجد في السياق ما يعين على القول بالمعنيين وقع كلامهم على حسب جهة النظر ، وليسوا من أهل الغفلة حتى يوقعوا المعنيين المتضادين على اللفظ الواحد من جهة واحدة ، قال الزحشرى : (وراءهم) « قدامهم » ، أو خلف ظهورهم لا يعبأون به ، (٣) وشرحه أبو السعود بقوله : « أى أمامهم لا يستعدون » ، أو ينبذون وراء ظهورهم ، (٤) وهو كما ترى يبين أن الترك على وجهين إما بعدم الاستعداد وإما بشدة الإعراض ، فعل من يطرح الشيء وراء ظهره على ما عرفت في آيتي أهل الكتاب في البقرة وآل عمران ، والحق أن التركيب يحتمل كل هذه التأويلات فلو أراد النظم الحكيم أن يمحضها لمعنى (خلف) لكان : ويلذون وراء ظهورهم يوماً ثقيلاً . ولو أراد أن يمحضها لمعنى قدام ، لكان : ويلذون وراءها يوماً ثقيلاً ، ثم إن في السياق ما يسمع بأن تكون بمعنى خلف قدام ، لذا وجدنا العلماء هنا يوردون المعنيين .

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ١٤٨

(٢) بحر العلوم ٣ / ٤٣٣ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٨ ، البيضاوى ٢ / ٥٢٨ ،

الفتوحات الإلهية ٤ / ٤٦٢

(٣) الكشف ٤ / ٣٠٠

(٤) تفسير أبي السعود ٨ / ٤٠٣

فما يعين على جعل الوراء بمنى الخلف ، هو الجهة المقابلة فهم يستقبلون العاجلة ويستدبرون الآخرة ، وذلك كشف من قلب أوضاعهم وغفلتهم في تفكيرهم ، وهو وجه جيد يعين النظم عليه ، وربما يعظم هذا عندك إذا نظرت إلى مقابلهم (إن الأبرار ... يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره ... إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قطيراً - من ٥- ١١) فكان نظرم متعكساً مع نظر هؤلاء المحبين للعاجلة ، والبذل هو رأس الأمر في الصالحات المذكورة في السورة ، هؤلاء يخافون وراهم يوماً ثقيلاً - هؤلاء يندون وراهم يوماً ثقيلاً . فالأسلوب جار على طريقة التهديد بالنظر إلى كلية السورة . فالذي فسر الوراء بالخلف نظر إلى تصرفاتهم وأعمالهم لهذا اليوم ، والذي فسر الوراء بالآمام نظر إلى أن هذا اليوم لم يقع . وما يعين على تأويله بمعنى قدام أن العاجلة يقابلها الآجلة ، فكانهم يحبون عاجلاً ويندون آجلاً غفلة وإعراضاً ، ففاد التركيب أن اليوم المتروك الاستعداد له في الآجلة ، فهم يحبون ما أمامهم على حقارته ، ويتركون ما بعده على نفاسته ، وربما يقوى هذا عندك أن (وراه) حال من (يوماً) مقدم عليه لأنه نعت نكرة قدم عليها . وقرائن السياق متظاهرة على أن « يوماً » أمام ، ومادام في السياق ما يؤيد الجهتين ، فلا حاجة إلى جعل اللفظ من المجاز ، كما قال ابن عاشور ، ومثلوا بحال من يترك شيئاً وراءه فهو لا يسمى إليه وإنما يسمى إلى ما بين يديه (١) ، فتكون بمنى الخلف كاشفة عن نظر أعين للعاجلة إلى هذا اليوم ، وبمعنى قدام كاشفة أيضاً عن غفلتهم ومتناسبة مع القرينة الحالية ، ومن ثم لم يصلح سواها أن يقع موقعها ، لذا أورد الفخر الرازي سؤالاً ، لم قال : وراهم ، ولم يقل : قدامهم ؟ الجواب من وجوه :

أحدها : لما لم يلتفتوا إليه وأهربوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم.
وثانيها : المراد وينذون وراءهم مصالح يوم ثقیل فأسقط المضاف .

ثالثها : أن « وراء » تستعمل بمعنى قدام (١) . وقال القرطبي « أى بين أيديهم ... » وقيل : وراءهم أى خلفهم ، أى : وينذون الآخرة خلف ظهورهم ، فلا يعملون لها (٢) فتكون غفلتهم غفلة الرجل عن الشيء يأتيه من خلفه ، ويكون عدم اعتدادهم بشيء مهم بين أيديهم غفلة أيضا ، وكان يجب أن تكون في المقام الأول في التصنيف ولكننا وضعناها هنا بالنظر إلى سياق السورة الواحدة فيها الآية ، لأنها ناظرة إلى قوله (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا - الإنسان) .

الموضع الخامس : قوله تعالى : (بل الذين كفروا في تكذيب واقع من ورائهم محيط - البروج ١٩ ، ٢٠) .

تأمل كيف وضع الذكر الحكيم الكفار في محيط من التكذيب من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم وعن شمالهم ، فكان الجزاء من جنس العمل ، فكان أن أحيطوا بيطش الله الشديد (إن بطش ربك لشديد - البروج ١٢) وهو مع شدته محيط ، قال ابن عاشور رحمه الله - « وقد قيل جزاء إحاطة التكذيب بهم بإحاطة العذاب بهم جزاء وفاقا ، خبر مستعمل في الوعيد والتهديد (٣) » ، قال الزمخشري : « واقع هالم بأحوالهم وقادر عليهم ، وهم لا يعجزونه ، والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه ، كما لا يفوت قائم الشيء المحيط به (٤) » ، ولخصه البيضاوى بقوله :

(١) مفاتيح الغيب ١٦ / ٨٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٧١٧٦

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٢٥٢

(٤) الكشف ٤ / ٢٤٠

ولا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط (١) ، وقال أبو السعود : تمثيل لعدم نجاحهم من بأش الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط (٢) ، والذي أبصر أن الأسلوب حقيقة ، لأن الكل في قبضة الله علما وقدره ، والذي يعنينا هو بيان فضل وراء في هذا التركيب ، الذي يفهم من الرغشري والبيضاوى وأبو السعود أن وراء بمعنى الخلف والقدام هنا ، أى أنه يستترم بإحاطته من كل جانب ، وهى على بابها من المواراة والستر ، أى أنهم يكونون وراء إحاطة الله عز وجل - حيثما طلبتم ، وهذا أولى من أن يقال : المراد وصف اقتداره عليهم ، وأنهم في قبضته وحوزته ، كالمحاط إذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا (٣) ، لأن التعبير بها على بابها جعل الإحاطة بهم من كل جهة . وهو أولى بما قاله ابن عاشور من أو الآية : تمثيل لحال انتظار العذاب إياهم ، وهم في غفلة عنه بحال من أحاط به العدو من ورائه ، وهو لا يعلم حتى إذا رام الفرار والإفلات وجد العدو محيطا به (٤) ، لأن فيها معنى المغافلة على هذا التأويل ، وذلك متناف مع ما مضى من وصف البطش بالشدّة ، ومتوافق مع ما وصفهم به القرآن من التكذيب ، لذا قال القرطبي : أى يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بقرعون والمحاط به كالمحصور (٥) ، ، والمحصور يحاط به من كل جانب ، وفوق هذا فإن المناسب مع الإحاطة بمذلولها القوى هو وراء لا غيرها من خلف أو قدام ، وليست هنا قرائن تضبطها بالخلف ولا بالقدام ، فكانت على بابها من الاتساع متناسبا مع الإحاطة ، وما تدل عليه من الاتساع .

(٢) أبو السعود ٨ / ٢٧٥

(١) البيضاوى ٢ / ٥٥١

(٣) مفاتيح الغيب ١٦ / ٣٢٨

(٤) التحرير والتنوير ٣٠ / ٢٥٢

(٥) تفسير القرطبي ١٠ / ٧٣٣٥

مقام التحسير والتبكي :

ورد ذلك في ثلاثة مواضع في الذكر الحكيم :

الموضع الأول : قوله تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم ترععون - الأنعام ٩٤) .

الآية السابقة على الآية هي قوله تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون [إلى قوله] اليوم تجزون عذاب الهون - الأنعام ٩٣) والمقام مقام تحسير وتنديم ، وقد بدأه بقوله : (ولقد جئتمونا فرادى) فكان قوله : (كما خلقناكم أول مرة) شرحاً لهذا الافراد ، ثم جاء من بعد بقوله : (وتركتم ...) يافاً للمقصود من هذا الخبر ، وهو ذروة التحسير والتنديم في هذه الآية وقد وقع وراء متعلقاً بـ (تركتم) وفيه تهكم بهم ، وكأنهم تركوه باختيارهم ، إلماعاً إلى ما كانوا يصرون به في الدنيا من إمكان إتيانهم بهم غير فرادى بطريق تقديم الصالحات ، وقد جاء (وراء) مضافاً إلى الظنر والظنر مضافاً إلى المقصودين بالتحسير من بعد ما نسب الترك إليهم ، إلماعاً إلى أنهم اجتهدوا في ستره من خلف ظهورهم ، لغاية أن جعلوه بمثابة ما لا سبيل إليه ، ولو قال خلف ظهورهم ، لأظهر إمكان حصولهم عليه ، أبصر قوله تعالى : (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليقتوا الله وليقولوا قولاً سديداً - النساء ٩) لأن القرآن هاهنا يوحى إليهم بقصور ترك الذرية فهم يتصورونهم خلفهم ، ولكنهم يرونهم ، إذا لو قال من وراءهم ما لأم السياق .

المهم أن لوراء فائدة كبيرة في إظهار التحسير ، ولا سيما في نسبة الترك إليهم ، أي نبذتم وراء ظهوركم هذا اليوم بالمال باختياركم ، والآن تركتم المال وراءكم رغم أنوفكم .

يقول الفخر رحمه الله - ، فبقيت الأموال التي اكتسبها ، وأبقى عمره في تمصيلها وراء ظهره ، والشيء الذي يبقى وراء ظهر الإنسان ، لا يمكنه أن ينتفع به ، وربما بقي منقطع المنفعة معوج الرقبة ، معوج الرأس بسبب التفاته إليها مع العجز عن الارتفاع بها ، وذلك يوجب نهاية الخيبة والنعم والحسرة (١) ، وقد جعل أبو البقاء الجلة حالا من الواو في (جثثونا) فيصير ترك ما خولوه هو محل التشكيل (٢) ، وكونه وراء الظهر ، يومه بالاقتراب ويبعد في التشكيل ، وهو ظاهر في إضافة الظهر إليهم .

الموضع الثاني : قال تعالى : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فاتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب - الحديد ١٣ » .

الذين قالوا : إن (وراء) لا يكون إلا خلف الشيء ، قالوا : إن وراء هنا اسم فعل فيه ضمير فاعل ، أي ارجعوا - ليس ذلك مقبلا ولا مسموعا عند العرب - قالوا : لأن هذه ظرفا لا رجعوا لا يكون وراءه كبير فائدة . ولك لأن الرجوع لا يكون إلا إلى وراء ، فإذا يقال في قوله تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - الأنعام ٣٨) (٣) ، ثم إن كلام أهل العلم دال على أن « وراء » في التركيب نصت على مكان التماس النور ، وهذا يعني أنه لا يجوز أن يقال : (قيل ارجعوا فاتمسوا نورا) وذلك لأمر ظاهر ، هو فوت النص على المكان ،

(١) مفاتيح النجيب ٦ / ٤٤٣

(٢) الفتوحات الإلهية ٢ / ٦٥ ، الصاوي ٢ / ٣٣ .

(٣) انظر الفتوحات الحية ٤ / ٢٨٩ ، التحرير والتنوير ٢٨ / ٣٨٣ ، صورة الامر والنهي د / محمود توفيق ٥١ وما بعدها .

وذلك غل بمقام التحسير والتبكيث الذي يسير السياق على لاجبه ، بل إن عنده اسم فعل على ما زعموا ، لجعل « وراء » تأكيداً لارجعوا يفيد أنه يمكن أن يقال : (قيل التمسوا وراءكم نورا) وذلك قد يخرج الكلام إلى الإرشاد لما في معنى الاتماس من الرغبة في نجاة المخاطب ، وهذا غير (ارجعوا) في أنه يفيد انتفاء الرغبة في نجاتهم ، وليس التأكيد هنا على لاجب قولنا : رجع القهقري كما قال ابن عاشور (١) فالقهقري وصف للرجوع ، كما أن الوداء تلبية إلى مكان الرجوع وعجله ، وسواء كان تعلق « وراء » بالتسوا أو ارجعوا ، فإن ذلك كله يغري بالتماس النور ، ويعلي من الإطماع في طلبه ، وأهل العلم في تحديد محل وراء على قولين (٢) ، وهما متجاوران ، الذين قالوا إن ذلك في الموقف نظروا إلى سياق السورة الكريمة ، والذين قالوا : إن ذلك في الدنيا أى ارجعوا إلى الدنيا نظروا إلى سياق القرآن الكريم كله ، وهو فيما أرى - أبعد في التحسير ، ففي السورة : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به - ٢٩) . وفي موضع آخر « واتبعوا النور الذي أنزل معه - الأعراف ١٥٧) وفي موضع آخر (ولكن جعلناه نورا - الشورى ٥٢) ، وهو ما يرجح الفرق بين خلف وراء ، وهد وراء هنا من الخلف المستور هو الأهل - فيما أرى - ألا تراه قال في المؤمنين (يسمى نورهم) فأضاف النور إليهم ، لإتقانهم سببه في الدنيا ، ولما أضاف النور إلى المنافقين ، أى ارجعوا إلى وراء خاص بكم ، فكان محل التماس النور في هذا المقام في الخلف المستور سواء كان ذلك في الدنيا أو في

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٣٨٣

(٣) انظر الكشف ٤ / ٦٣ ، البيضاوى ٢ / ٤٥٤ ، والقرطبي ٩ / ٦٦٤٨ ، بحر العلوم ٣ / ٣٢٥ ، مفاتيح الغيب ٨ / ١٢٩ ، أبو السعود ٨ / ١٢٨ ، بهامش الرازي ، ابن كثير ٤ / ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، الصاوى على الجلالين ٤ / ١٧٢

الآخرة، ثم إن في الوداء في الآخرة إلهاما في الرغبة، لأن الوداء هو نما
بلى الظهر، وهو تنصيب على المكان أكثر من خلف، وكل هذه التأويلات
تتناهى مع هذا المقام.

الموضع الثالث: قال تعالى: (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف
يدعو ثبورا ويصلى سعيرا - الانشقاق ١٠، ١١، ١٢).

حاول العلماء التوفيق بين ما هنا وما في الحاقة فقالوا: المراد أنه تقل
يمناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره،
وقيل: تفلج يده اليسرى من وراء ظهره، وقيل: يتحول وجهه في قفاه،
فيقرأ كتابه كذلك، وقيل: يحتمل أن يكون بعضهم يعطى بشماله، وبعضهم
يعطى من وراء ظهره (١)، والذي أبصره أن التأويل في الكيفية ضرب في
غيب الغيب، ولكن الذي ينبغي إنصاره، هو أن ما قاله يفيد أن ما في
الانشقاق أبعد في التحسير والتحقير مما في الحاقة، وذلك لأمر ظاهر، هو
أن الانشقاق، تشبه أن تكون تفصيلا لما أجملته الحاقة: (وانشقت
السماء ...)، أما الانشقاق فهي مفتحة بالحديث عن انشقاق السماء، من
بعد وقوع السورة بعد التكوير والانفطار، ثم إن الجهة المقابلة في
الانشقاق (فسوف يحاسب حسابا يسيرا دالة على الحساب المسير لأهل
النكال، والذي أبصره أيضا أن القرآن في الانشقاق يتصاعد بيانه لتحسير
أصحاب الشمال كان التركيب في السورتين: فأما من أوتى كتابه بشماله وراء
ظهره ... فأضاف في الانشقاق النص على موضع الكتاب؛ وب (وراء)

(١) انظر بحر العلوم ٢/ ٤٦١، الكشاف ٤/ ٢٣٥، مفاتيح ١٦/ ٢٩٧،
القرطبي ١٠/ ٧٣٠٩، البضاوى ٢/ ٥٤٨، ابن كثير ٤/ ٢٨٩، أبو السعود
٨/ ٥١٢، الفتوحات ٤/ ٥١٠، الصاوى ٤/ ٣٠٢، والتحرير والتوير
٢٢٣/ ٢٠

مضافة إلى الظهر وفيها من الاستار ما ليس في الخلف ، وهو عما يعني أنهم لا يصرون الذي تناولهم الكتاب ، بل يتلبسونه بأيديهم ، لا يتاح لهم النظر إليه قبل امتداد اليد إليه ، إمعانا في التحسير والتبكيك ، والذي يعظم ذلك عندك أن الانشقاق واقعة بعد الحاقة في ترتيب المصحف ، وفي ترتيب النزول أيضا ، ودائما يتعاقب الترتيبان في التظاهر على بيان المعنى ثم الحظ تفصيل الثبوت في الحاقة ، والإشارة إليه في الانشقاق ، فلا ينبغي للحقير أن يشرح في الانشقاق اقتضاء للقيام .

مقام التشديد في التحريم والنهي :

الموضع الأول : قال تعالى : (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين - النساء ٢٤) .

سياق الآية يتظاهر على التشديد في التحريم ، وقد وقعت (وراء) في سياق تحريم وتعليل ، وهما أمران أحاط بهما كثير من وسائل التشديد ، تأمل قوله : (كتاب الله عليكم) وهو مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم كتابا وفرضه فرضا (١) وقد توسط بين التحليل والتحريم ، للبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة (٢) ، وأضاف وراء إلى اسم الإشارة ، للتذكير بما في كل واحدة من حكم الحرمة ، وفي الآيتين هذه استار ستر التحريم وستر (والمحصنات) وبعد وراء ستر (محصنين) وقد تأول بالعباء (وراء) هنا بـ (سوى) (٣) وعند ابن عاشور هي بمعنى غير

(١) الكشاف ١ / ١٨٠

(٢) أبو السعود ٣ / ٢٧٩ بهامش الرازي .

(٣) انظر بحر العلوم ١ / ٢٤٥ ، مفاتيح الغيب ٥ / ١٤٠ ، القرطبي ٢ / ١٧٨٩ =

أو دون (١)، والذي أبصره أن إشار (وراء) يلامس السياق والمقام ، لما فيها من معنى الاستتار، وهو مما يحدو بالآمة نحو يفاع الطاعة ، فليس المقصود تحريم النكاح فحسب ، وإنما المقصود مع ذلك تحريم النظر بشهوة إلى من يحرم ، ومن يحمل من الفساد ، فبرغم أن الكل أمام منظور ، إلا أن الشرع يلزم أن الكل أمام مستور ، سوى من نظرا بتغاء إحسان عند توفر المال معه (أن تبتغوا بأموالكم محسنين) وهو مما يلزم الطائعين لله غرض البصر ، وتزجيحه عما حرم الله ؛ ولما يجب أن يلقيه الزواج من ستر البصر (محسنين) فهذا موقع وراء ؛ وتناغيها مع ما بين يديها وما خلفها . من آيات الله .

الموضعان الثاني والثالث : قال تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون - المؤمنون ٥-٧ : المعارج ٣٩-٣١) .

وقعت هذه الآيات في هاتين السورتين ؛ وسورة المعارج بعد (المؤمنون) ترتيباً مصححاً ونزولياً .

ولئن كان حديث « المؤمنون » من فلاح المؤمنين ؛ فإن حديث المعارج مصدر بميقات هذا الفلاح . أي قد أفلح المؤمنون يوم تخرج الملائكة ... فانه أعلم ؛ والسياق للطائعين لله المتواضعين لشرع الله ؛ تأمل هذا القيد الذي لا نظير له في سورة أخرى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ؛ وهو إيحاء إلى أن الحديث عن امتنع عن الكبائر قطعاً وعن الصغائر اجتهاداً أو تسديداً ؛ فقد أبان السياق بعد أنهم ألقوا بستر الشرع على الفرج .

= ابن كثير ١ / ٤٧٤ ، البيضاوي ١ / ٢١٣ ، فتح القدير ١ / ٤٤٩ ، الفتوحات الإلهية ١ / ٣٧٢ ، الصاوي ١ / ٢١٣ .
(١) التحر والتويره ٧ /

بالأزواج وما ملكك الأيدي ، واستجابوا لأمر الله ولم يتعدوه . وهم لا يبتغون وراء ذلك محلا ولا وسيلة ، لأنهم ليسوا بعادين ، كما يفيد مفهوم ما بعده . فقد جعل النظم الكريم المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده ، ثم قال : فن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه . . . فأولئك هم الكاملون في العدوان للمتأهون فيه (١) ، وحذف مفعول ابتغى ألمع إلى تحريم كل ما يؤدي إلى إفراغ الشهوة في غير حلها اقترابا بنظر وغيره ، وطريقة بلواط وغيره ، وتعلقت (وراء) بابتغى فألقت سترها عل الحلال ، وألقت سترها على الحرام ، والهادى على أيهما خارق للستر ، ثم تأمل ما يفيد التركيب من أن الخارق لهذا الستر متناهى الكمال في العدوان ، ومفهومه أن حافظ الستر متناهى الكمال في الحفاظ ، كما يفهم من كلام الزعزعي هكذا أضاءت (وراء) السياق ، وأضاءها السياق ، قال الراضب : - رحمه الله في تأويلها في هذا المساق « أى من ابتغى أكثر مما بيناه ، وشرعناه ، من تعرض لمن يحرم التعرض له ، فقد تعدى طوره ، وخرق ستره (٢) » ، تأمل دقة الكلام النافذة إلى نور السياق .

هذا . . وقد تأول العلماء (وراء) هنا بمعنى سوى (٣) وقال ابن عاشور : « وراء منصوب على المفعول به ، وأصل الورا اسم الذى في جبه الظهر ، ويطلق على الشيء الخارج عن الحد المحدود ، تشبيها للمتجاوز الشيء بشئ (٤) » ولست أرى له موقعا ، وكونه تشبيها تكلف لما بيناه .

-
- (١) الكشف ٣ / ٢١٦ (٢) المفردات (ورى)
 (٣) انظر بحر العلوم ٢ / ٤٠٨ ، القرطبي ٦ / ٤٦٤٠ ، مفاتيح النيب
 ١١ / ٣٤٨ ، البيضاء ٢ / ١٠٢ ، الفتوحات الإلهية ٤ / ١٨٤
 (٤) التحرير والتنوير ١٨ / ١٥

وما قيل في آية المؤمنين ، يقال في آية المعارج ، مع إصباح السياق في الموضوعين :

الموضع الرابع : قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ، وإذا سألتهم من مأكلهم فاسألوه من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهم ، وما لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما - (الأحزاب ٥٣) .

وقعت وراء في سياق تعظيم حرمة أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأزواج المؤمنين من بعد ما استبشر الكثير الإيذاء من التلاق والاختلاط كفاحا ، وقد وقع (من وراء حجاب) متعلقا بـ (فاسألوه) الواقع جرابا لقوله (إذا سألتهم ...) المؤذن لتقيده بإذا بضرورة السؤال ، وقد جاء الجواب عن هذه الضرورة مقيدا (من وراء حجاب) وقد أضيفت وراء ، لـ (حجاب) والحجاب هو الستر كما قال أهل العلم (١) ، وفي وراء معنى الاستتار ، فتناسب المضاف والمضاف إليه ، وهو عما يوحى بأنه إذا ما كان الله - عز وجل - أمرا السائل بالتزام بالسؤال من وراء حجاب ، فهو أمر المسؤلة بالتزام الاستتار ، وأن يجعل كل منهما الحجاب سترا بينه وبين الآخر سدا للذرائع ، وقطعا لكل سبيل إلى المعصية ، وتعظيما لحرمة العرض ، وإنما كانت وراء ، لتجعل كلا من السائل والمسؤول وراء الحجاب بالنسبة إلى الآخر ، ولن تعيد ذلك خلف

(١) انظر البيضاوي ٢ / ٢٥٤ ، والنسائي ٣ / ٢٨٦ ، والفتوحات الإلهية ٣ / ٥٣

ولا غيرها ، فوق أنها لا تناسب المضاف إليه و (وراء) بما يجعل السلام في قوة قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ... وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن - النور ٣٠-٣١) وما أوحى به « وراء » من الاستتار يلزم الطامعين لله - إذا ما اتقى الستر الحسى - بالستر الإيماني ، انظر إلى قوله كاشفاً للعلة (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبين) لما كانت الرغبة منوطة بحس الرجال أولاً قدمهم - قال الفخر : « يعنى العين روزنة القلب فإذا لم تر العين لا يشتهى القلب ، أما إن رأت العين ، فقد يشتهى القلب ، وقد لا يشتهى فالقلب حينئذ أطهر ، وعدم الفتنة حينئذ أظهر (١) ، فكانت وراء واقية بحق مقام التشديد في التحريم والنهي . بما أفادته من الإغراق في الاستتار بالإضافة إلى الحجاب ملازمة للسياق .

الموضع الخامس : قوله تعالى : (إن الذين يتنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون - الحجرات ٤) .

السياق من أول السورة لتعظيم حضرة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد بدأت السورة بالنهي عن مطلق التقديم وذلك بحذف مفعول (لا تقدموا) ثم النهي عن رفع الصوت بحضرة . ثم الجهر معه بالقول . وجعل رفع العمل بتنفيذ ما مضى . وإحباطه في عدم الإذعان له ، وبلغ التحذير الذروة بقوله : (وأتم لا تسمعون) ومعلوم أن النهي ليس متوجهاً إلى ما يقارن رفع الصوت والجهر من الاستخفاف فذلك كفر كما أفاده أبو السعود (٢) . وبعد الترهيب من الاختلال . رغب النظم في الانتهاء بقوله : (إن الذين يغضون ...) جاءت (وراء) في الآية الواقعة في هذا السياق . وهنا يتصاعد البان القرآني لتعظيم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقمت

(١) مفاتيح الغيب ١٢ / ٦١٥

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٧ / ٥٨٤ وما بعدها .

«(وراء) متعلقة بـ(ينادونك) وقد ذكر أهل العلم أنها بمعنى خلف(١) أو قدام، لذا قد اتسم القول من قائل إن النداء من المسجد أمام الحجرات. أو خارجه خلف الحجرات. ولو قال القرآن: خلف أو قدام، لكان النبي عن جهة واحدة، وهو ما ينبو عنه السياق والسباق، حيث يتنافى مع المساق من أول السورة، المتظاهر على تعظيم حرمة حضرته - صلى الله عليه وسلم - فالقصد النبي عن ندائه - صلى الله عليه وسلم - حيثما كان متواريا عن الآخرين، والجنابة على المعنى بحذفها أو استبدالها كما ترى.

يقول جاز الله: «والذي يقول: ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار، ولا دبرها، ولكن أى قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص، والإنكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها، وإنما أنكر عليهم، أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة(٢)، ولست أدري كيف يجعل العلامة ابن عاشور(٣) (وراء) هنا مجازا في الجهة المحبوبة، منكرًا ما تظاهرت به المعاجم وسياقات القرآن.

مقام المبالغة في الكفر:

وذلك في قوله تعالى: (وإذا قيل لهم بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين - مبقرة ٩١).

-
- (١) انظر مفاتيح الغيب ١٤ / ٣٦٥ ، القرطبي ٩ / ٦٣٥٩ ، بحر العلوم ٣ / ٢٦٢ ، الفتوحات الإلهية ٤ / ١٧٦ ، حاشية لصاوى ٤ / ١٠٩
 (٢) الكشف ٣ / ٥٥٨
 (٣) التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٢٦

سياق الآية على ما عرفت في الموضع الأول من المقام الأول ، وهي تعد مهادا لنبيذ اليهود المهود والكتاب ، وقد ذكر أهل العلم أن بما وراه هنا بمعنى بما سواء أو بما بعده أو بما خلفه أو بالإنجيل والقرآن (١) وقد وقعت (بما وراه) في سياق يتظاهر على بيان كفر اليهود بما في أيديهم ، فقد كان الأمر إليهم بالإيمان بكل منزل (آمنوا بما أنزل الله) أي بكل ما أنزل الله ، والقائلون بالعموم احتجوا بهذه الآية على أن لفظه (ما) بمعنى الذي تفيد العموم ، قالوا : لأن الله تعالى أمرهم بأن يؤمنوا بما أنزل الله فلما آمنوا بالبعض دون البعض ضمهم على ذلك ، ولولا أن لفظه (ما) تفيد العموم لما حسن هذا الذم (٢) ، وكان جوابهم (تؤمن أنزل علينا) ، ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم (٣) ، لأنه تعريض بأن ما سوى التوراة ليس منزلا ، ووقع قوله (ويكفرون بما وراه) حالا من الضمير في قالوا (٤) أي قالوا ، ما قالوا وهم يكفرون بما عداه ، وليس المراد مجرد بيان أن أفراد إيمانهم بما أنزل عليهم حقيقة (٥) ، وقد نصب النظم الكريم القرائن الكاشفة لمستور قولهم ، فقوله : (وهو الحق مصدقا لما معهم) جملة وقعت حالا من فاعل يكفرون ، والمعنى : قالوا تؤمن بما أنزل علينا ، وهم يكفرون بالقرآن ، والحال أنه مصدق لما آمنوا به ، فيلزمهم الكفر بما آمنوا به ، ومآله أنهم ادعوا الإيمان بالتوراة ، والحال أنهم يكفرون بما يلزم من الكفر بها (٦) ، وجاء قوله : (قل فلم تقتلون

(١) انظر بحر العلوم ١/ ١٣٧ ، ابن كثير ١/ ٦٢٥ ، والكشاف ١/ ٢٩٦ ،
٢٩٧ ، الصاوي على الجلالين ١/ ٤٥ ، فتح القدير ١/ ١١٣

(٢) مفاتيح الغيب ٢/ ٢٥٤

(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣

(٤) تفسير الفيضاني ١/ ٦٩ (٥) تفسير أبي السعود ١/ ٦٢٤

(٦) تفسير أبي السعود ١/ ٦٢٥

أنبياء الله من قبل (إن كنتم مؤمنين) ردا لادعائهم الإيمان « أى قل لهم إلزاماً وبياناً لكفرهم بالتوراة التى ادعوا بالإيمان بها (١) » ، وقد تجاوزت (وراء) مع هذا السياق والمقام الذى يتظاهر على كسف مستور اليهود ، ولو وقع نزولها موقعها ، لما لزم السياق ولما وفى بحق المقام .

مقام المبالغة في العجز :

وقع ذلك في قوله تعالى : (لا يقاوتكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون - الحشر ١٤) .

جاءت الآية ذروة البيان عن عجز اليهود وفرط رهبتهم . فقد جاء في مفتاح السورة قوله : (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب - ٢٠) فإن شدة بأسهم ومنعهم جعلت المسلمين يظنون أنهم لن يتصروا ، وأبان النظم عن خصيصة فيهم (وظنوا أنهم . . .) أى أن حصونهم تمنعهم من بأس الله ، « وتغيير النظم وتقديم الخبر وإسناد الجملة إن ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانهم بها . واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة بسببها (٢) ، لكن الله أثبت في قلوبهم الرعب ، ثم يتصاعد القرآن ببيانه ليكشف فرط رعبهم من المسلمين (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - ١٣) « أى رهبتهم في السر أشد عما يظهرونه لكم من رهبة الله ؛ فإنهم كانوا يدهون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى (٣) ثم جاء قوله : « لا يقاوتكم . . . » علماً على هذا الرعب ؛ بادئاً بالأدنى منتهياً بالأعلى ، لما في الثاني من التخصيص عن الأول ، إلا فى قرى محصنة « أو من وراء جدر ، أى

(١) القرطبي ١/ ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، والفتوحات الإلهية ١ / ٧٨

(٢) البيضاوى ٢/ ٤٦٤ (٣) أبو السعود ٨ / ١٨٠

« دون أن يصحروا لكم ويأرزوك (١) » وقد وقعت (وراء) هنا كاشفة عن أنهم كانوا يستترون تمام الاستتار ، لذا لم يصلح في هذا المقام والسياق أن يعبر « بخلف » لأن مدار البيان على اجتهادهم في الاستتار وما يعين عليه قراءة من وحد الجدر (جدار) ، وقول القرطبي « أى من خلف حيطان يستترون بها (٢) » .

تأمل كيف نصر على الاستتار ، ثم إن المقام في الكشف عن مستور قلوب اليهود ، وما فيها من فرط الجبن فوراء أولى به وألصق .

مقام المبالغة في الظلم :

وقع ذلك في قوله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » (الكهف ٧٩) .

هكذا تقوى القرائن لتأويل وراء بـ (أمام) يقوى التكلف لتأويلها بـ (خلف) هذا ما جرى في هذا الموضع ، والوجه الأول هو الأعلى عند المفسرين ، وذلك لأن هذا المعنى بالمقام ألصق ، ولأن ابن عباس وابن جرير أقرأ (وكان أمامهم) ، والذين تأولوها بـ (خلف) قالوا : إن رجوعهم كان عليه ، أو أنه كان من خلفهم زمننا عند من قال بأنها من الأضداد في المواقيت والأزمان وتأولوا قراءة (أمامهم) بأن المراد بالظرف المكان (٣) والذي يتظاهر عليه السياق ، هو البيان عن مبالغة هذا الملك في الظلم ، والذي

(١) الكشف ٨٥/٤ (٢) القرطبي ٧٥٨/١٠

(٣) انظر بحر العلوم ٢/٢٠٩ ، والكشاف ٢/٥٩٥ ، القرطبي ٦/٢٠٣ وما بعدها ، مفاتيح الغيب ١٠/٣٦٦ ، البيضاوى ٢/٢٢ ، الشهاب على البيضاوى ٦/١٢٧ ، ١٢٨ ، والفتوحات الإلهية ٣/٣٩ ، الصاوى ٣/٢٣ ، أبي السعود ٤/٧٣٤ ، التحرير والتوير ١١/١٦ وما بعدها .

من شيمته - كما يفيد التركيب - شدة القسوة واتساع السطوة (فكانت
لمساكين يعملون في البحر) (يأخذ كل سفينة غصبا) وهو عما يمل وجه
الحكمة في صليح الحضرة - عليه السلام - ألا تراه حذف الصفة إشعارا
بالبالغة في الظلم، وهذا القيد (غصبا) مما يعين عليه أيضاً .

والتعبير بوراء هنا لادم السياق ووفى بالمقام ، إذ هي تفيد أنه كان
متوارياً عنهم راصدا لهم ، وكانوا في غفلة منه ، لعدم معرفتهم بظله
وغشمة ، وقد ذكر البقاعي في هذا الموضع كلاما يظهر فيه نور السياق في
وراء قال رحمه الله : « وكان وراءهم أى أمامهم ، ولعله عبر بلفظ (وراء)
كناية عن الإحاطة بنفوذ الأمر في كل وجهة وارتهم وواروها ، وفسره
الحرالى في سورة البقرة : بأنه وراءهم في غيبة عن عملهم ، وإن كان أمامهم
في وجهمهم ؛ لأنه فسر الوراء بما لا يناله الحس ، ولا العلم حينما كان من
المكان قال : فرما اجتمع أن يكون الشيء وراء من حيث إنه لا يعلم ، ويكون
أماما في المكان (١) ، وهو عين ما فهمناه من أن الإمام المستورة وراء
والخلف المستور وراء حسا ومعنى ، ولو وقعت خلف أو قدام هنا لنبت
عن السياق ، وقصرت عن المقام .

مقام التحنير :

ومع ذلك في قوله تعالى : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتنم
طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم
ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ،
(النساء ١٠٢) .

المقام مقام حرب ، وقد وردت « وراء » متعلقة بقوله تعالى :

(١) نظم الدور في تناسب الآيات والسور ١١٩/١٢

﴿ قليكونوا ﴾ وهو أمر وارد على لاجب الإرشاد والتوجيه ، إبلاغاً في أخذ الحذر ، واقتراحه بالفناء المؤذنة بسرعة التعقيب بما يعمل هذا ، وقد دخلت من الابتدائية على وراء ، إلماعاً إلى التصاق الحارسين بظهور المصلين ، وما في وراء من معنى الاستار يوحى بموازاة المصلين بالحراسة ، ولو قال من خلفكم لما تساق مع الكلام ، ولما وفي بالمقام ، والظاهر أن القرآن يصعد بيانه في أخذ الحذر تأمل كيف قال قبل وراء (وليأخذوا أسلحتهم) . وقال بعدها (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) وذلك لأن العدو لم يتبه إلى أنهم يصلون في مبتدأ الصلاة ، وفي إكمالها تنبه بلاربيب ، فترصدم على ما ذكر الفخر - رحمه الله (١) - ثم تأمل ما أبان به القرآن الكريم عن شدة تربص العدو بالمؤمنين والتي يلائمها شدة التحذير (ود الذين كفروا تلون تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) وسياق (وراء) يكاترى ، والأعلى في مقام أخذ الحذر هو وراء لا خلف إلماعاً إلى شدة نالانتهاء ، وإبلاغاً في أخذ الحذر ، وتجد العلماء يذكرون أن (من وراءكم) هنا أى (يحرسونكم) (٢) وقد أبانت وراء عن وجه الحراسة ، وجعلت المصلين غيباً إذا ما نظر العدو إليهم ، لما عليه الحارسون من تمام سترهم وحماية ظهورهم .

مقام الرغبة :

قال تعالى : (وإن خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عافرا خب لي من لدنك وليا يرثى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا - حريم ٦٥)

اتفق المفسرون أن (من ورائى) هنا بمعنى (من بعدى) ، ولا يمكن

(١) انظر مفاتيح الغيب ٥ / ٢٢٣

(٢) انظر الكشاف ١ / ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، البيضاوى ١ / ٢٤٠

أن تكون متعلقة بخفت لفساد المعنى ، فهي إما متعلقة بمحذوف ،
 والتقدير : خفت فعمل الموالي من ورائي ، وإما بمعنى الولاية في الموالي ،
 والتقدير : خفت الذين يلون الأمر من ورائي (١) ، وهو قائم على أن الأنبياء
 لا يخشون إلا الله ، والسياق للرغبة بإظهار التضرع بين يديها كما يتظاهر
 عليه سياق السورة . وما من ريب في أن خوفه أهلى أسباب الطلب ، وأن
 الخوف من أجل وراثة العلم والنبوة ، لا من أجل وراثة المال كما هو لائق
 بمقام النبوة ، وقد كشفت من ورائي أن خوفه من المستور أمامه ، كان
 قائماً على ما رآه في المنظور أمامه ، وهو ما تؤيده القراءة الأخرى بتشديد
 (خفت) وإن كان (ورائي) بمعنى خلق أو بعدى فهو متعلق بالموالي
 والمعنى . أنهم قالوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين ، وأنه سأل ربه تقويهم
 ومظاهرهم بولي يرزقه ، وإن كان ورائي بمعنى (قداى) فهو متعلق بالفعل
 (خفت) والمعنى أنهم خضوا ، ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوى
 واعتضاد (٢) ، والقراءتان متظاهرتان على بيان المعنى ، ويكون المعنى
 عليهما ، وإن خفت انعدام الموالي من بعدى لما رأيت خفتم قداى به
 وذلك أدهى لطلب المولى ، وألصق بالرغبة ، لذا كانت ألصق بها من
 الأسباب السابقة عليها ، ثم إن التعبير بواء نص في أنه لا مولى في وجوده
 وحضرته ، وإنما يكون ذلك بعد وفاته ، وذلك غير (من بعد) فليست
 نصاً في هذا المعنى ، ثم إن (وراء) تجري على لا حسب مقام النبوة في
 خوفهم على ديني الله حتى بعد موتهم ، ووراء نص في الاستار ، فيكون
 ذلك يائناً عن خوفهم على دين الله في الزمان المنظور والزمان المستور -
 ولا يني سواها بهذا الغرض ، وشئ آخر هو أن الأسباب المسوقة بين

(١) انظر الكشف ٢/ ٥٠٢

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٠/ ٣٩٨ وما بعدها وقد رد القرطبي هذه القراءة -

يعدى الرغبة من أول السورة ، تدور بين سبب باطن وسبب ظاهر تأمل
(رب إني ومن العظم مني) وهو سبب باطن (واشتعل الرأس شيبا) وهو
سبب ظاهر ، (ولم أكن بدعائك رب شقيا) وهو سبب ظاهر ، (ولني خفت
الموالي من ورائي) وهو سبب باطن (وكانت امرأتى عاقرا) وهو سبب
ظاهر ، فجاء بوراء في السبب المستتر ، لأنه كان في غيب الغيب بالنسبة إلى
سيدنا زكريا عليه السلام . فهو خوف من مستور أمامه .

مقام تأكيد البشارة :

قال تعالى : (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء
إسحاق يعقوب - هود ٧١) .

وقد ت هذه البشارة في ثلاثة مواضع ، هذا الموضع والذي في الحجر
تعالى لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم - ٥٣) وفي الذاريات (قالوا لا تخف
ببشره بغلام عليم - ٢٨) ، فجاءت البشارة هنا ذاكرة اسم الولد ، واسم
ولد الولد ، لذا عقب النظم البشارة في سورة هو بقوله : (قلنا ذهب من
إبراهيم الروح وجاءته البشري فجادلنا في هوم لوط - هود ٧٦) . وليست
هذه كورة في الموضعين الأخيرين ، وهو المتناسب مع سياق تأكيد البشارة ،
واختصت الحجر بتعجب سيدنا إبراهيم من البشارة ، واختصت الذاريات
بإخباره من زوجه بأنها صكت وجهها ، وبرغم تأكيد البشارة هنا وغرايتها ،
فإنها لم تصك وجهها ، بل ولم تذكر السبب الأعلى في عدم الإنجاب كما في
الذاريات (وقالت عجوز عقيم) وفي هود (آله وأنا عجوز) ، وهو
مما يؤيد تفسير الضحك بالحيض ، فيما روى عن مجاهد وعكرمة ثم إن النص
على دهاب الروح هنا معلم دال على تأكيد البشارة ، والذي ينبغي يانه في
هذا المقام أن الأكثرين من أهل العلم على أن (من وراء) بمعنى (من بعيد)
وفسرها بعضهم بأن معناها ولد الولد ، إستنادا إلى ما روى عن الشعبي
هو ابن عباس في قول الأخير لرجل معه ابن ابنه هذا ابنك من وراء ، وهو

بعيد في التعسف عند الفخر، والذي أجبره أنهم أرادوا البيان من تأكيد
 البشارة لإبراهيم عليه السلام - في أنه سيعيش ويرى ولد وولد له ، أما فضل
 وراء في هذا الموضع ، فإنها جعلت « إسحق » أمام سيدنا إبراهيم المنظور ،
 وجعلت يعقوب أمامه المستور كأن التبشير بوجود إسحق أمر فرغ منه كأنه
 منظور ، يستر أمامه المستور ، والذي يوضح هذا أنه قد قرى برفع
 يعقوب ، والمعنى ويكون من وراء إسحق يعقوب مولود أو موجود ،
 أو ثبت لها من وراء إسحق يعقوب ، أو يكوى في موضع الحال ؛ والمعنى :
 بشروها بإسحق مقابله ليعقوب ، فيكون كل من النبيين وراء بالنسبة إلى
 الآخر ، وبكل المعاني فإسحق عليه السلام يصبح كالآمام المنظور بالنسبة
 لآبيه ، ويعقوب أمام مستور بالنسبة لجدّه ، وقر الفتح (يعقوب) تؤيد
 هذا ؛ أيضا فالمعنى : فبشرنا من وراء إسحق يعقوب ، أو ووهنا من وراء
 إسحق يعقوب ، فالتعبير بوراء أكد على التبشير بإسحق ومكن في التبشير
 بيعقوب ، فقد جعلتهما وراء متقابلين على ما عرفت ، وذلك هو الأعلى في
 مقام تأكيد البشارة ؛ إذا ما أبصرنا مواضعها في الذكر الحكيم ، وذلك
 لأن الاستار لا يغادر معنى وراء ، وهذا غير من بعد لأنها لا تؤكد
 البشارة بالنبيين .

مقام تنزيه الذات العلية عن المسكان والجهة :

قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب -
 أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم - الشورى ٥١) .

السورة سورة الوحى ، وهذه الآية تنادى على قوله سبحانه في أول
 السورة (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم -
 الشورى ٣) وبعد الآية نحل الشاهد (وكذلك أوحينا إليك روحا من
 أمرنا - ٥٢) فالآية نحل الشاهد كاشفة عن طرائق هذا الوحى المذكور

في أول السورة وفي آخرها ، و (من وراء) تتعلق بقوله سبحانه (يكلمه) وقد زعم البعض أن في الآية نصاً على الجهة ، وقد اشتغل المفسرون بالرد على هؤلاء البعض ، والخطب حين ، لأن القرآن لو قال من خلف حجاب ، أو من أمام حجاب ، لكان لزعمهم وجه ؛ لكنه لما جبر بوراء ؛ وهي هنا- فيما أرى - تدل على الجهتين معاً ؛ فافقه في كل مكان وكل جهة - سبحانه وتعالى ؛ فالوراء كل خلف أو قدام استتر عنك ؛ والمراد من الحجاب لازمه ؛ وهو عدم الرؤية ؛ والحجاب وصف المبدل وصف الرب (١) ، وقد ذكر أهل العلم أن موسى - عليه السلام - سمع صوت الله من كل ناحية عندما كلمه ؛ وكان الكلام في كل ذلك من وراء حجاب ؛ فلو وقع هنا خلف أو قدام ؛ لتنافى مع الكمال ؛ واقتضى المكان والجهة ؛ وربما يزيدك بصراً تذكرك ما عرض عليك في سورة الحجرات ؛ مع إبطاءك أن الحجرة محيطة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أما هنا فالحجاب يحيط بالعبد ؛ لأن الله سبحانه يحيط ولا يحاط به ؛ فهو لا يكلم بشراً إلا مستتراً عنه ؛ والملائم لمقام التنزيه ألا تعد الآية من التشبيه كما قال الرغزشي دأى كما يكلم الملك المحتجب ببعض خواصه ؛ وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ، ولا يرى شخصه (٢) فإنه من فساد التأويل ؛ وقد روى د أن موسى - عليه السلام - لما شاهد النور الساطع من الشجرة إلى السماء ؛ وسمع تسبيح الملائكة وضع يديه على هيبته ؛ فتودى يا موسى ؟ قال : لييك إني أسمع صوتك ؛ ولا أراك فأين أنت ؟ قال : أنا معك وأمامك وخلفك ومحيط بك ، وأقرب إليك منك ؛ إن ابليس

(١) انظر في هذه الوجوه الإعرابية الكشف ٢ / ٢٨١ ، مفاتيح الغيب ٨ / ٥٧١ القرطبي ٤ / ٣٣٨٧ الفتوح الإلهية ٢ / ٤١٠ ، الصاوي ٢ / ٢٢٢ ، التحرير والتنوير ١٢ / ١١٩ ، ١٢٠
(٢) الصاوي على الجلالين ٤ / ٥٤
(٣) الكشف ٣ / ٤٧٥

أخطر بباله هذا الشك ، وقال ، ما يدبرك أنك تسمح كلام الله ؟ فقال :
لأنى أسمعه من فوق ومن تحت ومن خلق ومن يميني ، وعن شمالي ، كما أسمعه
من قدامي ، فعلت أنه ليس بكلام المخلوقين (١) ، وما يقال في آية الأحزاب
غير ما يقال هنا ، فالسياق غير السياق ، والمقام غير المقام ، فالأولى في مقام
توجيه المخلوقين ، والثاني هنا في المقام حديث الخالق عن نفسه .

وبعد . . .

فهذا ما قبسناه من نور وراء في سياقتها في الذكر الحكيم ، وقد
أبصرناها - في مقامات تكشف عوار اليهود ، وغفلة المعرضين ، ومقامات
تبكي الضالين . وتعظيم حرمة سيد المرسلين ، وتنزيه رب العالمين ،
ووجدنا لها إحياء يحدو بالمخلصين نحو يفاع الطاعة - في مقامات التشديد في
التحريم والنهي ، وقد حاولنا الكشف عن وقائها بحق المقام والسياق
ملتزمين في كل ذلك بالإيجاز ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته .

أهم مصادر البحث

القرآن الكريم :

- ١ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود بهامش الرازي بدون تاريخ .
- ٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوى ط الطبى ١٣٨٨ هـ
- ٣ - بحر العلوم لأبي الليث السمرقندى ط دار الكتب العلمية ١٤١٣ هـ
- ٤ - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط الدار التونسية ١٩٨٤ م
- ٥ - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ط عيسى الحلبي .
- ٦ - حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير القاضي البيضاوى ط بولاق بدون تاريخ .
- ٧ - حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ط دار الفكر ١٣٩٧ هـ
- ٨ - الخصائص لابن جنى ت الشيخ / محمد على النجار ط الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٨ هـ .
- ٩ - دراسات لأسلوب القرآن د / محمد الخالوق عضيمة ط حسان .
- ١٠ - صورة الأمر والنهى فى الذكر الحكيم د / محمود توفيق محمد سعد ط الأمانة ١٤١٣ هـ .

١١ - علاقة المطالع بالمقاصد فى القرآن الكريم دراسة بلاغية
(نظرية - تطبيقية) .

مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة لإشراف (د / محمد
أبوموسى ، د / محمد جلال الذهبى) للكاتب د / إبراهيم
صلاح المدهد .

١٢ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للشيخ الجمل
ط عيسى الحلبي .

١٣ - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى
ط دار المعرفة بدون تاريخ .

١٤ - فقه اللغة وسر العربية للتحالى ط بيروت بدون تاريخ .

١٥ - القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز أبادى ط بيروت .

١٦ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري
ط مصطفى الحلبي ١٣٩٢ هـ .

١٧ - لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف .

١٨ - المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ت محمد جاد المولى
وآخرين ط بيروت ١٩٨٦ م .

١٩ - المصباح المنير للفيومى ط المكتبة العلمية .

٢٠ - مفاتيح القيب المشتهر بالتفسير الكبير للفخر الرازى ط دار
الغد العربى .

٢١ - المقررات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت كيلاني
ط الحلبي ١٣٨١ هـ .

٢٢ — المواعدة بين شعر أبي تمام والبحري للامدي ت / السيد صقر
ط دار المعارف الرابعة .

٢٣ — الموافقات في أصول الشريعة ، ت / الشيخ عبد الله دراز
ط المكتبة التجارية .

٢٤ — مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية د / عبد الفتاح
البركاوي ١٤١٤ هـ .

٢٥ — نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي
ط الهند ١٣٨٩ هـ .

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
توطئة	١٦٩
دلالة وراء عند اللغويين والمفسرين .	١٧١
مواضع وراء في الذكر الحكيم	١٧٧
مقام الإهراض والغفلة	١٧٧
مقام التهديد والوعيد	١٨٦
مقام التحسير والتبكي	١٩٧
مقام التشديد في التحريم والنهي	٢٠١
مقام المبالغة في الكفر	٢٠٦
مقام المبالغة في الجبن	٢٠٨
مقام المبالغة في الظلم	٢٠٩
مقام التحنير	٢١٠
مقام الرغبة	٢١١
مقام تأكيد البشارة	٢١٣
مقام تنزيه الذات العلية عن المكان والجهة	٢١٤
أهم مصادر البحث	٢١٧

الثر النفسى سر البلاغة

بقلم الدكتور
عبد القادر بن عبد الوهاب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي للجلال وجهه وعظيم سلطانه القائل فى كتابه العزيز : الرحمن علم القرآن خلق الإنسان عليه البيان .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين يعلم البلاغة والفصاحة والناطق بما للبيان من تأثير على النفوس والقلوب وأنه يصنع فيها صنيع السحر فقال عليه الصلاة والسلام (إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة) .

بعد عملية استقرار واسعة فى أصول البلاغة العربية ، ومن أجل العمل على ارجاع البلاغة إلى مصدر الحياة الفنية ، ووصلا لأصول فن الكلام بأصول الحس والدوق والتأثير ، ومن أجل بناء جسم بلاغى جديد يجمع بين هذه المتفرقات التى تشير إلى وجود أثر نفسى فى أساليب البلاغة العربية .

فتم بهذه الدراسة التي تهدف إلى إظهار الأثر النفسي للأساليب البلاغية من جهة ، وكيف تستخدم هذه الأساليب المعاني النفسية من جهة أخرى .

ولقد تنوعت الأساليب البلاغية التي ذكرتها فشمكت علوم البلاغة الثلاثة (البيان - المعاني - البديع) .

أما علم البيان ففيه (التشبيه - المجاز - الاستعارة - الكناية) .

وأما علم المعاني ففيه (الاستفهام - التكرار - التقديم والتأخير - القصر - الاعتراض - الإيجاز) .

وأما علم البديع ففيه (الطباق - المقابلة - تأكيد المدح بما يشبه الذم - التكميل - التهذيب والتأديب - الفرائد) .

وسأتناول هذه الأساليب بالدراسة والتحليل معتمدا اعتمادا كبيرا على الشواهد القرآنية ومظهر الأثر النفسي لكل أسلوب على حدة .

وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير .

الأساليب البلاغية

أولاً : التشبيه :

التشبيه عند البلاغيين أشبه بوسائل الإيضاح التي تهدف إلى زيادة التأثير في النفس ، وتثبيت المعاني فيها إذ يعقد صلة بين أمرين أو أكثر يشتركان بقصد إبراز هذه الصفة في أحدهما ، وتجميعهما وتوضيحهما (١) .

والتشبيه يضئ على المعنى شرفاً ووضوحاً ويزيده قوة وتأكيذا ويرفع من قدره الكلام ويتحرك القلب إليه ، لأنه يلتقل من المعنى الأصلي إلى صور تشبهه وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوة ووضوحاً كان أملك للنفس وأبعد للتأثير (٢) .

قال تعالى : « قل أندھوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرننا ونزد على أهقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى افتنا » (٣) .

يريد القرآن أن يبرز الحيرة التي تقاب من يشرك بعد التوحيد ويرته على عقبيه إلى الكفر ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد والآلهة المتعددين ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال فتبرز صورة هذا المخلوق الذي

(١) الصورة بين البلاغة والتقدم : د . بسام ساعي ، ص ٥٤ . المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .

(٢) القرآن والصور البيانية ، د . عبد القادر حسين ، ص ٩٨ ، دار المنار ، القاهرة ١٩٩١ م .

(٣) سورة الأنعام الآية ٧١

استهوته الشياطين في الأرض . ولفظ الاستهواء لفظ مصور لدلوله وباليته يتبع هذا الاستهواء ، ولكن هناك من الجانب الآخر إخوان له يدعونه إلى الهدى ويتادونه « اثنتا » وهو بين الاستهواء وهذا الدعاء حيران موزع القلب لا يدري أى الفريقين يجيب ولا أى الطريقين يسلك فهو قائم هناك شاخص متلفت (٤) . فالقرآن الكريم يصور لنا الحالة النفسية والمعنوية لهذا الإنسان التعيس .

بالعودة إلى اللسق التيميزى يتبين لنا سبب تلك الحيرة ، فالاستفهام في صدر الآية « قل أندعو من دون الله ، وقوله « مالا ينفعنا ولا يضرننا » وقوله « نرد على أعقابنا » . ثم هذا التشبيه الذى يعقد صلة نفسية بين المتردد الضعيف ومن استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنتا ، ذلك كله يبرز أسباب الحيرة ويكشف عن شخصية الحيران عميقة واهنة لا تملك من أمرها أمرا (٥) .

هذه النفسية الحائرة التى يصورها القرآن الكريم والتى لا تستطيع أن تثبت في مهب الريح أو تستقر في مكان تحكم على نفسها بالفناء والعلم عند سماعها قول الحق وصوت اليقين « قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا المسلمونب العالمين » .

« . وكقوله تعالى : « ولقل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فقله كثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (٦) » .

(٤) التصوير اللقى في القرآن ، سيد قطب ج ١ ، دار المعارف . القاهرة .

(٥) بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ : د. متحى أحمد طاهر ، ص ٣٥٢ ،

دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٤

(٦) سورة الأعراف الآيتان ١٧٤ - ١٧٥

يقول الرماني (انظر كيف صور دخائل النفس الإنسانية والحيوانية وكيف تلتقيان في المعصية الخبيثة المدبرة عن عمد (٧)) .

فالرماني في هذه الآية لا يتحدث عن التشبيه على أنه صورة من صور علم البيان بأن يذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وإنما تناوله تناولا ذوقيا يكشف فيه عن الغرض النفسى ، واعتبره صورة من صور البيان المعجز في النظم القرآنى وذلك لما تحمله هذه الصور من سبجات تأملية تسبح فيها العاطفة والعقل معا . فليس التشبيه صورة شكلية جامدة وإنما هو نبض وحركة وتصوير وانفعال وإثارة شعورية .

فصفته التى هى مثل الخسة والضعفة كصفة الكلب فى أحواله وأذله ، وهى حال دوام اللبث به واتصاله ، سواء حمل عليه ، أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه ، وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللبث إلا إذا حمل عليه ، وقيل معناه إن وعظته فهو ضال ، وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته لث ، وإن تركته على حاله لث ذليلا دائم الإذلة لاهثا فى الحالين (٨) .

فالقُرآن يقرر ملازمة صفة الضلال فى الرجل لزوم صفة اللهثان فى الكلب فلوزالت صفة اللهثان عن الكلب تزول صفة الضلال عن الرجل ، وهذا ضرب من الاستحالة كما فى قوله تعالى : إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (٩) .

-
- (٧) ثلاث رسائل فى إحصاء القرآن ، الرماني ، الخطاطى ، عبد القاهر ص ٧٥ تحقيق : د. محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٦م .
(٨) الكشف . الزمخشري ٢ ص ١٢١ المطبعة البهية المصرية ١٣٤٣هـ .
(٩) سورة الأعراف الآية ٤٠

فملقم القرآن بأمر مستحيل وهذا له أثر شديد على النفس . فالمناجاة مستمرة وباقية بقاء الانتظار في تحقيق المستحيل .

وكذلك تصوير الصراع النفسى للإنسان الكافر في قوله تعالى : «إنها ترى بشرى كالعصر كأنه جمالة صفر» (١٠) .

«من خلال هذا المشهد الحافل يعيش المؤمن بين الخوف من النار والرجاء في دخول الجنة ، ويعيش الكافر في صراع نفسى قد يصل به إلى الإيمان فينجو أو إلى العناد فيهلك» (١١) .

وكقوله تعالى : «والذين كفروا أحماهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه» (١٢) .

شبه أعمال البر والخير التى يعملها الكافرون ظاهرين أنها ستنتفعهم بالسراب الذى لا حقيقة له ، فالصورة الأولى عقلية شبهها بصورة حسية حتى تستقر فى النفس وتتضح معالمها فى الذهن فتصبح صورة واضحة لا غموض فيها .

فلو أن القرآن قال : أحماهم غير مشمرة . لم يكن له فى النفس هذا الأثر القوى الذى يصور عدم جدوى هذه الأعمال (١٣) .

وكقوله تعالى : «وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن يضئ من نور» (١٤) .

(١٠) سورة المرسلات الآيات ٣٢ - ٣٣

(١١) المعاني الثانية فى الأسلوب القرآنى ، د. فتحى أحمد عامر ص ٢٢٥ ،
مكتبة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٦ م .

(١٢) سورة النور الآية ٣٩

(١٣) البيان فى ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ص ٥٩
دار المعارف ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٥ م .

(١٤) سورة الصافات الآيات ٤٨ - ٤٩

وقوله تعالى : « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » (١٥) .

وقوله تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان » (١٦) .

كل هذه الألفاظ تبرز معاني الجمال والحسن ثم كان التشبيه مصورا هذا الجمال مبدعا في إظهاره ، فهن بيض النعام ذو اللون الأبيض المشرب بصفرة ، وذلك أجمل وأحسن ألوان النساء ، والبيض قد كن وستر فلا يصل إليه غبار ، وهن لؤلؤ مكنون ، وهن كأنهن ياقوت ومرجان والنفس شديدة الرغبة في هذه الأنواع الكريمة وتلك الأحجار النفيسة محبة لها ، شديدة الحرص عليها وذلك عامل نفسي قوى يحب هؤلاء النساء ويعلى شأنهن في نفس المؤمن (١٧) .

وقد يستخدم الإنسان من التشكيل البلاغى ملتصدا بالمعاني النفسية التي تجول في صدره فاستخدامه للمصطلحات الهادئة ذات الرجح النفسى طويل المدة غير استخدامة للمصطلحات التي تحمل معنى الحماسة والمفاضة ذات الأثر النفسى قصير المدة ولذلك فاستخدام الشاعر الهاء زهير مثلا للتشبيه كامل الأركان يكون في إطار هدوء النفس ، ومقام يحتاج معه الإنسان إلى وقت في شرحه وسماحه والتمتع بتلقيه .

ومن ذلك مدحه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب أخا السلطان الملك صلاح الدين يوسف وذلك سنة اثنتين وعشرين وستائة وأولها .

وعد الزيارة طرفه المتملق وبلاء قلبي من جنون تنطق
إلى أن يقول :

يا عاذلى أنا من سمعت حديثه ففساك تحنو أو لعلك ترفق

(١٥) سورة الواقعة الآيتان ٢٢ - ٢٣

(١٦) سورة الرحمن الآية ٥٨

(١٧) علم البيان : د. بسيوفى عبد الفتاح ص ٢٤ مطبعة السعادة القاهرة الطبعة

الأولى ١٩٨٨ م

لو كنت منا حيث تسمع أو ترى : رأيت ثوب الصبر كيف يمزق .
ورأيت ألطف عاشقين تشاكيا وعجبت من لا يحب ويعشق
أيسومنى العذال عنه تصبرا وحياته قلبي أرق وأشفق .
إن عنفوا أو صوفوا أو سوفوا لا أثنى لا اتهمى لا أفرق
أبدا أزيد مع الوصال تلهفا كالعقد فى جيد المليحة تعلق
وزيدنى تلقا فأشكر فعله كالمسك تسحقه الأكف فيمبق (١٨)

هذا الجو النفسى للشاعر هو الذى دفعه إلى استخدام التشبيه فى أركانه
الكاملة فهو يزيد فى حبه لمدوحه ويلبى عن ارتياح نفسية المدحوح وحبه
لسماع هذا المديح كما أنه يلبي عن رضى نفسية القائل ولذلك اختار من
عناصر التصوير البلاغى ما يصور هدوء النفس وراحة البال (١٩) .

ومن التشبيهات التى تعارفت عليها العرب واستخدمتها وكان لها الأثر
النفسى عندهم تشبيههم الحديث بالعسل فى قول ذى الرمة :

وقلنا سقاطا فى حديث كأنه جنى النحل بمزوجا بماء الوقائع
فقد شبه الحديث بالعسل ولم يكن حبه للعسل بسبب حلاوته وطيب
طعمه لحسب ، وإنما لأنهم اعتقدوا فيه الشفاء من أمراضهم وجريه علاجا
ناجحا لأكثر الأمراض (٢٠) .

وهذا يبين ارتباط العسل بقضية نفسية عند العرب مرتبطة بقضية

(١٨) ديوان البهاء زهير : ص ١٧٥ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، محمد
طاهر الجبلابوى ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ م .

(١٩) البلاغة : عرض وتوجيه وتفسير ، د. محمد يركات أبو على ص ٩٧ ،
دار الفكر ، عمان ط ١٩٨٣ م .

(٢٠) التشبيهات القرآنية والبيئة المربية ، واجد مجيد الأطرقجى ص ١١٢
وزارة الثقافة ، بغداد ١٩٧٨ م . وانظر لبلاغة عرض وتوجيه وتفسير ص ٩٨

الإيمانية مستوحاة من قوله تعالى : ويخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه
فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، (٢١) .

الإمام عبد القاهر الجرجاني والأثر النفسى للتمثيل

بين الإمام عبد القاهر الجرجاني الأثر النفسى للتمثيل بشقيه التشبيهى
والاستعارى بقوله : واعلم أن ما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء فى
أعقاب المعانى أو برزت هى باختصار فى معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية
إلى صورته كساها أبهة وأكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من ثارها
وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها ... فإن كان مدحا
كان أبهى وأغنى وأنبى فى النفوس وأعظم ... وإن كان ذما كان منه أوجع
وميسمه أذع ووقعه أشد . وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب
والقلب أخلب .. وإن كان وعظا كان أشق للصدر وأدهى للفكر (٢٢) .

فلو تأملنا كل هذه العبارات التى ذكرها الإمام لوجدناها موجهة إلى
إظهار التأثير على النفس وقبول النفس لها .

(٢١) سورة النحل الآية ٦٩

(٢٢) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ج ١ ص ٢٢٥ ، تحقيق : محمد

عبد المنعم خفاجى ، مكتبة القاهرة ط ٣ ١٩٧٩ . بتصرف .

العقاد والآخر النفسي للتشبيه

بين الأستاذ عباس محمود العقاد الآخر النفسي للتشبيه من خلال أثره في أصل الطبيعة ومشاهدها المثيرة بنفوسنا وعواطفنا فقال : إن الشاعر من يشعر بمجهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ، وإنما مزيته أن يقول ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به ، وليس هم الناس من القصيدة أن يتسابقوا في أشواط البصر وإنما مهمهم أن يتعاطفوا ، ويودع أحسبهم وأطعمهم في نفس إخوانه زبدة مآرآه ، وخلاصة ما استطابه أو كرهه ، ثم يقول : وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان فإن الناس جميعاً يرون الأشكال والألوان بحسوسة بذاتها كما تراها وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه .. ولهذا لا نفهمه كان كلامه مطرباً مؤثراً وكانت النفوس توافقه إلى سماعه واستيعابه لأنه يزيد الحياة حياة كما تزيد المرأة النور نوراً فالمرأة تعكس على البصر ما يضيء عليها ، من الشعاع فيتضاعف سطوعه (٢٣) .

وقد اعتبر الدكتور بدوى طبانة ما كتبه العقاد من أبدع ما كتبه المعاصرون في البلاغة بعامة وفي التشبيه بخاصة . وقال : ونحن مع العقاد في عظمة التشبيه المعبر عن النفس ، والذي يصل المشاهدين بالنفس ويستثير الإحساس وينبه كوامن المشاعر ، (٢٤) .

ثانياً : المجاز :

المجاز هو تجاوز الحقيقة ، ولا تتجاوز الحقيقة إلا إذا استخدمنا الكلمة

(٢٣) انظر : ديوان العقاد ص ١ - ٧١ القاهرة ١٩٢١ م .

(٢٤) علم البيان : د. بدوى طبانة ص ٧٠ دار الثقافة ، بيروت ١٩٨١ م .

في غير ما وضع لها في أصل الوضع اللغوي، وهذا مجاز لغوي، أو أسندنا
 الفعل أوما في معناه إلى غير ما هو له في الحقيقة، وهو مجاز الإسناد،
 أو ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل، وفي جميع هذه الحالات
 تتشوق النفس إلى معرفة التجاوز وهذا عامل نفسى فإذا ما فهمت وعلت
 الحقيقة رست هذه المعلومات في النفس واستقرت فيها. وهذا ما بينه الدكتور
 بدوى طبانة في حديث عن المجاز المرسل بقوله: «إن المعنى إذا عبر عنه
 باللفظ الذال على الحقيقة حصل كمال العلم به من جميع وجوهه وإذا عبر عنه
 بلفظ المجاز لم تعرف تلك الوجوه على جهة الكمال فيحصل من التعبير بالمجاز
 تشوق إلى تحصيل الكلام وهذا عامل نفسى لأن في هذا التجاوز استتارة
 لشكائين الشوق وجذا لا لانتباه ووعى ما في النص الأدنى من وجوه الحسن
 والجمال» (٢٥). ولو تأملنا في قوله تعالى: «يحملون أصابعهم في آذانهم
 من الصوايق حذر الموت» (٢٦). لوجدنا أن القرآن يصور لنا نفسية
 المشاغبين، وكيف أنهم يعيشون في حيرة دائمة، وخوف مستمر فهم
 يحسبون كل صيحة عليهم حتى صوت الرعد ورؤية البرق.

وحتى لا يسمعوا شيئاً من هذا كله جعلوا أصابعهم في آذانهم، لجاء
 التعبير بالأصبع تصويراً للبلع الذى ملأ قلوبهم وهيمن على نفوسهم.
 وكقوله تعالى: «فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن» (٢٧).

أى كي تقر نفسها فغير بالعين ولم يعبر بالنفس، لأن الدين هو الموطن
 الذى يدل على استقرار النفس، وعدم استقرارها. فاستقرار النفس هو
 استقرار الدين وعدم استقرار النفس هو عدم استقرار الدين. ولذلك جاء
 التعبير القرآنى بوضع لنا هذا المعنى النفسى الذى يحمل معانى الطمأنينة
 والاستقرار النفسى الإنسانية.

(٢٥) حلم لبيان: د. بدوى طبانة ص ٥٨

(٢٦) سورة البقرة الآية ١٩ (٢٧) سورة طه الآية ٤٠

وهناك المجاز الذى يترجم عن القفزات النفسية فى مثل قول الشاعر :
 سألتكم منكم جراح السنين وأخو عليكم كنوزا خصيبة
 « فإننا لا نستطيع أن نفصل بين التشكيل البلاغى ونفسية الشاعر » (٢٨)
 وكقوله تعالى : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع
 لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
 وبصلها قال أتستبدلون الذى أدنى هو بالذى هو خير أهبطوا مصرًا فإن
 لكم ما سألتم » (٢٩) .

فى هذه الآية تصوير للنفس وهى فى حالة التثقل وعدم الاستقرار
 والطمع وعدم القناعة والتشكك فيما هم عليه . ولذلك طلبوا التبديل
 والتغيير فقالوا :

ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها
 وعدسها وبصلها ، عثمين بعدم الصبر على طعام واحد لجأت الإجابة فيها
 نوع من الغرابة تبين لنا حقيقة هذه النفسية المنقلبة المتشككة :
 « قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير أهبطوا مصرًا فإن
 لكم ما سألتم » .

ومن هنا تبرز قيمة المجاز فى تصويره للنفس وإظهاره للمعانى النفسية.
 ثالثاً : الاستعارة :

لقد تناول الرماني الاستعارة بطريقة متميزة تختلف عن سابقه حيث
 بين الأثر النفسى لها مستشهداً على ذلك بآيات من القرآن الكريم ، ومبيناً
 فى كل شاهد المعنى الحقيق والمعنى المجازى والجامع بين المعنيين ونكتة التعبير
 بالاستعارة دون الحقيقة والسر البلاغى فى الآية ، والأثر النفسى الذى

(٢٨) البلاغة و عرض وتوجيه وتفسير ص ١٤٣

(٢٩) سورة البقرة الآية ٦١

يتداعى إلى القلوب هند سماع التمييز بالألفاظ التي دخلتها الاستعارة ويعتبر
الرماني أول من عالج الاستعارة بتلك الطريقة التي توخى فيها بيان أثرها
النفسى وانفعال الوجدان بها وتحرك الشعور لها (٣٠).

قال تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» (٣١).

قال (قدمنا) لم يقل حمدنا ليدل على أنه غاملهم معاملة القادم من السفر
وأنه في إهماله لهم كالتائب الذي قدم إليهم، فوجدهم على خلاف ما أمرهم
وفي هذا تحذير من الاغترار بالإهمال (٣٢) فالقرآن حين يعرض المعنى في
الصورة الاستعارية إنما يضرب على أوتار النفس تحذيرا من الاغترار
بالإهمال، وهو ما لا يؤدي بالمعنى الحقيقي فيما لو قال: «وعمدنا إلى ما عملوا
من عمل، ووصل التأثير النفسى فته في تصوير العمل المحبط بصورة
الهباء المنثور.

فالقرآن الكريم يصور هذه المعاني النفسية من خلال استخدامه لكلمة
قدمنا وما حملته من فوائد لا تتضمنها كلمة حمدنا وهذا ما بينه الإمام
عبد القاهر الجرجاني عندما تحدث عن الاستعارة مبينا المعاني والفوائد التي
تحملها الكلمة المستعارة. وعبرها من الأسس التي بنى عليها بعض البلاغيين
مفهوم الاستعارة إذ يقول:

«ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة
تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد التفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة
قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحدة
من تلك المواضع شأن مفرد وشرف! منفرد وفضيلة مرموقة. ومن

(٣٠) انظر: النكت للرماني ضمن ثلاث رسائل في إحصاء القرآن ص ٧٩

وانظر: القرآن والصور البيانية، د. عبد القادر حسين ص ١٩٨ - ١٩٩

(٣١) سورة الفرقان الآية ٢١

(٣٢) انظر ثلاث رسائل في إحصاء القرآن ص ٨٠

خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من
لحمانى باليسير في اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدور
تجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر (٣٣).

ولذلك استخدم القرآن الكريم كلمة البشارة في غير موطنها لتحمل
معنى جديداً مرتبطاً بالنفس ارتباطاً وثيقاً وهو التهكم في قوله تعالى :
« فبشرهم بعذاب أليم » (٣٤)

ونحن نعلم أن البشارة إنما تكون في الخير فكان جمال الاستعارة
التهكمية في المقارنة التي امتدت من المعنى الطيب إلى معنى الألم والجحيم .
وهذا ما أشار إليه الزعزري في قوله تعالى : « ولما سكنت عن موسى
الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » (٣٥)
فاللوح كان الغضب كان يفره على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا . وألقى
الألواح وجز برأس أخيك ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستوضحها كل
ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما
لقراءة معاوية بن قرة « ولما سكن عن موسى الغضب » لا تهدد النفس عندها
شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة (٣٦).

ففرق الزعزري بين القراءتين مبيتاً أيهما لبلغ وإيهما أكثر أثرًا على
النفس موضعاً الأثر النفس الذي تعرض له موسى عليه السلام عندما رجع
من الميقات فوجد قومه يعبدون العجل فغضب غضباً شديداً ، فتصرف تصرفاً
يقتضيه مع هذا الغضب فألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه وكان
الغضب هو الذي أمر موسى بهذا الفعل ، فلما سكنت عن موسى الغضب
هدأت نفسه فرجع وأخذ الألواح التي ألقاها .

(٣٣) أسرار البلاغة ج ١ ص ١٣٧ (٣٤) سورة التوبة الآية ٢١

(٣٥) سورة الاحراف الآية ١٥٤

(٣٦) الكشاف : الزعزري ج ٢ ص ١٢٠

هذه المعاني النفسية التي أظهرتها الآية القرآنية وأشار إليها الزمخشري في تفسيره أعجب بها الدكتور فتحى أحمد عامر فعبر عن هذا الإعجاب بقوله: «لقد أدرك الزمخشري تشخيص الغضب كأن إنسانا يقول ويسكت ويفرى ويصمت، وهذا التشخيص هو الذى جعل للتعبير جمالا» (٣٧).

وكذلك قوله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ» (٣٨).

فالحل يعلم أن المناسب للإذافة الطعم والمناسب للباس الكسوة فلم يقل القرآن أذاقها طعم الجوع والخوف أو كساها لباس الجوع والخوف وإنما عبر بقوله أذاقها لباس الجوع والخوف وذلك لما تركه الإذافة في النفس من أثر أعظم من الكسوة، وأما كلمة اللباس فإنها تفيد الإحاطة في الجسم كله.

هذا الأمر النفسى الذى أفادته كلمة الإذافة لا يوجد فى أى كلمة أخرى تؤدى نفس الغرض وذلك لما للاستعارة من تحسين المعنى وإبرازه فى جملة جميلة تعجب النفس وقد يكون فى هذا ما لا تدركه الحقيقة:

«ولو نظرنا إلى ما ذكره القاضى الجرجاني فى حديثه عن الاستعارة لوجدناه قد قسمها إلى استعارة حسنة وقيحة وجعل مرد الحكم على ذلك قبول النفس أو نفورها، وهو بذلك لا يضع قواعد لجودة الاستعارة وأورادها وإنما يترك ذلك للتذوق والانطباع النفسى» (٣٩).

ويعد البعض الاستعارة مصطلحاً سريع النفاذ قريب التوصيل يستعمل

(٣٧) بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، د. محمد فتحى أحمد عامر ص ٣٤١

(٣٨) سورة النحل الآية ١١٢

(٣٩) علم البيان: د. محمد مصطفى منبارة ص ٢٤، دار العلوم العربية

بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٩م

في حالة الاضطراب النفسى ، ومن ذلك استخدام الشاعر للاستعارة
التصريحية عندما يرى محبوبه مذهبوراً خائفاً يخشى عيون الحاسد والريب
ويزور كما يسرق ولا يريد أن يراه أحد .

كقول الشاعر البهاء زهير :

بروحى من قد زارنى وهو خائف كما اهتز غصن فى الأراكه مائد
وما زال إلا طارقاً بعد هجمه وقد نام واثق يتقيه وحاسد
فلم أر بدراً قبله بات خائفاً فبل كان يخشى أن تغار الفراقه
يقول الدكتور محمد بركات أبو على :

« فالبدر هنا أسرع اصطلاح يعبر عليه الشاعر في وقت الزيارة المستعجلة
وعند حال الحبيب الزائر المذخور فكلمة واحدة تصرح بما في نفس الشاعر
وتصور ما في خلد المحبوب المبدوح في وقت خوف ووجود حاسد، (٤٠) .
ومنه قوله تعالى : « سمعوا لها شقيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ » (٤١)
فقد استعار شقيقاً بدلاً من الصوت القطيع واستعار تميز من الغيظ
بدلاً من شدة الغليان والاستعارة أبلغ ، فقد اجتمع شدة في النفس تدعوا
إلى شدة في الانتقام وفي ذلك أعظم الزجر وأكبر الوعظ » (٤٢) .

رابعاً : للكناية :

أظهر الإمام عبد القاهر الجرجاني الأثر النفسى للكناية مفرقا بين
المعنى ولازم المعنى في قوله : « فإذا قلت هو كثير رماد القدر كان له
موقع وحظ من القبول لا يكون إذا قلت هو كثير القرى والضيافة ، وكذا
إذا قلت رأيت أسداً كان له مزية لا تكون إذا قلت رأيت رجلاً يشبه
الأسد ويساويه في الشجاعة . . وكذلك إذا قلت (ألقى جله على غاربه)
كان له مأخذ من القلب لا يكون إذا قلت هو كالبعير الذى يلقى جله على

(٤٠) البلاغة ، عرض وتوجيه وتفسير ص ٩٩

(٤١) سورة الملك الآية ٨ (٤٢) ثلاث رسائل في إحصاء القرآن ص ٧٩

فأربه حتى يرجي كيف يشاء ويذهب حيث يريد ؛ لا يحمل المزية فيه إلا عديم .
الحس ميت النفس (٤٣) .

وما أجل المعنى النفسى الذى تتضمنه الكناية فى قولهم « فلان هجر
الفأر بيته ، أو قولهم : « لى أشكو قلة الفأر فى بيتى » فهى كناية عن الفقر ،
ولكنه الفقر الذى يعبر عن عزة نفس صاحبه ، فأبت النفس أن تشكو قلة
الطعام ولكنها شكت قلة الفأر الذى يبنى عن انعدام الطعام ، وهليه .
قول الشاعر :

ومايك فى من عيب فإنى جبان الكلب مهزول الفصيل
فقوله جبان الكلب كناية عن الكرم ، فالكلب الذى ينبع عند رؤية
الناس لأول مرة توقف عن النباح لما اعتاد وألف هذه الرؤية بما يبنى عن
كثرة الضيفان ، فساد البيت جو من الهدوء والطمأنينة والأمان .
هذه المعانى النفسية ألقت بأثرها على الكلب نفسه مما أدى إلى توقفه
عن النباح .

ولو نظرنا إلى هذه المعانى المستشفة من السياق لنجدناها تمثل نتائج
مشاعر خاصة تجاه الأشياء ، وربما يضع الشاعر هذه الكينانيات حتى يوسع
الدائرة الوجدانية لدى المتلقى الذى يستطيع أن يتصورها من خلال
التعبير (٤٤) .

وانظر إلى المعانى النفسية التى تتضمنها الآية القرآنية :
« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوماً محسوراً » (٤٥) .

(٤٣) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ص ٤٠٢ ، تحقيق محمد عبد المنعم
خفاجى ، مكتبة القاهرة ١٩٨٠

(٤٤) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د. رجاء عيد ص ١٩٦ ، منشأة
المعارف بالإسكندرية .

(٤٥) سورة الاسراء الآية ٢٩

فكنى في الجزء الأول عن البخل وفي الجزء الثاني عن التبذير . هذا التصوير الذي رسمه القرآن وصل إلى جنود النفس لما فيه من التنفير من البخل والتبذير ، كيف ننظر إلى صورة هذا الإنسان ويده مغولة إلى هنته لا تستطيع أن تنصرف بما تملك ، إنما شدة في البخل في صورة منفرة تأبأها النفس ، وكذلك التبذير الذي يؤدي في النهاية إلى الحسرة والندم . فتنفر النفس من الثانية نفورها من الأولى .

وكقوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط » (٤٦) .
والغائط هو المكان المنخفض كنى به القرآن عن قضاء الحاجة . والسؤال هنا ما هي العلاقة بين قضاء الحاجة وبين المكان البعيد المنخفض . إنه الحياة المرتبط بالنفس ارتباطاً وثيقاً ، وإنه حب السترة ، فتميل النفس إلى الابتعاد حتى تصل إلى مكان مستور تشعر بالراحة ، فيقضى الإنسان حاجته ولو ربطنا بين قضاء الحاجة والقلق النفس وعدم السترة لوجدنا أن الإنسان لا يستطيع أن يقضى حاجته بالصورة الطبيعية المعروفة والتي تعودت النفس عليها ومن هنا ندرك القيمة النفسية التي تتضمنها هذه الكتابة .

خامساً : الاستفهام :

قال تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (٤٧) .

فالتصوير القرآني يثير في النفس شعور الإجلال والعظمة لهذا الخالق الذي بنى السماء بناء محكما وزينها ليلا ونهارا ومد الأرض وألقى فيها الرواسي . وأنبت فيها هذه الزروع البهيجة ، ويجب ألا يغيب عن الذهن أن القرآن لا يتجه إلى إثارة العواطف والمشاعر لذات الإثارة بل لما وراءها من يقظة وانتباه ونظر في جوانب النفس الإنسانية (٤٨) .

(٤٦) - سورة النساء الآية ٤٣ (٤٧) - سورة ق الآية ٦

(٤٨) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ص ٢٨٨

هذه الإشارة الموجبة للعواطف تحرك هذا العقل الخامد ليعيد نشاطه في التفكير والتأمل في حقيقة هذه العظمة وهذا الإجلال ، فالقرآن يثير العواطف ويوقظ العقل في وقت واحد .

وكذلك التصوير القرآني الذي يثير في النفس الشعور بالمعاناة والالم ويكشف لنا عن حقيقة النفس التي تحملت أعباء المعاناة فكانت المعاناة فوق طاقتها فسألت استعجال النصر مع وعد الله به . قال تعالى : « أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » (٤٩) .

فأى معاناة أكبر من الزلزلة بشقيها النفس والحس ولذا لك استبطاء المسلمين النصر . ولو قيل كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده أن يقول على سبيل الاستبطاء « متى نصر الله » .

وعن هذا يجيب صاحب التفسير الكبير بقوله : « إن كونه رسولا لا يمنع من أن يتأذى من كيد الأعداء . قال تعالى : « ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون » . وقال تعالى : « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » . وقال تعالى : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » وعلى هذا فإذا ضاق قلبه وكان قد سمع من الله تعالى أنه ينصره إلا أنه ما عين له الوقت في ذلك ، قال عند ضيق قلبه متى نصر الله ؟ (٥٠) .

وكقوله تعالى : « أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون اصبروا فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون » (٥١) .

إنه التهكم والاستخفاف من قوم استخفوا برسول الله واتهموه بالسحر

(٤٩) سورة البقرة الآية ٢١٤

(٥٠) التفسير الكبير : الفخر الرازي ج ٦ ص ٢٢ المطبعة البهية المصرية .

(٥١) سورة الطور الايتان ١٥ - ١٦

فسألهم مذكرا لإياهم بما قالوه من قبل لرسول الله عليه الصلاة والسلام : أهذا الذى ترونه سحرا ؟ انظروا جيدا أم أنتم عمى لا تستطيعون الرؤية والتمييز . ما رأيكم أجيبوا ، فلا نسمع لهم جوابا وهم مطاطون الرؤوس ، تذكروا عبارات قالوها من قبل ، فأيقنوا أنه لا مفر من عذاب الله ، إنه التحطيم النفسى لمؤلاء الناس . فكان العقاب من جلس العمل كما نرى .

ما أعظم هذا التصوير القرآنى الذى أظهر لنا حقيقة هذه النفسية الذليلة التى لا تستطيع الإنكار ولا التكلم ، إنها النفسية التى أيقنت أنه لا مفر من الهلاك فجاءهم الخطاب بعد سكوتهم : « اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تحزون ما كنتم تعملون » .

ومنه قول الشاعر :

فدع الوعيد فما وعيدك ضايرى أطنين أجنحة الذباب يضير
إنه ينكر على الذى يتوعده ، ويكذبه فى إدعائه مشبها وعيده بطنين .
أجنحة الذباب .

إنه الإنكار التكدىبى الذى يحمل الاستهتار والتهكم الذى يحطم نفسية الذى يتوعده ، فما بالك بوعيد لا يشبه إلا طنين الذباب هل يحمل فى طياته الأذى والضرر .

سادسا : التكرار :

بين الأستاذ أمين الحولى ، السر النفسى لظاهر التكرار معتبرا لإياها من أقوى طرق الإقناع موضحا هذا بقوله « ومن ذلك ما زاء فى التعليل النفسى لظاهرة التكرار إذ يقوم على اعتبار نفسى إنسانى عالمى ، تقيده شواهد من أحوال النفس البشرية واتجاهها ولعله يصح أن يكون من وجوه ذلك ما يسوقه النفسيون من أن التكرار من أقوى طرق الإقناع وخير وساطع تركيز الرأى والعقيدة فى النفس البشرية (٥٢) .

(٥٢) مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير ، د. أمين الحولى ، ص ٢١٠ دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦١ م .

ومن أجل ذلك نقول « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ، وهما في المعنى سواء وإنما كررنا القول لتقرير المعنى وتثبيتته في نفس السامع وهذا حكم التكرار في قوله تعالى في سورة الرحمن : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وذلك عند كل نعمة عددها على عباده ، ولعل في هذا السؤال المتكرر ما يثير في نفس سامعه اليقين بأنه ليس من الصواب أن ينكر الإنسان نعم الله التي تكررت والتي لا تحصى وآلاءه التي توالى على عباده .

وكقوله تعالى : « القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة » (٥٣) .

فعندما يسمع الإنسان كلمة القارعة يقنعه وكأن مناديا ينادى فيصغي لهذه الكلمة ثم تأتي (ما القارعة) فيزداد الانتباه مع الترقب والانتظار . وكأن شيئا سيحدث بعدها ثم تأتي (وما أدراك ما القارعة) فتدخل النفس في طور الخوف والرعب من هذا الأمر المتكرر فتسلم النفس لسماع ومعرفة حقيقة القارعة فتأتي الحقيقة « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » فيستقر هذا المعنى ويثبت في هذه النفس التي هاشت في ظلال هذا التكرار متلهفة إلى معرفة الحقيقة وقد سيطر عليها الخوف والرعب من هذا السؤال المتكرر .

وكقوله تعالى : « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه » (٥٤) .

فكرر قوله تعالى : « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين » ، ويقول : « قل الله أعبد مخلصا له ديني » .

والغرض من هذا التكرار تثبيت قضية عقيدة في النفس الإنسانية

(٥٣) سورة القارعة الآية ١ - ٣

(٥٤) سورة الزمر الآية ١١ - ١٥

وهي عبادة الله وتخصيص الله وحده بهذه العبادة، فالآية الأولى إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة .

والآية الثانية إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته بخلصا له دينه، ولذلك قدم المعبود وهو لفظ الجلالة على فعل العبادة .

وقد اعتبر الدكتور عز الدين السيد رحمه الله تعالى التكرار يحلل نفسية كاتبه وسماه بالهندسة العاطفية، وبين عناية الشعراء به واعتبره إلحاحا على جهة مهمة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وذلك في كل تكرار يخطر على البال، ويحلل نفسية كاتبه لأنه يضع في أيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة على الشاعر أو هو هندسة يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساساً عاطفياً في نوع ما (٥٥) .

سابعاً : التقديم والتأخير .

التقديم باب دال على حسن التصرف في الكلام ووضع الوضوح الذي يقتضيه المعنى حتى لا يحدث خلل في النظم يؤدي إلى تعقيد لفظي أو معنوي .

وعلى ذلك فالتقديم في الكلام لا يأتي اعتباطاً، وإنما يأتي ليحقق غرضاً بلاغياً أو هدفاً مقصوداً وإذا كان من الجامز أن يتقدم بعض أجزاء الجملة على بعض فقد حرصت الجملة في القرآن على أن يكون التقديم مشيراً إلى معنى، دالاً على هدف حتى تصبح الآية بتشكيلها تابعة لمنهج قصي يتقدم عندها فيها ما تمجد النفس تقديمه أفضل من التأخير فيتقدم مثلاً بعض أجزاء الجملة حين يكون المحور الذي يدور عليه الحديث وحده فيكون هو

(٥٥) التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين السيد، ص ٢٩٥، دار الطباعة المحمدية - الأزهر، ١٩٨٧ م القاهرة .

فالمقصود، والنفس يتقدم عندها من يكون هذا شأنه (٥٦) .
 كقوله تعالى : « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت
 الأعلى » (٥٧) .

فالتقديم والتأخير لهذه الصياغة التي يعنى بها القرآن ، وهي إحدى وسائل
 تأثيره في النفس ، وأصل الجملة فأوجس موسى في نفسه خيفة ، وإذا أنت
 قرئت هذا التمييز بالآية السابقة واللاحقة وجدت خروجاً على النسق
 ونظرة لا تلتئم (٥٨) .

فالتقديم والتأخير جاء مراعيًا للنسق التيميري في الآيات السابقة
 واللاحقة . ولو نظرنا إلى الخوف وهو من المعاني النفسية لو جدناه خوفاً
 على الدعوة والرسالة لأنها لحظة حاسمة يتوقع فيها النصر أو الهزيمة ولذلك
 سيطر الخوف على نفسه وعلى قلبه في اللحظة الأولى لما خيل إليه سحرهم أنها
 تسعى ، ولكن سرعان ما جاء الأمر من الله سبحانه وتعالى يبشره بالنصر وبأنه
 هو الأعلى « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا
 إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » طه ٦٨ - ٦٩ .

وكقوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون
 والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل
 حتى عاد كالعرجون القديم » (٥٩) .

فقوله : « والقمر قدرناه منازل » ليس تقديم المفعول به على الفعل
 من باب الاختصاص ، وإنما هو من باب مراعاة نظم الكلام فإنه قال :

(٥٦) من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، ص ١١٢ ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

(٥٧) بنو طه الآية ٦٧ ، ٦٨ .

(٥٨) من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، ص ١١٤ .

(٥٩) سورة يس الآية ٣٩ .

والليل نسلخ منه النهار» و«والشمس تجري» فاقضى حسب النظم أن يقول «والقمر قدرناه منازل» ليكون الجميع على نسق واحد في النظم (٦٠).

وكقوله تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين» (٦١).

أى لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك فكان التقديم فى عبادة الله وطاعته أولاً ثم طلب الاستعانة به، هذه الاستعانة لا تكون إلا بعد استقرار النفس على معبود واحد، هذا الاستقرار يولد الاطمئنان وينقذ النفس من الحيرة ومن التفرق فلا تتوجه إلا لإله واحد فيتحقق معنى العبودية لله وحده ومن هنا كان التأثير النفسى للتقديم والتأخير معتمداً على المصطلح البلاغى وهو التقديم للأهمية. ولكن هذا القهم لم يقف عند التشكيل البلاغى فى المصطلح، بل تعداه إلى معرفة أثره النفسى الذى يحصل المادة الفكرية للإنسان وصلاح أمره (٦٢).

ومنه قوله تعالى: «واقرب العهد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا» (٦٣).

فتقديم شاخصة على أبصار يصورها لك كأن كل صفة أخرى لها قد انحلت ولم يبق لها سوى الافتتاح الذى يؤذن بالخوف والذهول.

هذا الافتتاح الدائم الملازم للعين كان نتيجة خوف ورعب دائم أثر على النفس فأوجد هذا الافتتاح.

(٦٠) المثل السائر: ابن الأثير، ٣ ج، ص ١٧٩، تحقيق د. بدرى طبانة.
و د. أحمد الحرفى، دار نهضة مصر، القاهرة.

(٦١) سورة الفاتحة الآية ٥

(٦٢) فصول فى البلاغة، د. محمد بركات أبو على، ص ٥٣، دار الفكر.
حمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.

(٦٣) سورة الأنبياء الآية ٦٢

ثامنا : الالتفات :

يقول الزمخشري موضحا القيمة البلاغية لأسلوب الالتفات ، ومبيناً
الأثر النفسى لهذا الأسلوب : « إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب
كان أحسن نظرية للشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجراءاته على
أسلوب واحد (٦٤) .

وهذا ما بينه عند الحديث عن قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين »
فقال : (إن العبد إذا اقتح حمد مولاه الحقيق عن قلب حاضر ونفس
ذاكرة لما هو فيه بقوله « الحمد لله » الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق
به وجد من نفسه لا محالة محركا للإقبال عليه فإذا انتقل من الاقتراح إلى
قوله « رب العالمين » قوى ذلك المحرك ثم إذا انتقل إلى قوله « الرحمن
الرحيم » الدال على أنه منعم بأنواع النعم جلالها ودقاتها تضاعفت قوة
ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام وهو قوله :
« مالك يوم الدين » الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تاهت قوته
وأوجب الإقبال عليه وخطابه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات « إياك
نعبد وإياك نستعين » (٦٥) .

وكان الالتفات يعمل على تحريك أوتار النفس فيريدها تنبيهها وإيقاظا
أو هزا وتحريكا .

وكان قارئ السكاكى بالزمخشري تأثرا واضحا عندما بين الأثر النفسى
للافتات فى قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فقال (وإذا وهيت
ما قصصه عليك وتأملت الالتفات فى إياك نعبد وإياك نستعين بعد تلاوتك
لما قبله فى قوله « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين »

(٦٤) أسلوب الالتفات : د . تزيه فراج ، ص ٣٩ ، مطبعة دار البيان ،

مصر الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م .

(٦٥) الكشف : ١ : ص ٦٤ .

على الوجه الذى يجب وهو التأمل القلبي هلكت ما موفعة وكيف أصاب
الحز وطبق مفصل البلاغة لكونه تنبيها على أن العبد المنعم عليه بتلك النعم
العظام إذا قدر أنه مائل بين يدى مولاه من حقه إذ أخذ فى القراءة أن
تكون قراءته على وجه يجد منها من نفسه شبه محرك إلى الإقبال على
من يحمده (٦٦) .

ومن هذا يظهر أن السكاكى تبع منهج الزعشمري فى الالتفات
وارتضاء وسار عليه وبين ما فيه من وجوه يائنة ، ومن روعة وتأثير
فى النفوس . وهذا نوع من التوفيق فى تصوير التناسق النفسى بين
الاحاسيس المنبعثة من تتابع الآيات وهو لون من ألوان التناسق الأولية
فى القرآن الكريم (٦٧) .

تاسعاً : القصر :

قال تعالى : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم
وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يبيح
فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان . وما الحياة الدنيا إلا متاع الفرور » (٦٨) .

إن المعانى النفسية التى تتضمنها هذه الآية والتى توزعت بين الحسرة
والندامة والضياح مفرقة بين نتيجة اللب واللبو ، وبين نتيجة الجهد
والاجتهاد مبينة أن اللعب ينقضى من غير فائدة واللغو يترك خلفه الحسرة
والندامة والضياح ، والعامل يطول ندمه ويشدد وتلف به الحسرة من كل
جانب فتسلبه إلى أن يفقد نفسه أو خصائص نفسه الرشيدة إذ وجد نفسه
من غير نتيجة يحصلها للحياة الباقية .

(٦٦) مفتاح العلوم : السكاكى ، ص ٥٦ ، طبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة .

(٦٧) التصوير للنفى فى القرآن ، ص ٢٧

(٦٨) سورة الحديد الآية ٢٠

هذه المعالجة النفسية تعمل على توجيه الإنسان التوجيه العليم وتحميه على الابتعاد عن اللعب واللهو حتى لا يقع فريسة للحسرة والندامة والضياع يوم القيامة .

عاشراً : الاعتراض :

ومن التشكيل البلاغى الذى يرتبط بالقيمة النفسية ما كان زائداً فى التركيب وهو ما يسمى بالاعتراض ، ولقد أشار ابن جنى لإشارة مهمة إلى دلالة الاعتراض النفسية فقال : « اعلم بأن هذا القليل من هذا العلم كثير قد جاء فى القرآن وفصحى الشعر ومنثور الكلام وهو جار عند العرب بنجى التأكيد » (٦٩) . ويقول فى موطن آخر : « والاعتراض فى شعر العرب يومثورها كثير وحسن ودال على فصاحة المتكلم وقوة نفسه » (٧٠) .

ومنه قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » (٧١) . لما كان المقام مقام تزيه جاء الاعتراض ليقف حاجزاً أمام المشركين فحكاه قال ويجعلون لله البنات والله منزه عن قولهم وإفكهم واقترعهم ولهم ما يشتهون فى اختيار الذكور لأنفسهم ونسبة البنات إلى الله .

وكقوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسام لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم » (٧٢) .

جاء الاعتراض بين القسم وبين جوابه بقوله : (وإنه لقسام لو تعلمون عظيم) فحكاه قال : « فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم ولكن جاء الكلام معترضاً لفرض بلاغى وهو تعظيم شأن المقسم به فى نفس السامع .

(٦٩) الخصائص : ابن جنى ، ١ ج ١ ص ٢٣٥ ، مطبعة دار الهدى .

(٧٠) الخصائص : ابن جنى ، ١ ج ١ ص ٢٣٨

(٧١) سورة النحل : ٥٧

(٧٢) سورة الواقعة ٧٥ ، ٧٦

الحادى عشر : الإيجاز :

تحدث الرماني عن الإيجاز مظهرا الأثر النفسى له مبينا أن الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر وإن كان المحذوف مدلولا عليه بغيره فإن الرماني لا يقنى بتحديد المحذوف وتعيينه بقدر ما يقنى بإبراز الأثر النفسى للحذف معللا ذلك بقوله « فذهاب النفس فى المحذوف كل مذهب أتاح للأذواق أن تتذوق إجماعات الكلمات فى الجمل وللوجدان أن يتفاعل مع المعنى المصور (٧٣) مستدلا على ذلك بقوله تعالى : « ولكم فى القصص حياة » (٧٤) .

تتفاعل النفس مع هذا التصوير تفاعلا حقيقيا سائلة كيف يكون القتل . حياة وكيف يكون القطع حياة وكيف يكون الجلد حياة ، باحثة عن الإجابة الشافية التى توصل إلى الحقيقة واليقين ، وهى الإيمان بأن وجود الزنا فى المجتمع قتل وموت ، ووجود الخمر موت ، ووجود القتل موت ، ووجود السرقة موت .

فإذا وجد الموت بوجودها فنى توجد الحياة إذن ؟ لا توجد الحياة إلا بالقضاء عليها فجاء التعبير القرآنى : « ولكم فى القصص حياة » هذا التعبير الذى يبين لنا النقيض أو مفهوم المخالفة وهو لكم فى علم القصص موت .

وهكذا يحدد الرماني الوظيفة النفسية المحذوف ، ويتجاوز بذلك وقات .

أبى عبدة والفراء والجاحظ وابن قتيبة جميعا . وكفوله تعالى : « ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقاله الكافرون هذا شئ عجيب أنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد » (٧٥) .

(٧٣) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، ص ٧٦

(٧٤) سورة البقرة ١٧٦

(٧٥) سورة ق الآية ١ - ٤

وقوله تعالى : « والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا
خالساقات سبحا فالمديرت أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » (٧٦) .

الجواب القسم في ذلك كله محذوف وهذا بحث للنفس على التفكير لتهدى
إلى الجواب وتظل النفس تتبع هذه الآيات يتلو بعضها بعضا فتستوحى منها
الجواب الذي لا بد أن يكون شيئا عظيماً يقسم عليه الله ولا ترى في حذف
هذا الجواب دلالة على مثوله في الذهن لقدة ما شغل النفس واستأثر
بعميق تفكيرها يوم نزل القرآن ، مؤكدا بحىء اليوم الآخر ، (٧٧) .

الثاني عشر : الطبايق والآثر النفسى :

يقول ابن المعتز في كتابه « البديع » : « والآثر النفسى لا يفصل عن
موقع المصطلح البلاغى ، ومن ذلك حسن المطابقة فتكون أبلغ وأبقى
إذا اتصلت بالموقع النفسى ويبدو هذا واضحا من قول على بن عبد الله
ابن عباس . . .

« ذكرت عند الحسن بلاغة بعض أهله فقال : إني لأكره أن يكون مقدار
لسانى فاضلا عن مقدار على ، وقال لقمان لابنه :

« إياك والكسل والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت
لم تصبر على حق » .

وقال بعض الواعظين كان الناس ورقاً بلاشوك فصاروا شوكا
بلا ورق (٧٨) .

وكقوله تعالى : « قالوا ما آتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء
إن آتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون » (٧٩) .

(٧٦) سورة النازعات الآية ١ - ٧

(٧٧) المعاني الثانية في الأسلوب القرآنى ص ٣٢٣

(٧٨) البديع لابن المعتز : ص ٣٨ ، طبعة كراچي دوقفسكى ، دارالحكمة ، دمشق .

(٧٩) سورة يس ١٥ ، ١٦

فالمطابقة بين قوله تكذبون وبين مدلول قوله « قالوا ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون » أى لصادقون ، ولكن لما كان التعبير بهذا المقطع القرآني أبلغ وأشد تأثيراً على النفس لارتباطه بالرسالة التى من صفاتها الصدق عبر بها ولم يعبر بمدلولها .

الثالث عشر : المقابلة :

يقول حازم القرطاجنى مبينا الأثر النفسى للمقابلة : « ومن الانسجام فى الكلام أن يعرف المتكلم التوفيق بين المعانى المتقابلة ولذلك تكون المقابلة فى الكلام بالتوفيق بين المعانى التى يطابق بعضها بعضاً كقول الجعدى :

فى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء
فإذا وضع أحد المعنيين هذه الصفة بإزاء الآخر ومقابلاً له كان الكلام بذلك مرتبطلاً ببعضه وبعض منتسباً إلى آخره إلى أوله فإن له لذلك حسن موقع من النفس (٨٠) ، لحسن الكلمة وعدم حسنها لارتباطها وعدم ارتباطها بهوائف النفس ، وما حسنت الكلمة فى موقع وثقلت فى آخر إلا لافتصالها عن ذلك (٨١) . »

ومنه قوله تعالى : « فليضحكوا قليلاً وليسكوا كثيراً » (٨٢) .

وقول الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

(٨٠) مناهج البلغاء وسراج الأدياء ، حازم القرطاجنى ، ص ٥٢ ، تحقيق :

محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ١٩٦٦ م .

(٨١) ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ، ج ١ ، ص ١٢٤ . مكتبة

الكتب القاهرة .

(٨٢) سورة التوبة الآية ٨٢

الرابع عشر : تأكيد المدح بما يشبه الذم :

يظهر السر النفسى فى هذا الأسلوب فى معنى المبالغة والمفاجأة التى تكسبه طرافة وتثير حوله تلبها (٨٣) .

نحو قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فهم غير أن سيفهم بين فلول من قراع الكتائب
ذكر صفة ذم منفية فيتوهم السامع أنه يريد أن يستثنى شيئا يذم به المدح
فيثبت ويترقب لمعرفة هذا الشيء فإذا به يذكر صفة مدح فتكون بمثابة
المفاجأة التى أكسبته طرافة وحسنا .

وهليه قول النابغة الجعدي :

ففى كلت أخلاقه غير أنه جواد لما يبق على المال باقيا
الحامس عشر : الجناس ::

لقد أظهر الإمام عبد القاهر المجراني الأثر النفسى للجناس الذى يتمثل
بالرضا النفسى الذى يحسه كل من ظفر بفائدة لم يتوقعا ، وهذا واضح من
قوله : : « واعلم أن النكتة التى ذكرتها فى التجنس وجعلتها العلة فى استجابة
الفضيلة وهى حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والاعادة وإن كانت
لا تظهر الظهور التام الذى لا يمكن دفعه إلا فى المستوى المتفق الصورة
منه كقول أبى تمام :

مامات من كرم الزمان فإنه يحيا لى يحيى بن عبد الله

أو المرفو الجارى هذا المجرى كقوله :

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني (٨٤)

فيظن السامع للوهلة الأولى أن الكلمتين بمعنى واحد وأنها كررت

(٨٣) مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير ، ص ١٩٧ .

(٨٤) أسرار البلاغة : ١٣ ، ص ١٠٩ .

للتأكيد دون أن يعضف معنى جديدا ولكنه سرعان ما يكشف أنها
أفادت فائدة جديدة ولأنها لا تماثل الأولى إلا في الشكل فقط ومن ثم
يشعر السامع بالرضا النفسى الذى يؤدى إلى استقرار المعنى وثبتيته في
النفس بعد أن أزال غلطا خاطئا .

ومنه قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة » (٨٥) .

وقول النويرى في وصف ثمار الخوطة « كأنها شربة وقفن بغير أوان
في كل أوان » .

السادس عشر : التكميل :

هو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح أو غيره من فنون
الشعر ثم يرى مدحه بالاعتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل فيكمله بمعنى
آخر ومنه قول كثير :

لو أن هرة خاصمت شمس الضحى

في الحسن عند موفق لقضى لها

فلو قال عند محكم لم المعنى ولكن في قوله عند موفق تكميل حسن
كل بها حسن البيت ، والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الخلو في النفس ،
والتكميل هاهنا من تكميل المعانى النفسية وليس من تكميل المعانى
البدئية (٨٦) إذ ليس كل محكم موفقا ..

السابع عشر : التهذيب والتأديب

هو كل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها أو لو تقدم هذا

(٨٥) سورة الروم الآية ٥٥

(٨٦) تحرير التهذيب : ابن أبى الأصبع ، ص ٣٥٩ ، تحقيق د . حنفى محمد

شرف ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .

المتأخر أو تأخر هذا المتقدم أو لو حذقت هذه اللفظة أو لو طرح هذا البيت جملة لكان الكلام أحسن والمعنى أبين كقول أبي تمام :

خنما ابنة الفكر المذهب في الدجى

والليل أسود رقعة الجلباب

فانه إنما خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تبدأ فيه الأصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا والخطر خاليا ولا سيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس حظها من الراحة وتقال قسطها من النوم ويخف عليها ثقل الغذاء فيحيلئذ يكون الذهن صحيحا والصدر منشرحا والقلب منبسطا (٨٧).

الثامن عشر : التمراد :

هو إيتان المتكلم بلفظة تنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد .

كقوله تعالى : « يعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور » (٨٨)

فإن لفظة « خاتمة » سهلة مستعملة ، كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها ، فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم (٨٩) .

وبعد فلعلنا وقتنا في إظهار الأثر التقني للأسلوب البلاغي من خلال عرضنا لهذه المسائل البلاغية المتنوعة .

وبالله التوفيق ؟

(٨٧) تحرير التحرير : ص ٤٠٢

(٨٨) سورة غافر : ١٩

(٨٩) تحرير التحرير : ص ٥٧٧

مراجع البحث

القرآن الكريم :

- ١ - الاتجاه العقلى فى التفسير ، د/ نصر أبو زيد . دار التنوير للطباعة والنشر . الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
- ٢ - أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة القاهرة - الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .
- ٣ - أسلوب الالتفات دراسة تاريخية فنية ، د/ نزيه فراج . مطبعة دار البيان ، مصر الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .
- ٤ - البديع ، ابن المعتز ، نشر ، تعليق اغناطيوس كراثوفسكى ، دار الحكمة ، دمشق .
- ٥ - البلاغة عرض وتوجيه وتفسير ، د/ محمد بركات أبو هلى ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .
- ٦ - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ؛ د/ فتحى أحمد جابر ، دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٤ م .
- ٧ - البيان فى ضوء أساليب القرآن ، د/ عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .
- ٨ - تحرير التحرير ، ابن أبى الأصبع المصرى ، تحقيق د/ حنفى محمد شرف ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .
- ٩ - التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، واجد مجيد الأطرقجى ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ١٩٨٧ م .

- ١٠ - التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار المعارف القاهرة .
- ١١ - التكرير بين المثير والتأثير ، د/ عز الدين السيد ، دار الطباعة المحمدية ، الأزهر ١٩٧٨ م .
- ١٢ - التفسير الكبير - الفخر الرازي - المطبعة البية المصرية .
- ١٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الرماني - الخطابي - هيد القاهر ، تحقيق محمد خلف الله - محمد زغول سلام ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٦ م .
- ١٤ - الخصائص ، ابن جني ، دار الهدى للطباعة والنشر .
- ١٥ - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ١٩٨٠ م .
- ١٦ - ديوان البهاء زهير ، تحقيق محمد أبو الفضل ، محمد طاهر الجبلأوى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ م .
- ١٧ - ديوان العقاد ، القاهرة ١٩٢١ م .
- ١٨ - ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، مكتبة القدس القاهرة .
- ١٩ - الصورة بين البلاغة والنقد ، د/ بسام ساعى ، المنار للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .
- ٢٠ - علم البيان . د/ بدوى طبانة ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٨١ م .
- ٢١ - علم البيان ، د/ بسيوني عبد الفتاح بسيوني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م .
- ٢٢ - علم البيان ، د/ محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م .
- ٢٣ - فصول في البلاغة ، د/ محمد يركات أبو على دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

- ٢٤ - فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د/ وجاه عيبد منشأة المعارف بالإسكندرية .
- ٢٥ - القرآن والصور البيانية ، د/ عبد القادر حسين ، دار المنار ، القاهرة ١٩٩١ م .
- ٢٦ - الكشف - الزعترى ، المطبعة البنية المصرية ١٣٤٣ هـ .
- ٢٧ - المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، د/ فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٦ م .
- ٢٨ - مفتاح العلوم ، السكاكي طبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٩٣٧
- ٢٩ - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير ، د/ أمين الخولي ، دار المعرفة - القاهرة ١٩٦١ م .
- ٣٠ - من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، دار نهضة مصر - القاهرة :
- ٣١ - مناهج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الحوجة تونس ١٩٦٦ م .
- ٣٢ - المثل السائر ضياء الدين الأثير . تحقيق د/ بدوي طباعة - د/ أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القجالة بالقاهرة .

القسم الرابع

قسم أصول اللغة :

١ - ظاهرة القلقلة في الأداء القرآني
رؤية جديدة في ضوء الدرس الصوتي

د/ رشاد محمد سالم

٢ - آلية النطق
في ضوء الفكر الصوتي عند العرب
«دراسة وصفية»

د/ عبد المنعم عبد الله محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ظَاهِرَةُ الْقَلْقَلَةِ

في
الْأَدَاءِ الْقُرْآنِيِّ
رؤية جديدة في ضوء الدرس الصوتي

بقلم الكاتب
مشار محمد سرك

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإيمان والإسلام ، وجعلنا خير أمة
أخرجت للناس ، وشرفنا بحفظ كتابه الكريم الذي نزل به الروح
الأمين على قلب عبده ونبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - مرتلاً ، وأمر فيه
بترتيله « وَزَيَّلَ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا »^(١) ونهى عن التعجل في قراءته ولو لغاية
حفظه واستذكاره « لَا يُعْرَكَ بِهِ لِسَانُكَ لِقَعَجَلٍ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِغْ قُرْآنَهُ »^(٢) .

ولما كان كتاب الله - تعالى - أشرف ما ينطق به اللسان ، وينطوى عليه
الجان ، لأنه كلام الله القديم الذي « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

(١) سورة المزمل آية ٤

(٢) سورة القيامة آية ١٦ - ١٨

وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» (١) تبين على القارئ أن إيراد
تلاوته ، وبحسن دراسته يعطاه الحروف حقوقها .

والتجويد علم من علوم العربية موضوعه الكلمات القرآنية ، وهو يبين
مخارج الحروف وصفاتها وطريقة نطقها مركبة بحسب ما يجاورها ويوضح
مقدار الحركة في المقصور والمدود .

وكل هذه المباحث تدرس تحت مصطلح (علم الأصوات) بنوعيه العام
والوظيفي ، فعلم الأصوات العام يدرس الأصوات من حيث نطقها واتصالها .
وإدراكها ، ومنه علم الأصوات النطق الذي يعني بدراسة مخارج الأصوات
وصفاتها ووصف الجهاز النطقي .

أما علم الأصوات الوظيفي فإنه يقوم بدراسة الوحدات الصوتية
وتحديدها تحديداً دقيقاً ، وتوضيح ما تتعرض له من تأثير بحسب
ما يجاورها .

ولا شك أن دراسة علم القراءات والتجويد تحت منظور علم الأصوات
الحديث بوسائله الحديثة في معرفه مخارج الأصوات وصفاتها ومعرفة لغات
الأمم المختلفة تؤدي إلى تحليل سليم وحكم دقيق (٢) .

ومن خلال تشرفي بتدريس مادة التجويد ومشاركتي في بعض المقارنات
قارنا حيناً ، ومقرئاً أحياناً - تبين لي أن هناك قصورا يعتري البعض في فهم
وظاهرة القفلة ، حيث ترى - من الناس - من يقلقل حروفاً لا تمت لحروف
القفلة بصلة ، ومنهم من يبالغ في قلقله الحرف حتى يتولد حرف جديد يؤدي
بداهة إلى دلالة جديدة ومشتان بين نطق (أَحَدٌ) من قوله تعالى « قُلْ هُوَ
اللهُ أَحَدٌ » بدال ساكنة مقلقلة ، وبين نطقها بدال مشددة (أَحَدٌ)
الأولى من الوجدانية - كما تعرف - والثانية من الحدة ..

(١) سورة فصلت آية ٤٢

(٢) أحكام تجويد القرآن ذ / سويد ص ٨

يقول الصفاقى (٢) فى ذلك : ويان شدتها وجهرها وقلقتها إلا أنه لا ينبغي المبالغة فى ذلك حتى يصير كالمشدد كما فعله كثير .

والتجويد كما قال الدانى (١) - رحمه الله - يياض إن قل صار سمرة وإن كثر صار برصا ، وخير الأمور أوساطها ، وهذا هو مادفعنى إلى أن أتناول هذه الظاهرة فى بحثى هذا ملقيا الضوء على مفهوم القلقة وكيفيةها ، وشروطها ، ومراتبها ، وأقسامها ، وعدد حروفها ، وما لكل حرف من مخرج ، وما يتميز به من صفات وذلك فى ضوء الدرس الصوتى الحديث .

وحسبى أن كل ما يعين على ضبط الأداء القرآنى فهو لون من التعمد فضلا عن أنه دراسة علمية . فإن أك قد وقت فذلك الفضل من الله ، وإن تكن الأخرى فحسبى أنى اجتهدت وحاولت والله من وراء القصد هو حسبى ونعم الوكيل .

(١) تنبيه للناقلين ص ٥٧

(٢) التجويد فى الإتيان والتجويد ص ٩٠

القلقلة

مفهومها — طبيعتها

من الصفات الجوهرية للأصوات صفة القلقلة فما مفهومها ؟
تدور معاني القلقلة في اللغة حول شدة الصياح ، أو شدة اضطراب
الشيء وتحركه ، أو شدة الصوت في حركة واضطراب .

قال الخليل : القلقلة شدة الصياح ، وقال - أيضاً - : القلقلة شدة الصوت ،
ولقد وصف « ابن جني » ، القاف ، والجيم ، والطاء ، والدال ، والباء ، بأنها
حروف مشربة تحذف في الوقف وتضغط عن مواضعها ، وهي « حروف
القلقلة » لأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت ومثل لها بأربعة أفعال .
بصيغة الطلب هي : الحق ، واذهب ، واخبط ، واخرج .
وإذا كان هناك من ذكر لها تسمية أخرى إذ قال : القلقلة ويقال .
لها « لقلقلة » .

فإن التسمية التي شاعت للحروف التي وصفها « سيويو » ، بالمشربة :
التي تحذف وتضغط عن مواضعها في الوقف هي « حروف القلقلة » وقد
استعمل « ابن جني » هذا الوصف كما سبق بيانه .
أما وصفها بالمشربة فيبدو أنه من كونها قد أشربت الصوت الذي
قال عنه : لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت

(١) سر الصناعة ١ / ٧٣

(٢) قواعد التجويد للحقن ٢٦٨

وانظر بنية المستفيد لابن بليان الحنبل ، وغنية الطالبين للقرى .

وتسمى - أيضاً - مضغوطة لأنها ضغطت في مواضعها (١) .

ويدو أن تسمية هذه الظاهرة بالقلقلة ترتبط بالمعنى اللغوى ارتباطاً وثيقاً ، إذ يقال : قلقل الشيء قلقلته إذا حركه ، لحمل بعض علماء التجويد هذه التسمية على ذلك المعنى ، إذ أنه أخذ من ضغط هذه الحروف عن مواضعها فكأنها تنقل عن تلك المواضع مع احتمال أن يكون أصل التسمية من دلالة الكلمة إلى شدة الصوت (٢) .

يقول العلامة الدماميني نقلاً عن الإمام ابن الحاجب في شرح المفصل (٣) :

سميت هذه الحروف حروف القلقله إما لأن صوتها أشد أصوات الحروف أخذاً من القلقله التي هي صوت الأشياء اليابسة ، وإما لأن صوتها لا يكاد يبين به سكونها ما لم يخرج به إلى شبه المتحرك لشدة أمرها من قولهم : قلقله إذا حركه .

وإنما حصل لها ذلك لاتفاق كونها مجهورة شديدة ، فالجهر يمنع النفس أن يجرى معها والشدة تمنع صوتها ، فلما اجتمع لها هذان الأمران احتاجت إلى التكلف في بيانها ، فلهذا يحصل ما يحصل من الضغط عند النطق بها ساكنة حتى تخرج إلى شبه متحركها لقصد بيانها إذ لولا ذلك لم تبين (٤) .

وقال شيخ الإسلام : سميت حروفها بذلك لأنها حين سكونها تنقل عند خروجها حتى يسمع لها نبرة قوية لما فيها من شدة الصوت

(١) الدراعات الهجيه والصوتية للنعيمي ص ٣٢٢

(٢) الدراسات الصوتية د / ظالم ص ٣٠٨

(٣) انظر الإيضاح شرح المفصل ٤٨٨

(٤) انظر ملخص أحكام التجويد د / شعبان إسماعيل ص ٩٧

الصاعد منها مع الضغط دون غيرها من الحروف (١) ، ..

ويقول الصفاقسي : إنها لما سكنت ضعف فيحتاج إلى ظهور صوت حال سكونها من قلقل إذا صوت ، وهي شديدة بمجورة تمنع النفس أن يجرى معها فاحتاجت إلى كثرة البيان ، حتى أنها مع كونها ساكنة تخرج إلى شبه الحركة من قولهم :

قلقلت الشيء إذا حركته ، ولولا ذلك لم تتبين (٢) .

وقد شرح « سيبويه » القلقلة شرحا يقوم على الوصف والتحليل قائلا :
واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها ، فإذا وقعت خرج معها من القم صوت ونبا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة ، وذلك القاف والجيم والطاء والذال والباء ، والدليل على ذلك أنك تقول : « الحذق » فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت لهذه ضغط الحرف ، وبعض العرب أشد صوتا كأنهم الذين يرومون الحركة (٣) .

فهذه صفة حروف القلقلة عندما تكون ساكنة وبخاصة في حالة الوقف ، يدل لذلك قول سيبويه : فإذا وقعت خرج معها من القم صوت ونبا اللسان عن موضعه .

وتعريف « سيبويه » للقلقلة بأنها « صويت يلبو به اللسان عن موضعه » ، يشرح لنا الوضع الفسيولوجي بأنه تحرك من اللسان في موضع نطق صوت القلقلة ، وإذ هاج له مع استمرار خروج الصوت عند الفك بعد الغلق (٤) .

(١) السابق ٩٨

(٢) تنبيه الناقلين ص ٣٨

(٣) الكتاب ٤ / ١٧٤

(٤) انظر التجويد القرآني د / حلام ٩٨

وكان كلام «سيويه» عن القلقلة قد حدد معالم الموضوع عند علماء العربية وكذلك عند علماء التجويد، وكان ما أضيف على كلام سيويه يعد شيئاً يسيراً لا يغير جوهر الموضوع (١).

يقول المبرد: واعلم أن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها. فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة، وإذا تفقدت ذلك وجدته (٢).

أما علماء التجويد والقراءات فإنهم يفهمون القلقلة فهما معتمدين فيه على ما قدمه الخليل وسيويه، ويزيدون المسألة وضوحاً، يصور لنا ذلك صاحب نهاية القول المفيد فيقول (٣):

القلقلة في اللغة: شدة الصياح، كما نقل عن الخليل وتجيء بمعنى التحريك.

واصطلاحاً - على ما صرح به أبو شامة نقلاً عن صاحب الرعاية: صوت زائد حدث في المخرج بعد ضغط المخرج، وحصول الحرف فيه بذلك الضغط، وذلك الصوت الزائد يحدث بفتح المخرج بتصويت، لحصل تحريك في مخرج الحرف وتحريك صوته، أما المخرج فقد تحرك بسبب اتسكاك دفعي بعد التصاق محكم، وأما الصوت فقد تبدل في السمع وذلك ظاهر.

وفي هداية القارئ يقول المرصفي (٤):

وفي الاصطلاح: اضطراب اللسان بالحرف عند التطق به ساكناً حتى

(١) الدراسات الصوتية د / غانم ص ٣٠٢

(٢) المقتضب ١ / ١٩٦

(٣) محمد مكي نصر ص ٥٣ ، ٥٤

(٤) ص ٨٤

يسمع له نبرة قوية ثم قال . وسميت بذلك لأنها حال سكونها تتقلقل .
عند خروجها حتى يسمع لها نبرة قوية أى صوت عال .

وجاء فى « كيف نجد القرآن ونرتله ترتيباً » (١) : والمراد بها تحريك
المخرج والصوت بعد انضغاطهما وانحباسهما ، ذلك أنك تحبس الصوت
أولاً فى المخرج حتى ينضغط فيه انضغاطاً شديداً ، ثم تفك المخرج
فكاً سريعة فينتطلق الصوت محدثاً نبرة قوية وهزة فى المخرج هذه النبرة هى
ما يسمى « بالقلقلة » .

وفى « إغاثة المستفيد فى علم التجويد » قال (٢) :

القلقلة وهى تحريك الصوت عند مخرج الحرف بشدة حتى تسمع
له نبرة قوية . وفى كتابه « بغية المستفيد فى علم التجويد » يقول
ابن بلبان الحنبلى :

وحقيقة القلقلة إظهار نبرة لطيفة للصوت حال النطق بالحرف المقلقل .
وكذلك قال البقرى فى « غنية الراغبين » إذ أورد رأى الذين قالوا :
إن القلقلة نبرة لطيفة يأتى بها القارىء فى الحرف المقلقل : فهو لا .
وصفوا النبرة باللف لا بالشدة .

وقال الشيخ برهان الدين بن وثيق الأندلسى : وسميت بذلك لأنه
إذا وقف عليها سمع لها صوت زائد لشدة ضغطها .

وفى بدايه الهداية قال فى تعريفها : القلقلة وهى صوت كالنبرة يتبع
الحرف عند الوقوف عليه دون الوصل .

أما الشيخ جلال الحنفى فقد عرفها بقوله : (٣)

(١) ص ١٩

(٢) انظر : قواعد التجويد للحنفى ص ٢٥٧

(٣) السابق ص ٢٥٨

هى ما يقع لحروف معلومة تمر بسكون مغلق فيتأق من ذلك أن تنفصم
عن مخرجها ولها ذبول صوتية متوهمة محدودة الجرس ، وهناك من سى
هذه الذبول : « بالإنفجار الصوتى » ، ومنهم من سماها بالنبرة القوية ،
ومنهم من وصف صوتها بأنه شديد الوقع .

ومن خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنه قد اختلفت تعبيرات المجودين
فى تصور هذه الصفة هل الرغم من أنها فى مجموعها توصل إلى نتيجة متقاربة ،
ففى بعضهم يعرفها بأنها صوت يشبه النبرة ، والآخر بأنها نبرة زائدة قوية
والثالث بأنها صوت حادث ، والرابع بأنها صوت زائد .

فهل هناك فرق بين النبرة والصوت ؟ أو بين الصوت والصوت هنا ؟
تشير كتب المعاجم إلى أن النبرة هى الصوت المرتفع أو العالى .
وإذن فلا فرق بين النبرة الزائدة والصوت الزائد ، ولا فرق كذلك
بين الصوت والصوت الذى يشبه النبرة .

ومادام الأمر كذلك فلماذا تفاوتت تعبيرات المجودين ؟

يجيبنا أحد الباحثين فىقول : (١)

وتفاوتت تعبيرات المجودين هذه قابع من تفاوتهم فى مدى إدراكهم
السمعى الذاتى لهذه الصفة .

ومن الواضح أن علماء التجويد والعربية يشترطون لحصول القلقلة فى
الحرف اجتماع الشدة والجهر فيه ، وقد عللوا لذلك كما سأتى بيانه .

وقد أرجع بعض الباحثين وجوب إتباع حروف القلقلة بهذا الصوت
إلى أن فى هذا المطلق تحقيقا كاملا لخواص هذه الحروف - أى تحقيقا
للانفجار (الشدة) والجهر ، فعدم وجود هذا الصوت ينشأ عنه تقليل
صفتى الجهر والشدة معا .

(١) د / القنرانى فى رسالته عن التجويد القرآن ص ٢٤٩

كما علل الجهد الكبير الذى يستدعيه نطق هذه الأصوات نطقاً كاملاً
واضحاً حالة السكون وبخاصة فى الوقف بقوله (١) :

والآن شدتها تعنى أن الهواء عند نطقها محبوس حبساً تاماً ، ولأن
جهرها يعنى عدم جريان النفس معها ، ومن ثم وجب إقباعها بصوت
أو حركة خفيفة فتنتقل هذه الحروف من السكون إلى شبه تحريك فيتحقق
نطقها كاملاً بكل صفاتها من شدة وجهر ، وهو تعليل - كما ترى - يتفق مع
تعليل المجودين .

وإذا كان أحد الباحثين (٢) يرى أن القفلة تتعلق بعملية النطق وأنها
ليست سوى عناية خاصة بمراحل نطق بعض الحروف ، فى تصورى أن
هذه العناية الخاصة بنطق حروف القفلة لم تنشأ من فراغ وإنما نشأت من
طبيعة الصفات القوية كالجهر والشدّة فى هذه الحروف ويبدو أن هذه
العناية الخاصة ليست قاصرة على ظاهرة القفلة وحدها ، وإنما كل صفة
تتطلب من العناية فى نطقها بالقدر الذى يتناسب معها .

بقى هناك تساؤلات تثور فى الذهن عن طبيعة هذا الصوت
أجهور هو أم مهموس ؟ وما صلة القفلة بالجهر ؟
ثم . . أحرّكة هو ؟ أم بعض حركة ؟ أم شبه حركة ؟
وهو ما نطالع فيه على :

(١) د / كال بشر فى علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٤٨
(٢) الدكتور مصطفى لطفى فى كتابه (آليات النطق عند علماء التجويد)
ص ١١٢ وما بعدها .

هل القلقلة هي الجهر؟

في البداية نلقى الضوء على مفهوم الجهر أولا ثم مفهوم القلقلة .

قال في شرح الشافية (١) - عن الجهر :

إنما سميت الحروف المذكورة بمجورة لأنه لا بد في يانها وإخراجها من جهرها ؛ ولا يتبأ التعلق بها إلا كذلك ، والجهر رفع الصوت ، وإنما يكون مجورا لأنك تشيع الاعتماد في موضعه فن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت .

قيل والمجورة تخرج أصواتها من الصدر ، ثم إن أردت الجهر بها وإسماعها أتبت صوتها بصوت من الصدر ليفهم .

وقال في التمهيد (٢) : وإنما لقيت بالجهر لأن الجهر هو الصوت الشديد القوى ، فلما كانت في خروجها كذلك لقيت به ، لأن الصوت يجهر بها .

أما القلقلة فهي : اضطراب اللسان عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية خصوصا إذا كان ساكنا ، ويراد بها هنا تحريك المخرج والصوت بعد انضغاطهما وانحباسهما ؛ وذلك أنك أولا تحبس الصوت في المخرج حتى ينضغط فيه انضغاطا شديدا ؛ ثم تفك المخرج ففكة سريعة فينتطلق الصوت محدثا نبرة قوية وهزة في المخرج ، وهذه النبرة هي القلقلة ، وليست القلقلة حركة وإنما هي شدة الصياح ، والقلقلة شدة الصوت ، قاله الخليل (٣) .

وبالتأمل في هذين المفهومين يتبين أن كلا من الجهر والقلقلة يتوخى

(١) شرح الشافية ٣ / ٢٥٨

(٢) التمهيد لابن الجزري ص ٢٣

(٣) التجويد للسبكي ص ١٠٣

حده إظهار الحرف وهنا يكون التساؤل : مادام الأمر كذلك فلماذا لا يستغنى
بالجهر عن القلقة ؟

والجواب - في رأيي - يكن في أن الجهر والقلقة وإن اتفقا في إظهار
الحرف وبيانته إلا أن القلقة تعطى معنى اضطراب الحرف في مخرجه
ومره - كالجهر الناتق من الأرض تهزه في مكانه - بحيث ينطمس الحرف
بدونها ، فلا غناء له عنها .

أما الجهر فإنه لا اضطراب فيه ولا اهتزاز ولا علو نبرة .
ولذلك اشترط علماء التجويد أن الإتيان بالقلقة أمر لا بد منه للتلاوة
الصحيحة ؛ ولا بد أن يسمعا غيره وإلا يعد مقصرا .

قال الشيخ حجازي - رحمه الله - في شرحه (١) :

وتجب المبالغة في القلقة حتى يسمع غيرك نبرة قوية عالية بحيث تشبه
الحركة ... فمن أسمع القلقة نفسه - فقط - لا يقال إنه أتى بالقلقة ؛ وإنما
يقال : إنه ترك القلقة فهو لحن .

كما أن حروف القلقة المتفق عليها (قطب جد) كلها مجهزة في وصف
القدماء لها وليست هي كل الحروف المجهزة - التي هي ماعدا حروف
المهمس (سكت فحثة شخص) .

فلو أن القلقة هي الجهر ، فلماذا اختصت هذه وحدها بالقلقة دون
بقية الحروف المجهزة ؟

إضافة إلى ذلك فإن ما أضافه بعضهم إلى حروف القلقة من - توابيع
(أكتع) الكاف والتاء منها مهموسان عند القدماء والمحدثين ؛ كما أن
القف والطاء من الحروف المتفق على قلقتها مهموسان - أيضا - في النطق
المعاصر .

وبهذا يتضح لنا أن القلقة شيء والجهر شيء آخر .

(١) نهاية القول المفيد للشيخ مكي نصر ص ٥٤

وينبني على ذلك أن الصوت المصاحب لحماية القفلة يختلف عن تلك
«النفسية» أو (المهوية) التي لاحظت الدراسة الحديثة مصاحبتها لبعض
الأصوات الشديدة نظراً لأنها مهموسة وصوت القفلة مجهور .

يقول الدكتور السمران (١) :

أما الصوت الإضافي في حالة ما سبناه نحة العرب (حروف القفلة)
فالرأى : أنه غير مهموس أى ليس نفساً ، وهذا بناء على الحقائق الآتية :

١ - أن النحاة يقررون أنه بسبب هذا الصوت الإضافي تنتقل
هذه الأصوات الانفجارية من « السكون » إلى « شبه الحركة » ، وهم يعمنون
بهذا أنها تصبح شبيهة شيئاً ما « بالحروف المتحركة » ، ومعروف أن ما يعرف
في الاصطلاح العربي « بالحرف المتحرك » هو صوت صامت يتلوه صوت
صامت قصير .

من هذا نرى أن الصوت الإضافي في حالة « حروف القفلة » يشبه
بالحركة أى بالصائت القصير ومن البديهي أن الصوائت مجهورة .

ويبين الدكتور عبد العزيز علام طبيعة هذا الصوت من خلال ما قام
به من تجارب وتحليلات صوتية مؤكداً توافق نتائج البحث الحديث مع
وجهة نظر شيخ النحاة والعربية (سيويه) فيقول (٢) : وأصوات القفلة
يحدث فيها علاوة على « الفلق والفك » أن أعضاء النطق المشتركة في نطق
هذه الأصوات (قطب جد) تعود ببطء إلى وضع الراحة ، وهذا الإبطاء
وضع فسيولوجي ينتج عنه فيزيائياً مكونات تذبذبية من مكونات الحركات
ويسمع الصوت لا على أنه دال صغيرة مع الدال ، وباء صغيرة مع الباء ،
وطاء صغيرة مع الطاء ، وجيم صغيرة مع الجيم ، وقاف صغيرة مع القاف ،
ولكن على أنه - كما أثبتت التجارب والتحليلات الصوتية (صوت حركة) ،

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ١٧٦ بتصرف .

(٢) علم التجويد القرآني ١٤٣

وهي التي تقع على المقياس رقم ٩ على مربع الحركات لدانيال جونز وهو ما يتفق مع كلام سيويه حينما هجر عن القائلة بأنها : صوت ينبو به اللسان عند النطق بالصوت .

ولن نكون مبالغين إذا قلنا :

إن « سيويه » كان يدرك هذه الحقيقة الصوتية التي كشفت عنها الدراسات الحديثة من أن صوت القائلة من نوع الحركات وليس من نوع الصوامت ، يدلنا على ذلك قوله : « فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصوت لشدة ضغط الحرف ، وبعض العرب أشد صوتا ، كأنهم الذين يرومون الحركة (١) » .

ففي أنهم الذين يرومون الحركة أن الصوت المسموع - حيثئذ - يكاد يشبه الحركة « والمقصود بالحركة ضد السكون ؛ وضد السكون إما الفتحة أو الضمة أو الكسرة .

٢ - أنهم يفرقون بين هذا الصوت الإضافي وبين تلك النفسية أو ما سموه « بالنفخ » أو « النفس » وكذلك بين ما سموه « بشبه النفخ » ، وأوضحوا الأصوات التي يتحقق فيها كل هذا ، والتي لم تتحقق فيها تلك العمليات التصويتية .

فقد قسم « ابن جنى » وتبعه رضى الدين الاستراباذى « الصوامت إلى أربعة أقسام على ضوء الصوت الذي يتبعها في الوقف عليها (٢) .

١ - قسم لا يوقف عليه إلا بصوت لشدة الحفز والضغط ، وهو حروف القلقة الخمسة (قطب جد) وسماها « ابن جنى » حروفا مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها .

(١) السابق نفسه ٩٩ ، ١٠٠

(٢) صر صناعة الإعراب ١ / ٧٣ وشرح الشافية ٣ / ٢٦٣ وانظر : رسالة

للككتور الفخراني (التجويد القرآني) ص ٢٤٦

٢ - قسم لا يوقف عليه إلا بنحو النفخ ، لأنها لم تضغط ضغط الأول
وهي : الزاي ، والذال ، والضاد ، والظاء . فإن الضاد كما يقول « الرضى »
تجد المنفذ بين الأحراس ، والثلاثة الأخرى تجد منفذها من بين الثنايا ،
وقد أضاف ابن جني إلى هذه الأربعة « الراء » ، ورأى أنها شبيهة بالضاد
وسمى هذه الخمسة « حروفا مشربة » كذلك .

٣ - قسم لا يوقف عليه إلا بالنفخ وسماه « ابن جني » نفسا ، لأنه
ليس من صوت الصدر ، وإنما يخرج منسلا ، وهي الأصوات العشرة
المهموسة (الفاء ، والحاء ، والثاء ، والهاء ، والشين ، والحاء ، والضاد ،
والسين ، والكاف ، والثاء) وذكر « الرضى » أن بعض العرب أشد نفخا
كأنهم الذين يرمون الحركة في الوقف .

٤ - قسم لا يسمع بعده شيء (لا صوت ولا غيره) وهو (اللام ،
والنون ، والميم ، والعين ، والغين ، والهمزة) أما عدم الصوت فلأنه لم
يتصعد من الصدر صوت يحتاج إلى إخراج ، وأيضا لم يحصل ضغط تام
وأما عدم النفخ فلأن اللام والنون لا يجدان منفذا من الأسنان كحروف
القسم الثاني ، وذلك لأنهما ارتفعتا عن الثنايا ، وكذلك الميم لأنك تضم
الشفيتين بها ، وأما العين والغين والهمزة فإنك لو أردت النفخ من مواضعها
لم يمكن .

وقد اتفقا على أن جميع الحروف التي تسمع معها في الوقف صوتا
أو غيره متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت نحو « اذهب زيدا ، و
« خذهما » و « احرسهما » لأن أخذك في صوت آخر وحرف سوى
الأول يشغلك عن إتباع الحرف الأول صوتا .

هل القفلة حركة أو شبه حركة ؟

بعض الناطقين بحروف القفلة يعتمدون تحريك ثلثا منهم أن ذلك هو مفهوم القفلة - وهو ظن غير صحيح - لأن القفلة ليست سبيلا إلى تحريك الحرف ، فإن تحريك الحرف نفاً بذلك مقطع صوتي يفسد به وزن الشعر وينكسر به عروضه لزيادة في اللفظ ، وليس من الممكن استيلاد حرف متحرك من حرف ساكن (١) .

كما أنه ربما يتغير المعنى تغيراً كلياً فمن قرأ « تَدْعُونَ » الساكنة الدال بتحريك الدال فصارت (تَدْعُونَ) فقد تغير القصد المقصود في « تَدْعُونَ » التي بمعنى تنادون إلى (تَدْعُونَ) التي بمعنى تتركون وتلبذون ، والفرق بين اللفظين كبير شكلاً وموضوعاً (٢) .

ولعلهم قد توهموا ذلك من قول بعضهم : أما حكم حروف القفلة فتحريكها في خارجها إذا كانت ساكنة سواء كان السكون لازماً أو عارضاً .

ولا نراه يعني به الحركة التي هي من نحو الضمة والكسرة ، وإنما أراد الزحزحة وهو ما يقع للحروف المعينة (٣) : وهو ما هب عنه بعضهم بشبه الحركة .

وهذا أمر أكدته الدراسات الصوتية يقول الدكتور محمود السمران : من هذا نرى أن الصوت الإضافي في حالة حروف القفلة يشبه الحركة ، والأرجح أن هذا الصوت الإضافي « صوت صائت مركزي ضعيف (٤) »

(١) قواعد التجويد للحنفي ٣٠١ ، ٣٤١

(٢) السابق ٣٧٦

(٣) السابق ١٦٩

(٤) علم اللغة ١٧٦

وهناك من نص على أن القلقة ليست حركة يقول الشهاب القسطلاني :
ولست القلقة حركة وإنما هي شدة الصياح (١) . وليست - أيضا - بعض
حركة لأنها لو كانت بعض حركة لاشبهت الروم وهو تلك حركة فالروم في
« بالحق » - مثلا - تلك حركة ، أما القلقة فهي اتجاه نحو الحركة فقط .

فالقلقة - إذن - ليست حركة ولا بعض حركة ، وإنما هي شبه حركة .
وعلى حد قول الشيخ الحنفي : وإنما تكون القلقة في الحرف منعاً
للتحريك وهو ساكن (٢) .

ولذلك فإظن أنه حركة هو عنده شيء موقوم ، يقول :
أما الصوت الذي يوافق الحرف المقلقل أو يتبعه على تفسير الأسباع
فإنه شيء يتوهم كالذي يقع لبعض حروف القلقة في حالات الإخفاء من
التحرك رغم حالة السكون فيها كأن نقول « تنش » فترى القاف وكأنها
كسرت ..

وكذلك بمن هذا الأمر عند الانتقال من حرف ذي نفث إلى مثله
كـ « تنش » أو إلى حرف صغير كـ « نفث » ، فإننا نرى القاف الساكنة متوهمة فيها
الحركة ، والسبب في ذلك وجود الصوت المتصل بحرف التنفث ، فإنه
يكون لازلاً ما قبله عما بعده فيبدو وكأنه حركة متحركة وإنما هو حركة
متوهمة (٣) .

يقول الشيخ :

وتوكيد المصنفين للتأنيب الصوتي في حروف القلقة نشأ في تصور معنى
القلقة بأنها شيء من التضخيم في حين أن معنى القلقة هو التحريك .
ولا يشترط في كل تحريك أن يكون معه صخب وخضجة فقد يحرك

(١) لطائف الإشارات ص ٢٠٠ (٢) قواعد التجويد ٣٠١

(٣) قواعد التجويد ٢٧١

النائم يرفق ، فلا يكون هناك ما يسمع من صوت لذلك إذا لم يكن نائماً على فراش تقترن الحركة عليه بصوت .

ولعله لهذا نراهم يرفضون المبالغة في التشديد فقد جاء في نهاية القول المقيد : ولا يحصل التشديد بالمبالغة فيها ، لأن التشديد يورث إلبات الحرف مقدار حرفين ، والقلقلة هي التحريك لا الإلبات (١) .

فهم يحدرون من المبالغة في نطق هذا الصوت حتى لا يصير صوتاً كاملاً أو حركة كاملة .

وذلك كان من ينطق بلفظة « اشتق » أمر من الاشتياق - على هيئة حرف مشدد بسبب ما يلجأ إليه من التركيز على التصويت في القلقة عطفًا . أشد الخطأ في هذا التصرف ، لأن الأمر من الاشتياق كان بقاء واحدة . فصيوره بقاءتين ثانيتهما مستولدة من الأولى فصار من الاشتقاق لا من الاشتياق (٢)

إضافة إلى ذلك فإن مقصودهم بـ « النبرة القوية » سرعة فك الاحتباس بطريقة مفاجئة وهو ما لا يتحقق مع تشديد غير المشدد .

(١) س ٥٤

(٢) انظر قواعد التجويد ٢٦٠ بتصرف -

عدد حروف القلقة

اتفق جمهور علماء اللغة والتجويد على أن حروف القلقة خمسة ،
وأضاف بعضهم إليها أربعة أخرى يرون أن لها مألها من مواصفات انحباس
النفس في مخرجه .

والحروف الخمسة هي : الباء ، والجيم ، والدال ، والطاء ، والقاف
تتجمع في :

« قد طبع ، أو « طبق جد ، أو « جذ قطب » ، أو « قطب جد » .

والحروف الأربعة الأخرى الملحقة بها هي : الهمة والتاء ، والعين ،
والكاف ، رأيت جمعها في كلمة « أكنه » .

يقول بعض الباحثين (١) :

عد علماء الصناعة ثمانية حروف قالوا إنها موصوفة بالشدة أي أن
النفس في نطقها ينحبس جريانه بالصوت فيكاد ينخلق الصوت عنده في
مخرجه والحروف الثمانية هي : الهمة والباء والتاء والجيم والدال والطاء
والقاف والكاف ، وقائمهم إيراد العين في جماعة هذه الحروف إذ أن هذا
الحرف هو كذلك مشمول بمواصفاتها وقد عدوه في الحروف البينية التي
هي بين الرخاوة والشدة .

والظاهر أنه من الحروف التي يغلب عليها جانب الشدة ، وهي صفة
حروف القلقة بالذات ، ولذا عددناها تسعة حروف ، أربعة منهن
توابع أضفناهن إلى الحروف الخمسة المتفق عليها لدى أصحاب هذه الصناعة .

(١) الشيخ جلال الجنتي (قواعد التجويد ص ٢٦٩)

ومسألة هذه التواضع الملحقة بحروف القلقلة جاءت الإشارة إليها في المصادر القديمة ، ففي لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطالوني ٩٣٣ هـ يقول (١) :

وأضاف بعضهم إليها الهمزة لما فيها من الجهر والشدة ، ودفع بدخول التخفيف عليها حالة السكون وبما يعقربها من الإعلال ، وأضاف إليها «سيبويه» التاء وجعل لها نفخا وهو قوى في الاختبار ، قال في التمهيد :
وقيل إن التاء من حروف القلقلة وهو غاية في البعد .

وجعل «المبرد» منها الكاف لكنه جعلها دون القاف ، قال : وهذه القلقلة بعضها أشد من بعض . ويلحق المرعشي على ذلك بقوله : « أقول . فكأنه لم يشترط قوة الصوت الزائد وإن شرط انحصار الحرف قبله ، لكنه يلزمه - حيثئذ - أن يعد منها التاء المتناه الفوقية - أيضا - وهذا قول صحيح .

يقول بعض الباحثين : ولم ير هذا الرأي أحد من اللغويين - فيما أعلم - غير المبرد ، مع أن الكاف قد اعتبرها بعض اللغويين كالسكاكي بجمهورية . لكن جمهور المجودين واللغويين قد وصفها بالهمس (٢) .

ومن المحدثين الذين تنبهوا إلى ذلك مؤلف فن الإلقاء فقد قال : (٣)
أرى أن يضاف إلى هذه الحروف الهمزة والتاء والكاف ، وذلك عندما تأتي ساكنة في آخر كلمة عند الوقوف عليها ، وذلك لأن هذه الحروف الثلاثة في حالتها التي وصفت تضعيع نبرتها إن لم يرجع بها اللسان . ترجيعة القلقلة لأن النفس منقطع عندها وليس لها استمرار صوتي كما نلاحظ في بقية الحروف .

(١) لطائف الإشارات ١ / ٢٠٠ (٢) رسالة الفخراني ص ٢٤٤

(٣) عبد الرازق عسر ص ٧٨ وانظر : قواعد التجويد للصفي ص ٢

وقد يتنا في الخارج أن الصوت عندها مقطوع ، وكذلك أرى قلقلة كل حرف صوته مقطوع . وصاحب (دراسة الصوت الانوى) (١) عد الكاف انفجاريا ، أى أنه مما يقلقل . وكذلك عد الهمزة انفجارية كما جاء وصف حالات القلقلة في الهمزة بظهورها كأنفجار متبوع بفجوة سكوتية ، وأحيانا يتبع الانفجار بضجيج منخفض ، وفي حالات أخرى تظهر الهمزة كصوت انزلاق قصير .

وقال صاحب « الوضع الجديد » في كلامه على الهمزة : قلت وكان الهت فيها قائم مقام القلقلة إذ هي مجهورة شديدة كحروف القلقلة (٢) . ولعل ما يؤكد ذلك قول القسطلاني (٣) :

ومنها المتهوف وهو الهمزة ، والهتف : الصوت ، فسميت بذلك لخروجها من الصدر كالمتهوع بها فتحتاج إلى ظهور قوى شديدة ، وهو ككسيتهم لها أيضا بالجرى .

والجرى لغة : الصوت ، فكأنه الحرف الصوقى ، وكل الحروف يصوت بها لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك . على أننا نلاحظ أنهم بالرغم من وصفهم للهمزة بأنها صوت مجهور لم يذكروها ضمن حروف القلقلة وهي حروف باتفاقهم جميعا بمجهورة .

والسؤال لماذا أخرجوها إذا من القلقلة ؟

ويمثل المرعى ذلك بقوله (٤) :

ثم اعلم أن الهمزة وإن اجتمع فيها الشدة والجرى لكن الجمهور أخرجوها من حروف القلقلة كما في بعض الرسائل ، ولعل سبب ذلك

(١) د / أحمد مختار عمر ص ٢٧٢ وانظر : قواعد التجويد الحنفى ص ٢٦٢

(٢) قواعد التجويد الحنفى ٢٦٩

(٣) لطائف الإشارات ١ / ٢٠٢

(٤) الدراسات الصوتية د / ظنم ص ٣٠٤

منافى الرهاية من أن الهمزة كالتنوع وكالسعلة فحرت عادة العلماء بإخراجها بلطاقة ورقى وعدم تكلف فى ضغط مخرجها ، لئلا يظهر صوت يشبه التنوع والسعلة أقول : فيخفى حينئذ شدتها ويعدم قلقلتها .

يقول بعض الباحثين (١) : وهذا التعليل عندى أرجح مما علل به ابن الجزرى حين قال :

ولما لم يذكرها الجمهور لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارقت أخواتها ولما يعترها من الإهلال (٢) .

يقول الدكتور النعيمي :

الذى يتجه لى فى هذا أن جل مهم كان منصرفا إلى وضوح الصوت فى الوقف أو خفائه ، وقد وجدوا أن القاف والطاء والباء والجيم والذال ينخت صوتها ولا يظهر إلا بضغطها عن موضعها باظهار صوت بعدها .

أما صوت الهمزة فإنه يسمع بشكل يميز فى الوقف من غير حاجة إلى ضغطه عن موضعه ، وهذا واضح فى الوقف على الهمزة فى نحو « السماء » أو « إبداء » .

وذلك لأن الصوائت سواء كانت طويلة أو قصيرة أصوات مجهورة واسعة المخرج يتذبذب معها الوتران الصوتيان فإذا انفلق الوتران لنطق الهمزة سمع بسبب انقطاع الهواء المستمر فى الحلق فجأة صوت الهمزة وإن كان خافتا .

يقول : والراجح عندى : أن العلماء عندما أخرجوا الهمزة من حروف القلقلة المتصفة بالشدّة والجر عندم كانوا ينظرون إليها مع حرف متحرك قبلها قياسا على تمثيل ابن جنى بالأفعال : إلحق واذهب واخلط واخرج (٣) .

(١) دغلام فى المصدر السابق ص ٣٠٥ . (٢) للنشر ١ / ٢٠٢ .

(٣) الدراسات الهمجية والصوتية عند ابن جنى ٣٢١

ومعروف أن الهمزة بناء على وصفها في الدراسة الحديثة لا إشكال فيها، وذلك لأنها عند المحدثين ليست حرفاً مجهوراً بمعنى أنه لا يصحبه تنزيب الوترين الصوتيين، وإن وصفه بعضهم بأنه : مهموس وبعضهم بأنه : لا مهموس ولا مجهور، إذ هو على الرايين ليس مجهوراً وبهذا لا يسأل عنه في حروف الفلقلة (١).

وننتهي إلى أن الهمزة ليست من حروف الفلقلة رغم أنها شديدة وإذا أردنا قلقلتها عند الوقف وخاصة في المد المتصل تجد نفسك أنك تعدّها نوناً خفياً ويخرج عن ذلك رنين وهو لحن فاحش يعاب عليه القاري.

أما إذا قلقلت أثناء الدرج فتجد لها حركة مصاحبة وخاصة في الساكن المتوحد مثل « بِئْرٍ مُّطَقَّةٍ » « وَالْأَنْبُ » المكسور ما قبلها . والمفتوح ما قبلها عند الطرف في كلمتي « السماء » « والماء » ، ويجب الاحتراز من ذلك لأن الأطراف محل تغيير دائماً (٢).

إضافة إلى ذلك عدم ميل الذوق العربي إلى تحقيقها المؤدى إلى قلقلتها ، ولذا نرى أحد المجودين يحذر من ذلك بقوله : (٣)

فيجب على القاري أن لا يتكلف في الهمزة ما يقبح من ظهور شدة النبر بنبرة الصوت، وأن يلفظ بالهمزة مع الألف لفظاً سهلاً ، فقد قال أبو بكر بن عياش صاحب عاصم :

كان إمامنا يهزم (مؤصدة) فأشبهى أن أسد أذن إذا سمعته يهزها . يريد أنه كان يتسفف في اللفظ بالهمز ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها . أما الكاف والتاء فالمرعشي في رسالته يعلل ذلك بقوله :

(١) التميمي ٣٢١ في الدراسات اللفظية والصوتية عند ابن جني

(٢) أحكام تجويد القرآن د/ سويد / ٢٥٠

(٣) مكي في الرماية ١٥٠ وانظر النخاعي ٢٤٤

ولم يعد الكاف والتاء المثناة الفوقية من حروف القلقة مع أن فيها صوتاً زائداً حدث عند افتتاح مخرجيهما لأن ذلك الصوت فيهما يلابس جري نَفَس، أى بسبب ضعف الاعتماد على المخرج فهو صوت همس ضعيف، ولذا هدتا شديدتين مهموستين، فلم يلابس ذلك الصوت فيهما بجري نَفَس لكان قلقة ولكانت التاء دالاً (١).

يقول الدكتور النعيمي :

أما المهموس الشديد وهما حرفان كما ورد عند ابن جني (التاء والكاف) فلا يحتاج إلى هواء الصدر في الوقف لإظهاره لأن استغناءه عن تدنّب الوترين يجعل بالإمكان الاستفادة من هواء الفم في ذلك، ويبدو أن انتهاء الحاجة إلى هواء الصدر هو الذي جعلهم يخرجون هذين الحرفين من الحاجة إلى صوت في إظهارهما، وإن كان واقع الحال في النطق يؤكد أنهما بحاجة إلى اقتراج موضع حصر الهواء لكي يظهر في الوقف (٢).

أما العين فلم أجد - فيما اطّلت عليه - من ألقها بحروف القلقة غير الشيخ جلال الحنفي وعلمته في ذلك تغليب جانب الشدة عليها كما سبق بيانه.

وهناك من يلحق اللام والفاء بحروف القلقة :

يقول بعض الباحثين (٣) : وجاء في بعض المصادر أن من العلماء من يعدّ اللام، من حروف القلقة وقد ذكر ذلك المرعشي، وذكر أن بعضهم أضاف إليها «الفاء» لكن ذلك كله لحن حسب رأيه وذلك حيث قال : وهي لازمة لحروف «قلب جد» وإحداثها في غيرها لحن . يقول

(١) انظر : نهاية القول المفيد ص ٥٥

(٢) الدراسات الهجية والصوتية عند ابن جني ٣٢١

(٣) د / ظم في الدراسات الصوتية ٢٠٦

الشيخ الحنفى (١) : وليست الفاء من الحروف التى تصح قلقلتها لأن حالة التششى حالة انسياب لا حالة انحباس ، ومن الناس من يقلقل الفاء جهلا ولكفة .

ولا قلقلة فى اللام إلا لدى من اعتاد أن ينطق هذا الحرف مشفوحا برطانة مفتحة هى مستبشعة حتما فى أسماع السامعين .

وهناك - أيضا - من يقلقل الميم وهو خطأ ، يقول الشيخ جلال الحنفى موضحا ذلك : الباء والميم من مخرج واحد ، لكن الباء حرف شدة والميم حرف غنة أى أنه انسياب الجرس لين الصوت ولكنه قد يحاكي الباء فى الشدة والقلقلة على وجه غير معترف به فى اللسان ، لذا عدّه نطقه مقلّلا من جهل الناطقين به على هذه الصفة (٢) .

كما حذر - المرعى - فى بعض الرسائل من قلقلة الفاء واللام فى « أفزاجا » و « جتاجا » وإنما يقلقلها من يقلقلها حرصا على إظهارهما وحذرا عن إدغامهما فيما بعدهما ، ومثل تحريك الهاء لإحداث شبه القلقلة فيه للبالغة فى بيانها .

وقد عقب على لزوم القلقلة لحروفها بقوله :

ليس المراد بهذا اللزوم المنطقى وهو امتناع الانفصاك بل المراد به اقتضاء الطبع السليم ، فإن صاحب الطبع السليم إذا نطق بحروف (قطب جد) يحدث فيها القلقلة ألبتة ، لكن يمكن نطقها بدون القلقلة بتكلف وذلك إما بإعطائها همسا فيكون الصوت الحادث بفتح مخارجها - حيثئذ صوت همس ضعيف مع جرى قفّس كثير ، كما كان الأمر كذلك فى الكاف والباء المثناة الفوقية ، وإما بفتح مخارجها برفق بحيث لا يحدث بذلك الفتح صوت أصلا .

(١) قواعد التجويد ص ٣٠

(٢) ١٧ الحنفى فى (قواعد التجويد) .

ثم ختم التعقيب بقوله :

وهذا البحث لا يفهمه إلا صاحب التصور الصادق (١).

وهناك رأى أراه غريباً تذكره إتماماً للقاعدة :

يقول ابن مفلح القلقيلي كتابه «غنية المريد» (٢) : «ومن أهل العلم والنحو والأداء من يجعل عوض الباء التاء الفوقية ، ويقول في هجاء (جد بطلق) (جد تطلق) فيسكون حيثئذ في الباء والتاء خلاف فذهب بعض إلى أن الباء هي المقلقة ، وبعض إلى أن التاء هي المقلقة .

يقول ابن مفلح : «والصواب الأول بدليل أن سائر الحروف المتقلقة مجهورة شداد كالباء» . وأضيف : لعل ذلك من خطأ النساخ أو أنه لبث أدى إليه أن الباء من حروف القلقة الأصول وأن التاء من التوابع كما ذكرنا من قبل .

بقى بعد ذلك أن نعرف لماذا تحدث القلقة في الحروف المتفق عليها (قطب جد) ؟ . وإذا كان الجواب : أنها جمعت بين صفتين نعماً الجهر والشدة فإن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن :

لماذا خصت الحروف المجهورة الشديدة بهذا الحفز أو الضبط حتى سمع بعدها صوت في الوقف ؟

للإجابة عن هذا يلغى أن نتذكر أن الحرف المجهور : هو الذى أشبع الاعتماد من موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت ، وأن الحرف الشديد : هو الذى يمنع الصوت من أن يجرى فيه ، أو كما يعبر المحدثون عن المجهور بأنه الصوت الذى تصحبه نغمة تذبذب

(١) انظر : أصوات القرآن الكريم منبج دراستها عند المرعشى د / الفخرانى

ص ١٦٣

(٢) مخطوط رقم ١٢٩٣ قراءات مكتبة الأزهر ٢٣ ويقوم الباحث بتحقيقه

يعون الله .

الوترين الصوتيين، وهذا الوتران يتذبذبان مع الأصوات التي وصفها العرب بالجهر غير الهمزة .

والشديد عبر عنه المحدثون بالانفجارى وهو الذى ينتج من حبس الهواء حبسا تاما ثم لإطلاقه .

ويلاحظ ان صفة الجهر فيها تمنع النفس والشدّة فيها هذا - أيضا - فكان اجتماع المتعين على الصوت الواحد مع الوقف الذى يسكن معه الحرف يؤدى إلى خفائه فى السمع .

لحين تقف على الباء مثلا فى مثل « المسآب » تكون قد جمعت عليها مع حبس الهواء وراء الشفتين والحاجة إلى هواء الصدر لنزير الوترين استمرار انطباق الشفتين بسبب سكون الوقف .

وبهذا لا يسمع نزير الوترين ولا انفجار الصوت ، فيخفت صوت الباء حتى لا تكاد تقينه ، ولذا كان فتح مكان حصر الصوت بإظهار صوته عند الوقف يسمح للوترين بالنزير لازما ليبان الصوت المجهور الانفجارى أو الشديد (١) .

يقول الصفاقسى (٢) : إنها لما سكنت ضعفت فيحتاج إلى ظهور صوت حال سكونها من قلقل إذا صوت ، ومواء كان هذا سكونا فى الوصل نحو : خَلَّأْنَا ، وَأَطْوَارًا ، وَنَهْتَتْ ، وَالتَّجْدَيْن ، وَمَدَدْنَا ، أو الوقف نحو : الحق ، ومحيط ، والنيب ، والخروج ، والدود .

ومن خصها بالوقف دون الوصل فقد وسم ، إلا أنها فى حال الوقف أظهر لأن الوقف عمل انقطاع النفس . وهى شديدة مجهورة تمنع النفس أن يجرى معها فاحتاجت إلى كثرة البيان حتى أنها مع كونها ساكنة تخرج إلى شبه الحركة من قولهم :

(١) الدراسات اللفجية والصوتية عند ابن جنى د / التميمى ص ٩٢١

(٢) ثلثيه الثمانين ص ٣٧

تقلقت الشيء : إذا حركته ولولا ذلك لم تتبين .

قال الخليل :

القلقلة شدة الصياح ، وقال أيضا : القلقلّة شدة الصوت .

وهنا يرد سؤال : القاف والطاء اليوم مهموستان ، ومن ثمّ تخلف
فيهما أحد شرطى القلقلّة وهو الجهر ، والملاحظ أن قراء القرآن وناطقى
العربية يحرصون على إتباع هذين الصوتين عند الوقف بصوت القلقلّة
فما المسوغ لذلك إذن ؟

وبحسبنا أحد الباحثين بقوله :

وهو أمر يسوغه كون الصوتين شديدين (انفجاريين) فيتبعهما عند
الوقف صوت مثل صوت الكاف لكنه معهما أشد لفخامة الطاء
بالإطباق ، وشدة انفصال العضوين في نطق القاف مع كونه صوتا
مستعليا (١) ، وهو - فيما أرى - تعليل سليم .

(١) الدراسات الصوتية د / خانم ص ٣٠٥

حروف القلقة

مخارجها و صفاتها

مخارج الحروف قضية شغلت علماء الأصوات قديما وحديثا ، واهتم بها علماء التجويد لأنها دعامات من دعامات علم التجويد ، يقول صاحب نهاية القول المفيد (١) :

اعلم أن هذا الباب (مخارج الحروف) من أهم أبواب التجويد فيجب أن يعتنى بإتقانه كل من أراد أن يقرأ القرآن المجيد ، قال الشمس ابن الجزرى فى مقدمته :

إذ واجب عليهم محتم قبل الشروع أولا أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات لينطقوا بأفصح اللغات
فن اتقن مخارج الحروف والصفات نطق بأفصح اللغات وهى لغة العرب التى نزل القرآن بها .

ولإدراكهم هذه الأهمية فقد فهموا المخرج فهما دقيقا من أنه : اسم لموضوع خروج الحرف والحيز الذى يتكون فيه الصوت اللغوى .
يقول القسطلانى : المخارج جمع مخرج اسم للوضع الذى يفسأ منه الحرف ، وهو عبارة عن الحيز المولد للحرف (٢) .
ويقول الفارى : والأظهر أنه موضع ظهوره وتميزه عن غيره (٣) .

نهاية القول المفيد ص ٢٧ وانظر علم التجويد للقرآنى د / علام ص ٢٨

(٢) لطائف الإشارات ١ / ١٨٢

(٣) المنح الفكرية ص ٩

وعرفه ابن يعيش في شرح المفصل بأنه : المقطع الذى ينتهى الصوت
هتده (١) .

فالخرج - إذن - هو النقطة المعينة من آلة النطق التى ينشأ منها
الحرف أو يظهر فيها ويتميز نتيجة لتضييق مجرى الهواء وغلقه ثم إطلاقه .

يقول بعض الباحثين (٢) : وهى تعريفات تتطابق مع وجهة نظر علماء
الاصوات المحدثين يقول برجستراسر (٣) : والمُخْرَج أو المُخْرَج هو
الموضع من الفم ونواحيه الذى يَخْرُج أو يُخْرَج منه الحرف .

ويقول ماريوباي (٤) : وإن التميز بين أصوات اللغة سواء منها الآتية
أو القموية يعتمد على استمرار الصوت ودرجة سماعه وقوة إنتاجه وفوق كل
هذا هل المخرج، وكلية المخرج تشير إلى النقطة المحددة فى الجهاز النطقى التى يتم
عندها تعديل وضعه .

أما الصفة فقد عرفها طاش كبرى زاده بقوله (٥) : وصفة الحرف كيفية
طارئة للحرف عند حصوله فى المخرج وتميز بذلك الحروف المتحددة
بعضها عن بعض .

وهذا التعريف ينسجم مع وجهة الدرس الصوتى الحديث - أيضا - .

فالصوت ينتج عن عملية حركية فى الغالب من تدخل بعض أعضاء آلة
النطق فى تيار النفس فى نقطة معينة هى التى تسمى (المخرج) وهذه هى
العملية الأساسية فى إنتاج الصوت .

(١) شرح المفصل ١٠/١٢٨ .

(٢) د / غانم ١٢٢ (الدراسات الصوتية) .

(٣) السابق ص ١٢٤ - وانظر : التطور النحوى ٥ - ٦ .

(٤) أسس علم اللغة ٧٨

(٥) انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٢٤ .

وهناك عمليات أخرى مصاحبة تحدث في بعض أعضاء النطق كعملية اهتزاز الوترين الصوتين التي تسمى (بالجر) فهذه العمليات المصاحبة لما يحدث للصوت في المخرج هي التي تسمى « بالصفات » .

صفات الحروف - إذن - هي كفيات مصاحبة لتكون الحرف في المخرج سواء كانت تبين كيفية مرور الهواء في نقطة المخرج أم توضح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءا مهما في تكوين الصوت وتميزه عن غيره .

من هنا كان الوقوف على مخرج الصوت اللغوي في عرف الدراسات الصوتية الحديثة أمرا له أهمية كبرى ، فالصوت يقوم على دعامتين :

الأولى : المخرج ، والثانية : الصفة . وبهما يتميز عن غيره من الأصوات وقد يتميز عن غيره بإحدى هاتين الدعامتين (١) .

وبعد فقد آن أن نبين مخرج كل حرف وما يتمتع به من صفات في نظر القدماء والمحدثين من علماء العربية والتجويد ونبدأ بها مرتبة على قولهم :
قطب جد .

القاف

وحدة صوتية أساسية في اللغة العربية كما تدل المقارنة بين الكلمتين
التاليتين : (قلب ، وكتب) (١) .

والقاف من الأصوات التي اختلف وصفها بين الأقدمين والمحدثين على
على الرغم من اتفاقهم على مخرجها وهو : أقصى اللسان مع ما يحاذيه من
الحنك الأعلى ، وتسمى صوتا لهما نظرا لأنه حال النطق بها ينحس الهواء
باتصال أدنى الحلق (بما في ذلك اللهاة) بأقصى اللسان ، ثم ينفصل العضوان
انفصالا مفاجئا ، ولذلك يمكن أن تسمى القاف صوتا لهما نسبة إلى
اللهاة (٢) .

وقد وصفها الأقدمون بالجر ، ولكن تبين للمحدثين أنها مهموسة
حسب نطق مجيىء القراءات في مصر الآن .

الطاء

وحدة أساسية في اللغة العربية كما هو واضح من الفرق بين الكلمتين
التاليتين : (تين ، وطين) (٣) .

يقول الخليل : « والطاء والتاء والذال ، يَحْمِيَةٌ لأن مبدأهما من يطم
الغار الأعلى ، وهو سقف الحنك الأعلى (٤) .

(١) أحكام تجويد القرآن / سويد ٤٤

(٢) أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار حلال ص ١٨٣

وانظر : أصوات أيوب ١٨٣ وأصوات أنيس ٦٩ وعلم اللغة للسمران ١٧٠

(٣) أحكام تجويد القرآن / سويد ص ٤٠

(٤) اللعين ٦٥/١

ويقول سيويه : وما ين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء
والدال والثاء (١) .

واقفني ابن جني أثر شيخه في هذا الوصف (٢) .

ووصف الطاء بأنها حرف زطبي له مايسوغه حتى على القول بأن
التجارب الصوتية الحديثة تدل على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات
يتصل بأصول الثنايا بل ومعظم الثنايا من الداخل ، وهذا لأن اللطع
كما هو معروف في المعاجم (٣) : أقرب جزء من الحنك الأعلى فيه آثار
كالتحيز إلى أصول الثنايا .

وإذا كان مخرج الطاء عند المحدثين : طرف اللسان مع أصول الثنايا
العليا ، فإن هذا يوضح أن الأقدمين والمحدثين قد اتفقوا على مخرجها ،
لكنهم اختلفوا في وصفها بالجرر والهمس فقد وصفت الطاء في التراث
اللغوي القديم بأنها صوت مجهور وقد نص « سيويه » نفسه على ذلك ،
وتبعه كل من جاء بعده من اللغويين والقراء (٤) .

أما المحدثون فقد وصفوها بالهمس ، يقول برجستراسر : إن الطاء
مهموسة اليوم مجهورة عند القدماء ، والنطق العتيق قد انمحى وتلاشى (٥) .
وقد روى المستشرق « شاده » عنهم : « مضر » و « قضع » في « مطر »
و « قطع » (٦) .

(١) الكتاب ٤ / ٤٢٣ (٢) سر الصناعة ١ / ٥٣

(٣) انظر لسان العرب (قطع) .

(٤) أصوات بشر ١٣٠ .

(٥) التطور النحوي ص ٩ .

(٦) علم الأصوات عند سيويه وعندنا ص ١٣ .

الباء

وحدة صوتية أساسية في العربية كما يتضح من المقارنة بين الكلمتين :
(باب وناب) (١) وهو من الحروف الشفوية وقد اتفقت كلمة العلماء عليه .
مخرجا وصفات فهو : صوت شفهي ، مجهور ، شديد ، مستفل ، مفتوح ،
زلق مقلقل (٢) .

الجيم

وحدة صوتية أساسية في العربية قارن بين (جبل وطبل) (٣) .
وهي من الأصوات الشجرية التي تخرج من شجر الفم أى مفرجه ،
وهو - كما في اللسان - ما انفتح من منطبق الفم ، وهو ما يسمى حديثا :
وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى أو وسط الحنك (٤) .
ويتفق الأقدمون والمحدثون على تحديد مخرج هذا الصوت وأنه من
وسط اللسان مع ما يجاذبه من الحنك الأعلى .
لكنهم اختلفوا في وصفه ، فالأقدمون يصفونه بالشدة ، والمحدثون
يصفونه بأنه قليل الشدة ، وذلك لأنه حال نطقه يلتقي وسط اللسان بوسط
الحنك الأعلى التقاء محكما ينحبس معه مجرى الهواء ، فإذا انفصل العضوان
انفصالا بطيئا سمع صوت يكاد يكون انفجاريا هو « الجيم » العريضة
النفسحة ، فانفصال العضوين - هنا - أبطأ قليلا منه في حالة الأصوات .

-
- (١) أحكام تهويد القرآن الكريم د / سويد ٣٧
(٢) انظر : التجويد والأصوات د / نهما ص ٤٧ ودراسات في التجويد
والأصوات اللغوية د / أبو سكين ص ١٠٤
(٣) أحكام تهويد القرآن / سويد
(٤) علم التجويد للقرآني د / حلام .

الشديدة الأخرى ، ولذلك يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتاً قليل الشدة (١).

الدال

وحدة صوتية أساسية في العربية كما هو واضح من الفرق بين الكلمتين (درب ، وضرب) (٢) .

وهو من الحروف المقطعية (الطاء ، والدال ، والتاء) .

ولم تختلف كلمة العلماء فيه لا في المخرج ولا في الصفات فخرجه : ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا .

وهو حرف مجهور ، شديد ، مستغل ، منفتح ، مصمت ، مقلقل (٣) .

(١) أصوات اللغة العربية د هلال ص ١٨٥ وانظر أصوات أنيس ٦٥ ، ٦٦ وأصوات نجا ٦٩ وسر الصناعة ٩ / ٥٢

(٢) أحكام تجويد القرآن د / سويد ص ٤٢

(٣) انظر : التجويد والأصوات د / نجا ص ٤٩ ، دراسات في التجويد ، والأصوات الغوية د / عبد الحميد أبو سكينة ص ١٠٨

حروف القلقة

بين القوة والضعف

جرى القدماء من علماء الصوتيات والتجويد والقراءات على التقاط الأفسكار اللغوية والصوتية ودراستها دراسة تحليلية ، وعلى اكتشاف النظريات والحقائق العلمية ، فاكتشفوا فكرة الصوت القوى والصوت الضعيف ودرسوها دراسة علمية رائدة ما أظن أمة من الأمم السابقة قد هدبت إلى مثل هذه القضية الصوتية التي لها أهميتها في مجال الدراسات اللغوية والدراسات النقدية والأدبية .

يقول محمد مكي نصر موضحا صفات القوة :

اعلم أن الصفات تنقسم إلى قوية وضعيفة : أما صفات القوة فهي الجهر والشدة ، والاستعلاء والإطباق ، والإصمات والصغير ، والقلقة والانحراف والتكرير ، والتششى ، والاستطالة والغنة (١) .

ثم يلتفت إلى قضية مهمة هي (التفاوت في درجات القوة) بين صفات القوة ، وهذا - هل حد قول الدكتور عبد العزيز علام - مما يدل على الحس الصوتي المرهف ، والذوق الصوتي الدقيق ، فيقول : قال المرعشى : وبعض هذه الصفات أقوى من بعض في القوة :

فالقلقة أقوى الصفات ؛ والشدة أقوى من الجهر، وكل واحد من هذه الثلاثة أقوى من التششى والصغير ، والإطباق أقوى من الاستعلاء الخالي عنه (٢) .

(١) د / عبد العزيز علام علم التجويد للقرآني ص ١٣١

(٢) نهاية القول المفيد ص ٦٢

(٣) المرجع نفسه وانظر د / علام في علم التجويد للقرآني ص ١٤٨

ومعروف أن الحرف يكتسب قوته بما اتصف به من صفات فإن رجحت صفات القوة فيه كان الحرف قويا ، يقول الشيخ نصر :

ثم اعلم أن الحرف إذا كثرت فيه صفات القوة وقلت منه صفات الضعف كان قويا ، ويتفرع منه الأقوى ، وكذلك إذا كثرت فيه صفات الضعف وقلت منه صفات القوة كان ضعيفا وتفرع منه الأضعف ، فإذا استوى فيه الأمران كان متوسطا (١) .

ولما كانت حروف الفلقلة - بداية - تتفاوت قوة وضعفا من حرف لآخر شأنها شأن بقية الحروف ، فإن السؤال الذي يرد هنا : أى هذه الحروف تنضح فيه الفلقلة أقوى من غيره ؟

وتكاد آراء العلماء تنحصر في مذهبين :

أولها : القاف أقوى حروف الفلقلة جميعا لدرجة أن بعضهم جعلها أصلا لها .

يقول صاحب الرعاية : والقاف أيئنا صوتا في الوقف لقربها من الحلق وقوتها في الاستعلاء (٢) .

ويقول : أصل هذه الصفة للقاف ، لأنه حرف ضغط عن موضعه فلا يقدر على الوقف عليه إلا مع صوت زائد أشد ضغطه واستعلائه ، ويشبهه في ذلك أخواته المذكورات معه (٣) .

وفي ذلك قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - في حزه (٤) :

وأعرفن القاف كل بعدها .

ويشرح ابن القاصح ذلك فيقول :

(١) نهاية القول المفيد ص ٣٣

(٢) مكى بن أبى طالب في الرعاية ص ١٤٥

(٣) المرجع نفسه ص ١٢٤

(٤) حرد الأمانى ووجه الانتهاء ص ٩٥

أخبر أن أعرف حروف القلقة القاف ، وأن كل الناس يعدّها في حروف القلقة بخلاف غيرها لأن ما تحصل فيها من شدة الصوت المتصعد مع الصدر مع الضغط أكثر وأقوى مما يحصل في غيرها (١) .

يقول الإمام ابن الجزرى :

وأصل هذه الحروف القاف لأنه لا يقدر أن يؤتى به ساكنا إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه (٢) .

وينقل صاحب نهاية القول المفيد عن المرعشى وابن غازى : أن هذه القلقة بعضها أشد من بعض ، وأفواها القاف بالافتاق لشدة ضغطه واستعلائه ، ولذلك قال بعضهم : إن أصل صفة القلقة لها ، ثم وصفوا الأربعة الباقية تبعاً لها (٣) .

وفى تنبيه الغافلين يقول الصفاقسى : وأبينها فى ذلك القاف لقوتها وضغطها فى مخرجها (٤) .

ويرى الشباب القسطلانى - كسابقه - ما قاله صاحب الرماية من قبل فيقول فى لطائفه .

وأصل هذه الصفة للقاف ، لأنه حرف لا يقدر أن يؤتى به ساكنا إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه وأشبهه فى ذلك إخوانه (٥) .

الثانى : الهاء أعلى حروف القلقة والجيم أوسطها وبقية الأصوات أدناها

يقول صاحب نهاية القول المفيد نقلاً عن تبصرة المريد :

(١) سراج النصارى للمبتدى ص ٤١٠

(٢) النشر ١ / ٢٠٣

(٣) الشيخ مكى نصر فى نهاية القول المفيد ص ٥٥

(٤) تنبيه الغافلين ص ٣٨

(٥) لطائف الإشارات لقنون القراءات ١ / ٢٠٠

وتنقسم القفلة إلى ثلاثة أقسام : أعلى وهو في الطاء ، وأوسط وهو في الجيم ، وأدنى وهو في الثلاثة الباقية (١) .

ويعرض بعض الباحثين هذين الرأيين ثم يعقب على ذلك بقوله (٢) :
والرأى الأول في تصوري غير سليم ، لأنهم اعتبروا الطاء أقوى الأصوات (أى أوضحها في السمع) لأنها خلت من صفات الضعف واجتمعت فيها صفات القوة ، والتي لم تجتمع في غيرها من الأصوات فهي صوت شديد ، مجهور - عند القدماء - مطبق ، مستعل ، بخلاف القاف فهو صوت غير مطبق .

يقول الباحث : والرأى الثاني رأى مقبول حيث اعتبر الطاء أبين حروف القفلة ، لكنه لم يوفق في ترتيب بقية الأصوات إذ قد اعتبر الجيم تلي الطاء ، مع أن القاف هي الأولى بأن تكون تالية لها ، لأنها أقوى وأبين في السمع من الجيم والذال والباء من واقع نظرهم للقوة ، إذ هي صوت شديد مجهور - عند القدماء - مستعل ، وأما هذه الثلاثة فهي أصوات شديدة مجهورة فقط ، واجتمع فيها صفتان من صفات الضعف هما الافتتاح والاستفال ، وهما لم يجتمعا في القاف التي وجدت فيها صفة واحدة وهي الافتتاح .

ويتهى الباحث إلى أنه : لذلك فإن الأصوات المقلقة ينبغي أن ترتب هكذا : الطاء ثم القاف ثم الباء والذال والجيم .

ونحن وإن كنا نسلم للباحث بكل مأساه من قوة الطاء ، ونحفظه على موقع القاف في الترتيب على هذا الرأي ، إذ أصبحت في المرتبة الثالثة وحققا أن تل الطاء مباشرة فهي التي تقف في مواجهتها دون بقية حروف

(١) محمد مكى نصر في نهاية القول المفيد ص ٤٤

(٢) الدكتور أبو السعود الفخراني في رسالته كنز راء (التجويد القرآني)

القلقلة الاخرى وهو - لاشك - تحفظ مصيب طبقا لما انتهى هو اليه .
 إلا أننا مع كل هذا نخالفه فيما انتهى إليه من ترجيح الرأى الثانى ،
 ونرى أن الرأى الاول أجدر بالاعتبار . وإذا كان الباحث الكريم قد
 انتهى إلى ما انتهى إليه مدفوعا بكون الطاء أقوى الحروف على الإطلاق
 فله قد فاته أن ذلك لا يتنافى مع كون بعض الحروف قد يتميز فى صفة
 دون أخرى ، ولن نذهب بعيدا فالطاء مثلا - أقواها فى الإطباق وأمكنها
 لجهرها وشدها وبالتالي فهى أمكن فى التفتيح من أخواتها كما يقول مكى
 ابن أبى طالب (١) .

ومع ذلك نرى حرف الضاد قد ميز بالاستطالة عن الطاء نفسها وهى
 - كما سبق - أقوى الحروف باقتراف .

يقول صاحب العقد الفريد فى فن التجويد :

ولا تدغم الضاد فى الطاء نحو (فن اضطر) لامتيار الضاد عن الطاء
 بالاستطالة وان كان الطاء أقوى الحروف على الإطلاق (٢) .

وعليه فلم لا تكون صفة القلقله قد ميزت القاف عن الطاء ، ولا سيما
 وصفة القلقله - كما نعرف - أقوى الصفات جميعا ؟ .

هذا وإضافة إلى ما سبق يبيانه من علل تؤكد أن القاف أقوى
 حروف القلقله نشير - أيضا - إلى ما تتميز به القاف بما ذكره الخليل
 وسيبويه .

يقول الخليل : ولكن العين والقاف لا تدخلان فى بناء إلا حسنتاه
 لأنهما أطلقا الحروف وأضخما جرسا ، فإذا اجتمعا أو أحدهما فى بناء
 حسن البناء لنصاعتهما (٣) .

(١) الرماية ص ١٢٩

(٢) الشيخ على بن أحمد صبرة فى العقد الفريد ص ٧٦

(٣) العين ص ٦٠

ويعمل سيويه لقلب السين صاداً إذا كانت القاف بعدها في كلمة واحدة نحو صقت وصبقت - في بعض اللغات - فيقول :

وذلك أنها من أقصى اللسان فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم وتصدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى ، والدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت : قق قق لم تر ذلك متحلاً بالقاف ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أدخل ذلك بين ، فهذا يدل على أن معتمداً على الحنك . الأعلى فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون للعمل من وجه واحد وهو الصاد ، لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للاطباق ، فشبها هذا بإبدالهم الطاء في « مصطبر » ، والدال في « مزدجر » ولم يبالوا ما بين السين والقاف من الحواجر ، وذلك لأنها قلبتها على بعد المخرجين ، فكما لم يبالوا بعد المخرجين لم يبالوا ما بينهما من الحروف إذا كانت تقوى هليها والمخرجان متفاوتان (١) .

ويؤكد - أيضاً - مذهبنا إليه قول أحد المجودين (٢) :

وأقوى الحروف على الإطلاق الطاء المهملة ، وذلك لأنها اجتمع فيها ست صفات قوية . وليس فيها من الصفات الضعيفة شيء .

ومع ذلك نراه يقول بشأن القلقلة : وهي أقوى في القاف ، ثم في الطاء ، ثم في الجيم ، ثم في الباء والدال .

وبما يؤكد هذا شدة التصاق أقصى اللسان بالحنك الأعلى ، الأمر الذي تنطس معه القاف تماماً إذا لم تقلقل - على حد قول الشيخ سيد أبو زيد - (٣) .

(١) الكتاب لسيويه ٤ / ٤٧٩

(٢) الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري في كتابه (قواعد التجويد -

ص ٤٥)

(٣) شيخ مرقى بنا من خلال جلسات المناقشة التي أجريتها مع فضيلته .

فلونطقنا القاف ساكنة دون قلقلة في مثل « زَاغَةُ يَنْفَعِي بِالْحَقِّ » (١)
تتجلى لنا ذلك وضاعت معالم الحرف تماما .

أما الطاء في مثل قوله : « زَاغِدِيَا إِلَى سَوَاءِ الْمَرَاتِ » (٢) فلونطقناهما
دون قلقلة لسمع شيء منها ومهما كان خافتا فإنه مني عنها .

كيفية القلقلة

لقد اختلف علماء الاداء في كيفية القلقلة وتمثل ذلك فيما يلي (٣) :

١ - ذهب الجمهور إلى أنها تكون مائلة إلى الفتح مطلقا سواء كان
الحرف الذي قبلها مضموما نحو : (هَلْ يُعْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)
(سورة الاعراف ١٤٧) أم مفتوحا نحو (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)
(سورة النساء ١٢٤) أم مكسورا نحو (زَلَا تُقْطِعْ) (سورة ص ١٢٢)
قال بعضهم :

وقلقلة ميل إلى الفتح مطلقا ولا تتبعها بالذي قبل تجملا

٢ - ذهب بعضهم إلى أنها تكون بحسب حركة الحرف الذي قبلها ،
فإن كان ما قبلها مضموما فإنها تكون مائلة إلى الضم نحو : « أَدْعُ » ، وإن
كان ما قبلها مفتوحا فإنها تكون مائلة إلى الفتح نحو : « أَقْرَبْ » وإن كان

(١) سورة غافر ٢٠

(٢) سورة ص ٢٢

(٣) انظر : السعيد للشيخ محمود علي ص ٤٦ والدرر البنية ص ٣٥ وفتح المريد
٣٥ / ٢ ومختصر فن التجويد ١ / ١٩ والنار في علم التجويد للشيخ جلال حام
ص ٦٠ ومختصر أحكام التجويد للدكتور شعبان إسماعيل ص ٩٩ والتجويد
للشيخ محمد عبد المنعم الملسي ص ١٠٤

ما قبلها مكسورا فإنها تكون مائلة إلى الكسر نحو : « إقرأ » حتى تتناسب الحركات .

يقول صاحب نهاية القول المفيد :

وقال الشيخ حجازي في شرحه : وتجب المبالغة في القلقة حتى يسمع غيرك نبرة قوية عالية بحيث تشبه الحركة - أى حركة ما قبله - وتتبع الحرف بعد سكونه كما هو كلام الشيخ - حفظه الله - عن الكتب المعتبرة (١)

وفي كتابه « جهد المقل » قال المرعشي : ثم اعلم أن إظهار القلقة في الحرف الساكن يشبه تحريكه ، ووضع ذلك في « بيان جهد المقل حيث قال : قوله يشبه تحريكه » أقول : الظاهر من الامتحان أنه يشبه تحريكه بحركة ما قبله (٢) .

ويقول الشيخ الصادق قهاوى : وهى تابعة لما قبلها على الراجع (٣) .

٣ - ذهب بعضهم إلى أنها تكون بحسب حركة الحرف الذى بعدها فإن كان ما بعدها مضموما فإنها تكون مائلة إلى الضم ، وإن كان ما بعدها مفتوحا فإنها تكون مائلة إلى الفتح ، وإن كان ما بعدها مكسورا فإنها تكون مائلة إلى الكسر حتى تتناسب الحركات . ولا يخفى أن ذلك لا يتحقق إلا فى الساكن الموصول فقط دون الموقوف عليه فلا حرف بعده حتى تكون عليه حركة . يقول الشيخ المرصفي معقبا على هذا المذهب : قلت : وإن صح هذا القول فيمكن تطبيقه على الساكن الموصول نحو « بُيْدِي » لأن الساكن الموقوف عليه كحرف الدال فى نحو قوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ

(١) الشيخ مكى نصر فى نهاية القول المفيد ص ٥٤

(٢) انظر : فائز قدورى : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣٦

(٣) البرهان فى تجويد القرآن ص ٦٣

لا يتأتى فيه اتباعه لما بعده لذهاب حركة ما بعده بسبب الوقف عليه
تنبه (١) .

٤ - فوق بعضهم بين المفخم والمرق من حروف القلقلة (٢) .

فالقاف والطاء تملان إلى الفتح أو الضم لأنهما من حروف التضمين إذ
يخشى عليهما من الترقيق إذا أميل اهتزازهما إلى الكسر أو كان ما قبلهما
كسرا في مثل « إقرأ » أو « أطعم » أما الباء والجيم والذال فإن اهتزاز
كل منهما يستحسن أن يكون ما تلا قليلا إلى الكسر عند قلقلتهما لأنهما من
حروف الترقيق مثل : « أَحَدٌ » « يُبَصِّرُونَ » « يَجْعَلُونَ » .

ومن خلال ما سبق نرى أن مذهب الجمهور وهو الميل إلى الفتح مطلقا
- دون التفات إلى كون ما قبل الحرف المقلقل أو ما بعده مفتوحا أو كان
مكسورا أو مضموما - هو الأرجح وقد أشار بعضهم (٣) إلى هذا بقوله :
وقلقله قرب إلى الفتح مطلقا ، ولا تتبع بما قبل أو بعد تجملا .

يقول الشيخ محمود المصري - رحمه الله -

والذي عليه معظم أهل الأداء هو المذهب الأول وهو الذي عليه
العمل (٤) . وكان الشيخ - رحمه الله - يقلقل إلى الفتح ، وقد سماه بعضهم (٥)
(مسطرة القراء) .

وقال الشيخ عامر عثمان : وهي أقرب إلى الفتح .

وقال الشيخ محمود علي بسه : وهو ما أرى أولوية للعمل به (٦) .

(١) هداية القارى ص ٨٨

(٢) انظر : قواعد وأحكام تجويد القرآن / محمد سعيد ملحم ص ٤٥

(٣) للشيخ سيد أبو زيد شيخ مرقى بنها .

(٤) كيف يتلقى القرآن ص ٥٢ .

(٥) أحكام قراءة القرآن الكريم ص ٧٣

(٦) للعميد ص ٦٥

وقال صاحب فتح المريد : والقول الأشهر أنها تكون أقرب إلى
الفتح^(١) .

ولا يخفى أن الميل إلى الفتح فيه السلامة من الزلل وبه تنق الوقوع في
الخطأ فلا نفخهم مرققا ولا نرقق مغنخا ولهذا اختاره الجمهور .

(١) الشيخ عبد الحميد يوسف منصور ٢٥/٢

أقسام القلقة

قال الدكتور غام قدورى فى (الدراسات الصوتية) (١) مانصه :
ورد فى بعض كتب علم التجويد المعاصرة تقسيم للقلقة لم أجده لإشارة
فى كتب علم التجويد القديمة ، فإذا كان حرف القلقة فى آخر الكلمة
ووقف عليها كانت القلقة شديدة جدا وسميت « قلقة كبرى » وإذا كان
الحرف ساكنا وسط الكلمة كانت أخف وسميت « قلقة صغرى » .

ويقول الشيخ جلال الحنفى (٢) :

أما تقسيم القلقة إلى صغرى وكبرى وغير ذلك فلا نقره ولا نقر هذا
النمط من المصطلحات لعدم وجود أثارة من علم فيها لأنها تؤدي إلى تناقض
ظاهر ، فإنهم حين اشترطوا الجهر بالقلقة تناقضوا عن ذلك فى كثير من
مواقع القلقة ما أطلقوا عليه تسمية « القلقة الصغرى » فلم يبق لديهم من
شواهد القلقة إلا ماسمونه « القلقة الكبرى » فى حين أن القلقتين بيان ..
ولا نراهم صنعوا ذلك إلا حين تبين لهم شكل المصطلح بمواصفاته الغريبة
حين أرادوا تطبيقه على جوانب كبيرة من القلقة الكائنة فى الضعيف
الالفاظ وفق ما افترضوه من الذبول الصوتية المبالغ فيها .

يقول الشيخ : أما نحن فإننا نرى القلقة كائنة فى شتى التماذج اللفظية
مادامت حروفها ساكنة ، لأنها إن لم تقع فيها القلقة فإن ذلك يعنى
أنها لم ينطق بها ، ولكنها مادامت قد سمعت وفهمت الاسماع معانيها
فإنها قد وقعت لها وقائع القلقة حتما ، غير أن وقائع القلقة عندنا غيرها
عند الآخرين .

(١) الدراسات الصوتية ص ٣٠٩ (٢) قواعد التجويد ص ٢٦٧

ولئن كان الباحثان الفاضلان كلاهما لم يجد أى إشارة أو إثارة من علم يدل على هذا التقسيم فلعلنا نجد ذلك فيما يلى :

يقول الدكتور النعيمى (١) :

وذكر بعض المحققين أن القلقة فومان : كبرى وهى التى تكون عند الوقف على الحرف ، وصغرى وهى التى تكون فى أى من هذه الحروف إذا وقع وسطا والملاحظ أن ابن جنى لم يذكر ما عبر عنه بالقلقة الصغرى ، بل إنه نص على ذهاب الصوت الذى يسمع فى الوقف عند الإدراج (وجميع هذه الحروف التى تسمع معها فى الوقف صوتا متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت) (٢) .

إلا أنه ذكر ما يمكن أن يفهم منه أنه قلقة صغرى حين قال :

إلا أنك مع ذلك لا تحصر الصوت عندها حصر كإياه مع المهمة والعين ، فعدم الحصر هذا يستدعى وجود شيء من الصوت وإلا ما فرق بين الإثنين .

ومادام علماء العربية والآداء قد فرقوا بين ظاهرة القلقة وقفا ووصلا وأن هذا هو مناط التقسيم عند المحققين فليست أرى فى ذلك من بأس .

يقول صاحب النثر (٣) عن أبى الحسن شريح :

ذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقة بالوقف تمسكا بظاهر ما رأوه من عبارة المتقدمين أن للقلقة تظهر فى هذه الحروف بالوقف فظنوا أن المراد بالوقف ضد الوصل ، وليس المراد سوى السكون ، فإن المتقدمين يطلقون الوقف على السكون ، وقوى التشبيه فى ذلك كون القلقة فى الوقف

(١) الدراسات اللهجية والصوتية دند ابن جنى ص ٣٢٢

(٢) سر الصناعة ٧٣/١

(٣) الإمام ابن الجوزى ٣/١

العرفي أين وحسانهم أن القفلة حركة وليس كذلك فقد قال الخليل :

القفلة شدة الصياح والقفلة شدة الصوت

وقال الأستاذ أبو الحسين شريح بن الإمام أبي عبد الله محمد بن شريح رحمه الله في كتابه (نهاية الإتيان في تجويد القرآن) لما ذكر أحرف القفلة الخمسة ، فقال :

وهي متوسطة كباء « الأَبْوَاب » وجيم « التَّجْدِينَ » ودال « مَدَدْنَا » وقاف « خَلَقْنَا » وطاء « أَطَوَّارًا » ، ومتعزفة كباء « كَمْ يَنْبُ » وجيم « كَمْ يَنْجُرْجُ » ودال « تَدُّ » وقاف « مِنْ يُشَاقِقُ » وطاء « لَا تُشْطِطُ » ، فالقفلة هنا أين في الوقف في المتطرفة من المتوسطة .

وبعقب ابن الجزري على ذلك بقوله :

وهو عين ما قاله المبرد ونص فيما قلنا والله أعلم .

وفي معرض حديثه عن القفلة يقول القسطلاني (١) :

لتقلل اللسان بها عند سكونها في الوقف وغيره فتسمع لها نبرة لكنها في الوقف أين منها في الوصل .

ورحم الله صاحب التحفة إذ يقول :

وين مقلقلًا إن سكنا وإن يكن في الوقف كان أيننا

من هنا فلا عجب حين نرى بعض المحدثين قد قسموا القفلة إلى :

• صغرى : إذا أتى أحد حروفها ساكنًا في وسط الكلمة مثل « خَلَقْنَا » .

• كبرى : إذا أتى أحد حروفها ساكنًا في آخر الكلمة وهذه تنقسم إلى قسمين :

• عذفة : إذا وقفت عليها بالسكون مثل « سَخِيقٌ » .

(١) لطائف الإشارات ٢٠٠/١

• مثقلة : إذا وقعت عليها وكان الحرف مشددا مثل « الملق » .

وعبر بعضهم عن ذلك بصغيرة وكبيرة وأكبر .

يقول المرصفي في هداية القارى (١) :

تنقسم القلقة في غير المتحرك من حروفها الذى فيه أصل القلقة
- فقط - ثلاثة أقسام : صغيرة وكبيرة وأكبر .

فالصغيرة : ما كان وجودها فى الساكن الموصول كقاف « يقدّر » :

والكبيرة : ما كانت فى الساكن الموقوف عليه المخفف كدال
« السجود » .

والأكبر : ما كانت حاصلة فى الساكن الموقوف عليه المشدد كقاف
« أشتر » .

وما دما قد قسمنا الساكن الموقوف عليه من قبل إلى مخفف وهو
حاقف عليه بالسكون ، ومشدد وهو ما وقف عليه بالتشديد ، ففى تصويرى
أن تقسم المرصفى أجود .

(١) هداية القارى إلى تهويد كلام البارى ص ٨٦

القلقلة وترتيبها في السياق

في تعريف العلماء للقلقلة لوحظ أن منهم من قيدها بشرط لا تتحقق إلا عند وقوعه عبر عنه حيناً بالسكون وأحياناً بالوقف، ومنهم من جعلها مطلقة تلزم حروفها ساكنة ومتحركة .

والسؤال : ماذا يريدون بالسكون ؟ أم شيء غير الوقف ؟ وإذا كان الوقف مراداً به السكون - هنا - فهل القلقة لا تتحقق إلا عند سكون الحرف فقط أو تتحقق كذلك أثناء تحريكه ؟

ثم كيف ترتب القلقة في أثناء السياق في ضوء كل هذا ؟ .

الواقع أن بعض علماء التجويد يرى أن القلقة لا تكون إلا عند الوقف ، هو الذي يفهم من كلام علماء العربية « لأن أخذك في صوت آخر عند الوصل يشغلك عن إتباع الحرف الأول صوتاً » (١) .

وذهب أكثرهم إلى أنه لا يشترط لحصول القلقة سوى سكون الحروف المذكورة (سواء وقعت وسطاً أو متطرفة) إلا أن ذلك الصوت في الوقف عليم أبين منه في الوصل بهن (٢) .

ويرجح ابن الجزرى المذهب الثانى الذى يذهب أصحابه إلى وجوب قلقة الحروف الخمسة إذا كانت ساكنة فى الوصل والوقف ويستدل بكلام أبى الحسن شريح ت ٣٩ . هـ ، وذلك حيث قال :

(١) انظر سيبويه فى الكتاب ٤/ ١٧٥ والمقتضب ١/ ٣٢٢ ومر الصناعة

(٢) الدراسات الصوتية د/ غانم ص ٣٠٧

ذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقة بالوقف تمسكا بظاهر ما رأوه من عبارة المتقدمين أن القلقة تظهر في هذه الحروف بالوقف فظنوا أن المراد بالوقف ضد الوصل ، وليس المراد سوى السكون ، فإن المتقدمين يطلقون الوقف على السكون ، وقوى الشبهة في ذلك كون القلقة في الوقف العرفي أي (١) .

ويقول الصفاقسي :

ومن خصها بالوقف دون الوصل فقد وهم إلا أنها في حال الوقف أظهر لأن الوقف محل انقطاع النفس وهي شديدة مجهورة تمنع النفس أن يجرى معها فاحتاجت إلى كثرة البيان حتى إنها مع كونها ساكنة تخرج إلى شبه الحركة من قولهم قلقت الشيء إذا حركته ولولا ذلك لم تبين (٢) .

وفي ضوء ذلك يمكن إجمال ما انتهى إليه العلماء في رأيين :

أولهما القلقة لا تتحقق إلا عند الوقف على حروفها وهو رأى كثير من اللغويين والنحاة (٣) والمجددين .

فالمراد يؤكد هذا ويرى أن حروف القلقة يسع في الوقف عندها نبرة بعدها ، لأنها ضغطت عن مواضعها إذ يقول : وأعلم أن من الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه ، وهي حروف القلقة ، وإذا تفقدت ذلك وجدته (٤) .

وابن جني يرى هذا - أيضا - ويرى أن هذه الحروف لا يوقف عليها إلا بصوت لشدة حفزها وضغطها ؛ وسماها حروفا مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها ، ويرى أن هذا الصوت يظهره بعض العرب بصوت

(١) النشر ١/٢٠٣

(٢) تنبيه الغافلين ص ٣٨

(٣) انظر . رسالة الدكتور الفخراني ص ٢٤٠ (التجويد القرآني) .

(٤) المختضب ١/٣٢٧

أشد . ورأى كذلك أنه يزول في أثناء الوصل لأن أخذك في صوت آخر
وحرف سوى الأول يشغلك عن إتيان الحرف الأول صوتاً (١) .

ورضى الدين الاستراباذي في أثناء حديثه عن علة تسمية حروف القلقة:
بها يقول :

لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت.
المتصعد من الصدر ، وهذا الضغط يمنع خروج ذلك الصوت ، فإذا أردت
بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج
صوتها فيسمع ، وبعض العرب أشد تصويتاً كأنهم الذين يرومون الحركة
في الوقف (٢) .

كما جاء في شرح المفصل :

والقلقة ما تنص به إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعد من الصدر.
مع الحذف والضغط ، وهي حروف تخفى في الوقف وتضغط في مواضعها
فيسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه (٣) .

ومن المجودين يقول الداني :

ومن الحروف حروف مشربة ضغطت عن مواضعها فإذا وقفت عليها
خرج معها من الفم صوت ونبا اللسان عن مواضعه ، وهي خمسة أحرف
يجمدها قولك : (جد بطق) القاف ، والجيم ، والطاء ، والذال ، والباء .
وتسمى هذه الحروف حروف القلقة ، لأنه إذا وقف عليها لم يستطع أن
يوقف دون الصوت وذلك قولهم الحرق وقط وشبهه (٤) .

ويقول صاحب الرعاية :

وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن وإرادة

(٢) شرح للشافعية ٣/٣٦٣

(١) سر الصناعة ١/٧٣

(٣) شرح المفصل ١٠/١٢٨

(٤) التحديد الداني ص ١١١

إتمام النطق بهن ، فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن (١)
وكرر مكي لفظ « الوقف » أكثر من مرة (٢) .

ومن المجودين المحدثين يقول الشيخ علي صبره ت ١٣٦٨ هـ في
تعريفه للقلقة :

اضطراب الحرف عند النطق به ساكنا ما تلا إلى الفتح حتى يسمع
له نبرة قوية (٣) .

ويعرفها الدكتور شعبان إسماعيل بأنها : قوة اضطراب صوت الحرف
الساكن في مخرجه ليظهر ظهورا كاملا (٤) .

الثاني : القلقة تلزم حروفها وتحقق فيها ساكنة ومتحركة .

يقول صاحب نهاية القول المفيد :

والحاصل أن القلقة صفة لازمة لهذه الأحرف الخمسة لكنها في
الموقوف عليه أقوى منها في الساكن الذي لم يوقف عليه ، وفي المتحرك
قلقة - أيضا - لكنها أقل فيه من الساكن الذي لم يوقف عليه ، لأن
تعريف القلقة باجتماع الشدة والجهر - كما في المرعى - يشير إلى أن حروف
القلقة لا تنفك من القلقة عند تحركها وإن لم تكن القلقة عند تحركها
ظاهرة ، كما أن حرفي الغنة وهما « النون والميم » لا يخلوان عن الغنة عند
تحركهما وإن لم تظهر (٥) فكما أن الغنة صفة مركبة كامنة في جسم النون
والميم وهي أصل في المتحركتين فكذلك القلقة . ويقول صاحب كتاب
العميد وهو بين القلقة :

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص ١٢٤

(٢) نفسه ص ١٢٥

(٣) العقد الفريد في فن التجويد ص ٤٦

(٤) ملخص أحكام التجويد ص ٩٧

(٥) الفيض مكي تصرف في نهاية القول المفيد ص ٥٥

اضطراب اللسان عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية خصوصا إذا كان ساكنا (١) .

ولذلك متى في أن كلمة « خصوصا » هنا تعني أن في المتحرك - أيضا - قلقلة لكنها دون الساكن .

وبعد أن يسوق صاحب هداية القارىء (٢) ، الأمثلة على القلقلة في الساكن بأنواعه يقول :

ثم اعلم أن القلقلة لم تكن قاصرة على ما تقدم من كونها في الساكن بأنواعه المتقدمة بل في المتحرك من حروفها قلقلة كذلك لأنها لا تنفك عنها ساكنة كانت أو متحركة .

ويرتب الشيخ الصادق قجواوى القلقلة حسب سياقها فيجعل آخرها قلقلة المتحرك (٣) .

وهناك بعض اللغويين عند تعرضه للقلقلة لم يقيد بوقف أو بغيره . يقول السكاكي بعد أن عرف المجهور بالانحصار النفس في مخرج الحرف والشديد بنام هذا الانحصار ، يقول : وإذا تبع تمام الانحصار حيز وضبط سميت حروف القلقلة (٤) .

وعلى الرغم من كثرة القائلين بالرأى الأول من لغويين ومجودين إلا أنى أجندنى مطمئنا إلى الرأى الثانى وأن القلقلة - فيما يبدو لى - صفة ملازمة لحروفها ساكنة ومتحركة لا تنفك عنها ، غاية ما فى الأمر أنها ناقصة فى المحرك الذى لا يوجد فيه إلا أصلها ، فالقلقلة فى هذه الحروف - كما أشرنا من قبل - أشبه ما تكون بالنغمة فى النون والميم التى تكمل فى بعض أحوالها

(٢) الشيخ محمود على بسه ص ٦٤ (٣) الشيخ المرصفى ص ٨٥ ، ٨٦

(٤) البرهان فى تجويد القرآن ص ٢٢

(٥) السكاكى (مفتاح العلوم ص ٥) وانظر رسالة الفخرانى ص ٢٤٠

وتضعف في المظهر والمتحرك منها ، إذ لا يوجد فيها حين الإظهار والتحرك إلا أصل الغنة (١) .

والذى يؤكد هذا أنهم يسمون دائما إلى حاجتها إلى البيان حين تكون حروفها ساكنة ، وإلى شدة البيان حين يكون الساكن مشددا موقوفا عليه . قال الإمام ابن الجزرى رحمه الله :

ويتن مقلقا إن سكتنا وإن يكن في الوقف كان أينا (٢)
بينما هي في المتحركة لا تحتاج إلى بيان ، ذلك أن حركتها - أيا كانت فتحة أو كسرة أو ضمة - مجهورة إذ الحركات (صوائت) والصوائت - كما نعرف - كلها مجهورة .

ولو أننا جربنا نطق القاف المتحركة في مثل : قال ، لوجدنا أنه عند الالتصاق أصل اللسان بما يليه من سقف الحنك الأعلى فإننا نحتاج إلى بعض القلقة لفك هذا الالتصاق وليان الحركة ، وبهذا تظهر ماهية الحرف ، وإن كان هذا الالتصاق ليس ككمال الاحتباس للنفس والصوت في الحرف الساكن ، ولأن هذا يتم بصورة طبيعية لم يُدْخِلْ عليه وكان تعبيرهم دائما بصفة البيان .

ومادام الحرف بينا بطبيعته فلا يحتاج لتكلف صفة والتلبيه إليها كما تكلفنا صفة القلقة في الساكن وشددنا لفت النظر إليه بما جعل كم أهل الاداء منصرفا إلى القلقة في السواكن فقط .

فالقضية - إذن - قضية بيان ووضوح ، يقول ابن الجزرى :
فذلك الصوت في سكونين أبين منه في حركتين ومن في الوقف أمكن (٣) .

(١) انظر : العميد للشيخ محمود علي بنه ص ٦٤

(٢) انظر : البرهان في تجويد القرآن للشيخ الصادق قنجاوى ص ٢٣

(٣) النشر ١/٢٠٢

وما أراه يصد بالحركة - هنا - إلا الحركة المقابلة للبكون .

وينبغي على ذلك أن القلقة - في تصورى - جزء من طبيعة الحرف لا تظهر ماهيته إلا بها ، وينطمس جوهر الحروف بدونها ، ولذلك فهي تلازمه لا تنفك عنه وإن لم تكن واضحة في المحرك غير أنها تظهر فى الساكن ويشتد ظهورها فى الموقوف عليه - ولا سيما إذا كان مشددا .

ولمنا لو نطقنا « وَاقَّةٌ يَوْضَى بِالْحَقِّ » دون قلقة القاف لتبين لنا ذلك .

ونخلص من كل ما سبق إلى أن القلقة فى سياقها أثناء الكلام ليست على درجة واحدة وإنما تتفاوت وضوحا وخفاء ، يقول صاحب المنح الفكرية :

وأقوى درجات هذه الصفة فى الساكن إذا وقعت ، وهى مختفية فى المتحرك ضمن الحركة (٢) .
ويقول الصادق قحاوى :

وقيل أهلها : المشدد الموقوف عليه ، ثم الساكن فى الوقف ، ثم الساكن وصلا ، ثم المتحرك ، ويجب بيانها فى حالة الوقف أكثر من حالة الوصل خاصة إذا كان الحرف الموقوف عليه مشددا مثل « الحق » (٣)
وهذا يتبين أن مراتب القلقة أربع وهى على النحو التالى (٤) :

الأولى : الساكن الموقوف عليه المشدد نحو « محيط » ، « لم يلد »

(١) المنح الفكرية للاعلى بن سلطان محمد القارى ص ٢٨

(٢) البرهان فى تجويد القرآن ص ٢٢

(٣) هداية القارى إلى تجويد كلام البارى للشيخ عبد الفتاح المرفعى ص ٨٦

الثانية : الساكن الموقوف عليه المخفف نحو « بلحق » .

الثالثة : الساكن الموصول وهو المعروف بالأصل نحو « يجمع »

الرابعة : المتحرك مطلقا كالطاء والباء من نحو « طهّم »

فالقلقلة في الساكن المشدد الموقوف عليه أقوى منها في الساكن المخفف الموقوف عليه ، وفي الساكن المخفف الموقوف عليه أقوى منها في الساكن الموصول ، وفي الساكن الموصول أقوى منها في المتحرك الذي فيه أصل القلقله فقط وإن لم تكن ظاهرة .

هل أنكر القلقلة أحد؟

يقول أبو الحسن الصفاقى فى كتابه (١) :

وقد أنكر بعض من ورد علينا القلقلة ولا هبة بإنكاره فقد تظاهرت النصوص عليها ، وأجمع على ذلك علماء القراءة والعربية ، وبها قرأنا على جميع شيوخنا المغاربة والمشاركة ، وسمعناها من لا يحصى وبه فأخذ ، وبه نقرى ، وهو الحق الذى لا شك فيه والله أعلم .

ونحن مع الشيخ جلال الحنفى فيما ذهب إليه إذ يقول (٢) :

والذى نحسبه من أمر هذا الذى أنكر عليهم القلقلة أنه استبشع شكها عندهم أو عند مقرئى جيله ، وإنما هو إنكار للببائنة فى صوت القلقلة وطريقة التعبير عنها بحيث تكون خارجة على آداب اللبابة فى التلاوة ، ولا نرى المراد إنكار قانون القلقلة فى اللغة حين ينحبس النفس عند خروجها انحباسا جبليا فلا ينطق به إلا بخفق صوتى يسير قد يسمع وقد لا يسمع .

يقول الشيخ جلال (٣) :

وقد كتب إلى الدكتور التهاى نقرة فى رسالته من تونس ردأ على رسالة كنت وجهتها إليه من بغداد ، وما جاء فى رسالته تلك : ولكن بعض المقرئين يبالغون فى قلقلة بعض الحروف وهو ما يتنافى والذوق لأن القلقلة فى حروف الدال - مثلاً - إذا بولغ فيها تبدو وكأنها تجشؤ مثل : (مجيذ) وهو ما ينبغى أن يتحاشاه المقرئ فى القلقلة ذات الصوت الانفجارى .

(١) تنبيه النافلين وإرشاد الجاهلين ص ٣٨

(٢) قواعد التجويد ص ٣٦٦

(٣) السابق نفسه ص ٣٦٧

ومن الخطأ الذى يقع فيه بعض القراء : المبالغة فى المقلقة بحيث يتولد من الحرف الساكن حرف آخر ، وهذا التصويت المبالغ فيه غير مطلوب ، وإنما هو من بعض اللهجات القبائلية أو التكوينية القومية التى يكون نطقها بالحروف ذا غلظة ، وهذا مما لا يقاس به (١) .

وقد أشار إلى ذلك ابن جنى فى كتابه (سر الصناعة) يقول : « وبعض العرب أشد تصويتا ، وهو يعنى أن هذا من الأخطاء التى لا يجوز تقليدها .

والأولى النطق بالحرف على غير هيئة التشديد الذى أسموه « بالانفجار الصوتى » أو « النبرة القوية » الذى يؤدى إلى خلطه فى الصوت وبشاعة فى النطق . مما تنزه عنه اللغة العربية ذات الجرس اللفظى المتزن .

ومن الخطأ كذلك ما يقع من بعض القراء من كسر حروف القلقة بدل تسكينها مثل قولهم « سُمحان » بدل « سُمحان » « وقد كان » بدل « قد كان » (٢) .

وهو ما نفاه كذلك صراحة (٣) البغدادى حيث يذهب إلى أن الصوت الطبيعى للقلقة هو ما حددناه بحيث لا يستولد منه حرف جديد ولا يميل السكون فيه - أى السكون الذى على الحرف المقلقل - إلى حركة مهما كانت من الخفة والاختلاس سواء أكان سكوت القلقة سكون بناء أم كان سكون وقف . كما يفضل بعض من يلفظون « سُمحان » إذ يلفظون الباء فيها مضمومة ظنا منهم أن ذلك من طبيعة القلقة وهو خطأ بعض الظن المنهى عنه .

(١) نظرات فى علم التجويد للكلاص ص ٩١

(٢) نفسه ص ٩٢

(٣) الشيخ جلال الحنفى ص ٢٦٢ وانظر : آليات النطق د/ التونى ص ١١٦

وفي موضع آخر (١) ينق أن تكون القلقلة تحريكاً للحرف فيقول : إن بعض الناطقين بحروف القلقلة يعتمدون تحريك ظناً منهم أن ذلك هو مفهوم القلقلة ، وهو ظن غير صحيح لا سيما حين يأخذ اللفظ في حالة تحريك ساكنه معنى غير مقصود كنطق من يلفظ (يَدُهُون) الساكنة الدال بدال مفتوحة فيقول (يَدُهُون) بحسب ذلك هو القلقلة .

وغاية ما انتهى إليه :

أن القلقلة ليست ترفاً تجويدياً أو تجميلاً للصوت ، وإنما هي أصل من أصول القراءة ، ومن الصفات الجوهرية التي بانعدامها أو عدم الإلتزام بها على حقيقتها تنطس معالم حروفها ، مما يؤدي إلى تغير في المعنى وخلل في البلية الصرفية للكلمة . ينما تلاوة القرآن الكريم جزء منه لا ينقسم ، وأى تقصير فيها أو انحراف بها عن الصورة الصحيحة التي تلقاها الرسول - صلى الله عليه وسلم - من جبريل - عليه السلام - تقصير في جنب الله ، وحاشا للمسلم أن يقبل هذا .

وَإِنْ عَلَيْنَا جُمُوعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ ، (سورة القيامة ١٧ - ١٩) ،
والحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ؟

أهم مراجع البحث

• القرآن الكريم :

- ١ - أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث
د / عبد الله سويد ط ٢
- ٢ - أحكام قراءة القرآن الكريم للشيخ محمود خليل الحصرى
ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (دراسات إسلامية- ١١٤)
- ٣ - أسس علم اللغة - ماريوباي ترجمة د / أحمد مختار عمر منشورات
جامعة طرابلس - ليبيا ١٩٧٣ م .
- ٤ - الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ط ٣ - دار النهضة
العربية ١٩٦١ م .
- ٥ - أصوات اللغة د / عبدالرحمن أيوب ط ١ - دار التأليف
بالقاهرة ١٩٦٣ م .
- ٦ - أصوات اللغة العربية د / عبدالغفار هلال - ط ٢ مطبعة
الجبلاوى ١٩٨٨ م .
- ٧ - أصوات القرآن الكريم منهج دراستها عند المرعشى د / أبو السعود
الفخرانى - ط ١ مطبعة الأمانة ١٩٩١ م .
- ٨ - آليات النطق عند علماء التجويد د / مصطفى التونى - ط ١
دار النهضة العربية .

٩ - الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب تحقيق د / موسى العلم
مطبعة العاني - بغداد ١٩٨٣ (طبعة وزارة الأوقاف) .

١٠ - البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قحايى ط ١
مكتبة الجامعة الأزهرية ١٩٧١ م

١١ - التحديد في الإتقان والتجويد للداني تحقيق د / غانم قدورى محمد
ط ١ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨ م .

١٢ - التجويد والأصوات د / ابراهيم محمد نجا - مطبعة السعادة .

١٣ - التجويد القرآنى فى ضوء علم الصوتيات الحديث د / أبو السعود
الفخرانى (رسالة دكتوراه) مخطوط رقم ٣٢٩ كلية اللغة
العربية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٤ - التجويد للشيخ محمد عبد المنعم المسلى ط جم - اعة أنصار
السنة المحمدية .

١٥ - التطور النحوى للغة العربية / برجستراسر ط المركز العربى
للبحث والنشر ١٩٨١ دن طبعة محمد حمدى البكرى ١٩٢٩ م .

١٦ - التطور النحوى للغة العربية برجستراسر تحقيق / رمضان
عبد التواب - مكتبة الخانجي ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٧ - التمهيد فى علم التجويد لابن الجزرى ط ١ - القاهرة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

١٨ - تليه الغافلين وإرشاد الجاهلين للنورى الصفاقسى ط ١ مكتبة
الثقافة العربية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٩ - حرز الأمانى ووجه التهانى للإمام الشاطبى مراجعة على محمد
الضباع ط مصطفى الحلبي .

- ٢٠ - دراسة الصوت اللغوى د / أحمد مختار عمر ط ١ عالم الكتب
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٢١ - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د / غانم قدورى حمد ط ١
وزارة الاوقاف والشئون الدينية بالعراق ١٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٢٢ - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى د / حسام النعيمي
ط وزارة الثقافة والإعلام العراقية .
- ٢٣ - دراسات فى التجويد والأصوات اللغوية د / عبد الحميد
أبو سكين - مطبعة الأمانة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ .
- ٢٤ - الدرر البهية شرح المقدمة الجزرية فى علم التجويد - أسامة
ابن عبد الرهاب - مكتبة الإيمان .
- ٢٥ - الرهاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة - مكى بن أبى طالب
تحقيق د / أحمد فرحات دار عمار بالأردن ط ٢ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
- ٢٦ - سر صناعة الإهراء لابن جنى تحقيق مصطفى السقا وآخرين
ط الحلبي ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- ٢٧ - سراج القارىء المبتدى، وتذكار القارىء المنتهى لابن الفاصح
ط الثقافية - بيروت .
- ٢٨ - شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين الاسترأبادى تحقيق محمد
نور الحسن وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٩ - شرح المفضل لابن يعيش - إدارة الطباعة المنيرية بمصر .
- ٣٠ - العقد الفريد فى فن التجويد للشيخ على بن أحمد صبره تحقيق
د / شعبان اسماعيل - المكتبة الأزهرية للتراث .

- ٣١ - علم الأصوات عند سيوييه وعندنا.أ. شادة .
- ٣٢ - علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة
د/ عبد العزيز علام ط ١ - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ٣٣ - علم اللغة العام (الأصوات) د/ كمال بشر - ط دار المعارف
بمصر ١٩٧١ م .
- ٣٤ - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السران دار المعارف
بمصر - فرع الاسكندرية ١٩٦٢ م
- ٣٥ - العميد في علم التجويد للشيخ محمود علي به شرح الشيخ
محمد الصادق قحايي - الكليات الأزهرية .
- ٣٦ - العين للخليل بن أحمد الفراهيدي : تحقيق د/ عبد الله درويش
ج ١ مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٣٧ - غنية المريد لمعرفة الإتقان والتجويد لابن مفلح القلقيلي
منحطوط ١٣٩٣ - ٥٣٠٣٥ قراءات مكتبة الأزهر .
- ٣٨ - فتح المريد في علم التجويد للشيخ عبد الحميد يوسف منصور -
دار الدعوة - الاسكندرية .
- ٣٩ - فن الإلقاء - عبد الوارث عسر - الهيئة المصرية العامة
للكتاب .
- ٤٠ - قواعد التجويد والإلقاء الصوتي للشيخ جلال الحنفي البغدادى
ط وزارة الاوقاف العراقية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٤١ - قواعد التجويد د/ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارى .
- ٤٢ - قواعد وأحكام تجويد القرآن محمد سعيد ملحق ط : دار الإسراء

٣٣ - الكتاب تسيويه تحقيق وشرح عبد السلام هارون الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥ - ١٩٧٥ .

٤٤ - كيف يطلق القرآن للشيخ عامر بن السيد عثمان .

٤٥ - كيف نجد القرآن وفرقه قرئلا - محمد عبدالعزيز الملاوى
مكتبة الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠ م .

٤٦ - اسان العرب لابن منظور ط ١ يولاى .

٤٧ - لطائف الإشارات لفنون القرارات للشهاب القسطلانى تحقيق
الشيخ عامر عثمان والكتور عبد الصبور شاهين ط المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

٤٨ - مختصر فى التجويد للشيخ ماهر محمود عامر ط الشارقة .

٤٩ - مفتاح العلوم للسكاكى المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧ هـ

٥٠ - المقتضب للبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عضية ط المجلس الأهلى
للشئون الإسلامية ١٣٨٩ هـ .

٥١ - ملخص أحكام التجويد د/ شعبان إسماعيل ط ١ مكتبة نصير
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ .

٥٢ - المنع الفكرية شرح المقدمة الجزرية للأعلى بن سلطان محمد القارى
ط مصطفى الحلبي .

٥٣ - المنار فى علم التجويد للشيخ جلال حام ط ١ دى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٥٤ - النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى دار الكتب
العلمية - بيروت .

٥٥ - نظرات في علم التجويد - ادریس الکلاک ط ١ اللجنة الوطنية
بغداد ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٥٦ - نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ محمد مكي نصر -
ط مصطفى الحلبي .

٥٧ - هداية القارىء الى تجويد كلام البارى للشيخ عبد الفتاح المرسى
ط ١ (بن لادن - السعودية) ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م .

١١) آليّة النطق

خسوة الفكر الصوفي عند العرب
«دراسة وصفية»

بمقام الدكتور
عبد النعمان محمد الحنّان

الأستاذ المساعد بقسم أصول اللغة
بكلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، كرم الإنسان بآليات النطق ووسائل البيان ،
«أَمْ نَجْعَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ» (١) .
وأصلى وأسلم وأبارك على أفصح العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه
وأتباعه إلى يوم الدين ... وبمقد :

(١) ورد لفظ (الآلة) في معاجم العربية مراداً به الآداة ، والحالقة ، والجهاز
الذي يؤدي عملاً بتحويل لقوى الحركة المختلفة إلى قوى آلية والجمع آل ،
وآلات ، أما (الآلى) فهو ما يصدر تلقائياً عن الجسم ، ينظر الوسيط ١ / ٣٤
والمقصود (بآلية النطق) في هذه الدراسة ، كيفية قيام أعضاء النطق بوظيفتها
في تشكيل الأصوات . . . (٢) البلد ٨ - ٩

فإن آلات النطق هبة الله للإنسان ، أنشأ بها لغة للتواصل محققاً أغراضه بما يعينه على الحياة ، ومن ثم أصبح لآلية النطق أثرها على حياة الإنسان بما جعلها موضع عناية لدى اللغويين ، وعلماء النفس وأمراض الكلام .. وقد عنى تراثنا اللغوى بهذه الآلية في ضوء ما حواه من إشارات متناثرة على امتداد مناحيه الفكرية كلها اقتضت المعالجة اللغوية ذلك ، وعلى الرغم من كثرة هذه الإشارات عن كيفية النطق ظلت وظائف الأعضاء النطقية بين ثنايا تراثنا تحتاج إلى تجلية وبيان ؛ إذ لم تستقل بين ثنايا المد اللغوى بتنظير يجمع أطرافها ، ويحلل جزئياتها ويبرز موقعها بين ربوع الدرس اللغوى إلا على يد ابن سينا في رسالته « أسباب حدوث الحرف » ، مما سوغ لبعض المحدثين نسبة القصور القدامى في فهم بعض الحقائق الصوتية لجهلهم بدور بعض آلات النطق ، كالحنجرة والوترين الصوتيين ، والقصبه الهوائية ... الخ .

ومن هنا انبثقت رغبتى في طرح معطيات آلية النطق في تراثنا الصوتى مينا وجه الحق في ذلك ومستهدفا ما على :

١ - الهدف الأول :-

عرض ملامح النظرية العامة لآلية النطق في تراثنا الصوتى حتى تبدو متكاملة البنيان بعد لم شتاتها وجمع متفرقاتها من بين ثناياه .

٢ - الهدف الثانى :

استجلاء مدى إلمام القدامى بطبيعة كل عضو من أعضاء النطق ، ووظائفه الصوتية ومدى ما يتمتع به من مرونة وطواعية في ضوء تكوينه .

٣ - الهدف الثالث :

بيان فقه الربط بين آلية النطق والسمات التمييزية للأصوات في الفكر الصوتى العربى ومدى توافقه مع المنظور الصوتى الحديث .

وقد عرض لآلية النطق كثير من الباحثين ، بيد أن الأهداف السابقة متضافرة لم تكن وراء مناهجهم المتنوعة . إذ هنى بعضهم بمعالجة هذه القضية في ضوء معطيات الدرس الصوتي المعمل الحديث دون إعتداد لائق بلامح الفكر الصوتي العربي في هذا الباب إلا لما ، ومنهم من لم يعرض لتلك الملامح - غالبا - إلا في مواضع الاختلاف مع معطيات المنظور الحديث ومنهم من لم يعرض لها إلا في مواضع الاتفاق فقط حالة عرضه لنظرية المخارج أو الصفات .

ومن ثم أفسحت هذه الدراسة لمحتواها موضع قدم بين الدارسين في ضوء ما توخته من أهداف ومنهج عكف على إشارات التراث جمعا وتحليلا واستنتاجا وموازنة تحقيقا لغاياته وأهدافه عارضا ذلك في ظل المحاور الآتية :-

١ - أهمية آلية النطق .

٢ - الجهاز النطقى فى ضوء التراث واعتمد على الجانب الوصفى التشرىحي .

٣ - آلية المخارج والألقاب ، واعتمدت على جانبين .

(أ) الجانب النظرى . (ب) الجانب التجزئى

٤ - آلية الصفات .

٥ - آلية النطق فى ضوء المعالجات اللغوية .

(أ) فى ضوء التجاور الصوتى للبيئة اللغوية .

(ب) فى ضوء علم القراءات والتجويد .

٦ - تعقيب حول فقه القداى لآلية النطق .

والله من وراء القصد

(١) أهمية آلية النطق

لدراسة آلية النطق أثرها على الدرس الصوتي ، ولذا كانت ركناً له أهميته البالغة في الدراسة الفوناتيكية للصوت ، مما جعلها تشكل فرعاً مستقلاً بذاته بين فروع الدراسات اللغوية هو علم الأصوات النطق (١) ، تنور مباحثه في فلك الناحية الفسيولوجية لبيان وظائف أعضاء النطق وكيفية إنتاجها للأصوات لدى المتكلم ، (٢) .

ولا يخفى أن تحليل ميكانيكية النطق يلعب دوراً في تحليل الصفات الصوتية للقرنات من جانب والملاحق الفيزيائية من جانب آخر .

وعلى هذا فالترابط بين كيفية إنتاج الصوت وصفاته وخصائصه جد وثيق ، وليس أدل على ذلك مثلاً من صفات الجهر والهمس ، والشدة ، والرخاوة ، والاستعلاء الخ .

إذ يولد الجهر في ظل ملحق آلي فسيولوجي يمكن في الأوتار الصوتية نتيجة اقترابها بصورة ما (٣) ، واصطدام الهواء المنبعث من الرئتين بها ، وإحداث ما يُسمى بالذبذبة الصوتية التي هي وراء الجهر .

(١) أو الإنتاجي أو الفسيولوجي ، ينظر : علم اللغة العام أسسه ومناهجه د / عبد الله ربيع ص ١٥٣ ، ط ١ سنة ١٩٩٤ م

(٢) الأصوات العربية ، د / بشر ١٥

(٣) هناك نظرية أخرى لتفسير الجهر للعالم الفرنسي هاسون أطلق عليها (النظرية العنصرية العنصرية) وهي تفترض أن الهواء لا يقوم بفتح الوترين الصوتيين وليس له أي دور محرك لهما ، بل إن الأمر على عكس ذلك تماماً ،

كما أن الشدة تلبثق - أيضا - من معين آلية النطق في ضوء إغلاق المر الصوتي إغلاقا كاملا ، وحبس الهواء خلف المخرج ، أو إلتقاء عضوي النطق في هذا الموضع ، ثم تأتي آلية الانفتاح للجرى الصوتي إتاما بصورة الزفير بما يضمن على الصوت صفة الانفجار .

أما ما ينشأ عن ارتفاع جزء معين من اللسان بصورة معينة عبر التجويف القموي فهو صفة الاستعلاء وتفيض ذلك وراء صفة الاستفال في أصوات أخرى .

ومن هنا تبدو أهمية الملامح الفسيولوجية واضحة في تشخيص الصفات الصوتية وبيان أسرارها وعلاها .

ولم يكن التأثير لآلية النطق هذه مقصورا - كما أئنا - على تشخيص الصفات بل انعكس أثره على الملامح الفيزيائية للوحدات الصوتية .

ولا غرو في ذلك ، فالملائق وثيقة بين آلية النطق للصوت وملاحه الأكوستيكية ، إذ إن المظهر الفيزيائي للصوت اللغوي يعتمد على مقابله الفسيولوجي ، فذبذبات الصوت ونغماته ومكوناته ، وعناصره إنما نشأت عن تحركات أعضاء النطق ، بوجه عام (١) هذا من زاوية ، كما أنها بما يملآن لب الدراسة الفوناتيكية من زاوية أخرى .

وقد فطن علماءنا القدامى إلى هذا الربط بين الجانب الآلى ، وما ينتجم عنه من خصائص نطقية وسمات فيزيائية للصوت ، وليس أدل على ذلك من تحديد بعض هذه الخصائص بما يؤكد ما نهدف إليه ، إذ يقررون

== فاهراز الوترين الصوتيين هو الذى يقوم بالتدخل وتعديل تيار الهواء في أثناء الجهر ، ينظر دراسة السمع والكلام . د / سعد مصلوح ١٣٢ : ١٣٤ (نظريات حول تفسير الجهر) بتصرف .

(١) علم الصوتيات : د / عبد الله ربيع ، د / حيد العزيز علام ١٤٠ بتصرف - المكتبة التوفيقية ط ١ سنة ١٩٧٩ م .

- مثلاً - أن المجبور وحرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت (١) .

ولا يخفى أن إشباع الاعتماد ، والموضع ، ومنع النفس ، وجرى الصوت ، كل ذلك إشارات فسيولوجية تبرز أثر آلية النطق في تكوين هذه الصفة .

وفي تقديم ماهية العديد يرون أنه « هو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه (٢) » كما يلحظون في الهاوى ميكانيكية إصداره بما يتواءم مع طبيعة المصطلح فيقررون أنه ، حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج المياه والواو ، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في المياه لسانك قبل الحنك (٣) وأبرز ما يتحقق فيه هذا الوصف صوت الألف .

ومن الملامع الفيزيائية المرتبطة بآلية النطق ما قرره ابن سينا عن الطبيعة الفيزيائية للألف في ضوء كيفية تكوينها ، فيقول : وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم (٤) ، إذن الوصف (بالمصوتة) للألف ويان حالة الهواء السلسلة ، وهيئة المخرج التي أعانت على ذلك بعد ربطها بين آلية النطق وفيزيائية الصوت ، ومن الأمارات الدالة على ذلك ما ينتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين من ذبذبات (٥) تصاحب الجرس الناتج من عملية تشكيل الصامت في المر الصوقي .

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٤ ، سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩ ، سر النفاحة ٢٠

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٤ ، سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩ - ٧٠ ، سر النفاحة ٢٠

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٥ - ٣٦ وينظر العين ١ / ٥٧ - ٥٨

(٤) أسباب حدوث الحروف : ابن سينا ٨٤ ، وينظر : في الأصوات القوية

(دراسة في أصوات المد العرية) د / غالب المظلي ٩٣

(٥) التجويد والإصوات : د / نجما ٧٢ : ٧٣ ، اللغة الفريية (خصائها وصنائها)

د / عبد الغفار هلال ١٥٥ : ١٥٧ ، دراسات صوتية : د / فريد خير ١٦٣

: وقد أشارت الدراسات الصوتية القديمة إلى هذا الجانب وليس حديث.
ابن سينا في الفصل الثاني من رسالته (١) إلا من قبيل الربط بين الجانبيين.
النطق والفيزيائي .

ومن تقريراته في هذا الميدان قوله : أما نفس التمرج فإنه يفعل
الصوت ، وأما حال التمرج في نفسه من اتصال أجزائه وتملسها ، أو
تشظيها وتشد بها فيفعل الحدة والثقل ، أما الحدة فيفعلها الأولان ،
وأما الثقل فيفعله الثانيان ، وأما حال التمرج من جهة الهيئات التي يستفيدها
من المخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف ، وتلك إشارة إلى أثر
الأوتار من الناحية الفيزيائية في تشكيل الصوت وأثر المخارج في تكوين
الحرف ، الذي حده ابن سينا بأنه « هيئة للصوت طارضة له يتميز بها عن
صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع » ، ثم يلقي الضوء على
كيفية تشكيل الحرف في ضوء ما يحدث في المجرى الصوتي من حبس تام أو
غير تام للهواء الفاعل للصوت وما يتبعه من إطلاق ، فيقول :

« والحروف بعضها في الحقيقة مفردة ، وحدثها عن حبسات تامة
للصوت أو الهواء الفاعل للصوت ، يتبعها إطلاق دفعة ، وبعضها مركبة
وحدثها عن حبسات غير تامة لكن تتبع إطلاقاً ، ثم يسرد الحروف
المفردة ، ويشير إلى أن ما عداها مركبة ثم يقرر أنها قد تختلف بسبب
اختلاف الأجرام التي يقع عندها وبها الحبس والإطلاق (٢) .

وهكذا لم تنفل الدراسات الصوتية القديمة عن الآلية النطقية بل

(١) أسباب حدوث الحروف : ابن سينا ٥٩ - ٦٣ الفصل الثاني ، في سبب
حدوث الحرف .

(٢) السابق ٦٠ - ٦٢ تحقيق محمد حسان الطليان ، يحيى مير علم ، مراجعة
د/ شاكر الفحام ط ١ / ١٩٨٣ م - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق .

اعتبرتها أساسا لكيانها، ولا غزو فقد كانت قطب الرضى فى تفسير وتعليل
جل الخصائص والسمات للصوت اللغوى .

وقد بدت معالم تلك الجوانب المتوسطة بدائرتى الخصائص والصفات
المكونة لمنظومة الفونيمات العربية على هدى من معطيات آليات النطق
والتصويت كما سيتجلى على بساط البحث .

• • •

(٢) الجهاز النطقى^(١) فى ضوء التراث

أدرك علماءنا القدامى أهمية آلية النطق فى العملية الكلامية ، ومن ثم كانت عنايتهم بالغة بوصف بعض آلات النطق والتصويت ، وقد ورد هذا الوصف بين ثنايا تراثنا اللغوى^(٢) فى المصنفات النحوية والصرفية والصوتية بالإشارة إلى مؤلفات علم الأداء القرآنى والتجويد ، وكذلك مصادر للقراءات القرآنية .

ولا يخفى أن التعلق بآلية النطق فى تلك المصادر استهدف فى المقام الأول استجلاء خصائص الأصوات وصفاتها فى ضوء فعاليات أعضاء النطق وحركتها الفسيولوجية ، وقد اتفقت النظرة لأعضاء النطق وحصصها فى بيان السمات والخصائص الصوتية ومحاولة فلسفتها فى ضوء معطياتها وتقنياتها لدى القدامى والمحدثين .

وقد بدت معالم الاحتفاء بآليات النطق لدى القدامى فى إشاراتهم المتعددة وتقريراتهم المتنوعة فى ساحة الدراسة الفوناتيكية ، وبخاصة ميدان إنتاجية الصوت ، ومن ذلك بصفه عامه تقسيمهم للحروف إلى أعماط متنوعة وفق المخارج وكذلك إطلاقاتهم بعض الألقاب عليها ، بيد أن هذا

(١) رأى بعض الباحثين أن مصطلح أعضاء النطق أو الجهاز النطقى فيه تجوز ، إذ إن لهذه الأعضاء وظائف أخرى ، كاللحوق للسان مثلا ، ينظر : مناهج البحث ٧٣ ، الأصوات العربية : د / بشر ٦٤ - ٦٥ ، علم اللغة د / السمران ١٣١

(٢) ينظر للكتاب ٤٣٣/٤ - ٤٣٤ ، العين ١ / ٥٧ - ٥٨ المتع فى التصريف : ابن صفور ٢ / ٦٦٨ - ٦٧٠ ، سر صناعة الإعراب ١ / ٥٢ - ٥٣ ، النشر فى القراءات العشر ١ / ١٩٨ - ٢٠١

وذلك لايخرج في المقام الاول عن أصول المنهج الوصفي الذي يعتمد على الملاحظة الذاتية في تحديد المخارج ، وكذلك تحديد ألقاب الحروف منسوبة لمواضع تشكيلها من نحو الحلقية واللسانية والثوية والنطعية والشجرية والأسلية والاسنانية والشفوية إلى غير ذلك من النسب ، وسنعرض لذلك في ضوء الجانِب العملِي في التراث ممثلا في محور التشريح على النحو التالي :

الجانِب التشريحي :

بما تجدد الإشارة إليه أن المسلك الوصفي لم يكن السبيل الوحيد لوصف ثمرة النطق في التراث ، وإنما يضاف إليه مسلك توضيحي آخر انتهجه ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف وهو النهج العملِي القائم على التشريح (١) لبعض أعضاء النطق لبيان أثرها ، وتعليل مروتها في تشكيل الاصوات معتددا في معالجته على هذا الملبح العلمي الدقيق مينا كيفية قيام كل منها بوظيفته ، ولعل سر اختيار ابن سينا لهذين العضوين على وجه العموم ناجم عن أهميتهما البالغة في ميدان النطق والتصويت إذ تضم الحنجرة ما يسمى بالوترين الصوتيين وهما زوجان من الطيات الصوتية يقومان بوصل الفراغ الحلقى بالقصبة الهوائية (٢) بالإضافة إلى ما يتمتع به هذان الوتران الصوتيان من قدرة كبيرة على إحداث أنماط متنوعة ودقيقة من التدخل والاعتراض لجرى الهواء (٣) من وضع التنفس العادي أو القفل المحكم أو الاهتزاز أو الخمس أو الوشوشة .

(١) المقطع الصوتي د / عبد المنعم عبد الله محمد ٢٧ : ٢٨

(٢) ينظر : أصوات اللغة العربية : د / هلال ٤٩ : ٥٠ ، علم الصوتيات ٩٣

(٣) علم الصوتيات : د / عبد الله ربيع ، د / غلام ٩٤ - ٩٦ - الدلالة

الصوتية : د / كريم حسام الدين ٦٣ : ٦٥ ، دراسة السمع والكلام : د / مصاح

١٣٦ ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : نايف خرما : ٢٦١

ومع هذا التنوع الآلى الذى يصحبه تنوع مماثل من الملامح الصوتية
 جبرز أهمية الحنجرة فى آلية النطق بما تتمتع به من مرونة وحركية هى وليدة
 تكوينها الفسيولوجى مما يؤهلها لدور فاعل فى تغير شكل وحجم حجرة
 الرنين فتؤثر بدورها على نوع الرنين الحنجرى (١) ، كما تلعب بالنسبة
 للكلام دور آليات النغم والموسيقى بالنسبة للغناء ، ومن هنا كان الوصف
 الدقيق لابن سينا لمكونات هذا العضو الحيوى الهام فى إنتاجية النواة
 الرئيسية للتصويت فى الصوت اللغوى الإنسانى .

ولعل فلسفة مرونتها وحركيتها تتضح فى ضوء الوصف التشريعى
 لابن سينا إذ يقرر أنها مركبة من غضاريف ثلاثة : أحدها موضوع إلى
 قدام يناله اللسان فى المهازيل جدا عند أعلى العنق تحت الذقن ، وشكله شكل
 القصعة حَذْبُهُ إلى خارج وإلى قدام وتَقَعْرُهُ إلى داخل وإلى خلف ، ويسمى
 الغضروف الدَّرَقَ والازمى .

والغضروف الثانى خلفه ، مقابل سطحه لسطحه متّصل به بالرباطات
 يمتدة ويسرة ومنفصل عنه إلى فوق ويسمى عديم الاسم .

والغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليهما ، وهو منفصل عن الدَّرَقِ
 مَرَبُوطٌ بالذى لا اسم له من خلف بمفصل مضاعف يحدث من زائدتين
 تصعدان من الذى لا اسم له وتستقران فى نُقْرَتَيْنِ له ، ويسمى المُكَبَّى
 والطَّرْجَهَالِ (٢)

وفى ضوء هذا التركيب لمكونات هذا العضو التصويقي الهام يبين
 ابن سينا كيفية آلية وميكانيكية حركته فيقول : فإذا تقارب الذى لا اسم له
 من الدرق وضامه حدث منه تضيق الحنجرة ، وإذا تنحى عنه وباعده

(١) دراسة الصوت اللغوى : د / عمر ٨١ ، وينظر علم الصوتيات ٩٩

(٢) أسباب حدوث الحروف : ابن سينا ٦٤ : ٦٥ : ٦٦

حدث منه إتساع الحنجرة ، ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل (١) .

ويواصل ابن سينا وصفه التشريحي الدقيق لآليات الحنجرة حالة تضيقها وحالة توسعها والعضلات المعنية على تحقيق ذلك ، مع الربط بين هذه الحالات وعزل الصدر والحجاب وأثره في حيز النفس وحصره إلى الخارج بقوة ، وارتباط ذلك بالحلقوم (٢) في محاولة عليه جادة لإستظهار دور الحنجرة وفعاليتها في التصويت .

ويقتل ابن سينا متما ما يرى إليه من وصف عضلة اللسان بنفس القدر من الدقة والوعى العلمي بأثره البالغ في العملية الكلامية إذ أنه من أبرز الأجزاء التي تتحكم في الصندوق الرئوي للفم ، كما لا يخفى أن اللسان يعد مخرجا لكثير من الأصوات العربية بل يمثل هدة مخرج وفق أحيائه المتنوعة من مؤخر اللسان ووسطه وطرفه وحافته .

وما تجدد الإشارة إليه أن اللسان من أكثر أعضاء النطق مرونة وحيوية وليس أدل على ذلك من مشاركته في إنتاج الصوائت ، ومعظم الصوائت (٣) ومن ثم أطلق عليه لفظ لغة في جميع لغات العالم تقريبا ، وبخاصة العربية فقد أطلق القرآن لفظ اللسان على اللغة في ثمانية مواضع من أى الذكر الحكيم ، منها على سبيل المثال « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » (٤) .

ولعل مرونة هذا العضو تتضح في أن كل جزء منه يمكن أن يرتفع

(١) السابق ٦٦ (٢) السابق ٧٠

(٣) ينظر : أصوات اللغة العربية د/ هلال ٥٥ : ٥٦ ، أصوات اللغة : د/ أرب ٧٦ ، ٧٧ ، علم الصوتيات ١٠١ ، دراسة الصوت الففوى :

د/ عمر ٨٦

(٤) إبراهيم ٤ .

وينخفض ، كما أن حافته وطرفه ووسطه يمكن أن ترق وتبسط ويمكن أن تنقبض فتعود إلى حجمها الطبيعي ، كما يمكن لمقدم اللسان ووسطه أن يمتد إلى الأمام حتى يتجاوز أكثر الثنايا وأن يتراجع كله حتى يكون أدخل منها ينحو ثلاثة سقتمرات ، ويمكن لطرفه أن يلتوى حتى يلبس أول الحنك الرخو قبيل اللهاة ، ويمكن لمتته أن يتقوس محدا أو مقعرا ، وأن ترتفع حاشيته حول متته كقناة مستطيلة ولكل هذه المرونة أثرها في تكوين مختلف الأصوات وتنويعها (١) .

في ضوء تلك الأهمية لعضلة اللسان يقرر فندريس أن اللسان بوجه خاص هو الذى يلعب مع الحنجرة الدور الرئيسى فى التصويت (٢) ومن هذه الثابتة ينطلق ابن سينا فى وصف مكوناته وتبيان فلسفة مرونته على هدى من معطيات التشريح فيقول (٣) « وأما اللسان فيحركه عند التحقيق ثمانى عضلات منها عضلتان تأتيان من الزوائد السهمية التى عند الأذان يمنة ويسرة ، وتتصلان بجانبى اللسان ، فإذا تشنجتا عرستاه ، ومنها عضلتان تأتيان من أعلى العظم الشبيه باللام وتنغدان فى وسط اللسان ، فإذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام فتبعا جرم اللسان وامتد وطال ، ومنها عضلتان تأتيان من الضلعين السفليين من أضلاع هذا العظم تنغدان بين المرصتين المطولتين ويحدث عنهما توريب اللسان ، ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين إذا تشنجتا بطحتا اللسان ، وأما تميله إلى فوق ، وداخلا فى فعل المرضة والموربة .

وقد أضاف ابن سينا فى القانون عضلة أخرى أشار إليها محققا رسالته ،

(١) أصوات اللغة العربية : د / جميل ٤٩

(٢) اللغة : فندريس ٤٥

(٣) رسالة أسباب حدوث الحروف ٧٠ - ٧١

وتلك العضلة مفردة تصل ما بين اللسان والعظم اللامي وتجذب أحدهما إلى الآخر (١).

وبما تجدر الإشارة إليه معرفة ابن سينا بالقصة الهوائية التي سماها (قصة الرئة) إذا قال في كتاب القانون : أما قصة الرئة فهي عضو مؤلف من غضاريف كثيرة دوائر يصل بعضها على بعض وعلى رأسه الفوقاني الذي يلي القم والحنجرة ، كما قرر بعض الدارسين أن إخوان الصفا (في رسائلهم) - القرن الرابع - عرفوا دور الرئتين في عملية إحداث العملية الكلامية مما يؤكد اكتمال نظرية الآلية النطقية ومردودها الإيجابي في تلافيف فكرهم الصوتي ومعالجتها وفق المعيارين النظري والعمل ، ولا ريب أن مسلك ابن سينا وإقامة منهجه على الأساس التشريعي العلي كان فتحا كبيرا في الدراسة الصوتية ، ومنهجا جديدا في معالجة قضاياها يتبعه فيه الكثيرون من علماء الغرب في عصرنا الحديث ، ولم كان لذلك من أثر في عرض آلية المخارج وعلل الألقاب كما سيتجلى على بساط البحث .

(١) السابق هامش رقم (٩) للمحققين من ص ٧١ نقلا عن القانون ٤٥ / ١

(٣) آلية المخارج والألقاب

يقوم هذا المحور على الإشارات التراثية لأعضاء النطق ودورها البالغ في ميدان المخارج والألقاب للأصوات العربية في محاولة جادة للقداى لفقه الخصائص والسمات المميزة والفارقة لكل صوت ، وسنحاول - هنا - الوقوف على أعضاء النطق ووظائفها في ضوء منظورهم لخريطة المخارج ، وتعليمهم لمجموعة الألقاب وفق الجانبين النظرى والعملى على النحو التالى : -

(١) الجانب النظرى :

وردت بين ثنائيا تراننا الصوتى مسميات الأعضاء النطقية ، أقصى الحلق ، أوسط الحلق أدنى الحلق ، أقصى اللسان ، وسط اللسان ، حافة اللسان طرف اللسان ، ظهر اللسان فوق الثنايا ، أصول الثنايا ، أطراف الثنايا ، باطن الشفة السفلى ، وسط الحنك الأعلى ، الحياشيم ، الشفتان الخ .

جمع سيبويه تلك الأعضاء في عرضه لنظرية المخارج قبيل مناقشته لفصية الإدغام حينما حصر الحروف فى ستة عشر مخرجا (١) مقررأ أن للحلق منها ثلاثة ، فأقصاها مخرجا : الهمزة والهاء والالف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجا من القم : الغين والحاء ، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأدنى مخرج الكاف ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأدنى مخرج الجيم والشين والياء ، ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ، ومن حافة

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣ - ٤٣٤

اللسان من أدناها إلى منتهى طرف السان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء وما بين طرفي اللسان وأصول الثنايا العليا مخرج الطاء والذال ، والثاء وما بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد ، وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء ، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء وما بين الشفتين مخرج الباء ، والميم والواو ، ومن الخياشيم مخرج النون الحفيفة

وما تجدد الإشارة إليه أن حديث سيويه عن المخارج د بعد بن أقدم الدراسات التي وصلتنا ، ومن هنا يكتسب أهميته (١) بيد أن الخليل بن أحمد وهو أستاذ سيويه قد أرسى دعائم هذه النظرية في مقدمة كتابه العين ، ملتقيا الضوء على آليات أعضاء النطق في ضوء حديثه عن ألقاب الحروف ومدارجها ، ففي العربية ، تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحيحا لها أحياء ومدارج ، وأربعة أحرف جوف ، وهي الواو والياء والألف والهمزة (٢) وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء ، فلم يكن لها حين تنسب إليه إلا الجوف (٣) .

(١) نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب : د / أحمد طاهر حسنين ٢٥ مطبعة

بجروت ١ سنة ١٩٨٧ م

(٢) أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن الهمزة من الحنطرة ، ينظر : علم اللغة العام (الأصوات العربية) د / كمال بشر ١١٢ وما بعدها ، التجويد والأصوات : د / إبراهيم نجا ٦٩ ، علم الصوتيات : د / عبد الله ربيع محمود ، د / عبد العزيز علام ٢٢٧ ، أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار هلال ١٨١ ، الأصوات القوية : د / إبراهيم أنيس ٧٢

(٣) العين : الخليل بن أحمد ١ / ٥٧ . لتحقيق د / مهدي الخزومي . د / إبراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة ط ٢ ليران سنة ١٤٠٩ هـ

ويعرض الخليل لألقاب الحروف فيها الحلقية ومنها اللهوية ومنها الشجرية وكذلك الأسلية (١) والنطعية والثوية والذلقية ، والخيشومية ، بالإضافة إلى الجروفية أو الهوائية (٢) .

وهكذا لم يغفل الخليل الحركة الفسيولوجية لأعضاء النطق ، بل اشتق منها مصطلحاته السابقة ، فالأسلية - مثلاً - لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستندق طرفه ، والثوية لأن مبدأها من اللثة ، والشجرية لأن مبدأها من شجر القم ، أى مفرج القم ، كما كان يسمى الميم مطبقة ، لأنها تطبق القم إذا نطق بها ، أما الجروفية فلأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة إلخ (٣)

وجدير بالذكر أن هذه الإلمامة بآليات الجهاز النطقى استوعبها وفقهها كل من طالعوا الدرس الصوتى بعد الخليل وسيبويه كالمبرد فى كتابه المقترض وابن دريد فى مقدمة الجهرة (٤) ، كما أن حظ معاجنا اللغوية فى معالجة آلية النطق لم يكن قليلاً ، فقد عنيت - أيضاً - بهذا الجانب بالقدر الذى لا يخرجها عن طبيعة التصنيف فيها وكذلك عن أهدافها ، ومن ذلك العين للخليل بن أحمد ، إذ أقام مقدمته (٥) على معطيات صوتية لبنائه كيان المعجم

(١) ينظر فى لقب الأسلية : مجلة المجمع ١٥ / ٤٦ د / أنيس بحث بعنوان « جهود العلماء العرب فى الدراسة الصوتية » .

(٢) ينظر فى تقسيم الأحرف وفق ألقاب الحروف : اللغة العربية خصائصها وسماتها : د / هلال ١٦١ : ١٦٣

(٣) ينظر : العين ٥٧ / ١ - ٥٨ (٤) الجهرة ١ - ٣ - ٥

(٥) العين ٤٧ / ١ - ٦٠ وينظر : كتاب العين للخليل بن أحمد وموقعه فى آثار الدارسين : د / كال بشر ١٠٣ بحث منشور فى العدد الثالث من حوريات كلية دار العلوم .

على الأساس الصوتي ، ومن ثم كانت الإشارات والتقريرات الصوتية حول آلية النطق مئة في عرض المخارج والألقاب للحروف العربية ومن ذلك أيضا معجم التهذيب وكذلك لسان العرب ، بيد أن المعجمين اعتمدوا في إشاراتهم الصوتية على ما ورد في فكر الخليل وسيبويه وابن جني من رواد الدرس الصوتي ، ولا سيما ابن منظور في اللسان (١) ، وقد ورد كثير من المباحثهم في معالجة جزئيات الدراسة ، كما امتدت تلك العناية بآلية النطق إلى ساحة المعاجم المبنوية . أو المعاني - أيضا - فلم تكن مقصورة على معاجم الألفاظ ومن ذلك ما ذكره الثعالبي من فصول « في حدة اللسان والفصاحة » و« عيوب الكلام » وفي ترتيب المعنى (٢) إذ حوت إشارات مضبوطة في هذا الباب مما يؤكد شمولية العناية بآلية النطق وديناميكية التصويت في الفسك الصوتي عند العرب ، إيماناً منهم بدورها البالغ في فلسفة الحقائق الصوتية على المستويين الفوناتيكي والفونولوجي ، مما يثبت فضل السبق والابتكار لروادنا القدامى في هذا المنعطف للنظور الصوتي في العصر الحديث ، وليس أدل على ذلك من المباحث ابن جني وتلاميذه في الدراسة الصوتية ، فقد أضاف ملحظاً جديداً حينما شبه الحلق بالثاني ، ومدارج الأصوات ومخارجها بفتحاته التي توضع عليها الأصابع ولا ريب أن تلك إشارة ناهية تدل على وعي دقيق بأثر آلية النطق في تنوع الأصداة للأصوات اللغوية ، إذ يرى ابن جني (٣) أن الصوت يخرج مستطبلاً ساذجاً حتى يعرض في الحلق والقم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً ، وقابه ، ابن سنان الحفاجي (٤) بما يدل

(١) اللسان ١ / ٧ - ١٠

(٢) فقه اللغة : الثعالبي ٧١ : ٧٣

(٣) سر صناعة الإعراب ، ابن جني ١ / ٩ - ١٠

(٤) سر الفصاحة ، ابن سنان الحفاجي ١٢ شرح وتصحيح عبد المتعال

الصعيدى مطبعة صبيح سنة ١٩٦٩

على ثبات هذه الحقائق العلمية في تلك العصور (١).

ومن الإشارات الواعية بين ثنائيا ترائنا الصوتي عن آلية النطق وأهمية المخارج لإشاراتهم إلى دور الأسنان مما يثبت نضج الفكر العربي في هذه الساحة ، فالأسنان كما ورد على خريطة المخارج تشترك في إنتاجية كم موفور من الأصوات مع اللسان والشفة (٢) فالفاء مثلا - صوت شفوئ أسناني ، والثاء والذال والطاء أصوات بين أسنانية ، والثاء والطاء ، والذال والضاد ، والسين ، والزاي ، والصاد ، أصوات أسنانية لثوية واللام والراء والنون أصوات لثوية ، وقد ذكر سيبويه الأسنان وأشار إلى الأضراس وطراف الثنايا العللى ، وأصول الثنايا (٣) مما يدل على وعى بمعطياتها الصوتية .

ومن هنا كانت إشارة سهل بن هارون إلى أهمية هذا الجزء فى الجهاز النطقى الإنسانى مقررأ أنه ولو عرف الزنجى فرط حاجته إلى ثنائاه فى إقامة الحروف وتكامل آلة البيان لما نزع ثنائاه (٤) .

ومن ذلك إشارة الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين إلى أثر هذا العضو ، إذ يقول ليس شئ من الحروف أدخل فى باب النقص والعجز من فم الأهتمام من الفاء والسين إذا كانا فى وسط الكلمة (٥) ؛ ولا عجب فى ذلك فسقوط بعض الأسنان أو اختلاف تركيبها يؤدى - بالضرورة -

(١) فى البحث الصوتى عند العرب / ٢٢

(٢) ينظر : المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها : الأنطاكى ٢٥ ، أصوات اللغة العربية : د / محمد حسن جبل ٥٢ ، علم الصوتيات : د / عبدالله ربيع د / عبد العزيز علام ١٠٦

(٣) ينظر تفصيل ذلك بعبارة سبويه وتقريره النصية فى الكتاب ٤ / ٣٣٤

(٤) البيان والتبيين ١ / ٥٨

(٥) السابق ١ / ٥٥

إلى اضطراب الخصائص النطقية لبعض الأصوات (١) ولعل هذا يفسر
لحجام معاوية عن الكلام ، على منبر جماعة منذ سقطت ثنياه ، (٢)
لم ترتب على ذلك من خلل في النطق والتواء في الأداء .

ومن هذا المنطلق لاحظ القدامى ، أن سقوط جميع الأسنان أصلح
في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شرطها
الشرط الآخر (٣) وقد شبهوا ذلك بصورة محسة فقالوا : (٤) الحمام
المقصوص جناحه جميعاً أجدر أن يطير من الذى يكون جناحه أحدهما
وافراً والآخر مقصوصاً ، وعلّة ذلك التعديل والاستواء ، وإذا لم يكن
ذلك كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر ، فلم يحذف ولم يطر .

وهكذا تجلّى اعتداد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بأمر هذه الآلية
وأثرها بصفة عامة على الأداء ، ومن ذلك ما قرره في ذكر ما يحضره من
الحروف التى تدخلها اللغة (٥) مشيراً إلى بعض أسبابها ومنها المخارج ،
ومقرر أنها لا تحصى ولا يوقف عليها مؤكداً ما يرمى إليه بنماذج بشرية
كلامهم يشبه الصفيّر ، إلى غير ذلك مما أسماه حروف الزمزمة والحروف

(١) لأن الأسنان لا تؤدى دوراً واحداً بالنسبة لكل الأصوات ، فهناك
أصوات يعتمد خروجها على وجود الأسنان ، وهناك من الأصوات ما يقتصر
دور الأسنان فيه على أداء التكيف أو التلوين العام عند إخراجها ، ينظر :
الملاحع الأدائية عند الجاحظ : د / عبد الله ربيع ١٠٦ : ١٠٧

(٢) البيان والتبيين ١ / ٦٠

(٣) السابق ١ / ٦١

(٤) السابق ١ / ٦٤ وفي هامش (٢) في نفس الصفحة نقلاً عن الحيوان
(١ / ٢٦٢) ، (٢ / ٢٣٠) ومخفاؤه : جناحه ، يقال بالبدال والذال جميعاً .
(٥) البيان والتبيين ١ / ٣٤ ، وينظر في عيوب النطق : أمراض الكلام

د / مصطفى فهمى ٣١ - ٤٠ ، ١٤٩ - ٢٢٧

التي تظهر من فم المجوسى إذا أخذ في باب الكتابة وترك الإفصاح عن
مما فيه ، وهو على الطعام (١) .

ويربط الجاحظ بين آلية النطق وهبة الله التي أعطاهها الإنسان من
الاستطاعة والتكوين ويلمح إلى أن للأداء صورتين متكففة وتلقائية ،
كما يشير إلى العادات النطقية وأثرها في حروف الكلام .

وقد أشاد بعض علمائنا المعاصرين (٢) بمنهج الجاحظ في سرد العيوب
الإدائية مقررأ أنه يكفيته التنبيه إلى خطورها والإشارة إلى سوء أثرها ، وقد
قام بدراسة وافية للملاحج الأداء في البيان والتبيين أمكنه على هديها تصنيف
العيوب (٣) في فكر الجاحظ إلى عيوب استبدالية وتشويهية وإخفائية
واضطرابية وتزيمية .

ولا ريب أن إدراك الجاحظ لتلك العيوب ووصف آلياتها أمانة
حية على الإمام بميكانيكية جهاز النطق ووظائفه التصويتية ، وأثر اكتمال
آلته في تصوره لحسن البيان وجميل الأداء ، وقد أشار في غير موضع (٤)
من كتاب البيان والتبيين إلى ذلك ، ومن ثم فرى علماء الأداء القرآني
في مؤلفاتهم (٥) يعقدون فصلا في بيان ما يحتاجه طالب فن التجويد ،
يعرضون فيه للألسنان ، لما لها من أهمية بالغة في تشكيل كثير من
الاصوات سواء أكانت تمثل عرجا مستقلا بذاته ، أم تشارك غيرها من
أعضاء النطق ، كما أنها تعد - أيضا - عنصرا مساعدا في تكوير صناديق

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٤

(٢) الملاحج الإدائية : د / عبد الله ربيع ٢٨٩

(٣) السابق ٢٥٠

(٤) البيان والتبيين ١ / ٥٨ - ٥٩ - ٦٢

(٥) نهاية القول المفيد في علم التجويد : الشيخ محمد مكي نصر ٣٩ ، مطبعة

تليبابي الحلبي / ١٣٤٩ هـ

رئين أمامية صغيرة (١) وإذا فضلوا بعض الخطباء على بعض لعيوب الأسنان فقد خطب النجاشي خطبة تكاح أصاب فيها معاني الكلام، وكان في كلامه صغير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه ، إلا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصغير ، فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامه لفظ زيد لسلامة أسنانه ، فقال في كلمة له :

قلت قوادحها وتم عديدها فله بذلك مزية لا تنكر
ويروى : صحت عارجه وتم حروفها (٢) . وهكذا كان للجانب النظري دوره البالغ في بيان آلية المخارج وكذلك علل الألقاب ، وشاركه في هذا الميدان الجانب التجريبي على النحو الآتي :

(ب) الجانب التجريبي :

ليس المقصود من الجانب التجريبي عند علمائنا القدامى الجانب الآلي المعلى ، إذ خلت عصورهم من تقنياته ، بيد أنهم ابتكروا أسس هذا الجانب المعلى في ضوء الملاحظة الذاتية ، واستخدام آلية النطق سبيلا إلى التجريب لمعالجة الحروف بنية الوقوف على خصائصها وأسراها ، والامارات على ذلك موفورة ، يمكن أن تكون آية على إلمامهم بطبيعه آلية النطق والتصويت .

ومن تلك الامارات ما يتعلق بتحديد المخارج ومنها ما هو وثيق الصلة بفسولوجية الصفات وسنعرض لبعض النماذج النصية لكلا الطرفين مصداقا لما يهدف إليه البحث وليس أدل على ذلك بالنسبة لموقعية المخارج

(١) علم الصوتيات ١٠٦ وينظر : مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الاداء
لقرآني : / عبد الفتاح البركاوي ٥٢

(٢) ينظر : البيان والتبيين ١ / ٥٨ - ٥٩

على خريطة الجهاز النطقى من المحاولات التجريبية التى قام بها النخيل بن أحمد فيما أسماه « ذوق الحروف » ، إذ نظر إلى الحروف كلها وذاقها (فوجد مخرج الكلام كله من الحلق) فصبر أولاها بالابتداء أدخل حرف منها فى الحلق ، وإنما كان ذوقه إياها أنه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحو أب ، أت ، أخ ، أع ، أغ فوجد العين أدخل الحروف فى الحلق ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم ، (١) .

ويوضح ابن جنى هذه العملية التجريبية فيقول : « وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتى به ساكننا لا متحركا ، لأن الحركة تغلق الحرف عن موضعه ومستقره وتمتدبه إلى جهة الحرف التى هى بعضه ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به » . فيقول : إك ، إق ، إج ، وكذلك سائر الحروف ، (٢) .

ومن هذا القليل ما ذكره سيبويه (٣) عن إتاجية الحروف الفرعية . وكيفية إحداثها وأنه لا يتحقق الوقوف على ذلك الأمر إلا بالمشافهة ، إذ يقول بعد سرد الحروف الأصول منها والفروع معقبا على النمط الأخير المستحسن وغير المستحسن « وهذه الحروف التى تمتها اثنين وأربعين جيدها ورديتها أصلها التسعة والعشرون لاتينين إلا بالمشافهة » ويلقى الضوء على الضاد الضعيف منها فى ضوء آلية نطقها تجريبيا مشيرآ إلى أنها تتكلف من الجانب الأيمن ، ويخاطب القارىء « وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر » معلنا نتيجة التجربة قائلا « وهو أخف » معللا ذلك بأنها من حافة اللسان .

(١) العين ١ / ٤٧ وينظر : المقطع الصوتى فى ضسوء ترائنا اللغوى :

د / عبد المنعم عبد الله محمد ٢٥ : ٢٦

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٧ وينظر : دراسات فى فقه اللغة : د صبحى .

الصالح ٢٧٨

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣١ - ٤٣٣ .

وأنها تخالط منخرج غيرها بعد خروجها ، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان
فيسهل تحويلها إلى الأيسر ، لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر مثل
ما كانت في الأيمن ، ثم تسلسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان ، كما
كانت كذلك في الأيمن .

ويؤكد ابن جني هذا الملح التجريبي المعتمد على المشاهدة في إنتاجية
هذه الحروف الفرعية بأن أمرها لا يصح د إلا بالسمع والمشاهدة (١) وكلا
الأمرين من عوامل التجريب والملاحظة الدقيقة .

وليس إشارة ابن جني فيما يتعلق باختلاف أجراس الحروف بحسب
اختلاف - مقاطعها إلا ولبدء التجريب لآلية النطق ، إذ يخاطب القارئ -
قالا : ألا ترى أنك تبتدىء الصوت من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أى
المقاطع شئت ، فتجد له جرسا ما فإن انتقلت عنه راجعا منه ، أو متجاوزا
له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول ، ويعرض
ابن جني نموذجا لتلك العملية التجريبية في ضوء فعاليات النطق لبعض
الفونيمات قائلا : ذلك نحو الكاف ، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى
ما ، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره ، وإن جرت إلى الجيم سمعت
غير ذينك الأولين (٢) وقد أضفى على تلك العملية الآلية مسحة من الإيضاح
فيما عقده من التشبيه بالنأى وخروقه ، وكذلك العود وأوتاره مقررًا أنه
أراد بذلك التمثيل للإصابة والتغريب (٣) .

على هدى ماسبق يمكن القول بأن تراثنا الصوتي قد حوى بين دفتيه
وعى علمائنا القدامى بآلية النطق في ضوء عرضهم لقضية المخارج وألقابها ،

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٥١

(٢) السابق ١ / ٦

(٣) السابق ١ / ٩ وينظر في ذلك علم اللغة العام (أسسه ومناهجه)

٥ / عبد الله ويحيى ١٥١ - ١٥٦ ط ١٩٩٤ م مؤسسة الزهور .

وإن كان هناك بعض الاختلافات في تقسيمهم للحروف وفق مخارجها مع معطيات الدرس الصوتي الحديث فإن إمكانات البحث في مصورهم كانت وراء ذلك .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من طبيعة مصورهم ، وخلوها من الآلة وفعاليات التقنية الحديثة فقد حازوا فضل السبق في تفسير وتعليل كثير من الحقائق الصوتية في ضوء آلية أعضاء النطق ، وليس أدل على ذلك من منظورهم الدقيق لآلية المخارج ، بما لا يتعارض مع معطيات الآلة والمعامل في العصر الحديث على سبيل الإجمال ، ومن ثم أشاد كثير من الباحثين (١) المنصفين بالنور الذي قاموا به في تحديدها بل رأى بعضهم أن تقسيم سيبويه لمناطق الفم وتحديده لمجموعات الأصوات المشتركة كان شبه نهائي . لم يستطع أحد من جاء بعده - حتى الآن - أن يثبت عكسه أو يضيف إليه تعديلاً (٢) وهكذا أفر كثير من المنصفين بدقة القدامى في منظورهم للخارج مدركين مانود التأكيد على ثبوته من معرفة علماء العربية لآلات الجهاز النطق من جانب بل وإطلائهم عليها « أسماء » ذات دقة كافية من جانب آخر (٣) .

ومن هنا تعددت الأسانيد الدامغة مقررة مكانة العرب في هذا الميدان ،

(١) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار هلال (١٤٩ - ١٥٠) علم الصوتيات : د/ عبد الله ربيع ، د/ عبد العزيز غلام ٦٦-٦٧ ، دراسات في التجويد والأصوات الغوية : د/ عبد الحميد أبو سكين (١١ ، ٢٤) ، مجلة الجمع ٢٤ / ١٣٤ ، د/ عبد الرحمن أيوب (التفكير الصوتي عند العرب) .

(٢) العربية للنحوي : هنري فليش (مقدمه المحقق) د/ عبد الصبور

شامين ١٥

(٣) دروس في علم أصوات العربية : كاتلينيو ١٨

إذ يرى الدكتور / أيوب هـ يمكن القول بوجه عام (١)، بأن علاج سيبويه للأصوات، وغارجهما يمثل دراسة ناضجة لا تزال حتى عصرنا في محل الإعجاب والتقدير لما فيها من دقة وفهم كما يقرر الدكتور / كمال بشر (٢)، أن الدراسات الصوتية عند العرب هي أجود العمل اللغوي من حيث منهجية الفكرى وطرق الدراسة، معللا ذلك بأن أسلوبهم في هذا المجال كان أسلوبا صحيحا يتشئ مع طبيعة المادة، فقد اتبعوا طريقة الملاحظة الذاتية وابتعدوا عن التأويلات والاقتراضات التي ملأت الصرف والنحو وغيرها.

ولسنا هنا في مجال الحكم على هذه الدراسة، وإنما يمكننا أن نستشف من ذلك ما يؤكد لضع الفكر العربى في زاوية من زوايا الدرس الصوتى، وهى زاوية آلية النطق ممثلة في إدراكهم لأعضاء التصويت، وبما يزيد هذه الثابتة وضرحا مناقشتهم لقضية الصفات الصوتية كما سبتين نا على بساط البحث.

وهكذا كان لآلية التجريب دورها الفاعل في الإلمام بكثير من خصائص الجهاز النطقى فى الفكر الصوتى عند العرب، إذ يتبين لنا من الإشارات السابقة ما يؤكد وفوفهم على تحديد أعضاء النطق تحديدا دقيقا بالإضافة إلى وظائف هذه الأعضاء وإمكاناتها التصويتية وكذلك ارتباط آلية النطق بخاصيتى السماع والمشاهدة لدى الإنسان.

ولا يخفى أيضا الإلمامهم بمدى المرونة التى يتسم بها هذا الجهاز فآلية النطق نمطان طبيعية تلقائية، ومتكلفة حيث يتمل الناطق هيئة أدائية

(١) مجلة المجمع ٢٤ / ١٣٤ د / عبد الرحمن أيوب (للتفكير اللغوى عند العرب مصادر ومراحل) .

(٢) دراسات فى عام اللغة (القسم الثانى) : د / كمال بشر ٦٧ ، دراسات فى التجويد والأصوات : د / عبد الحميد أبو سكينة ٢٤ . مطبعة الامانة ١٩٨٣ م

معينة ، كما أفصحت إشاراتهم التجريبية عن فقه ناضج لآليات النطق
ومردودها المحتتم على تشخيص الصفات المميزة لكل صوت ، مما يجعلنا
تقرر أن روادنا في ميدان الفكر الصوتي قد أدركوا تفصيلات متنوعة
ومتعددة من آلية النطق ، في ضوء التجريب كملح من المحور العلمي يضاف
إلى نظيره التشریح ليكلا مع المحور النظري منظومة آلية النطق عند
علمائنا القدامى ، وإتماما لدائرة البحث سنناقض الضوء على تلك الآلية في ضوء
محور آخر من محاور فكرنا الصوتي وهو ميدان آلية الصفات .

(٤) آلية الصفات

اعتمد علماءنا القدامى في بيان الصفات الصوتية للفونيمات العربية على آلية النطق والتصويت بما كان أمانة دالة على نضج فكرهم الصوتى ، ونمو وعيهم اللغوى على وجه العموم ، ولا سيما في ميدان فسيولوجية الصوت معتمدين في قراراتهم - أيضا - على المنهج الوصفى والملاحظة الذاتية .

ولم يكن الأمر في قفء آلية الصفات بأقل منه في اكتناء آلية المخارج دقة وعمقا كما كان وراء تأكيد بعض علماءنا المعاصرين (١) لتلك الدقة قائلا: « لست أشك لحظة واحدة في أن هؤلاء العلماء الأجلاء قد استطاعوا بالملاحظة فقط (ومعها كل الصعوبات التي تواجه الطبيعة في العادة) أن يصلوا إلى وصف دقيق للأصوات العربية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن وصف علماءنا القدامى للأصوات كان ثمرة لوعيهم بدقائق الجهاز النطقى ومرونته وإجراءاته .

ومن ذلك - مثلا - تعريف سيبويه للمجهور والمهموس فقد ورد في حده لطبيعة المجهور (٢) بأنه « حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت » .

(١) اللغة العربية (معناها ومبناها) : د / تمام حسان ٤٩ ، الهيئة العامة

١٩٧٩ م

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٤

أما المهموس (١) دُ غُرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه .

ويلجأ سيويه للتفريق بينهما بالإضافة إلى التنظير للجانب التجريبي المعتمد على الملاحظة الذاتية لآلية النطق مخاطبا القارئ . د وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس ، ولو أرادت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه (٢) .

ولو تأملنا مضمون الجهر والمهمس عند سيويه لوقفنا منه على إشارات عدة يمكن على هديها المشاركة قدر المستطاع في تفسير تلك النظرية منها :

١ - ارتباط صفة الجهر بآلية النطق ، وهذا واضح فيما ذكره من إشباع الاعتماد ، والموضع ومنع النفس ، وجرى الصوت .

٢ - إشباع الاعتماد يتم في موقع على خريطة الجهاز النطقي يختلف تماما عن المخرج أو مكان تشكيل الحرف .

٣ - الدفعة الهوائية قبل إشباع الاعتماد تسمى نفسا ، وبعد الإشباع الذي يتم في الموضع المقصود تسمى صوتا وقد صرح بذلك ابن جني (٣) .

٤ - انقضاء الاعتماد وإشباع الاعتماد ملامح آلية تتم عن فعالية من نوع ما تعتور الدفعة الهوائية من ضغط واضطراب على نحو ما في الموضع الذي قصده سيويه ، وما أراه إلا الحنجرة . وبمقابلة هذه الإشارات (٤) بما يوحيه تعريف المهموس يتبين لنا ما يلي :-

(١) السابق ٤ / ٤٣٤

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٤ ، وينظر صر الصناعة ١ / ٦٩

(٣) قال ابن جني في صر الصناعة ١ / ٧٣ د فأما حروف المهمس فإن الصوت الذي يخرج منها نفس ، وليس من صوت الصدر ، وإنما يخرج منسلا ، وليس كمنفخ الزاوي - والعلاء ...

(٤) ينظر في تفسير المجهور والمهموس عند سيويه : أصوات اللغة العربية ==

١ - ارتباط صفة الهمس - أيضا - بآلية تطلقية معينة قوامها إضعاف الاعتماد في موضع ما ، وجريان النفس على أثر هذا الإضعاف .
٢ - خلت آلية الهمس من المنع النفس ، ولم تذكر جريان الصوت كما كان الحال في المجهور .

٣ - الدفعة الهوائية المصاحبة للحرف المهموس لم تتعرض لفعالية تعتورها فتصيرها صوتا وإنما ظلت نفسا .

٤ - ترديد الحرف مع جريان النفس في المهموس دون المجهور ، مما يثبت إعاقاة الدفعة الهوائية في الموضع المقصود مع المجهور .

وفي ضوء هذا التحليل لمضموني المجر والهمس عند سيويه يمكننا أن نقوم بمحاولة لتفسيره على النحو التالي :-

أولا : إدراك سيويه للموضع الذي يتم فيه الجهر ، وهو الحنجرة وإن لم يسمه أو يحدد موقعه ، وليس أدل على ما أقول من مصطلح النفس قبل الاعتماد ، والصوت بعده .

ثانياً : إلمام سيويه بوظيفة هذا الموضع (الحنجرة :) ومكوناته الفسيولوجية التي تتمثل النفس ضغطا واضطرابا فتحوّله إلى صوت مما يجعلنا نقرر استشعاره لوظيفة الوترين الصوتيين ، وإن لم يطلق عليهما مصطلحا بيّنه ، فصدر الذبذبات مع المجهورات هو الحنجرة على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الحلق والقم وتضخمها الفراغات الرنانة ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوى في السمع (١) .

== د / هلال ١٦٥ : ١٧١ ، الأصوات القوية د / إبراهيم أنيس ١٩٠ اللغة العربية معناها ومبناها د تمام حسان ٦٠ : ٦٢ أصوات اللغة العربية د / جبل ٧٢ : ٧٣ مقدمة في أصوات اللغة العربية د / البركاوي ١٠٠ / ١٠١
(١) ينظر : أصوات اللغة العربية د / هلال ١٧٠

ثالثاً : فقه سيويه للطبيعة الجهرية للصوت في ضوء الذبذبة التي هي نواة التصويت وإن لم يذكرها ، وإلا فَيَمَّ نغمر تسميته للنفَس بعد إشباع الاعتماد صوتاً ؟

رابعاً : استشفافه لدور الحجاب الحاجز ، وميكانيكية إصداره للدفعات الهوائية أو النفسية .

وقد يقول قائل إن في ذلك التحليل محاولة للتقريب بين فكر سيويه والنظريات الحديثة في تفسير ظاهرتي الجهر والهمس ، وإدراك دقائق الجهاز النطقى ، لا سيما وقد أخذ بعض الباحثين على الدراسات الصوتية القديمة جعلها بدور الوترين الصوتيين (١) وميكانيكية إحداث الجهر .
والجواب عن ذلك فيما يلي :

١ - إدراك سيويه للموضع الذى يتم فيه الجهر ، وأن موقعيته ليست موقعية المخرج ثابت بما ورد عن سيويه من تقسيم للأصوات إلى مجهورة ومهموسة مع نسبة كل منها إلى مخرجه (٢) ، وهنا يطغى على السطح سؤال أين تم جهر المجهور منها ؟ يبدو أنه في الحنجرة التى يتم فيها إشباع الاعتماد ومنع النفس ، إذ ليس لمخرج ما مزية على غيره في هذه الصفة ، وقد قرر كثير (٣) من الباحثين المحدثين أن صوت الصدر هو صدى الذبذبات التى تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة .

٢ - ذكر سيويه لمصطلح الصوت بعد إشباع الاعتماد وإنقضائه فيه لمع لآثر الذبذبة الصوتية وإحساس بها ، وإلا فلماذا اختلف تعبير سيويه ، إذ أطلق مصطلح النفس قبل إشباع الاعتماد ومصطلح الصوت بعد انقضاء

(١) التفكير الصوتي عند العرب : هنرى فليش مجلة المجمع ٢٣ / ٥٨

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٤

(٣) الأصوات الغرية : د / أنيس ٩٠ - ٩١ ، أصوات اللغة العربية : ١٧٠

الاحتماد ؟؟ ولماذا لم يذكر مصطلح الصوت جملة في تعريفه للمهموس ، وقد وضع ذلك بعض علمائنا المعاصرين (١) مؤكداً « أن ذلك حقا هو ما أحس به سيبويه وضمنه تلك العبارات العلمية المعتمدة على المنتج السديد في التعبير بصوت الصدر ، وصوت القم ، فمع المجهور تتأثر الأوتار الصوتية بتلك القوة النابعة من أول خروج الهواء فتتهز اهتزازا يضخم الصوت وهذا ما عبر عنه بصوت الصدر ، أما مع المهموس فإن الأوتار الصوتية تظل على حالها من الابتعاد ، وبهذا لا تتأثر بالهواء فلا يبقى أثر لتضخم الصوت في الحنجرة ، ويقتصر التضخم على فراغات الحلق والقم ، وهذا ما عبر عنه بصوت القم » .

٣ - إمكانية تردد المهموس دون المجهور يثبت - بما لا يدع مجالا للشك - فقد المجهور لخاصته الصوتية (التي تكن في الذبذبات الصوتية التي لم يطلق سيبويه هذا المصطلح عليها) إذا أمكن ترديده .

٤ - ما سبق ينم عن فهم لطبيعة الجهر والهمس لا ينقصه إلا إطلاق المصطلحات على أعضاء النطق التي تؤثر هذه النظرية ، والجمل بالمصطلح لا يعنى الجهل بآلية إحداث هذه الخاصية .

٥ - إذا كان في منظور سيبويه بعض الغموض الذي يستعصى على التفسير لدى بعض الدارسين فإن الإطار العام لفعالية الجهر والهمس في مضمون هذه الخاصية لا يتعارض مع ما يقبله المنطق في ظل معطيات عصر سيبويه على عكس ما ذهب إليه بعض المحدثين - في عصر تقدم العلم والتقنية - في تفسير خاصة الجهر في ضوء ما أسماه (النظرية المصبية العضلية) (٢) وموجز هذه النظرية كما أعلنها العالم الفرنسي هاسون عام ١٩٥١م

(١) أصوات اللغة للعربية : د / هلال ١٧٠ . بتصرف .

(٢) العلاقة بين نظرية سيبويه وهاسون هي التبيان في تفسير آلية الجهر ، =

« أن اهتزاز الوترين الصوتيين هو نتيجة لإثارتها عصبيا ، وأن الإثارة العصبية للمعضلتين الدرقيتين الهرميتين تحدث بشكل إيقاعي منتظم يؤدي إلى حدوث التقلص والاسترخاء على نحو متتابع ومنتظم ، وهذه الخاصية الإيقاعية لإنتظام الإثارة تنتج بدورها عن نشاط مماثل في خلايا المخ التي تحكم العصب المثيرة لماتين العضلتين (١) .

وعلى هذا يرى هاسون أن ضغط الهواء لا يقوم بفتح الوترين الصوتيين وليس له أى دور محرك لهما ، بل إن الأمر على عكس ذلك تماما ، فاهتزاز الوترين الصوتيين هو الذى يقوم بالتدخل وتعديل تيار الهواء أثناء الجهر (٢) .

وفى ضوء هذا المنظور لآلية الجهر يتبين لنا أن الفكر الصوتى العربى لخاصة الجهر والهمس أقرب إلى التصور مما ورد بين ثنائيا تلك النظرية إبان عصرنا الحديث ، وقد أثبتت التجارب التى أجريت على القطط باستخدام راسم العضلات الكهربائى عدم وجود علاقة بين نشاط العضلات وتردد الإثارة العصبية للوترين الصوتيين ، كما لوحظ أنهما لا يبدأان عملية الاهتزاز بل لا بد لىكى تبدأ عملية الاهتزاز من وجود كمية - ولو ضئيلة - من هواء الزفير (٣) .

== إذا إن سيويه - على حد اجتهادى - فى تفسير مفهومه للجهر يوحى بأثر ضغط الهواء ، وإشباع الاعتماد ثم انقضاء هذا الاعتماد ، وخروج النفس بعدها صوتا ، أما هاسون فيرد ذلك إلى الناحية العصبية للمعضلة ، على ما فى عصرنا من تقنيات ، وخلق عصر سيويه من ذلك ومن ثم يمكن القول بأن منظور سيويه أقرب إلى المنطق .

(١) ينظر : دراسة السمع والكلام د/ سعد مصلوح ١٣٣ عالم الكتب

١٩٨٠ م

(٢) السابق ١٣٤

(٣) السابق ١٣٣

(٦) لم تعدم الدراسات الصوتية لدى كثير من المحدثين (١) إشارات ناهية وتحليلات دقيقة في توضيح مفهوم سيويه لظاهرتي الجهر والهمس بما يؤكد ما نصبوا إليه من إدراك القدامى لتطابق الجهاز النطقي وفعالياته .

ومن الإشارات الواعية في ذلك ما لمح الدكتور / ابراهيم أنيس في سؤال الأخفش لسيويه عن الفرق بين الهموس والمجهور ؟ إذ اشتملت الإجابة على ما أسماه سيويه (صوت الصدر) هذا الذي يتحقق في المجهور دون الهموس ، إذ يقول: الهموس إذا أخفيه ثم كررت أمكنك ذلك ، وأما المجهور فلا يمكنك فيه ، ولإثبات هذا المنظور طبق سيويه على التاء والطاء والدال ، فتحقق التكرير مع الإخفاء في التاء دون الطاء والدال مع ملاحظة اتفاق هذه المجموعة في المخرج ، ومن ثم كانت ملاحظة سيويه لصوت الصدر إذ يقول : وإنما فرق بين المجهور والهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر ، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوته من الصدر ويجري في الحلق . أما الهموس فتخرج أصواتها من غارجهما ، والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل إلى ذلك في المجهور (٢) ، وقد رأى د / أنيس (٣) في هذا النص - والحق معه - ما يتفق مع أحدث النظريات مستنتجا أن صوت

(١) ينظر : أصوات اللغة العربية : د / عبد الغفار هلال ١٦٢ : ١٧ .
الأصوات القوية : د / إبراهيم أنيس ٩٢ ، اللغة العربية (معناها ومبناها) : د / تمام ٦٠ / ٦٣

(٢) الأصوات القوية : د / أنيس ٨٣ نقلا عن عخطوطه دار الكتب .
شرح السمراني لكتاب سيويه .

(٣) الأصوات القوية : أنيس ٩٠ ، وينظر البحث القوي عند العرب : د / هر ١٠٤

الصدر المشار إليه هذا لعله هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة .

وقد ردّد ابن جنّي هذه الثابتة في التمييز بين النمطين أيضا إذ يقول :
وأنت تعتبر ذلك بأنه يمكنك تكرير الحرف مع جرى الصوت نحو
ككك، ههه، ولو تكلفت ذلك في المجهور لما أمكنك ،(٢) .

وقد ذهب الدكتور / تمام حسان(٣) في تفسير ظاهرة الجهر على ضوء
ما ورد في تعريف سيدييه إلى أن سيدييه لم يكن يعرف وظيفة الأوتار
الصوتية ، بل لم يكن يعرف حتى تركيب الحنجرة بدليل تسميتها
أقصى الحلق .

ولعل منشأ هذه الأحكام عند الدكتور تمام أنه ربط بين الضغط
(أو الاعتماد) والحجاب الحاجز من منطلق أن سيدييه لم يكن يعرف
مصدر هذا الاعتماد ولا طريقته ، ومن يتأمل ما ورد بين ثانيا تحليله من
إدراك سيدييه لمظهر الجهر ، وهو (الصوت) ، ومظهر الهمس ، وهو
(النفس) ، وأن الجهر نتيجة لتقوية الضغط ، كما أن الهمس نتيجة لإضعافه
يفف على بعض ما تهدف إليه هذه الدراسة من أن القدماء أدركوا
فسيولوجية الجهر والهمس ، وربطوا بين آلية النطق وإحداث هذه الصفات
وفق طبيعة مناجم .

ولعل ما ورد في المنظور السابق للدكتور / إبراهيم أنيس(٤) ،
وما حوته إشارات سيدييه في موضع التمييز بين المجهور والمهموس
ما يؤكد ذلك ، وقد ارتأى بعض علمائنا(٤) - والحق معه - د أن الحس

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩

(٢) اللغة العربية (معناها ومبناها) ٦٠ ، ٦٢

(٣) الأصوات اللغوية ٨٩ - ٩٠

(٤) أصوات اللغة العربية : د / هلال ١٦٨

المهدف لمسيبويه جملة يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر أما في حالة المهموس فتجد طريق التنفس معه مفتوحا بحيث يسمح بأنسيابه حراً طليقاً ، كما عمل بعض باحثينا (١) لخاصية رفع الصوت في المجهور وعدم استمرارها مع حبس النفس تعليلاً ينم عن وهي علمائنا القدامى بآثر آلية النطق ، إذ إن مرد ذلك بلوغ الاعتماد غايته ليجرى الصوت مع النفس

ولا شك أن هذه الإشارات لمنظور الجهر عند سيبويه تتفق مع ما يقره الدرس الصوتي الحديث في تفسير نظرية الجهر وفق آلية النطق ، أو ما أسماه « نظرية المرونة العضلية وديناميكية الهواء » (٢) ، ولا غرو في ذلك ، فقد بدا لبعض المحققين (٣) أن المقصود بالاعتماد - في تعريف سيبويه - « هو ضغط الهواء أسفل الأوتار الصوتية الذي ينجم عنه اهتزازها ، ومن ثم يخرج الحرف مصوتاً » ، والأمر - في نظري لا يتخلو من اجتهاد مشغوع ببعض الأمارات الموجية بمعرفة علمائنا القدامى بطبيعة هذه الظاهرة ، وإدراكهم لآليات إحداثها ، وهو ما يفند مزاعم كثير من الباشحين والمستشرقين (٤) .

وجدير بالذكر أننا لا نكلف القدامى ما لا يطبقون ، ويكفيهم دقة ووعيا بحقائق الأمور استشارهم لطبيعة الجهر وفق آلية معينة واستشفافهم لموضع إحداثه مما سبق الإلماح إليه في تحليلنا لفعالية الجهر والمهمس .

(١) أصوات اللغة العربية . ٥ / جبل ٧٢ - ٧٣

(٢) دراسة السمع والكلام ١٣٤

(٣) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الاداء القرآني : د / البركاوي

(١٠٠ - ١٠١) هامش رقم (١) .

(٤) التفكير الصوتي عند العرب : فليش ، بحث في المجمع ٥٨ / ٧٣ ، العربية

لنصحي : فليش ، تقديم د / عبد الصبور شاهين ١٥ ، في الفكر القوي ١٣٦

ولم تكن آلية الجهر بمفردها في ميدان الصفات دليلاً على تعلق علمائنا القدامى بمعطيات آلية النطق، وإنما تضافرت الصفات الصوتية لبيان مدى معرفة علمائنا السابقين بديناميكية الحركة للجهاز النطقى من جانب، وتعدد عناصره ومكوناته من جانب آخر، وليس أدل على ذلك من صفة الاستعلاء والاستفال، كما وضعنا فى الحديث عن أهمية آلية النطق، وكذلك صفات الإطباق، الانحراف، الشدة، القلقة، كما سيتبين لنا، إذ إن الإطباق مثلاً - كما حدّده القدامى :

« أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأهل مطبقاً له (١) هذا عن آليته وكيفية تحقيقه وقد حدد المضمون السابق عضو النطق، ودرجة ارتفاعه، وهيئة الالتواء، كما يُدبّت أهمية هذه الآلية النطقية فى الحفاظ على ماهية الحرف. وكيانه فى المحتوى العلمى لإشارة سيويه « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الصاد من الكلام، لأنه ليس شئ من موضعها غيرها (٢) .

أما المنحرف فهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام (٣) ولعل آلية النطق واضحة فى تحديد عضو النطق أيضاً وهيئته وجريان الصوت بما يؤكد أهمية الآلية النطقية فى فلسفة الصفات من زاوية ويبرز إدراك علمائنا القدامى لتقائق حركاتها وهيئاتها الفسيولوجية من زاوية أخرى، ولا غرو فى ذلك، فصفة الشدة مثلاً ما هى إلا انحباس الصوت فى المخرج، والرخاوة على النقيض من ذلك، ويوضح ذلك سيويه فى ضوء آلية التجريب قائلاً : « وذلك أنك لو قلت الحنج ثم مددت

(٢) ٤ / ٣٦

(١) مر الصناعة ١ / ٧٠

(٣) السابق ٤ / ٤٣٥

صوتك لم يجر ذلك(١) وبخصوص الرخوة ، إذا قلت الطس وانقض ،
وأشبه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت .

ومن الصفات الأدائية لليسيج القرآني القلقة(٢) وهى فى اللغة
التحريك والإضطراب ، وفى ضوء آلية النطق لا تخرج عن هذا المفهوم ،
إذ يراد بها تحريك المخرج والصوت بعد انضغاطهما وانحباسهما ، وذلك
أنك أولا تحبس الصوت فى المخرج حتى ينضغط الهواء فيه انضغاطا
شديدا ، ثم تفك المخرج فكة سريعة فينطلق الصوت محدثا نبرة قوية وهزة
فى المخرج هذه النبرة هى القلقة ، وقد وضع ابن جنى ذلك فى ضوء آلية
التحريك مخاطبا القارئ ، « لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت »
ومعلا ذلك بشدة الحفز والضغط ، ومثلا بنحو الحق واذهب(٣) .

ومن هذه الصفات الأدائية - أيضا - اللسق القرآنى صفة التفتى فى
حرف الشين لأنه تفتى فى غمره حتى اتصل بمخرج الطاء ، مما يؤدى إلى
إنتشار الريح فى الفم عند النطق به(٤) فى ضوء المعطيات الصوتية السابقة
يتجلى العيان مدى الدقة البالغة فى اكتناء علمائنا القدامى لآلية النطق وأثرها
فى تشكيل السمات المميزة للصوت اللغوى مستعينين فى ذلك بالملاحظة
الذاتية نظائرا وتجريبا ، وقد ظهر أثر ذلك بوضوح فى معالجتهم اللغوية
المتنوعة كما سيبدو على بساط البحث .

(١) السابق ٤/٤٣٤

(٢) ينظر : قواعد التجويد : عبد المولى القارىء ٥٢ ، فقه اللغة وخصائصه .

العربية : د / محمد المبارك ٤٩ - ٥٣

(٣) سر الصناعة ١ / ٧٣

(٤) النشر فى القراءات العشر ١ / ٢٠٥ ، نهاية القول المفيد ٥٨

هـ - آلية النطق في ضوء المعالجات اللغوية

لم تكن آلية النطق في الفكر الصوتي عند العرب مقصورة في تناولها على المصنفات الصوتية بل امتدت معطياتها إلى تفسير كثير من القضايا في ضوء المعالجات اللغوية المتنوعة لكثير من الجوانب البحثية في تراثنا اللغوي تفسيراً وتعليلاً ، وليس أدل على ذلك من المصادر المتنوعة التي احتضت بها ، الأدبية منها ، والبلاغية والنحوية والصرفية ، وكذلك مؤلفات علم القراءات والتجويد ، وسيعرض البحث - هنا - لنموذجين يؤكدان ، ما يصبو إليه .

(١) آلية النطق في ضوء التجاور الصوتي للبنية اللغوية :

وردت بين ثنايا المؤلفات اللغوية الإشارات الفسيولوجية المتنوعة بما يدل على إلمام القدماء بآليات الجهاز النطق في ضوء إدراكهم لآثر فعالياته على ماهية الصوت وكيانه ، وإذا رمت على ذلك دليلاً فتأمل معالجة سيبويه لقضية الإدغام ، وكيف لعبت آليات النطق دوراً في فلسفة معطياتها ، ومن ذلك : باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد (١) ومنه قوله : والفاء لا تدغم في الباء لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ، وانحدرت إلى القم ، وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء ، وإنما أصل الإدغام في حروف القم واللسان ، لأنها أكثر الحروف فلها صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين ، كما أن الثاء لا تدغم فيه ، وذلك قولك : اعرف بدرا ، والباء قد تدغم في الفاء

للتقارب، ولأنها قد ضارعت الفاء، فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم؛ وذلك قولك: اذهب في ذلك؛ فقلبت الباء فاء كما قلبت ميما في قولك: اصحططراً (١).

لقد أقام سيبويه فلسفة الإدغام على طبيعة المخارج وآليات النطق مما يبرز أهميتها من جانب وإدراك السلف لخصائصها وجدواها؛ ولا غرو في ذلك قلباً تغلو قضايا الإدغام من تعليل فيسيولوجي؛ فالراء لا تندغم في اللام ولا في النون؛ لأنها مكررة؛ وهي تنفث إذا كان معها غيرها؛ ففكرهوا أن يحذفوا بها فتدغم مع ما ليس يتنفث في الفم مثلها ولا يكرر حوقل هذا أن الظاء هي مطبقة لا تجعل مع التاء تاء خالصة؛ لأنها أفضل منها بالإطباق؛ فبهذه أجدر أن لا تندغم إذا كانت مكررة؛ وذلك قولك: أَجْبُرْ نَهْطَةً وَآخِرَةً تَقْلًا (٢).

وهكذا وردت المصطلحات الناجمة عن آلية النطق في المناقشة من نحو: التكرار، والتنثني؛ والإطباق؛ وكلها صفات هي وليدة الحركة الفسيولوجية لأعضاء النطق؛ كما كان للبعد أو القرب بين المخارج دور في المعايير الضابطة لظاهرة الإدغام؛ فالعين لا تندغم في الجيم؛ لأن الشين استطل محرجاً لرخاوتها حتى انصل بمخرج الطاء. فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها والتنثني. ففكرهوا أن يدغموها في الجيم،

ومن ذلك (٣) النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان. وهي مثلها في الشدة، وذلك قولك: مِنْ رَاشِدٍ وَمَنْ رَأَيْتَ، وتدغم

(١) السابق ٤ / ٤٤٨

(٢) السابق ٤ / ٤٤٨

(٣) الكتاب ٤ / ٤٥٢

بَتَقَّةٍ وَبِلَا تُقَّةٍ . وَتُدْغَمُ فِي اللّام لِأَنهَا قَرِيبَةٌ مِنْهَا عَلَى طَرَفِ اللِّسَانِ وَذَلِكَ قَوْلُكَ : مَنْ لَكَ ... إلخ وما يؤكد ما أوصوله من بيان أهمية آلية النطق في التراث . وإدراك علما أننا الآن نأخذ لمعطياتها في ميدان الدراسة الصوتية لإفراداً وتركيبياً منج سيويه في طرحة لظاهرة الإدغام ، إذ قدم لها بالحديث عن آلية الجهاز النطقى ممثلة في المخارج والصفات . وعقب على ذلك بقوله : وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه . وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه . وما تبدله استثقالاً كما تدغم وما تخضع وهو بوزنة المتحرك (١) مما يدل على أهمية الآلية النطقية في فلسفة التفاعلات التجاورية بين الفونيات داخل الصيغة أو التركيب اللغوى .

وما تجدر الإشارة إليه أن البلاغيين سلكوا - أيضاً - هذا المسلك حاله عرضهم لقضية الفصاحة في النطق المفرد . إذ ارتبط الأمر في منظورهم بمعايير متنوعة انبثق بعضها من معين آلية النطق ولا سيما التباعد بين مخارج الفونيات المكونة لنسيج البلية اللغوية . ومن هنا كان بسطهم لآلية النطق . للاعتناء بمعطياتها وليس أدل على ذلك من تقرير ابن سنان الحفاجى « وإنما أردنا ذكر ما لا يستغنى عنه طالب معرفة الفصاحة التى لها يقصد وإليها ينحرف ما سوى ذلك فاللمحة تقنع منه . واللمعة تغنى فيه . وفيها أوردناه من أقسام الحروف وأحكامها في هذا الفصل مقنع (٢) .

ومن الإشارات العلوية فى معالجة ابن سنان ما قرره بخصوص المهمل (٣) من اللغة وسببه « فى الأكثر من أطراح الأبنية التى يصعب النطق بها لضرب من التقارب فى الحروف ويستدل على ذلك بنماذج لها

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٦

(٢) سر الفصاحة : ابن سنان الحفاجى ٢١

(٣) السابق ٤٧ - ٤٨

ما كان ليتحقق في غية هذا المحور الفسيولوجي ، ومراعاة أطره
الخارجية والصفائية توخيا للأداء السوي والاتساق الصوتي للنسق القرآني
الكريم ومن ثم رأوا أن لتلك المعطيات قواعد لا بد من معرفتها لمريد
هذا العلم قبل الأخذ به كالكلام على مخارج الحروف وصفاتها وكيف
يلبى أن يقرأ القرآن من التحقيق والحد والترتيل والنصحیح
والتجويد (١) الخ

وعن التحقيق في قراءة القرآن ورد وصفهم متعلقا بآليات النطق إذ
إنه عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام
الحركات ، واعتماد الإظهار والتشديدات ، وتوفية الغنات ، وتفكيك
الحروف وهو يانها ، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر
والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف (٢) .

ولذا كان مفهوم التجويد في منظورهم ، الإتيان بالقراءة بمجودة الألفاظ
يرتبه من الرداءة في النطق، ومعناه انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية
في التحسين . .

كما أنه حلية التلاوة وزينة القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها
وتربيتها ومراتبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإحاطه بنظيره وتصحيح
لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته وكال هيئته ، من غير إسراف
ولا تمسف، ولا إفراط ولا تكلف (٣) .

وكل ذلك من توفية الغنات ، وبيان الحروف، وإشباع المد، ومراعاة
جل معطيات علم الاداء يتعلق بآلية النطق .

(١) النشر ١ / ١٩٨٠

(٢) السابق ١ / ٢٠٥

(٣) السابق ١ / ٢١٠ — ٢١٢

وفي الميدان العملي نلاحظ تعليلاتهم لأحكام الأداء القرآني ومعاييرهم الضابطه لسلامته واستوائه وقد انبثقت من آية النطق متعلقه بالمخارج أو الصفات ، ومن ذلك فلسفة ظاهرة الإظهار في تجاور النون الساكنة أو التنوين لحروف الحلق وتعليلها بالبعد المخرجي إذ تعتمد كل هذه الأحكام على المخارج وتحركات أعضاء النطق ، وما ينجم عنها لتحقيق سلامة الأداء .

كما أن الإخفاء أيضاً - وليد تلك الآلية إذ « إن النون والتنوين لم يقربا من هذه الحروف (التاء - الثاء - الجيم - الدال - الذال - الزاي - السين - الشين - الصاد - الضاد - الطاء - الظاء - الفاء - القاف - الكاف) كقربهما من حروف الإدغام ، فيجب إدغامها فيهن من أجل القرب ، ولم يبعد منهن كبعضهما من حروف الإظهار ، فيجب إظهارهما عندهن من أجل البعد ، فلما عدم القرب الموجب للإدغام والبعد الموجب للإظهار أخفيا عندهن ، فصارا لامدغمين ولا مظهرين (١) .

وهكذا أقيمت دعائم تلك الأحكام على هدى آلية النطق ومراعاة موقعية المخارج على خريطة الجهاز النطقى بدقة بالغة لدرجة أن ظاهرة الإخفاء - مثلاً - تتراوح على قدر قرب النون الساكنة أو التنوين من الحروف المشار إليها وبعدهما عنهن ، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنه (٢) مما يثبت دور آلية النطق في معالجات علماء القراءات والتجويد من جانب ، وأهميتها في فلسفة كثير من قضايا تراثنا اللغوى من جانب آخر -

(١) السابق ٢ / ٢٢ / ٢٧

(٢) السابق ٢ / ٢٧

٤ - تعقيب حول فقه القدامى لآلية النطق :

على هدى ماورد بين ثنايا البحث تجلّت لنا عناية الفكر الصوتي عند العرب بآلية النطق وإن لم تقع تحت هذا المصطلح أو غيره مما يجمع جزئياتها تحت جناحيه، وهذا شأن كثير من ملامح الفكر في تراثنا اللغوي بصفة عامة، إذ لا ضير - على وفق منهج السلف - من مزج القضايا النحوية بمعطيات الدرس الصرفي، وتفسير بعض إشكاليات المنحيين في ضوء نتائج الدرس الصوتي، والاستشهاد على كل ذلك بما ورد من نماذج شعرية أو ثرية بين بطون مؤلفات الأدب ومصنفات الشعر، مما يجعل ميدان المعالجة أمشاجاً متصلة من معطيات العلوم اللغوية، وتلك طبيعة عصورهم .

وآلية النطق في ساحة الفكر الصوتي بدت معالمها واضحة في أذهان السلف من رواد الفكر اللغوي، وقد عرض البحث لدلائل ذلك وأماراته في ضوء ذكرهم لفعالياتها في غير موضع من مصنفاتهم، حالة مناقشتهم قضيتي الخارج والصفات الصوتية، على هدى من ملامح المنهج الوصفي المعتمد على الملاحظة الذاتية، كما كان لبعضهم دور واضح في ابتكار المنهج العملي التجريبي في حقل هذا النمط الدراسي، مستخدماً التشريح وكذلك التجريب، في كشف أسرار ديناميكية التصويت من جانب، وعلة المرونة في آلية الأعضاء النطقية من جانب آخر .

وجدير بالذكر أنه ليس من الإنصاف أن يقلل بعض المحدثين من جهود القدامى في ميدان كآلية النطق، أو يشير إلى عدم إدراكهم لدور عضو من أعضاء التصويت وأثره في العملية الكلامية، كالوترين الصوتيين، أو القصبة الهوائية... الخ لأمور منها :-

(١) أن الحكم في مثل هذه القضايا الفكرية ينبغي أن يكون على

(١) انظر : فقه اللغة : الثاني ٧٢ - ٧٣ منشورات - بيروت .

تتائج النظرية بصفة عامة ، ويكون نتيجة لتقصي بعض الجوانب ، مثل :
هل أدرك القدامى أطر هذا الملح ووقفوا على مناحيه ؟ هل وصلوا إلى
العلاقة بين آليات النطق وتأتيجها من مخارج وصفات ؟ هل ربطوا بين
الجانب الآلى الفسيولوجى فى النطق والسمات الفيزيائية ؟ فإذا كانت
الإجابة بالإيجاب ، فلا ينبغي إلا رصد السبق والابتكار وليس
الجهود والإنكار .

٢ - من التحدى الحکم على المنظور الصوتى لآلية النطق عند العرب ،
بعيدا عن ظروف عصرهم وملابساته ، وفى ضوء تقنياته ، وعلى هدى من
أسس مناهجهم .

٣ - لا يحسن النظر إلى مجهود عالم فرد بعينه بمزلة عن نتائج الآخرين ؛
إذ يمثل فكرهم منظومة متكاملة متواصلة الحلقات ، فهم صورة فكرية
لفترة زمنية لها ملامح متشابهة وظروف متقاربة ، فما لم يهتد إليه التحليل
الملح إليه سيوبه ، وأكمل إطاره ابن جنى ، ووضحه فى ضوء التشريح
ابن سينا ، وعلق عليه إخوان الصفا - مثلا - فى رسائلهم ، ومن ثم ينبغي
أن تستقصى ملامح القضية على هدى ما ورد بصفة عامة بين دفتى التراث .

وفى ضوء ذلك يمكن القول - دون مبالغة أو إسراف فى الأحكام -
بأن روادنا القدامى قد تمكنوا من ناصية هذه النظرية التى تفسر آلية
النطق ومعطياتها فى ضوء ما طرحه البحث وما يمكن أن نستخلصه من نتائج
ونشير إليه من توصيات على النحو التالى :-

أولا النتائج :-

١ - وصف آليات النطق فى الفكر الصوتى عند العرب لم يقصد
لذاته ، وإنما بدت معاملة على هدى التفصيلات الدقيقة لنظرية المخارج
والصفات للأصوات وما شاع فى معالجتهم من مصطلحات صوتية انبثقت
من فسيولوجية النطق وآليات التصويت .

٢ - وقف الفكر الصوتي عند العرب على الترابط النطقي الفيزيائي،
بمثلا في تحليله للصفات الصوتية الناجمة عن آلية النطق، سواء أكانت صفات
حسيولوجية أم فيزيائية، كالشدّة والجهر .

٣ - أسس علماءنا القدامى أصول المنهج العلمي التجريبي في حقل
آلية النطق، مما سجل لهم فضل سبق والابتكار في هذا الجانب العلمي .

٤ - أدرك علماءنا القدامى الأهمية البالغة لآلية النطق وأثرها البالغ
في الدرس الصوتي تفسيراً وتحليلاً وتعليلاً إبان معالجتهم اللغوية المتنوعة
لدى النحويين والصرفيين والبلاغيين والبيانين والأصواتيين وعلماء
القراءات والتجويد والمعجميين .

ثانياً : التوصيات :

لعل تلك العناية البالغة لروادنا القدامى بملح آلية النطق وصفها وتشرحها
وتجربها، وما ورد عنهم من مناقشة العيوب النطقية - إلى غير ذلك مما
طرحه البحث - كان وراء تلك التوصيات، تأسياً بهذا للدّ من العناية والحرص
على سلامة النطق للوحدة الصوتية، وهنّ ثمّ هنيت التوصيات بالمحور
التعليمي على النحو التالي :-

(أ) ينبغي على المعنيين بوضع البرامج التعليمية في رياض الأطفال،
والمرحلة الأولى من التعليم الأساسي العناية بمحور آلية النطق وعرض
فعاليتها بطرق محببة لدى الناشئة على لفائف الفيديو وبثها على الشاشة
الصغيرة لتقويم آلية النطق واستواء معاييرهِ لديهم في ضوء التدريبات
والممارسات الأدائية التي يعالجها المعلم أمامهم .

(ب) يراعى في المعاهد العلمية المعنية بتخريج مدرّسي المراحل الأولى
من التعليم بسط برنامج تفصيلي لتقائق آليات النطق وديناميكية التصويت؛
للإفادة من هذه النظرية في الدور التعليمي الذي يقوم به معلّم تلك المرحلة
ذات الدور الكبير في العادات النطقية لدى البراعم الصغيرة .

(ج) ينبغي الاعتداد بمنظور آليات النطق في معاقدنا العلمية المعنية
بتخريج الإعلاميين ورواد الكلمة ، وكذلك كليات الدعوة الإسلامية بجامعة
الأزهر؛ لما لذلك من أثر إيجابي على الملتقى المصرى والعربى على السواء فى
حفظ وصيانة وتنقية النطق العربى .

« ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ،

عبد المنعم عبد الله محمد
الاستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر
فى ٢٠/١/١٩٩٥ م

جريدة المراجع

أولا المطبوعات :

- ١ - القرآن الكريم (كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من قدر حكيم خير) (سورة هود الآية ١)
- ٢ - أبلية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي : د / عبد الغفار هلال - الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٩ م
- ٣ - أسباب حدوث الجروف ، ابن سينا ، تحقيق محمد حسن الطليان ، يحيى مير علم ط ١ دمشق سنة ١٩٨٣ م .
- ٤ - أصوات اللغة : د عبد الرحمن أيوب ، ط ١ سنة ١٩٦٣ م
- ٥ - الأصوات اللغوية : د / إبراهيم أنيس ، ط ٤ ، الأنجلو المصرية.
- ٦ - أصوات اللغة العربية : د / عبد الغفار هلال ، مطبعة الجبلاني ط ٢ سنة ١٩٨٨
- ٧ - أصوات اللغة العربية (دراسة نظرية وتطبيقية) د / محمد حسن جبل (أوفست) دار أبو العنين سنة ١٩٨١ م .
- ٨ - الأصوات اللغوية في لسان العرب في ضوء دراسات علم اللغة الحديث د / ناجح مبروك ، دار التوفيقية للطباعة ، ط ١ سنة ١٩٨١ م
- ٩ - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : نايف خرما ، عالم المعرفة ، الكويت سنة ١٩٧٩ م

١٠ - أمراض الكلام : د / مصطفى فهمى ط ٤ دار مصر للطباعة
سنة ١٩٧٦ م .

١١ - البحث اللغوى عند العرب : د / أحمد مختار عمر ط ٤ عالم
الكتب ١٩٨٢ م

١٢ - البيان والتبيين : الجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون .
ط ٤ - بيروت .

١٣ - التجويد والأصوات : د / إبراهيم نجا ، مطبعة السعادة ١٩٧٢ م .

١٤ - تهذيب اللغة : أبو منصور الأزهري ، تحقيق الشيخ النجلى .
وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٤ م .

١٥ - التمهيد في علم التجويد : ابن الجزرى ، تحقيق د / هلى حسين .
البواب ط ١ سنة ١٩٨٥ م ، الرياض .

١٦ - حولى كلية دار العلوم العدد الثالث ، كتاب العين للخليل .
ابن أحمد وموقعه فى آثار الدارسين ، د / كمال بشر .

١٧ - جمهرة اللغة : ابن دريد ط حيد آباد سنة ١٣٤٦ .

١٨ - دراسات فى أصوات اللغة العربية : د / يحيى محمود الجندى ط ١
سنة ١٩٨٣ م - مطبعة الشباب الحر .

١٩ - دراسات فى التجويد والأصوات اللغوية د / عبد الحميد أبو سكين .
مطبعة الأمانة سنة ١٩٨٣ م .

٢٠ - دراسات فى فقه اللغة : د / صبحى الصالح ، ط ٩ دار العلم .
الملايين سنة ١٩٨١ م - بيروت .

٢١ - دراسات فى علم اللغة : د / كمال بشر - دار المعارف بمصر .
سنة ١٩٧٣ م

٢٢ - دراسات صوتية : د / تغريد عنبر ، المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم - القاهرة ، سنة ١٩٨٠ م

٢٣ - دراسة النسخ والكلام : د / سمع مصلوح ، عالم الكتب
سنة ١٩٨٠ م ..

٢٤ - دراسة الصوت اللغوي : د / أحمد مختار عمر ، ط ٢ سنة ١٩٨١
عالم الكتب .

٢٥ - دروس في علم أصوات العربية : جان كالتنيو ، تعريب صالح
القرمادي ، نشر الجامعة التونسية .

٢٦ - دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : د / هيد الفتاح
البركاوي ط ١ / ١٩٩١ م كويك حادة الجريسي للطباعة .

٢٧ - الدلالة الصوتية دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في
التواصل : د / كريم زكي حسام الدين ط ١ سنة ١٩٩٢ م
الأنجلو المصرية .

٢٨ - سر صناعة الإعراب : ابن جني ، تحقيق محمد الزغراف وآخرين
ط الباني ١ سنة ١٩٤٤ م .

٢٩ - سر الفصاحة : ابن سنان الحفاجي ، طبعة صبيح سنة ١٩٥٢ م
٣٠ - العربية الفصحى : هنري فليش ، تعريب وتحقيق د / عبدالصبور
ط ١ سنة ١٩٦٦ م - المطبعة الكاثوليكية .

٣١ - علم الصوتيات : د / عبدالله ربيع محمود ، د / هيدالمزب علام ،
التوثيقية ١٩٧٩

٣٢ - علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) : د / محمود السمران ،
دار المعارف ١٩٦٢ م

٣٣ - علم اللغة العام أسسه ومناهجه د : عبدالله ربيع محمود -
مؤسسة الزهور ط ١ سنة ١٩٩٤ م .

٣٤ - علم اللغة العام (الأصوات العربية) : د / كمال محمد بشر ،
مكتبة الشباب سنة ١٩٨٧ م .

- ٣٥ - العين: الخليل بن أحمد، تحقيق مهدى الخزومي ، د / إبراهيم السامرائي - ط ٢ سنة ١٤٠٩ هـ ، دار الهجرة - إيران .
- ٣٦ - فقه اللغة : الثعالبي ، منشورات مكتبة الحياة - بيروت .
- ٣٧ - فقه اللغة العربية : مجد محمد الباكير البرازي ، دار مجد لاوى - الأردن ، ط ١ سنة ١٩٨٧ م
- ٣٨ - في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية) د / غالب المططلي منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق - سنة ١٩٨٤ م - سلسلة دراسات (٦٣٤) .
- ٣٩ - في البحث الضوق عند العرب : د / خليل إبراهيم العطية (الموسوعة الصغيرة ٢٢٤) بغداد .
- ٤٠ - قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم ، تأليف د / عبد العزيز عبد الفتاح القاري - ط ٤ سنة ١٤٠٤ هـ ، مطبعة المنى المؤسسة السعودية بمصر
- ٤١ - الكتاب : سيويه ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية ط ٢ سنة ١٩٧٧ م .
- ٤٢ - لسان العرب : ابن منظور ط ١ المطبعة الأميرية يولاق - القاهرة .
- ٤٣ - اللغة : فندريس ، ترجمة : الدواخلي والقصاص ، القاهرة سنة ١٩٥٠ م
- ٤٤ - اللغة العربية (خصائصها وسماها) د / عبد الغفار هلال ط ١ سنة ١٩٧٦ م الحضارة العربية .
- ٤٥ - اللغة العربية (معناها ومبناها) : د / تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة - سنة ١٩٧٩ م .

- ٤٦ - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الهيئة العامة) الأعداد (٢٤ ، ٢٣ ، ١٥) .
- ٤٧ - المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : د / الأنطاكي ط ٣ ، دار الشروق العربي .
- ٤٨ - مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د / عبد الفتاح البركاوى ط ٢ سنة ١٩٩٤ م
- ٤٩ - المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي د / عبد المنعم عبد الله محمد ط ١ - سنة ١٩٨٨ م مطبعة الجبلاوى .
- ٥٠ - الملامح الأدائية عند الجاحظ في البيان والتبيين : د / عبد الله ربيع محمود ط ١ سنة ١٩٩٤ م
- ٥١ - الممتع في التصريف : ابن صفور الأشيلي ، تحقيق د / غفر الدين قباوة ط ٤ سنة ١٩٧٩ م دار الآفاق - بيروت .
- ٥٢ - مناهج البحث في اللغة : د / تمام حسان ، دار الثقافة ، المغرب (الدار البيضاء) سنة ١٩٧٩ م .
- ٥٣ - اللشر في القراءات العشر : ابن الجزرى (أوفست) المثنى - بنناد
- ٥٤ - نظرية الأكمال اللغوي عند العرب : د / أحمد طاهر حسنين ط ١ هجر سنة ١٩٨٧ م .
- ٥٥ - نهاية القول المفيد في علوم التجويد : الشيخ مكي محمد نصر ، ط البابي الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ .

القسم الخامس

قسم التاريخ :

قراءة تاريخية جديدة في موقف عمر بن الخطاب
رضي الله عنه من الفتوحات الإسلامية

أ. د / عبد الشافي محمد عبد اللطيف

قراءة تاريخية جديدة في موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الفتوحات الإسلامية

بقلم الدكتور
أحمد الشافعي محمد عبد الله

في شهر نوفمبر ١٩٩٣ م عقد اتحاد المؤرخين العرب ندوة في مقره بمدينة نصر عن الحضارة الإسلامية وعالم البحار ، وفي أثناء إلقاء البحوث والمناقشات تطرق الحديث إلى إنشاء الأسطول الحربي الإسلامي، ومعارضة عمر بن الخطاب في البداية بشدة لهذا الموضوع ، عندما عرض عليه وإلى الشام ، معاوية بن أبي سفيان الأمر طالبا الإذن منه في إنشاء قوة بحرية إسلامية تدافع عن سواحل المسلمين في الشام ومصر ضد هجمات الأسطول البيزنطي ، خاصة من قاعدته القريبة من شواطئ الشام في جزيرة قبرص التي قال عنها معاوية: إن الناس في حصن يسمعون نباح كلابها وصياح دجاجها (١) .

وجاء رفض الخليفة عمر بدافع حرصه على سلامة المسلمين وعدم الزج بهم في ميدان خطر كهذا قبل أن يستعدوا له تمام الاستعداد ، إذ كانت له تجربتان

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٨

سابقتان في التعامل مع البحر ، كلاهما لم تنجح ، وسنعود إلى الحديث
هنا قريبا .

ولكن الذي نريد أن نوضحه هنا - والذي كان دافعنا إلى كتابة هذا
البحث - أن أحد أساتذة التاريخ علق على موقف عمر من إنشاء أسطول
إسلامي ورفضه الحاسم ، قائلا : إن عمر بن الخطاب كان يجمل أمر البحر
ولا يعرف شيئا عنه لأنه رجل نشأ في الصحراء وكان يخاف من ركوب البحر
ولذلك استشار عمرو بن العاص في هذه المسألة ، وطلب منه أن يصف
له البحر ، فجاء وصف عمرو بن العاص للبحر مؤكدا المخاوف عمر بن الخطاب ،
فقد كتب إليه قائلا : « يا أمير المؤمنين ، إني رأيت خلقا عظيما يركبه خلق
صغير ، ليس إلا السماء والماء ، وإنما هم كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن
نجا برق (١) » .

عند ذلك صمم عمر بعد أن قرأ هذا الوصف على الرفض .

فكيف يجمل عمر بن الخطاب البحر وأحواله ، وهو الذي أمر بحفر
قناة تصل النيل بالبحر الأحمر ، لتسير فيها السفن عملة بالمية إلى أهل
الحجاز ، فقد كتب إلى عمرو بن العاص : « إن الله فتح على المسلمين مصر ، وهي
كثيرة الخير والطعام ، وقد ألقي في روعى - لما أحبيتم من الرفق بأهل الحرمين
والتوسعة عليهم - أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر فهو أسهل
لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة ، فإن حملة على الظهر يبعد ، ولا تبلغ
معه ما نريد ، فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يمتدل فيه
رأيكم . انطلق يا عمرو بعزيمة مني حتى تجد في ذلك ، ولا يأتي عليك الحول
حتى تفرغ منه ، إن شاء الله (٢) » .

هذا هو عمر بن الخطاب يأمر بحفر قناة لوصل النيل بالبحر الأحمر -

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٩

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ١٥٧ - ١٥٨ طبعة ١ دار إحياء

الكتب العربية ١٩٦٧

سميت خليج أمير المؤمنين - لتسهيل عملية النقل والتجارة بين مصر والجزيرة العربية ، فهو لا يحمل ، البحر ولكن هناك فرقا بين استخدام البحر للتجارة وبين الحروب البحرية ومخاطرها على المسلمين ، والتي كان عمر يخشاها عليهم. عندما سمعت هذا الكلام أحسست بالهشة ، بل بالانزعاج الشديد ، إذ كيف يوصف عمر بن الخطاب ، من أحد أساتذة التاريخ وبهذه البساطة - بأنه يحمل أمر البحر ، لأنه نشأ في الصحراء . أو ليست هذه الصحراء شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات : البحر الأحمر من الغرب ، والخليج من الشرق ، وبحر العرب من الجنوب ، وقد تبين لي من خلال المناقشات أنه ليس عمر ابن الخطاب الذي يحمل أمر البحر ، وإنما بعض أساتذة التاريخ مع الأسف الشديد ، هم الذين يحملون تاريخ عمر بن الخطاب وأسلوبه في إدارة الدولة الإسلامية بصفة عامة ، وإدارة دفة الفتوحات الإسلامية بصفة خاصة ، ويحملون أن قرارات عمر بن الخطاب لم تكن ارتجالية ، بل كانت مبنية على أسس موضوعية ، وبعد استشارة كبار الصحابة ، وفي هذه النقطة بالذات له مبرراته القوية ، كما فسّح فيها بعد .

فإذا كان هناك من يستحق أن يوصم بالجهل فهو من يصف عمر بن الخطاب بالجهل ، ولكي نعرف موقف عمر بن الخطاب من الفتوحات بصفة عامة ، ومن إنشاء أسطول بحري إسلامي يغزو المسلمون به في البحار بصفة خاصة ، ينبغي أن نلم ببعض النقاط :

أولا : إن حركة الفتوحات الإسلامية تمتد واحدة من الأحداث العالمية الكبرى في التاريخ البشري ، بل هي أخطر وأهظم حركة فتوحات في كل ذلك التاريخ ، وذلك لما أحدثته من تغييرات وتأثيرات عميقة ، على رقعة واسعة من الأرض امتدت على طول وعرض قارات العالم القديم : آسيا وأفريقيا وأوروبا .

وقد شملت تلك التأثيرات الأحوال الدينية والسياسية واللغوية والفكرية والثقافية والاجتماعية ، وهي لا تزال مستمرة وفي زيادة مطردة .

ومن هذه الناحية - ناحية التأثيرات العميقة والمستمرة في العالم - فإن الفتوحات الإسلامية إذا قورنت بمركات فتوحات عسكرية سابقة عليها ، كفتوحات الإسكندر الأكبر المقدوني ، التي سبقتها بحوالى ألف سنة ، أو جاءت بعدها ، كغزوات المغول التي تلتها بستة قرون تقريبا ، فإن هذه المقارنة تظهر عظمة الفتوحات الإسلامية .

أما فتوحات الإسكندر وإمبراطوريته التي شاهدها في الشرق ، فلم يكبد يمتنى من الحياة حتى تمرقت أوصل تلك الإمبراطورية وأخذت تضمحل شيئا فشيئا إلى أن أصبحت ذكرى من ذكريات التاريخ .

وأما غزوات المغول ، فإنها في حد ذاتها تقدم أكبر وأقوى البراهين على عظمة الفتوحات الإسلامية وغلورها ، لأن هذه الغزوة المغولية البربرية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل في وحشيتها وهمجيتها ، والتي دمرت معظم العالم الإسلامي في الشرق بما كان له من حضارة زاهرة ، ولم يوقف زحفها المنسرى ، ويحمى بقية العالم منها سوى الوقفة الباسلة والشجاعة التي وقفها الجيش المصري بقيادة السلطان قطز وقائده الظاهر بيبرس ، حين ألحقوا بالمغول أول هزيمة ساحقة تحمل بهم منذ ظهورهم في مطلع القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وكانت تلك الملاحمة الإسلامية الرائعة في عين جالوت في شهر رمضان المبارك عام ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م هذه الغزوة المغولية البربرية كان يمكن أن ينساها التاريخ ، أو يذكرها ككابوس طائر فظيع ألم بالإنسانية في مسيرتها الطويلة ، ومضى إلى سبيله ، كان يمكن يحدث ذلك لولا أن الله سبحانه وتعالى قد أدرك برحمته الواسعة هذه الجموع المهجية وهذاها ، فأسلم أغلب المغول ، وطوأم الإسلام تحت جناحه ، وأظلم بمحضارته ، وحوطهم من قوة غاشمة مدمرة إلى قوة خيرة ، ومن أعداء مهاجمين إلى أتباع مدافعين ومشاركين في صنع الحضارة الإسلامية ، وشادوا حضارة ارتبطت باسمهم في الهند وإيران وأفغانستان .

وهذه الظاهرة المغولية عكست نظرية ابن خلدون، أو هي ربما الاستثناء الوحيد من تلك النظرية التي ذهب إليها، وهي أن المغلوب مولم دائماً بتقليد الغالب، فالغالب وهم الماغول الذي قلد المغلوب وهو هنا المسلمين بل لم يقلده فقط وإنما اعتنق دينه وخضع لسيادته، واستظل بحضارته وأسهم في إثرائها وهذه هي عبقرية الإسلام الخالدة والباقية على الزمن.

فكل أرض وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، انتشر فيها الإسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية، وشكلت العالم الإسلامي، ولم يتراجع الإسلام عن أية منطقة، سوى الأندلس، وعندما تراجع الإسلام عن الأندلس، لأسباب ليس هنا مجال شرحها، عوض ذلك أضعاف أضعافها في مناطق أخرى في آسيا وأفريقيا، وبدون أية حروب أو معارك بل عن طريق النخلة والتجارة المسلمين.

ثانياً: إن هذه الحركة - الفتوحات الإسلامية - الكبيرة والخطيرة لم تدرس حتى الآن دراسة شاملة من الناحية العسكرية البحتة، مع أن المسلمين خاضوا معارك عسكرية كبيرة وحاسمة، ضد الدولتين العالميتين في ذلك الوقت، فارس والروم، فأجنادين واليرموك على جبهة الروم، والقادسية وناهوند على الجبهة الفارسية، كانت من المعارك الخطيرة في التاريخ العسكري العالمي. وكانت معارك حاسمة في التاريخ البشري بدون شك، فالعالم الذي كان قبل تلك المعارك لم يعد هو العالم بعدها بل تغير تغييراً جذرياً في كل شيء، بل معركة واحدة هي معركة ناهوند أزال انتصار المسلمين فيها أمبراطورية الفرس من الوجود، وقد سمي الطبري تلك المعركة فتح الفتوح، وقال عن الفرس بعدها لم تقم لها قائمة، ولم تجتمع لهم كلمة (١).

وكثير من القادة العسكريين المسلمين أمثال خالد بن الوليد، وسعد

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١١٦

ابن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، يزيد بن أبي سفيان
ومعاوية بن أبي سفيان، والنعمان بن مقرن... وغيرهم برعوا في وضع
الخطط العسكرية وفي تنفيذها براعة هائلة، وحققوا انتصارات مدوية،
وأظهروا مواهب عسكرية فذة، وكان من حقهم أن يدرسوا وتدرس
معاركهم وانتصاراتهم بأفلام كتاب عسكريين مسلمين، حتى تعرف الأجيال
الحاضرة والقادمة الجهود الكبيرة التي بذلها هؤلاء القادة العظام، لتقدر
جهادهم حتى قدره حتى تمتلأ بالآمل ولا تفقد ثقتهما في نفسها وفي أمتها،
وتؤمن بأن الأمة التي أنجبت هؤلاء القادة الأفاضل، لمى قدرة على إنجاب
أمثالهم يردون لها اعتبارها وكرامتها التي ديس في التراب الآن من
شذاذ الآفاق.

ولكن للأسف الشديد فإن تاريخ هؤلاء القادة الكبار، بل التاريخ
العسكري الإسلامي كله يعتبر حتى الآن غير معروف بالقدر اللازم والكافي
فليس هناك مؤلف واحد شامل - فيما أعلم - عن التاريخ العسكري الإسلامي
وضعه رجل حرب مسلم، وخبير عسكري متمرس، يكون قد قام بدراسة
ميدانية كاملة لميادين الحروب التي خاضها المسلمون - خاصة في فتوحاتهم
الأولى - وأصفا أشهر المعارك على الأقل، وموازنات بين خطط وتكتيك
وأداء القادة العسكريين المسلمين؛ وبين خطط أعدائهم الذين واجهوهم
ومدى مطابقتها لقواعد وأصول ومبادئ الحرب ومن انتصر؟ وهل كان
يستحق الانتصار؟ ومن هزم وهل كان يستحق أن يهزم؟ ليس هناك مؤلف
واحد شامل بهذه المثابة (١). والكتاب الوحيد اليتيم، الذي يستحق صاحبه

(١) فم توجد بعض الكتابات المحدودة في المجال العسكري ولكنها كتابات
عامة، مثل كتاب اللواء محمد جمال الدين محفوظ، القيادة بإدارة الحرب من
توجيهات الإسلام، وكتابات محمد فرج، فن إدارة المعركة في الحرب الإسلامية،
وغیرها من كتاباته، وكتابات اللواء محمود شيت خطاب، عن قادة الفتح الإسلامي =

تسمى آيات الشكر والعرفان هو ذلك الكتاب الذى ألفه الجنرال الباكستاني
ألفا إبراهيم أكرم ، عن بطل أبطال الفتوحات الإسلامية ، أو كما يسميه
هو ، سيد الحروب ، خالد بن الوليد ، وهو دراسة عسكرية بحثة عن الأعمال
الحربية التى قام بها أو شارك فيها خالد بن الوليد ، منذ غزوات أحد
والخندق .

حيث كان لا يزال مشركا - مروراً بأجاده العسكرية منذ أسلم ، بدءاً
من غزوة مؤتة ، وانسحابه الرائع والمشرف بقواته سليمة. ذلك الانسحاب
الذى سباه الرسول صلى الله عليه وسلم فتحا . ومضى خالداً سيف الله حين
نقى القواد الثلاثة الذين استشهدوا فى المعركة على التوالى ، وهم زيد بن حارثة
وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم جميعاً ، بعد أن
نعم الرسول فى المدينة ، قال : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله .

ثم دوره فى حروب الردة وقضائه عليها وفتوحاته الأولى فى العراق
واتصاراته على جيوش الفرس ثم دوره القذ ضد الروم فى معارك الشام ،
خاصة معركة اليرموك وطرده منها إلى الأبد ولقد زار الحبير العسكرى
المسلم جميع المواقع التى حارب فيها خالد بن الوليد على الطبيعة (٢) ، وكلفه ذلك
جهوداً ومتاعب كبيرة ، حيث تعلم اللغة العربية ، حتى يستطيع قراءة

فى الشرق والمغرب ، كما توجد مؤلفات أخرى عن الفتوحات مثل فتح العرب
للمصر ، للتأليف الإنجليزى ، للفرد ينتر ، وفتح العرب لآسيا الوسطى لها ملتون
جيب ، وفتح العرب للمغرب ، للدكتور حسين مؤنس ، وهذه المؤلفات على
أصحتها تناولت الفتوحات تناول سياسياً أكثر منه عسكرياً . وتبقى الحاجة ماسة
لزيد من المؤلفات ذات الطابع العسكرى والتى يجب أن يقوم بها عسكريون
مسلحون بخبراء فى الإستراتيجية وتخطيط المعارك .

(١) الشكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢ ص ٢٣٨

(٢) باستثناء المواقع التى تقع فى فلسطين المحتلة .

المصادر العربية، وزار ست دول هرية هي : سوريا ولبنان والأردن والمراق والكويت والمملكة العربية السعودية ١٩٦٨ - ٩١٦٩ م .

ومشى على كل الأرض التي حارب عليها سيف الله خالد بن الوليد ، ورسم ٢٩ خريطة عسكرية للواقع ، ودرس بشكل تفصيلي حركة الجيوش المتحاربة في ميادين القتال الحقيقية ، ولقد أزال تلك الدراسة العلمية القيمة كثيرا من الغموض الذي كان يكتنف الفتوحات الإسلامية ، من حيث ترتيب المعارك ترتيبا تاريخيا ، وحدد خط سير رحلة خالد بن الوليد الخطرة من العراق إلى الشام يختلف عما ذهب إليه كثير من المؤرخين المسلمين ، وهو الطريق الذي بدأ من الحيرة و انتهى بسوري مارا بقرقر واستبعد أن يكون خالد قد مر بدومة الجندل في هذه الرحلة لأسباب فنية - أنظر الخريطة رقم ١٥ ص ٢٤٠ من الكتاب المذكور (١) .

والرجل في الحقيقة لم يدع أنه حسم تلك المسألة نهائيا ، وإنما قال إن هذا هو أقرب الحلول إلى المنطق وسير الحوادث .

أما المسألة التي حسمها فهي الموقع الذي دارت فيه معركة اليرموك ، فقد قال : إن ميدانها هو السهل الواقع شرق نهر اليرموك وذلك لاعتبارات عسكرية .

والخلاصة أن هذا الكتاب هو أفضل كتاب تحدث عن الفتوحات الإسلامية التي تمت على يد سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهو طبعا لم يتناول كل الفتوحات ، ويبقى المجال مفتوحا لمزيد من الدراسات العسكرية الجادة عن بقية قادة الفتوحات الإسلامية ، وأجادهم العسكرية ،

(١) طبع الكتاب وضوانه ، خالد بن الوليد سنة ١٩٦٩ م وترجمة إلى العربية إسماعيل كشميري سنة ١٩٧٤ م وهو من مطبوعات المجلس الأعلى للفتن الإسلامية بالقاهرة .

مثل قتيبة بن مسلم ، وفوحاته في بلاد ما وراء النهر - والتي تسمى الآن آسيا الوسطى الإسلامية - ومحمد بن القاسم الثقفي وفتوحاته في إقليم السند ، وعقبة ابن نافع وموسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهم من قادة الفتوحات الإسلامية في المغرب الأندلس .

ثالثا : إن الدارس للفتوحات الإسلامية في مصادرها الأصلية ، وهي كتب الفتوح ، مثل فتوح الشام للواقدي ، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ . وفتوح الشام لمحمد بن عبد الله الأزدي ، المتوفى سنة ٢٣١ هـ . وفتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٤٧ هـ وفتوح البلدان للبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وكتاب الفتوح لابن أعمى الكوفي سنة ٣٢٠ هـ وغيرها من كتب التاريخ العام ، مثل تاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، والكامل لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، والبداية والنهاية لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ الدارس للفتوحات في هذه المؤلفات يخرج بانطباع هام ، وهو أن المسلمين عندما اضطروا للصدام مع الفرس والروم في وقت واحد ، في حروب طاحنة منذ مطلع خلافة أبي بكر الصديق ، رضئ الله عنه ، لم تكن لديهم نية مبيتة للاشتباك العسكري مع هذه الدول الكبيرة ، ذات الجيوش الجارفة ، وإنما أجبرتهم تلك الدول على خوض المعارك ضدها إجبارا ، بمحاولتها خنقهم والقضاء عليهم في داخل الجزيرة العربية نفسها وأبدى الفرس والروم في حروب الردة ، وتآليب العرب على دولة الخلافة لم تكن خافية ، ومثال واحد يكفي للدلالة على ذلك ، وهو حالة سجاح بنت الحارث البربوعية التيممية ، التي ادعت النبوة ، وخرجت من العراق تقود جيشا القتال المسلمين ، بلغ عدده أربعين ألف رجل ، فكيف يعقل أن تستطيع سجاح فعل هذا وتخرج من بلد كان تحت السيطرة الفارسية دون أن يكون الفرس أنفسهم من وراء ذلك تأييدا وتشجيعا وتحريضا .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الفرس والروم جميعا حاولوا القضاء على العرب بالعرب كما كانت تلك عادتهم من قبل ، فلما لم تنجح تلك المحاولة ، دخلوا الميدان بشكل سافر ، فكان لا بد من الصدام ، ولم يكن في وسع المسلمين أن يسكتوا ويقفوا مكتوفي الأيدي ، حتى يدهمهم الفرس والروم ويأخذوهم على غيرهم .

ولقد بدأت الصدامات الأولى مع الفرس في العراق ، عندما كان أحد القادة المسلمين وهو المتي بن حارثة الشيباني يطارد المرتين ، فهذه المنطقة هي التي جاءت منها سجاح بنت الحارث ، وحينما كان المتي يحارب المرتين تكالبت عليه الجيوش الفارسية ، الأمر الذي جعله يستنجد بالخليفة أبي بكر الصديق ، الذي أدرك خطورة الموقف ، وعواقب تدخل الفرس في الممارك ، فأرسل إلى العراق أعظم قادته العسكريين سيف الله خالد بن الوليد ، الذي استطاع بمهارته العسكرية أن يفتح نصف العراق الجنوبي في بضعة شهور . أما الصدام مع الروم فقد بدأ عندما استدرجوا خالد بن سميد بن العاص الذي كان قد أمره أبو بكر على أحد الجيوش أثناء حروب الردة ، وأمره أن يعسكر في منطقة تيماء ، شمال الحجاز ، على طريق الشام . وقال له لا تقاتل إلا إذا قوتلت ، ولكن الروم استدرجوه ، وغرروا به واشتبكوا معه ، وتظاهروا بالتقهقر أمامه داخل الشام ، ثم انقضوا عليه وأوقعوا بجيشه هزيمة منكرة ، مما أغضب الخليفة عليه أشد الغضب . ولم تكن هذه أول مرة يعتدى فيها الروم على المسلمين ، فقد سبق أن اعتدوا على المسلمين في غزوة مؤتة وكادوا يهزمونهم لولا مهارة خالد ابن الوليد الذي استطاع أن ينسحب أنسحاباً مشرفاً بقواته ، وهذه الاشتباكات الأولى مع الفرس والروم وإن خاضها المسلمون مضطرين وبدون تخطيط مسبق ، إلا أنها كانت ذات فائدة كبيرة ، فقد أظهرت الثوابا العدوانية لكل من الفرس والروم ضد المسلمين وجعلت الخليفة يعد

ويستعد في الوقت المناسب ، ولذلك يقول الطبري أنه رغم غضب أبي بكر من خالد بن سعيد ، إلا أنه احتاج للشام وعناه أمره (١) .

وجيز للشام أربعة جيوش في وقت واحد ، جيش تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح ، ووجهته حمص في شمال الشام ، والثاني تحت قيادة يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق ، في وسط الشام ، والثالث تحت قيادة شرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن ، والرابع تحت قيادة عمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، وهكذا بدأت الحروب تدور مع الفرس والروم في وقت واحد وكانوا هم البادئين بالعدوان .

رابعاً : إن خزيمة الفتوحات الإسلامية في سرعتها ونجاحها الباهر وتائجها العظيمة قد حيرت المؤرخين ، خاصة المستشرقين فذهبوا في تفسيرها وتحليل دوافعها مذاهب شتى وارجعوا مجمل أسبابها إلى الجوع والقمط الذي دفع العرب إلى الخروج من شبه الجزيرة العربية وغزو البلاد التي غزوها ، أي أن السبب الرئيسي لتلك الفتوحات كان اقتصادياً من وجهه نظرهم .

وليس هناك قول أبعد عن الحقيقة من هذا القول ، لا لأننا نستبعد تماماً الأمل الاقتصادي ، ولكن لأن الحقيقة أن هذا العامل كان عاملاً ثانوياً ، ومعظم الجنود والقادة الذين صنعوا تلك الأجاد ، لم يكونوا يفكرون في بطونهم ، كما يدعى بعض المستشرقين ، ومن لف لفهم من كتاب العرب ، وإنما كانوا يدافعون عن عقيدتهم وعن حرية نشرها ، أي أنهم كانوا يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا ، وإذا جاءت الغنائم بعد ذلك فرحاً بها وسهلاً ، والمؤرخون المسلمون أنفسهم لم ينكروا أن بعض الجنود كانت تحركهم دوافع اقتصادية فقد قال البلاذري لما استنفر

(١) تاريخ الطبري ٢٠٠ من ص ٢٨٩

أبو بكر العرب ودهام للاشتراك في الدفاع عن العقيدة ضد المعتدين الفرس والروم . قال : « فتسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع » (١) والعبارة أوضح من أن تحتاج إلى تفسير .

والخليفة العظيم رحب بالجميع ، المحتسب ، وهو الذي جاء مجاهداً في سبيل الله ، والطامع الذي جاء يبغي الغنيمة ، ولم يحظى على الطامعين الاشتراك في المعارك بل أكثر من هذا فإن الخلفاء كانوا يتجاوبون مع هذه التطلعات من البعض إلى الأحوال الدنيوية ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مع قبيلة بجيلة ، عند ما اتدبهم إلى الاشتراك في معركة القادسية في العراق ، وهم كانوا يودون الذهاب إلى الشام ، ولكن عمر قال لهم بل العراق لأن الشام في كفاية ، ولما وجد منهم تباعزاً وعدم مجافز مادي إضافي فوق نصيهم الشرعي من الغنائم .

كما يقول البلاذري ، « وكانت بجيلة ربيع الناس يوم القادسية » (٢) وكثير من القادة كانوا يحفزون جنودهم في المواقع ويحرضونهم على القتال بالحافز المادي ، فقد قال خالد بن الوليد لجنوده في العراق : « ألا ترون إلى الطعام كرمغ التراب ، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله . والدعاء إلى الله عز وجل . ولم يكن إلا المعاش . لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف ، وتكون أولى به ونولي الجوع والإقلال من تولاه ، بمن أثاقلهما أتم عليه » (٣) . بل أكثر من هذا كله ، يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال في غزوة حنين ، وكان الموقف فيها صعباً وعصياً : « من قتل قتيلاً فله - له - » (٤) . لتحريض المسلمين على القتال بحافز مادي .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٥٨

(٢) فتوح البلدان ص ٢٢٨ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٥٤

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص ٢٩ ، وانظر

للسكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢٦٥

فالحافز المادى إذن لم يكن مستبعداً ، لكنه لم يكن الهدف الأول من الفتوحات ، ولو كان الجوع هو السبب الأول الذى دفع العرب إلى هذه الفتوحات ، لكان يكفيهم منطقة صغيرة من الشام ، أو العراق ، لأن عدد الذين قاموا بالفتوحات كان بضع عشرات من الألوف ، ولم يكونوا فى حاجة إلى فتح كل تلك البلاد لإشباع بطونهم كما يزعم أعداء الإسلام .

موقف عمر بن الخطاب من الفتوحات

بعد توضيح هذه الملاحظات ، أو النقاط التي كانت ضرورية لبيان موقف الخليفة عمر بن الخطاب من الفتوحات ، والذي دعانا إلى إعادة قراءته ، وتقديمه للناس ، ما أشرنا إليه في البداية وهو اتهامه من بعض أساتذة التاريخ بالجهل بأمر البحر ، والتردد في قرار الفتح .

كان عمر بن الخطاب أقرب الصحابة - رضى الله عنهم جميعا - إلى أبي بكر وأبرز المشاركين في القرار السياسى ، وعلى علم تام بكل شيء من أمور الدولة وبأدق التفاصيل ، وكان متفقا تماما مع أبي بكر في ضرورة حرب الروم حربا وقائية ، أو القيام بالمحجوم الذى هو أفضل وسائل الدفاع كما يقول العسكريون في كل زمان ومكان ، بل فكر فيها ربما قبل أن يفكر فيها الخليفة أبو بكر نفسه ، أو في الوقت نفسه ، فقد قال لآبى بكر عندما دعاه للاشتراك في الاجتماع الذى قرر فيه غزو الشام ، و الله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) .

قد والله أردت لقاءك لهذا رأى الذى ذكرت ، فاقضى الله أن يكون ، حتى ذكرته الآن ، فقد أصبت أصاب الله بك سبل الرشاد (١) ولما آلت إليه الأمور بعد وفاة الصديق ، كانت رضى الحرب دائرة ، والجيوش الإسلامية مشتبكة في معارك كبيرة على الجبهتين الفارسية والرومية ، فواجه الموقف بكل وعى وعزم وتصميم ورجولة فائقة قل نظيرها في التاريخ .

(١) انظر فتوح الشام ، لمحمد بن عبد الله الأزدى ص ٢

ومضى بالفتوحات إلى نهاية محددة أو فلنقل إلى حدود جغرافية يمكنه الدفاع عنها في الشام واصلت الجيوش الإسلامية فتوحاتها إلى حدوده الشمالية حتى سلسلة جبال طوروس التي تفصله عن آسيا الصغرى ، وغربا حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وشرقا حتى حدوده مع العراق حيث التفت بقوات الفتح الإسلامي هناك ، والحد الجنوبي للشام هو الجزيرة العربية ، كما هو معروف .

وتم فتح مصر ، بل تجاوزتها جيوش الفتح إلى طرابلس الغرب ، وهنا كانت وقفة عمر الحاسمة بضرورة التوقف ، والاكتفاء بفتح مصر (١) ، التي كان فتحها ضرورة عسكرية لتأمين الفتوحات الإسلامية في الشام ، ولم يكن يمكننا ولا مقبولا ، لأن الخليفة عمر نفسه ، ولا من قائد فتح مصر عمرو بن العاص ، لتجاهل أهمية مصر العسكرية والوقف دونها ؛ ولو حدث ذلك لا تتقدمها العسكريون ويخطئهما .

وفي العراق استقر الفتح العظيم سعد بن أبي وقاص في المدائن عاصمة الآكاسرة من آل ساسان ، بعد انتصاره الراجع عليهم في موقعة القادسية العظيمة ، وهنا تصور عمر رضى الله عنه أن الخطر قد زال عن العولة الإسلامية ، باندحار جيوش الفرس والروم ، ومن ثم فليس هناك داع للاستمرار في المعارك ، فهذه البلاد التي فتحت بتلك السرعة ، وإن اتبعت من الفرس والروم ، فهي ليست بلادهم ، فهي أرض عربية ، ومعظم سكانها عرب ، والفرس غرباء على العراق ومحتلون له .

والروم غرباء على الشام ، ومحتلون له أيضا ؛ ومشاعر السكان لم تكن ودية في العراق للفرس ؛ ولا في الشام للروم لأسباب كثيرة .

وفي ضوء ذلك يمكن أن نفسر ونفهم مقولة الابرطور هرقل اليائسة

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ١٧٢ - ١٧٣

وهو يغادر أنطاكية بعد إنكسار جيوشه وهزيمتها الساحقة ؛ خاصة في معركة اليرموك الخالفة فقد قال والالام يعتمر قلبه على جهوده الضائعة التي بذلها في استرداد هذه البلاد من الفرس قبل سنوات قليلة ؛ قال الامبراطور : « عليك يا سوريا السلام ؛ ونعم البلد هذا للمدو (١) هذه رواية البلاذري لقولة هرقل :

أما بتلر فقد ذكرها بصيغة أخرى في كتابه فتح العرب لمصر ؛ نقلا عن المصادر البيزنطية ؛ ولكنها تؤدي ذات المعنى ؛ يقول بتلر :

« وعرف الامبراطور أن بقاءه بالشام قد أصبح لاغناء فيه فرحل عنها - أنطاكية - إلى القسطنطينية في البحر ؛ في شهر سبتمبر سنة ٦٣٦ م ؛ وقال إذ هو راحل : « وداعا يا بلاد الشام ؛ وداعا ما أطول أمده » (٢) ويقول بتلر معلقا على مقولة هرقل ؛ « وكأنتا بها تحمل ما كان يدور في نفسه ؛ من أن يحده الغار ؛ ونصره الباهر ؛ قد اتنيا بعد الخذلان والعار ؛ وأنه إذ يقولها ليودع عزه وبطولته » (٣) فذاذا قال هرقل هذه المقولة البائسة ؛ التي تعبر عن فقدان الأمل نهائيا في استرداد بلاد الشام من أيدي المسلمين ؛ مع أن هذه البلاد ذاتها كان الفرس قد استولوا عليها ؛ ثم استردها منهم هو نفسه منذ سنوات قليلة ٦٢٢ - ٦٢٨ م

ليس هناك من تفسير معقول ومقبول لذلك ؛ سوى أن العاهل البيزنطي الكبير قد أدرك أن صلة القرابة بين العرب القاطنين في الشام من قبل ، والعرب الفاتحين القادمين من الجزيرة العربية ستعمل عليها في استقرار الفتح الإسلامي في الشام ، خاصة بعد أن يعرف عرب الشام

(١) فتوح البلدان - ص ١٤٢

(٢) بتلر - فتح العرب لمصر - ص ١٧٢

(٣) نفسه - ص ١٧٢

ما يحمله لهم الإسلام من عزة وكرامة وبعد أن تبينوا أن حركة الفتوحات الإسلامية قد حررتهم من السيطرة البيزنطية التي كانوا ينفذونها لأسباب كثيرة دنيئة وغير دنيئة ، ومن ثم سيكون صعباً على الروم استرداد تلك البلاد .

وربما يكون هذا هو ما فهمه الخليفة عمر بن الخطاب نفسه ، ورتب خططه المستقبلية على أساسه ، فالمسلمون إذا عملوا على نشر الإسلام بين إخوانهم عرب الشام ، ووضحوا لهم ما يحمله لهم من قيم العدل والحرية والمساواة فهذا يمكن أن تسهم قرابة الدم في استقرار الفتوح والحكم الإسلامي ، وهذا لن يحتاج المسلمون إلى فتوحات أو توسعات جديدة ؛ لأن الإسلام ليس في حاجة إلى قوة عسكرية لينتشر ، ولكنه دين ينتشر بقوة مبادئه وسماحته ، فالقوة لا تستطيع أن تفرض الدين أبداً على القلوب والله تعالى يقول : « لا إكراه في الدين » ، ولو كان استخدام القوة للنشر الإسلام وارداً لكان في إمكان المسلمين وقد انتصروا في كل الممالك انتصارات حاسمة أن يحمّلوا كل الشعوب المفتوحة مسؤولية ولكن هذا لم يحدث ، وإنما كل الذين أسلبوا في تلك البلاد أسلبوا طوعية ، ودون إجبار أو إكراه ، وتحدى أى مؤرخ أن يدلنا على حادثة واحدة أجبر فيها المسلمون أحداً على اعتناق الإسلام بالقوة .

ويعرف الناس جميعاً أن الإسلام قد انتشر في بلاد بعيدة جداً عن موطنه الأصلي مثل جنوب شرق آسيا ، لا عن طريق القوة ، فلم يذهب جندي واحد إلى بلد مثل أندونيسيا لينشر الإسلام فيها ، بل انتشر الإسلام هناك عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يذهبون بتجاريتهم ويتعاملون بالصدق والأمانة ، ثم يؤدون فروض دينهم من صلاة وصيام ، وكان الناس يسألونهم عما يفعلون ، فيشرحون لهم حقائق ومبادئ وشرايع الإسلام فأقبل الناس على اعتناقه طوعية وتحولت أندونيسيا بكاملها إلى الإسلام ؛

وعدد شعبها الآن يقترب من عدد الأمة العربية مجتمعة ؛ وقل ذلك عن بقية البلاد في جنوب شرق آسيا ، وفي أفريقيا شرقاً وغرباً ، ونحن هنا نزيد مثلاً لا استقصاء وحسراً لعل الذين يدعون أن الإسلام انتشر بالسيف يكفون عن ترديد تلك القرية .

نعود إلى سياق الحديث السابق - بعد هذا الاستطراد الذي كان ضرورياً - فنلتفت النظر إلى أن صلة القرابة بين عرب الجزيرة العربية الفاتحين ، والعرب الفاطنين في كل من العراق والشام ، لم تحدث تأثيرها في استقرار الفتوحات الإسلامية إلا بعد انتهاء المعارك ، أما أثناء احتدامها فكأنوا كلهم - تقريباً - مع الأعداء ، فمن الواضح أن البيزنطيين لم يكونوا يقاتلون المسلمين بالجيش البيزنطي وحده ، بل كان عدد كبير من العرب يقاتل معهم ، فقد قاتلوا معهم في معارك وادي عربة ، وفي أجنادين ، ودمشق ، بل يقول ادوارد جيبون أن جيش الروم في اليرموك كان يتكون من مائة وأربعين ألفاً ، كان منهم ستون ألفاً من العرب ، بقيادة جيلة بن الأبهيم (١) .

بل كانت تعليمات هرقل لجيلة أن يكون هو وقومه في المقدمة لمواجهة الجيوش الإسلامية ، فقد قال له : كونوا في المقدمة فإن هلاك كل شيء بحمسه ولا يقطع الحديد إلا الحديد (٢) .

إذن كان عرب العراق هوناً للفرس ، وعرب الشام عوناً للروم ضد المسلمين ، بل يمكننا القول إن عداء عرب الشام للإسلام والمسلمين منذ البداية كان من الأسباب المباشرة للصدام بين المسلمين والبيزنطيين .

ولذلك فليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الكتاب ، مثل فيليب حتى من

(١) نقل عن كتاب خالد بن الوليد لأغا إبراهيم أكرم ص ٤٣٣

(٢) فتوح الشام للوافدي ج ١ ص ١٥٢

أن عرب الشام كانوا هوناً للعرب الفاتحين ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث قال : إن الفتح الإسلامي كان حركة قومية ، وأن الفوز فيه كان للقومية العربية لا للدين الإسلامي (١) ، أرايت شططا في القول أبعد من هذا ؟ فهل كان المسلمون الفاتحين يفكرون في القومية العربية آنذاك ؟ سبحانه ربى هذا بهتان عظيم وكل هذه الأقوال هدفها تقليل الجهد الذى بذله المسلمون في الفتوحات الإسلامية ، على كل حال ما يهنا من شرح أوضاع العرب في الشام والعراق وموقفهم من الإسلام قبل وأثناء وبعد الفتوحات ، هو أن نفهم موقف الخليفة عمر بن الخطاب من تلك الفتوحات الذى هو هدفنا من هذا البحث ، لأن هذا الموقف في حد ذاته من أقوى الأدلة على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف ، وأن الحرب لم تكن هدفا من أهداف الإسلام والمسلمين ، وإنما كان وسيلة ضرورية لإزالة العوائق والسدود التى أقامها الفرس والروم ضد الإسلام ، فلوزالت تلك العوائق لم يعد هناك مبرر للحرب أبدا ، وهذا هو ما تصوره عمر بن الخطاب عندما أصدر أوامره الحاسمة للقادة المسلمين بعدم مواصلة الحروب ، فقد قال لسعد بن أبي وقاص بعد انتصاره العظيم في معركة القادسية ، واستقراره في المدائن عاصمة الفرس .

قال له : عند ما طلب الإذن بالاستمرار في الفتوحات : لا وددت لو أن بيننا وبين الفرس جبلا من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم ، حسبنا من الأرض السواد - أى أرض العراق - لى آثرت سلامة المسلمين على الأثقال (٢) هذا موقف الخليفة في وضوح وحسم ، رجل يعرف ما يريد ويقدر مسؤوليته عن سلامة المسلمين ، التى هى عنده أفضل من الغنائم .

(١) فيليب حقي - تاريخ العرب ص ١٩٧ نقلا عن حركة الفتوحات الإسلامية
للدكتور شكرى فيصل ص ٤٥

(٢) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٨

وفي هذا السياق كان رفضه الحاسم أيضاً أن يستمر حمرو بن العاص في الفتوحات في الشمال الأفريقي ، وكان قد صل إلى طرابلس الغرب - كما أشرنا آنفاً - وأمره بالعودة إلى مصر .

ثم كان رفضه الأشد حسماً لطلب معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام بالبدى . في إنشاء أسطول لحماية شواطئ المسلمين في الشام ومصر من هجمات الأسطول البيزنطي ، لأن الخليفة لم يكن يرى ضرورة لذلك في ذلك الوقت ، ولم يقبل كل المبررات التي ساقها معاوية بشأن جزيرة قبرص وما كانت تمثل من تهديد خطير للمسلمين في الشام ، وقال قوله الخالدة رداً على مبررات معاوية : « والله لمسلم واحد أحب إلى مما حوت الروم » (١) هذا هو الخليفة العظيم الذي يحرص على سلامة الرجال ، ويخاف عليهم من الخطر فوقه إذن موقف رجل يعلم ويدرك تماماً خطورة هذه الأمور ، ويرى من واجبه الحفاظ على سلامة الرجال ، وليس جهلاً منه بأمر البحر ، فهو قد مر بتجربتين بشأن الغزو في البحر ، وكلتاها انتهت بكارثة بالنسبة للمسلمين ، واصل ذلك كان له أثر في موقفه من نزول المسلمين إلى البحر ، فقد كان يرى أن الوقت لازال مبكراً ، والاستعدادات لم تكن كافية ، وكان يريد أن يترك ذلك للمستقبل حيث يستعد المسلمون للنزول إلى هذا الميدان الخطير استعداداً جيداً .

أما التجربتان اللتان مر بهما المسلمون بشأن الغزو في البحر فقد كانت الأولى هي غزوة العلاء بن الحضرمي لقارص من جزيرة البحرين ، بدون علم الخليفة ، وكان ذلك سنة ١٧ هـ (٢) ، فقد أراد العلاء بهذه المبادرة ، ولا نريد أن نقول المغامرة « أن يسطل نصراً ، مثل انتصارات سعد بن أبي وقاص ، فإذا كان سعد قد فتح المدائن عاصمة آل ساسان ، فلماذا لا يفتح هو مدينة اصطخر ، وهي ليست أقل من المدائن في الأهمية .

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٩

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٥٣٨ - ٥٣٩

وعلى كل حال هذه منافسة شريفة بين الرجال ولا بأس بها ، غير أن الخطورة فيما قام به العلاء أنه قام به دون علم أو إذن الخليفة ، خاصة وأنه عرض المسلمين لكارثة ، فقد مكر بهم الفرس وأحاطوا بهم بعد أن تركوهم يزلون على شواطئهم ، وكادوا يفنونهم عن آخرهم . لولا أن عمر بن الخطاب تدارك الأمر بسرعة وأقدم بنجدة سريعة من جند المسلمين الذين كانوا يرابطون في جنوب العراق ، بقيادة عتبة بن غزوان .

وكان جزاء العلاء بن الحضرمي على تلك المخالفة العزل من ولاية البحرين ، وتكليفه بأثقل الأمور إليه - حسب تعبير ابن الأثير - وهو أن يعمل تحت قيادة سعد بن أبي وقاص (١) .

التجربة الثانية حدثت سنة ٥٢٠ هـ ، حيث كانت قوة من جيش الحبشة قد غزت سواحل اليمن من البحر ، فأرسل عمر بن الخطاب حملة بحرية لتأديب الحبشة بقيادة هلقمة بن مجز المدلحي غير أن تلك الحملة هزمت وتحطمت مراكبهم ، وأضيفت تجربة أخرى فاشلة إلى تجربة العلاء ؛ لذلك آلى عمر بن الخطاب على نفسه ألا يحمل أحداً في البحر أبداً (٢) .

ويبدو أن الحبشة - رغم العلاقات الطيبة التي كانت تربطها بالمسلمين منذ أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أصبحت لأسباب لا نعرفها - مصدر قلق للمسلمين ؛ لدرجة أن الخلفاء الراشدين كانوا يحسبون حسابها في خططهم الحربية يروى البلاذري أنه عندما قرر عمر بن الخطاب أن يخوض معركة نهاوند ضد الفرس ، الذين نقضوا كل عهودهم ومواثيقهم مع المسلمين ، وأجبروا الخليفة على تغيير موقفه السابق بشأن عدم الاستمرار في الفتوحات ، وبعد أن استشار المسلمين في ذلك خاصة وأن التقارير أخذت تتوالى عليه من العراق بأن الفرس قد تجمعوا حول الامبراطور

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١١٢

(١) الطبري ج ٤ ص ٨١

زرد جرد الثالث ، وأنهم جمعوا جموعهم في نهاوند استعداد للانقضاض على المسلمين في العراق .

هكذا أدرك عمر أن الانتظار قد يكون ضارا جدا بالمسلمين ، وأن الجود عند الموقف السابق قد يكون كارثة فقرر أن يكون زمام المبادرة ، فيه ، ولم يتردد لحظة واحدة في مواجهة الفرس ، وجهر لذلك جيشا كبيرا .

لأن جولة جديدة من القتال ضد الفرس أصبحت ضرورة عسكرية حتى يعودوا إلى صوابهم ، فأخذ يستشير الصحابة فيما ينبغي عمله لمواجهة هذا الموقف الخطير ، فأشاروا عليه بأن يفرى أهل الشام من شامهم وأهل اليمن من بينهم يعني بحرك قوات من الشام وأخرى من اليمن للاشتراك في معركة تهاوند ، لكن الخليفة الحبيب الحذر قال : أخاف أن أخليت الشام من الجنود أن تعود الروم إليها ، وإن أخليت اليمن من الجنود أخاف أن تغلب الحبشة على ما يليها منها (١) .

ولذلك حرك قوات من الكوفة والبصرة ، وترك قوات الشام واليمن مرابطة حيث هي لحماية البلاد والعباد فهذه هي عظمة القيادة المستولة ، المهم أن الحبشة أصبحت هامل ضغط خارجي ضد المسلمين ، وكلما واقتهم الفرصة كانوا يغيرون على شواطئ اليمن والحجاز ، فقد حدث ذلك منهم في عهد عمر ، وعهد عثمان بن عفان . الذي اضطر أن يشحن السواحل بالرجال والسلاح لصد هجمات الأجاش (٢) .

كانت هناك أذن إخطار خارجية تهدد الدولة الإسلامية ، خاصة من جانب يزنطة وكان على الخليفة العظيم أن يحسب لهذه الأخطار حسابها ، ولذلك كانت وقفته الحاسمة من استمرار الفتوحات برأ وبحراً .

(١) انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٠٠

(٢) ابن أعم السكوني ، كتاب الفتوح ج ٢ ص ١١٦ ، ١١٧

والنظر إلى البلاد المفتوحة ومشاكلها وإدارتها إدارة سليمة ، ونشر الإسلام والتمكين له في البلاد عن طريق المعاملة الحسنة والإدارة الحسنة والقوة الحسنة ، فهذه هي مهمة المسلمين الأساسية ، وهذا ما كان عمر ابن الخطاب يهدف إلى تحقيقه من عدم استمرار الفتوحات ، وكان يعرف يقيناً أنه بعد أن ينتج المسلمون في تثبيت أقدامهم في البلاد المفتوحة. ويضربون الناس المثل العملي على سمو الإسلام ومبادئه وعمله وما يحمل لهم من عزة وكرامة وحرية ، فإن الناس هندئذ سوف يقبلون على الإسلام من تلقاء أنفسهم ، فمن ذا الذي يرفض العدل والحرية والمساواة والعزة والكرامة ؟

فعمرو بن الخطاب عندما عارض قادته في الاستمرار في الفتوحات كان يتصرف كرجل دولة مسئول ، يعرف تماماً ماذا يريد وماذا يقدر عليه ، ولم يكن مرتجلاً لسياسته ولا متردداً - حاشا لله - كما تظهره بعض الروايات المتأخرة ، مثل رواية استشارته لعمر بن العاص عن البحر ، والسؤال عن أحواله ومثل تردده في فتح مصر من البداية ، والفصحة الضعيفة التي تقول : أنه أرسل لعمر بن العاص رسالة ، وقال له فيها إذا وصلت كتابي هذا قبل أن تدخل أرض مصر فارجع ولا تدخلها وإن وصلت وقد دخلت فلا ترجع . وأن عمرو وصله الكتاب قبل أن يصل إلى حدود مصر . ولكنه لرغبته القوية في فتح مصر لم يفتح الكتاب إلا بعد أن تجاوز العريش ودخل في أرض مصر . وأشهد على ذلك ثلثا يعاقبه الخليفة على مخالفة أوامره .

هذه الرواية وأمثالها تدخل في باب الحكايات . لأن فتح مصر ليس أمراً سهلاً حتى يؤخذ بهذه البساطة . بل عمل كبير وكان ضرورة عسكرية تثمين الفتوحات في الشام . وترك مصر في أيدي الروم وقد انسحب إليها بقايا الجيش البيزنطي المنهزم في فلسطين يكون خطراً على المسلمين .

ولم يفتحوا مصر لكانوا قد ارتكبوا خطأ كبيرا ؛ وهم أعقل وأحصف .
من أن يقوموا في مثل هذا الخطأ الجسيم .

ولذلك فتح مصر ثم باتفاق تام بين الخليفة عمر بن الخطاب وقائمه
العبرى عمرو بن العاص - يل إن ابن عبد الحكم يروى عن الليث بعد سعد
أن عمر بن الخطاب هو الذى أمر عمرو بن العاص بالتوجه إلى مصر
لفتحها ؛ وكتب له : « أن أندس الناس إلى السير معك إلى مصر ؛ فن خف
معك فسر به ، (١) .

وهذه الرواية تتفق مع تفكير عمر بن الخطاب ورؤيته لفتوحات ؛
وتتفق أيضا مع سير الأحداث وقبلها العقل ؛ أما الرواية التى أشرنا إليها
منذ قليل ؛ فيجب رفضها تماما ؛ وإذا كان علماء الحديث لا يقبلون الحديث
الذى يخالف مآله مقررات الشريعة الإسلامية ومقاصدها العليا ؛ فنحن
بالقياس نرفض روايات التاريخ التى لا تتفق مع العقل والمنطق وسياق
الحوادث والنظرة الكلية للأمور .

ملاحظة أخيره نسجلها ونحن فى ختام هذا البحث ؛ وهى أننا نلفت
نظر كل من يتحدث أو يكتب عن عمر بن الخطاب : رضى الله عنه ؛ أن يأخذ
فى الاعتبار الظروف التى كان يعيشها الرجل ؛ فى الوقت الذى كان يضارع
دولتين كبيرتين ؛ بل أكبر دول عصرهما ؛ وهما فارس والروم ؛ وقد وفقه
الله إلى القضاء على أولاهما ؛ ووضع حد لفطرسيتها وهتها وجبروتها على
العباد ؛ وحجم الثانية وأخذ منها أعز مستعمراتها فى الشرق وأغناها الشام
ومصر ، وأشرف باقتدار على الحروب ، ولم يستطيع أى باحث أن يخطئه
فى قرار من قراراته الكثيرة ، وفى الوقت نفسه كان يكدل بناء وتأسيس
الدولة الإسلامية العظيمة ، التى أرساها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وتابعه
فى تأسيسها الصديق ، رضى الله عنه ، ويرسمى دعائم مؤسساتها السياسية

والإدارية ، حتى تركها أقوى وأعظم دولة في عالمها كل ذلك في عشر سنين
من عمر الزمن .

لقد كان عمر عبقريا لم يفر فربه أحد ؛ كما أخبر بذلك الصادق المعصوم
صلى الله عليه وسلم - ومن يريد أن يعرف عبقرية عمر السياسية والادارية
فليرجع إلى السفر الصخيم القيم الذي ألفه الأستاذ الدكتور / سليمان الطهاوى
عن عمر ابن الخطاب . وعنوانه « عمر بن الخطاب وأصول السياسة
والإدارة الحديثة دراسة مقارنة .

ويقع الكتاب في ٥١٢ صفحة من القطع الكبير ؛ نشر دار الفكر العربي

القسم السادس

العوامل المؤثرة على فاعلية الإعلان في اتخاذ

قرار الشراء دراسة استطلاعية

د . شعبان أبو البريد شمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العوامل المؤثرة على فاعلية إعلانات في اتخاذ قرار الشراء دراسة استطلاعية

يقدم الدكتور
شعبان أبو الزاهر سمس

مدخل :

حينما يتخذ المستهلك في أى مجتمع قراره بشراء سلعة ما أو خدمة فإنه يحسم بشكل مباشر في نجاح المشروع الاقتصادى ككل ، فهذا القرار ينتج عنه مزيدا من الإنتاج والتمويل والشراء والتخزين وتعيين الأفراد والموظفين وغيرها .

ولذلك تسمى المؤسسات المعلنه بشكل مكثف لإرضاء رغبات المستهلك فيما أطلق عليه مرحلة الاهتمام بالمستهلك ورغباته (Consumer Orientation) ومحاولة إشباع هذه الرغبات ، ويعد الإعلان بأشكاله المختلفة أحد المنبهات الرئيسية للمستهلك لإقناعه بكافة الأساليب بأهمية السلعة وجذوى إقتنائها ، وبمر ذلك بعدة مراحل تحاول خلالها الرسالة الإعلانية جذب انتباه المستهلك وإثارة اهتمامه واستثارة رغبته ثم إقناعه باتخاذ قرار الشراء .

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور الإعلان في اتخاذ قرار الشراء من ناحية ثم العوامل التي تؤثر على فاعلية الإعلان في اتخاذ المستهلك لهذا القرار وهل المستهلك يتخذ قراره بالشراء بعد تعرضه للإعلان مباشرة أم أن ذلك يمر من خلال مرجعيات تبلور وتقند الرسائل الإعلانية وتحللها سواء تمثل ذلك في الأسرة أو زملاء العمل أو الأصدقاء أو المتخصصين في مجال السلعة وهل النولة المنتجة للسلعة لها تأثير في فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء ؟

نوع البحث ومنهجه : هذه دراسة استطلاعية تعتمد على منهج المسح بالعينة، والطابع الاستطلاعي للبحث غتمته عادة ندرة أو عدم توفر بحوث سابقة يمكن الاعتماد عليها لذلك فقد استخدم الباحث استمارة الاستقصاء كشكل من أشكال الدراسات الاستطلاعية للتعرف على رأى الباحثين في دور الإعلان في اتخاذ قرار الشراء والعوامل المؤثرة على فاعليته .

التساؤلات التي تطرحها الدراسة :

تطرح هذه الدراسة من خلال إطارها الفكري وكذلك الاستبيان الذي شملته الدراسة الميدانية هذه تساؤلات حول دور الإعلان في اتخاذ قرار الشراء والعوامل المؤثرة على فاعليته كما يلي :

١ - هل الإعلان هو السبب الرئيس وراء اتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك ؟

٢ - ما أكثر الوسائل الإعلانية تأثيراً في اتخاذ قرار الشراء ؟

٣ - ما المرحلة العمرية الأكثر تأثراً في اتخاذها لقرار الشراء بالإعلان ؟

٤ - ما الجماعات التي يلجأ إليها المستهلك لمناقشتها في محتوى الإعلان ؟

٥ - لماذا يلجأ المستهلك إلى هذه الجماعات ؟

٦ - هل يؤثر معرفة المستهلك بالدولة المنتجة على فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء ؟

٧ - ما الدول التي يطمئن المستهلك لمنتجاتها حين يقرر شراء سلعة ما ؟

عينة الدراسة :

نظراً لكبر حجم مجتمع الدراسة فإن الباحث قد حاول في حدود إمكانياته اختيار عينة من ٣٠٠ فرد من محافظات القاهرة والبحيرة والشرقية والمنيا وسوهاج تمثل قدر الإمكان - المجتمع الكلي لجمهورية مصر العربية - وقد تم توزيع العينة على أساس المؤهل العلمي كما هو مبين في ثنايا الدراسة الميدانية .

تقسيم الدراسة : تم تقسيم الدراسة إلى جزئين رئيسيين :

الأول : أدبيات الدراسة واشتملت على ما يأتي :

١ - مفاهيم الدراسة (مفهوم القرار ، صنع القرار ، اتخاذ القرار)

٢ - أهمية قرار الشراء للمشروع

٣ - الإعلان ومراحل قرار اتخاذ الشراء

٤ - التأثيرات النفسية للإعلان على قرار الشراء

٥ - العوامل المؤثرة على فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء وهي :

(أ) الأسرة (ب) المؤسسات التعليمية .

(ج) الدخل (د) الاتصال الشخصي .

(هـ) للدولة المنتجة .

الثاني : الدراسة الميدانية .

أولاً : أدبيات الدراسة

مفهوم القرار :

في محاولة للتعرف على المعنى اللفظي لكلمة القرار استعرض (Eggleston. 1979) عدة معاجم لغوية في الفترة من (١٩٥٥ - ١٩٧٨) ليصل إلى المعاني التالية : - (١)

١ - القرار هو التصميم على شيء ما أو تقريره .

The action of deciding

٢ - القرار هو التوصل إلى حل أو استنتاج أو حكم أو خلاصة معينة

Settlement conclusion judgment resolution

٣ - الحالة الذهنية التي تعبر عن التصميم .

The quality of decided

٤ - تقرير عقلي لأمر ما (نحزم أمر ما)

Making up one's mind.

٥ - الاختيار الذي يتم التوصل إليه بعد المفاضلة بين عدة اختيارات .

صنع القرار : Decision making

تواجه الفرد كثيرا من مواقف الحياة اليومية والتي تتطلب حلا ، فإذا كانت بسيطة قد تتجلب الانعكاسات الأولية في حلها وإن فشلت هذه الانعكاسات . فإن كل موقف يصبح مشكلة وتشهد قوى الفرد العقلية ليتمكن من تحديد موقف منها أو وضع حل لها ، فإذا كان هناك حل واحد معروف يكون الأمر بسيطا يتلخص في عملية استدعاء الحل من الذاكرة .

أما إذا تعددت بدائل الحل يصبح الأمر معقداً حيث يتطلب من الفرد أن يزن هذه البدائل ويختار أحدها أو أن يفترض حلولاً ثم يرجح أحدها ويرداد التعقيد عندما تكون نتائج البدائل أو الحلول المقترحة غير مؤكدة، وسلوك الفرد في هذا الموقف من إدراك وتحديد المشكلة وتقييم البدائل أو الحلول باستخدام المعلومات المتوفرة، والمفاضلة بينها على أساس المنفعة أو تقليل الخسارة أو الخطر وتحديد أحد هذه البدائل أو الحلول هو ما يسمى بصنع القرار Decision Making (٢).

اتخاذ القرار : Decision Taking

يعرفه (Wepester) بأنه (اتخاذ الموقف النهائي لحسم مسألة ما بتصميم ثابت وأكيد وصياغته عملياً بإدخاله حين التنفيذ) (٣).

ويرى (Health . White - Berlin & Pork, 1987) أن اتخاذ القرار هو عملية انتقاء أو اختيار منطقي بين بديلين أو أكثر اعتماداً على الأحكام التي تتسق وقيم متخذ القرار (٤) ويقرر (Karfman & Cassidy) أن الخصائص المشتركة للأحداث البارزة (Episodes) والمتعلقة باتخاذ القرار سواء أكانت شخصية أم جماعية هو وجود عدة بدائل، وهذه البدائل مطلوب إصدار أحكام بسدها بناء على قيم متخذ القرار (٥) وغالباً ما ينظر إلى اتخاذ القرارات على أنها عملية فكرية من تساج ذهن واحد. ولكن الواقع يؤكد أن اتخاذ القرارات هو عملية منظمة (Institutionalised) وأن أي قرار في حقيقته ما هو إلا الناتج النهائي لحصيلة مجهود متكامل من الآراء والأفكار والاتصالات والجدل والدراسة التي تمت في مستويات مختلفة بمعرفة أفراد هديتين. ومن ثم ينظر إلى القرارات التي تتخذ على أنها نتاج جماعي لنتيجة فكر أو رأى شخصي (٦).

وتدور معظم المفاهيم الخاصة باتخاذ القرار حول عناصر أساسية :-

(أ) متخذ القرار : وهو الفرد الذى يقرر أو يختار بين بدلين أو أكثر انطلاقاً من سلوكه واتجاهاته .

(ب) الموقف الذى يفرض على متخذ القرار ونوع المشكلة المطروحة .

(ج) البيئة الاجتماعية التى تحيط بالفرد من حيث القيم والمعتقدات والأعراف وغيرها ودورها فى عملية اتخاذ القرارات .

أهمية قرار الشراء للمشروع :

ساعد التطور الاقتصادى فى معظم بلاد العالم والتوسع الإلتجائى بفضل - العلم والبحث والتكنولوجيا - على زيادة كميات وأنواع السلع والخدمات التى تعرض فى الأسواق فى أى وقت من الأوقات ، وبذلك انتقلت أغلب الصناعات من مرحلة الاهتمام بالإنتاج ومشكلاته Production Orientation إلى مرحلة الاهتمام بالمستهلك ورغباته Consumer Orientation ومحاولة إشباع هذه الرغبات ، إن المفهوم السائد بين كتاب الإدارة والتسويق (السلى ١٩٧١) يوضح بجلاء أن المستهلك يملك أن يتخذ أحد قرارين كلاهما غاية فى الأهمية بالنسبة للمشروعات ووحدات الإنتاج الاقتصادية (٧) .

١ - أن يقرر شراء كميات من سلع بعينها دون سلع أخرى وبذلك يقرر مدى النجاح أو الفشل الذى يصيب أى مشروع اقتصادى .

٢ - أن يتمتع من الشراء كلية فى حالة عدم توفر السلعة التى يرغبها وبالتالي قد يؤدى إلى إلتجار سياسه اقتصاديه ترغب الدولة فى تشجيعها ولذلك فالنجاح فى العمل الإلتجائى يتطلب التعرف على رغبات المستهلك وتحليل العوامل المؤثرة على سلوكه الاستهلاكى والكيفية التى يتخذ بها قرارات الشراء أو عدم الشراء حيث تمثل تلك المعرفة معلومات على جانب كبير من الأهمية للخطط الاقتصادى أو لإدارة الوحدة الإلتجائية .

غالبية الفصوى التى يحتلها المستهلك فى المجتمع الحديث متضخ إذا علينا أن النجاح التهاى لآى مشروع اقتصادى يتوقف على قدرته على إنتاج سلعة أو خدمة تجد مستهلكا يقبل على شرائها حيث أن عمليات الإنتاج والتمويل والشراء والتخزين وتعيين الأفراد والموظفين وغيرها من الأنشطة الإدارية الحديثه كلها تتوقف فى نجاحها على قرار المستهلك بقبول أو رفض ما تسفر عنه تلك الأنشطة من إنتاج .

وقد حاول القائمون على المشروعات الإنتاجية المختلفة التعرف على سلوك المستهلك ودوافع الشراء لديه وظهر عدد من النماذج أمكن إلى حد ما الاعتماد عليها فى التنبؤ بسلوك المستهلك وذلك من خلال تفسير العلاقات بين العوامل والمتغيرات والمؤثرات التى يتعرض لها والعمليات النفسية التى تتفاعل داخله والسلوك الناتج عن تفاعل العوامل الخارجية مع العمليات النفسية . وقد استعرض (سمير حسين ١٩٨٤ م) هذه النماذج تختلف فيما بينها من حيث الخطوات والمكونات والعلاقات وأرجع أسباب تعددها إلى : (٨) .

١ - تعقد ظاهرة سلوك المستهلك ، وتعدد العوامل التى تؤثر فيها وتنوعها مما يجعل المجال مفتوحا أمام أكثر من تفسير للظاهرة .

٢ - إختلاف النظريات التى اهتمت بدراسة سلوك المستهلك وحاولت تقديم تفسير لها فقد شارك فى ذلك كل من علماء الاقتصاد والنفس والاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعى والأنثروبولوجى .

٣ - حداثة هذا المجال من مجالات الدراسة ، فالبحوث التى أجريت حتى الآن أقل بكثير من أن تقدم تفسيراً حقيقياً واقعياً لهذا السلوك وتأخذ عملية جمع المعلومات والبيانات فى هذا الصدد (أبو قحف والسيد ١٩٩٢ م) إتجاهين : (٩) .

أولاً: معلومات تتعلق بالحقائق السلوكية والاجتماعية والاقتصادية
المستهلك وتقسّم تلك المعلومات إلى :

١ - معلومات تتعلق بالسلوك مثل الشراء والحيازة ومعدل الاستخدام Rate of usage وتحديد الفرد الذى يقرر عملية الشراء داخل الأسرة وطريقة الدفع ومصادر المعلومات بالنسبة للمستهلك ونمط التسوق Shopping Patterns وكيفية تعرض الأفراد للوسائل الإعلانية .

٢ - معلومات تتعلق بالخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأفراد :
وتتعلق هذه المعلومات بالخصائص الخاصة بالأفراد والتي تفيد في تقسيم السوق المحتمل إلى قطاعات سوقية يمكن للشركة أن تتعامل معها وتشمل هذه الخصائص العديد من المتغيرات مثل السن والجنس والدخل والمهنة ومستوى التعليم والحالة الاجتماعية والموقع السكنى والطبقة الاجتماعية .

ثانياً ، معلومات تتعلق بالخصائص النفسية للأفراد : وتشمل تلك الخصائص المعرفة Knowledge ومعايير الاختيار Choice Criteria والمعتقدات Beliefs والاتجاهات Attitudes والنية والشراء .

الإعلان ومراحل اتخاذ قرار الشراء :

تعددت النماذج التي تتناول مراحل عملية اتخاذ القرار بشكل عام واتخاذ قرار الشراء بشكل خاص إلا أنها أجمعت على خمس مراحل رئيسية هي :-

(Larans & Remy. 1978 - I. Eng. R Black Well & D. Kollat 1978)

١ - تحديد القضية : (التعرف على المشكلة) Problem Recognition

٢ - جمع المعلومات المرتبطة بالقضية (البحث عن المعلومات اللازمة

للوصول إلى القرار) Search

٣ - تحديد البدائل وتبعاتها (تقويم البدائل) Alternative Evaluation

٤ - تحديد نتائج البدائل .

٥ - اختيار أفضل البدائل (إتخاذ القرار) .

ويعد الإعلان بأنواعه وأشكاله المختلفة أحد المنهات الأساسية للمستهلك في التعرف على الأسواق بأنواعها وما تحتويه من سلع وخدمات ، بل إن الدراسات الحديثة تؤكد أن الإعلان وراء غالبية قرارات الشراء التي يتخذها المستهلك بما يملكه من جاذبيات وأوتار إعلانية يلح من خلالها في إقناع الجمهور بشراء سلع وخدمات قد لا يحتاجها في بعض الأحيان وهذا ما حدا به Shiller, 1974 أن يقول : إن ما يشاهده الناس وما يقرأونه ، أو ما يستمعون إليه ، وما يرددونه وما يأكلونه ، والأماكن التي يذهبون إليها ، وما يتصورون أنهم يفعلونه ، كل ذلك أصبح وظائف يمارسها جهاز إعلامي يقرر الأذواق والقيم التي تتفق مع معايير الخاصة التي تفرضها وتبرزها مقتضيات السوق (١١) .

ويضيف (فانس براكارد في كتابه (المشككون لسلوك الناس) : أن الإعلان لم يعد مجرد قوة خطيرة لحسب ولكنه تحول إلى سلطة إجتماعية في العالم الغربي تؤثر في إرادة الناس وتدفعهم إلى سلوك استهلاكي لا يعبر عن احتياجاتهم الحقيقية ، ويضيف أن المواطن في سن الـ ١٨ عاما يكون قد شاهد وسمع ١٨٠ ساعة إعلان تجاري في التلفزيون فإذا أضفنا إلى ذلك إعلانات الراديو يكون قد أمضى حوالي سلتين من عمره في سماع ومشاهدة هذه الإعلانات فالمعلنين ينفقون سنويا ٤٠ ألف مليون دولار مقابل تشكيل العادات الاستهلاكية للمواطنين الأمريكيين . ولأن صناعة الإعلان تحولت إلى عملاق ينفق بمسحاء على العلماء والفنيين فإن ظاهرة جديدة برزت في ميدان الإعلانات في العقود الأخيرة تمثلت في انتقال أعداد كبيرة من علماء النفس والاجتماع ومختلف التخصصات الأخرى إلى مجال

الإعلان وهؤلاء يقومون بدور خطير في التأثير على المستهلكين ، ولم تعد المشكلة تنحصر في منح السلعة إنما التغلب على مقاومة المشتري الذى يصر على عدم احتياجه لها . فلا بد من دفعه إلى الشراء والتغلب على عبارة (أنا لا أحتاج هذه السلعة) لأن الاحتياج كما يقول خبراء الإعلان مجرد ظاهرة نفسية ومعظم السلع التى يندفع نحوها المستهلكون لا تعتبر ضرورة بالمعنى المفهوم ووظيفة الإعلان تتجسد في إزالة الفروق بين ما نحتاجه فعلاً وبين ما نستطيع الحياة بغير وجوده في حياتنا (١٢) .

التأثيرات النفسية للإعلان على قرار الشراء :

عندما يشعر الإنسان بالحاجة فإنه يكون متواتراً ومتربصاً ينتظر الفرصة التى يمكن أن تشبع حاجاته (عبد الحميد ١٩٨٤) إلا أن ذلك لا يعنى بالضرورة تحركة الفورى لإشباع هذه الحاجة بل إن سرعة إتخاذ قرار الشراء يتوقف على مدى الإمكانيات المتاحة ونوعية وقيمة الحاجة واجبة الإشباع ، هذا فضلاً عن الظروف البيئية المحيطة ، إذ أن ذلك يؤدى إلى إطالة أو قصر الوقت بين وجود الحاجة أو الرغبة وبين إتخاذ الشخص لقرار للشراء (١٣) وهو ما يطلق عليه (Wheeler & Jains 1980) مرحلة قبول التحدى Accepting the challenge (١٤) .

والمسافة بين وجود الرغبة (أو عدم وجودها أحياناً) حيث يخلفها الإعلان وبين إتخاذ قرار الشراء تشهد تأثيرات نفسية للرسالة الإعلانية وجزءها فيما يلى :-

١ - في المرحلة الأولى التى يحاول أن يتعرف المستهلك مبدئياً على السلعة المطروحة في الإعلان تبدأ مرحلة يطلق عليها جذب الانتباه (الصدمة الحسية الإدراكية) Attention لجذب الانتباه (حسين ١٩٨٤) هو الخطوة الأولى في تيار التفكير العقلى التى تقود إلى عملية

انتباه: والانتباه هو حالة تركيز العقل حول موضوع معين ويقسم إلى نوعين: انتباه إرادي حيث يأتي المنبه أو المثير من داخل الفرد نفسه ويحصره باختياره وإرادته في موضوع معين. ثم انتباه لا إرادي حيث يأتي للمنبه من الخارج أى من البيئة المحيطة بالفرد الذى يتعرض لمثيرات ومنبهات خارجية مختلفة فى الحياة اليومية وهو نوع الانتباه الذى يستخدمه المعلم ويركز عليه (١٥).

وهناك عوامل تؤدي إلى جذب الانتباه نحو الإعلان منها كبر الحجم والمساحة وموقع الإعلان فى الوسائل المختلفة ثم تصميم الإعلان وإخراجه وجباينه عن بقية الإعلانات وكذلك انفراده بـمكان ما واستخدامه للصور والرسوم والألوان والحركة والمؤثرات الصوتية والموسيقى والفناء.

٢ - فى المرحلة التالية يستغل الإعلان فرصة تحول المستهلك إلى جمع المعلومات والبيانات عن السلعة - موضع الإعلان - فينتقل إلى خطوة تالية فى التأثيرات النفسية وهى إثارة الاهتمام أو الصدمة النفسية الوجدانية Interest حيث أنه من خصائص الإعلان الناجح (فهمى - ١٩٨٢) بعد أن يجذب انتباه المستهلك نحو السلعة ، أن يعمل على إثارة إهتمامه ، فالإعلان بعد أن يجذب انتباه عين أو أذن القارئ أو المستمع ، عليه بعد ذلك أن يجذب انتباه عقله أى يثير إهتمامه (١٦).

وإذا كان من الممكن (صابات - ١٩٦٩) الحصول على الصدمة الحسية الإدراكية بطرق بسيطة نسبيا فالأمر يختلف بالنسبة للصدمة النفسية الوجدانية التى يقصدها إثارة اهتمام المستهلك والتأثير فيه تأثيرا مؤقتا على الأقل وهى مرحلة يطلق عليها Wheeler & Jains البحث عن البدائل Searching for alternatives . حيث تنطوى على تفكير جيد فى الأهداف والقيم التى تتعلق بالقرار بالإضافة إلى بحث واع ودقيق للجال واسع من البدائل دون التعجل برفض أى من تلك البدائل (٨١).

ويرى (حسين ١٩٨٢) أن من عوامل إثارة اهتمام المستهلك في هذه المرحلة (١٨) .

(١) الاهتمام بالذات : حيث يتضمن الإعلان عرض منفعة أو عدد من المنافع التي تسهم في حل المشكلات التي تواجه المستهلك ، ذلك أن المزايا والمنافع التي يحصل عليها المستهلك نتيجة شراء سلعة أو خدمة إنما تسترعى الاهتمام الشخصي الذي يعتبر أقوى النوافع المؤثرة لدى الفرد .

(ب) ارتباط الإعلان ببعض الأفكار السائدة : حيث يهتم المستهلك عادة بأفكار أو أحداث معينة ، ويحاول الإعلان أن يستثير اهتمام القارئ عن طريق الربط بين موضوع الإعلان والموضوعات والأحداث التي يهتم بها المستهلك ، ويمكن للمعلن أن يستعين بالأفكار السائدة في الأوقات المختلفة لترويج سلعته مثل مناسبات الأعياد ودخول المدارس وغيرها .

٣ - أما المرحلة الثالثة فهي خلق الرغبة في الشراء (Desire) حيث تمثل كل من مرحلتى جذب الانتباه وإثارة الاهتمام (منصور ١٩٨٢) عملية الدخول إلى نفس المستهلك وتشويقه إلى السلعة مما يستدعي الاستجابة لهذا التشويق ويمكن أن تعتبر مرحلة خلق الرغبة هي الخطوة الأولى في استجابة الفرد للإعلان فإثارة الاهتمام يجب أن تظل قائمة حتى يمكن أن توحى إلى الشخص بحاجة إلى السلعة وأن يحس في نفسه الرغبة فيها والضرورة إليها وبذلك يمكن أن تتحول إلى زبون يملك ويحمل To have To Carry .

وقد وصف كل من (Woodiely & Driscoll 1977) هذه المرحلة بأنها مرحلة خلق البدائل من قبل الفرد متخذ القرار وبناء علاقات جديدة وتوليف أفكار في إطار مرجعي جديد (١٩) كما أن (Hayes 1981) يقول أنها بمثابة الجانب الحساس في عملية اتخاذ القرار (٢٠) .

ويبدأ الإعلان في هذه المرحلة بتكثيف تأثيراته النفسية على المستهلك

عن طريق استخدام ما يسمى **Advertisig Appeals** أى جاذبيات الإعلان أو ما يميل الباحث إلى تسميته بالأوتار الإعلانية .

ويعرف الوتر الإعلاني (حسين ١٩٧٣) بأنه فكرة رئيسة أو مجموعة الأفكار التي يستخدمها مخططو الحملات الإعلانية لكي تحرك في المستهلكين الرغبة أو الدافع إلى شراء السلعة أو طلب الخدمة (٢١) كما يعرفه (مرزبان ، والشريفي ١٩٦١) بأنه السلاح الذي يستخدمه المعلن في تغيير منفعة السلعة بالنسبة للمستهلك وهو محاولة من جانب المعلن للتأثير في تمكيز المستهلك بطريقة تضمن استجابة الأخير للدعوة التي يبرزها الإعلان ، فلنكني ينجح المعلن في الوصول إلى هدفه لابد أن يلبس الإعلان (وترا) يؤثر في المستهلك فيضمن استجابته واقعياده إلى دعوته (٢٢) .

وتركز معظم الرسائل الإعلانية في هذه المرحلة على عدة أوتار إعلانية هي (٢٣) :

— وتر المتعة والرفاهية : ويعنى أن فكرة الإعلان الرئيسة تدعو المستهلك إلى التمتع بالحياة إذا ما استخدم هذه السلعة أو تلك الخدمة من طريق استخدام الكلمات وصور السلعة بزوايا مختلفة في محاولة من المعلن لخلق الرغبة لدى المستهلك لشراء هذا المنتج .

— وتر المحاكاة والتقليد : ويعنى استغلال حب الناس وتماطهم مع شخصيات معينة لها شهرتها في الحياة العامة ليتضمنها الإعلان مستخدمة لهذه السلعة أو تلك الخدمة مع بيان وجهاً نظرم فيها .

— وتر استشارة المشاعر الدينية : ويعنى استغلال المعلن للوازع الديني لدى المستهلكين فيحاول الاستفادة من ذلك في تضمين الإعلان بدءاً دينياً يتمثل في استحضار النص الديني من آيات وأحاديث للاستشهاد بها لإقناع المستهلك بسلعة أو خدمة معينة (٢٤) .

— وتر الأناقة والجمال : وهو أحد الأوتار التي تضرب عليها سلع معينة كستحضرات التجميل والأزياء لإقناع المستهلك وخاصة المرأة بأنها ستصبح امرأة جذابة وعصرية باستخدامها هذه السلع .

ب — وتر المظهرية والتفاخر : حيث يحاول المعلن من خلاله أن يستغل حب الطبقات في التفاخر بحسبها وأصلها أو بما تفتنيه من منتجات العصر أو حب بعض الطبقات في الظهور بشكل واضح أنها ذات أصل وهرافة ليستغل ذلك في فكرة الإعلان الرئيسية (فهذا المطعم ملحق العائلات الراقية - وهذه أغلى صبغة شعر في العالم وهذه الموييليا للعائلات العريقة وهكذا) .

— وتر الرغبة في توفير الوقت والجهد : ويعني هذا الوتر أن المعلن يستغل تطلع الجمهور المستهلك إلى توفير الوقت والجهد ليضمن ذلك في البناء على السلعة أو الخدمة ، وعادة ما يستخدم في الإعلان عن الآلات الإنتاجية المساعدة لجمهور معين كالحرفيين وأصحاب المصانع وكذلك الجمهور العام .

وهناك عدد آخر من الأوتار التي يضرب عليها الإعلان مثل الرغبة في الأمان والريح والرغبة في الاحترام والمركز المرموق والصحة والنظافة .

٤ — أما المرحلة الرابعة : بعد أن يجذب الإعلان إقبال المستهلك ثم يثير اهتمامه ويستثير رغبته للشراء تبدأ مرحلة يطلق عليها (إحداث الإقناع) Conviction وهي مرحلة يصادف المعلن فيها عقبة رئيسية (حسين ١٩٨٤) . تتمثل في وجود مجموعة أخرى من السلع المتنافسة والتي تؤدي إلى إحداث الإشباع لنفس الحاجة أو الحاجات التي استثارتها المعلن ، ويتطلب التغلب على هذه العقبة ضرورة التأثير للنفس في المستهلك بقصد إقناعه بأن هذه السلعة أو الخدمة تفوق على مثيلاتها في إشباع حاجاته ودوافعه وهنا تظهر قيمة التأثير العقلية عن التأثيرات العاطفية (منصور ١٩٨٢) من حيث أنها

تعمل أكثر في سبيل الإقناع ويتمثل ذلك في توافر عنصر الصدق وعدم المبالغة في الإعلان واستخدام تأثير الخبراء وذوى الشهرة لإقناع الجمهور المستهلك وتبوير عملية الشراء من قبل المستهلك والتحدث بلغة المستهلك وتوافق خبرته مع محتوى الرسالة الإعلانية وأخيراً إضفاء صفة الشعبية في استعمال السلعة لأن المستهلك يقتنع بالسلع ذات الانتشار الواسع .

هـ - يترتب على المراحل السابقة لإقبال المستهلك على اتخاذ قرار الشراء ، فالصور الذهنية للمراحل السابقة تمر في ذهن المستهلك متتابعة تلح عليه حتى تتجسم في شكل التنفيذ (الآن - هنا - نفذ Now - Her - Buy (منصور ١٩٨٢)) إنها الكلمات التي تشغل باله وتستولى على تفكيره مما يدفعه إلى اتخاذ قرار الشراء فعلاً ، فيشعر بالارتياح لإشباع حاجاته التي أستهيرت .

ويؤدي الإعلان دوراً كبيراً في مساعدة المستهلك على اتخاذ قرارات الشراء بسبب ما يقدمه من معلومات عن منتجات جديدة وعن كيفية شرائها والإفادة منها ، وبهذا الشكل يوسع من حرية اختيار المستهلك بين بدائل أكثر مما يساهم في تحقيق ما يسمى بسيادة المستهلك

Consumer Sovereignty (٢٥) .

وبعد أن يتخذ المستهلك قراره بشراء سلعة أو استخدام خدمة معينة فإنه يعتمد إلى مراجعة نفسه وتقييم نتائج هذا القرار على ضوء الاعتبارات الآتية (٢٦) : (السلى ١٩٧١) .

- (أ) مدى الإشباع الحقيقي الذى حصل عليه .
- (ب) مدى قبول البيئة الاجتماعية التى يحيا فيها لهذا القرار .
- (ج) مدى انفاق هذا القرار مع موارده المالية .
- (د) مدى صحة توقعاته عن التغير فى الدخل والأسعار .

وبناء على هذا التقسيم فإن المستهلك قد يصل إلى أى من النتائج الآتية :

(أ) أن القرار الذى إتخذه كان صائبا وبالتالي يتأكد للمستهلك صحة إدراكه بإمكانياته تحيين مستوى إستهلاكه وهذا يؤدي إلى إرتفاع جديد في مستوى التطلعات الذى يحدث فجوة جديدة بين ما يصبو إليه وما يحصل عليه فعلا وتبدأ دورة جديدة من الاستياء والبحث واتخاذ القرارات .

(ب) يتضح للمستهلك أن توقعاته لم تتحقق ، وأن الفجوة التى يعاني منها لا زالت قائمة وهذا يدعو إلى بدء دورة جديدة من الاستياء والبحث واتخاذ القرارات :

العوامل المؤثرة على فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء :

هناك شبه إجماع بين علماء السلوك (السلى ١٩٧١) على أن العوامل المؤثرة على سلوك الإنسان وكيفية اتخاذ القرارات تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما (٢٧) :-

١ - العوامل التى تصف الإنسان متخذ القرار ذاته ويمبر عنها بالرمز (I) نسبة إلى Individual أى الفرد .

٢ - العوامل التى تصف بيئة الفرد أو الجو المحيط به ويمبر عنها بالرمز (E) نسبة إلى Environment .

وعلى ذلك فإن السلوك الإنسانى فى الاتجاه السلوكى يتكون بفعل التفاعل بين هاتين المجموعتين من العوامل . فإذا عبرنا عن السلوك بالرمز (B) نسبة إلى Behavior أى السلوك الإنسانى = الفرد والبيئة فى تفاعلها

$$B = f(I, E)$$

ولما كان للجتماعات دور كبير فى إشباع رغبات الأفراد (عبد الله

١٩٧٨) فإن الاهتمام بالتعرف على تأثير الجماعات على سلوك المستهلكين يمثل أكبر عون لترشيد سلوك المستهلكين ذلك أن الإنسان إجتماعى بطبعه وأن وجوده فى جماعة قد يوجهه إلى استهلاك سلعة ما أو يمنعه من استهلاك سلعة أخرى لذلك أراد المشروع أن يحقق أكبر إشباع نفسى للمستهلك فليبدأ بالتعرف على الجماعات التى يرتبط بها الفرد ودرجة تأثير الجماعة على تحقيق إشباعه والاستفادة من هذه المعلومات فى توجيه سياسات التسويق. والمستهلك عادة لا يتخذ قرارات الشراء بدون وجهة نظر معينة وبدون موقف معين وهذا الموقف تبلور نتيجة خبراته السابقة أو نتيجة سماعه لآراء الآخرين التى سمعها فى البيت أو العمل أو نطاق الأصدقاء والمعارف . إلخ وهذه الآراء تدخل ضمن موقعه فى الشراء (٢٨) .

وهناك شبه إجماع على عدد من العوامل التى تؤثر على فاعلية الإعلان فى اتخاذ قرار الشراء من قبل المستهلك وتتلخص هذه العوامل فيما يلى :

١- الأسرة : يكتسب الفرد الكثير من عاداته الشرائية فى البيت وداخل محيط الأسرة. ومن المعروف أن لكل أسرة نمطها الشرائى للاستهلاك وأسلوبها الاستهلاكى المميز وهناك تقارب لاشك فيه بين السلوك الاستهلاكى للأفراد داخل الأسرة الواحدة . كما أن قرارات الشراء تتخذ غالباً داخل الأسرة أو أن للأسرة تأثيراً كبيراً فى اتخاذها . فالسلع الغذائية وملابس الأطفال تقررها ربة البيت ، وهناك من السلع التى شراها واتخذ القرار فيها من قبل الرجل ، كما أن هناك سلع وخدمات يشترك الزوجان أو باقى أفراد الأسرة فى قرارات شرائها كالسلع المعمرة أو السلع ذات التكلفة العالية (٢٩) .

٢- المؤسسات التعليمية : يستغل الإعلان بأشكاله المختلفة وأنواعه تلك التجمعات الكبيرة المتمثلة فى المدرسة والجامعة وغيرها لى يخاطب أفرادها بمجموعات السلع والخدمات المختلفة خاصة التى تتناسب مع هذه

المراحل العمرية ، فالفرد المستهلك في هذه الأماكن يتأثر كثيرا بأصدقائه وزملائه وتكون أغلب قراراته على ضوء الخبرات التي يتلقاها منهم أو تأثيراتهم ، ويكونون مصدرا مهما بالنسبة للسلوك الاستهلاكي الذي يتخذه ومن ثم يتخذ قرارات الشراء حتى لو لم يتفق ذلك مع رأى الأسرة (٣٠) .

٣ - الدخل : (Income) يعتبر توزيع الدخل بين طبقات المجتمع المختلفة ذو أثر كبير في تحديد أنواع السلع الواجب إتساجها والنشاط التسويقي المناسب وبالتالي إتخاذ قرار الشراء خاصة أن نسبة معينة من الجمهور تملك القدرة على رفع قيمة السلعة أو الخدمة بينما تعجز أعداد أخرى عنها ، فبينما يوفر أصحاب الدخل المرتفعة والمتوسطة سوقا للسلع المرتفعة الثمن يمثل أصحاب الدخل المنخفضة سوقا للسلع المنخفضة الثمن (٣١) .

ويرى الباحث أن عملية الدخل بالنسبة لقرار الشراء كثيرا ما تكسر قاعدتها فليس بالضرورة أن يكون المستهلك ذو دخل مرتفع حتى يشتري سلعة ما فقد ساعدت النظم التعليمية على اختلاط فئات المجتمع المختلفة وحدث نوع من التأثير والتأثر على سلوك الأفراد الاستهلاكي عن طريق وسائل الإعلام وبالتالي ظهر دور الإعلان في خلق الرغبة لشراء العديد من السلع ويشذ عن ذلك السلع ذات الأسعار العالية والمعدة رغم أن الإعلان يحاول جذب المستهلك حتى تحسن حالته ماديا من أبناء الطبقة المتوسطة لشرائها .

٤ - الاتصال الشخصي : تشير بعض الدراسات إلى أن الاتصال الشخصي في مجال الإعلان يمكن أن يكون أكثر فاعلية وتأثيراً في إتخاذ قرارات الشراء بالنسبة لنوعيات معينة من السلع والخدمات على النحو التالي : (٣٢)

- السلع والخدمات الغالية والتي يعتبر شراؤها نوعاً من المغامرة Risky أو التي لا يتم شراؤها بصفة دائمة Infrequently حيث يسعى المشتري في هذه الحالة إلى الحصول على معلومات كثيرة جداً عن هذه السلع الأمر الذي لا توفره له وسائل الاتصال الجماهيرى ، وإنما يوفره له الاتصال الشخصى مع الخبراء وذوى المعرفة بهذا النوع من السلع .

- السلع والخدمات التي تعكس الخصائص الاجتماعية ذات الدلالة أكثر من الخصائص الفردية كالسيارات وبعض الأزياء وبعض السلع الاستهلاكية ذات الفروق التمييزية والتي توحى بالمرکز الاجتماعي للفرد، ومن هنا يميل الفرد إلى إتقاء الماركات التي تتناسب مع طبيعة الجماعة أو الجماعات التي ينتمي إليها .

- السلع والخدمات ذات السعر المرتفع ، وذات المواصفات والخصائص الفنية المتميزة والتي يسعى المستهلك إلى التحقق بنفسه من مواصفاتها وخصائصها ومزاياها ، كالسيارات مثلاً التي تتميز بأن إضافاتها الإعلانية كبيرة نسبياً - بالقياس إلى المجموعات الساعية الأخرى ورغم ذلك فإن نسبة الإعلان إلى المبيعات محدودة ، بعكس المشروبات الغازية ولما كولات ومستحضرات التجميل .

- ومن خلال الاتصال الشخصى تؤكد معظم الدراسات أن قادة الرأي Opinion Leaders (وهم في مجال الإعلان الخبراء الذين تتوافر لديهم خبرات عن السلعة أو الخدمة المعلن عنها تتاح لهم القدرة على التأثير على المستهلك) حيث يمتازون بخصائص ديموجرافية واجتماعية وشخصية تجعلهم مصدراً لمعلومات كثير من المستهلكين الذين يستفيدون من خبراتهم عن السلع والخدمات قبل اتخاذ قرار الشراء .

هـ - الدولة المنتجة : ويقصد بها سمعة الدولة المنتجة للسلعة والصورة الذهنية التي تركتها تلك السمعة لدى المستهلك بحيث يكون لها دورا فاعلا في التأثير عليه وحثه على إتخاذ قرار بشراء سلع وخدمات تلك الدولة مفضلا لها عن باقي السلع وتنقسم الدول المنتجة في رأى الباحث في هذا المجال إلى أربعة أنواع كما يلي :-

(أ) دول لها سمعة تاريخية لمنتجاتها تعود إلى عقود خلت وتتراكت الصور الطيبة لدى المستهلك على مدى عدة أجيال كالسلع الإنجليزية والألمانية والفرنسية ، ويبرر (هاشم : ١٩٧٦) ذلك بعدة أسباب : (٣٣) .

١ - إن قدم وجود المنتجات الأجنبية في أسواق عدد من الدول يمكنها من إقامة علاقات وارتباطات مع الباعة والمستهلكين ، وقد كانت هذه العلاقات قوية جدا لا يمكن أن تقطع بمجرد التقدم بعرض جديد صادر عن شركة جديدة .

٢ - أن شركات هذه الدول قد اعتمدت على تدابير متعددة لها تأثير كبير على تصريف الإنتاج ، وقد أدت هذه التدابير إلى خلق سمعة تجارية حسنة لدى المستهلك جعلته يعتقد بأفضلية منتجاتها وبقدرة هذه المنتجات على إرضاء كل رغباته وحاجاته وطبيعى أن يكون هذا الاعتقاد على حساب أية منتجات جديدة يمكن أن تعرض في هذه الأسواق .

٣ - هناك اعتقاد سائد في أسواق كثيرة من الدول بأن البضاعة الأجنبية هي دائما أفضل من غيرها وأن الصناعة العربية على سبيل المثال لم تتمكن بعد من الوصول إلى مستوى الصناعة الأجنبية ، ولهذا كانت الأسواق تفضل المنتجات الأجنبية وتهاافت على شرائها .

٢ - دول ظهرت عقب إنتهاء الحرب العالمية الثانية وحاولت تكشيف

جهدوها التسويقية للقضاء على الصورة السيئة التي عرفها عنها المستهلك وخير مثال على ذلك هو (اليابان) حيث يرى (آلان ريد -) (٢٤) أن اليابانيين بذلوا جهدا عظيما لصنع السلع الكفيلة بأن تـسد حاجات ورغبات السوق العالمية ، كذلك أوفدوا فرقا من مندوبي البيع إلى كافة أرجاء الدنيا ، ليدرسوا حاجات السوق المحلية ويضعوا أسس العمل من أجل عقد صفقات البيع في المستقبل . وبدأت هذه الجهود تؤتي ثمارها خلال الخمسينات من القرن ، عندما أقدم اليابانيون - بالرغم من السمعة غير المواتية التي ذاعت عنهم قبل الحرب كقفلين ومنتجين لسلع غير أصلية - على شن حملات تصديره إلى كافة أرجاء الدنيا ، كسبت أسواقا نوهية آلات التصوير والأجهزة البصرية والملبوسات والالكترونيات وم؛ الآن يراحمون دولا كانت ذائعة الصيت كبريطانيا وأمريكا وغيرها وغالبا يتفوقون عليها في البيع ، وتعتبر سمعة دولة كاليابان جديرة بأن لا يتردد المشتري في اتخاذ قرار شراء سلعة من منتجاتها بصرف النظر أحيانا عن سمعة الشركة المنتجة ، حتى إن السلع التي أنتجت في اليابان وتقوم دولة أخرى بتجميعها يتردد المستهلك كثيرا في شرائها ويفضل اليابانية الصنع على الرغم من ارتفاع سعرها .

٣- دول تفرم الأسواق بالعديد من السلع ذات الجودة الأقل مع رخص السعر مثل بعض سلع تاوان وهونج كونج وسنغافورة والصين وهذه السلع قد تحتاج من المستهلك إلى التأني كثيرا في اتخاذ قرار الشراء خاصة إذا كانت سلعا معمرة أو أجزاء منها كما أنها تحتاج إلى حملات إعلانية مكثفة بالقياس بالبول ذات السمعة القوية .

لذلك يمكن أن نلاحظ أن دور الاتصال الشخصي متمثلا في قادة الرأي والخبراء يلعب دورا هاما في هذه الأنواع من السلم والخدمات .

تظنوا لتردد المستهلك في اقتنائها والرجوع لاستشارة أهل الخبرة في مدى إشباعها لرغباته من عدمه ؛

٤- دول نامية إجهت في السنوات الأخيرة إلى تشجيع رؤوس الأموال المحلية والأجنبية على التصنيع والانتاج بها وقد واكب ذلك حملات تسويقية تحمل شعارات تشجع المواطن على استهلاك منتجات بلاده من سلع وخدمات . ولعل الدول العربية خير مثال على ذلك النوع من الدلائل إلا أنها تواجه عدة عقبات تسويقية أهمها :-

(أ) ارتباط المستهلك العربي تاريخياً بمنتجات الدول الأجنبية وثقته في السلع والخدمات التي تقدمها .

(ب) إن معظم السلع المحلية ما هي إلا نسيج لمنتجات لدول أخرى مما يضطر المستهلك إلى تفضيل السلع الأصلية .

(ج) ظهور بعض العيوب في بعض السلع التي أمنتها هذه الدول في عدد من المجالات كقطع غيار السيارات وبعض الصناعات الخفيفة مما دعم عند المستهلك أن السلع المستوردة أجود .

وقد أثبتت إحدى الدراسات التي أجريت في هذا المجال على إحدى الشركات الصناعية الخليجية تدني مستوى الجودة وعدم مناسبة سعره مع العديد من الأمور التسويقية والخدمات وكذلك معاناة المنتج المحلي من العديد من العيوب الفنية التي تسببت في تدني مستوى جودة وأداء المنتج ، وقد نتج عن ذلك تدهور مستمر لحصة المنتج في السوق وتناقص مطرد لمبيعاته الإجمالية في السوق المحلي والاتجاه نحو اقتصاها على كبار العملاء تحت تأثير القوانين والقرارات الوزارية الخاصة بحماية الصناعة المحلية (٢٥) .

وقد عرف عن بعض الشركان (هاشم ، ١٩٧٦) أنها تستعمل علامات

خارقة أجنبية على بضائعها، وذلك لإيهام المستهلك بأن البضاعة من صنع أجنبي حتى تستفيد من الاعتقاد السائد لدى المستهلك والقائم على أساس أفضلية الإنتاج الأجنبي على الإنتاج الوطني (٣٦).

من هذا يتضح أن الدولة المنتجة لها تأثير فاعل على إتخاذ قرار الشراء ويقل الجهد الإعلاني في حالة الدول ذات السمعة الطيبة في جودة الإنتاج وذلك بعكس الدول حديثة العهد بالإنتاج أو إنتاجها ردىء حيث تحتاج إلى حملات إعلانية مكثفة للترويج لسلعها وخدماتها.

ثانيا : نتائج الدراسة الميدانية

فيما يلي النتائج التي توصلت إليها الدراسة الميدانية التي أجراها الباحث على عينة مقدارها ٣٠٠ فرد روعى فيها التمثيل الجغرافي لأفراد المجتمع حيث شملت تلك العينة محافظة القاهرة كتركز تجمع رئيسى لم محافظات الجمهورية ثم الشرقية والبحيرة كثلثين لشمال مصر والمنيا وسوهاج كثلثين للجنوب، وقد تم اختيار العينة على أساس المستوى التعليمى من خلال خمسة مؤهلات هى :

(أ) مؤهل متوسط وفوق المتوسط ١٤٠ فردا

(ب) مؤهل جامعى (بكالوريوس أو ليسانس) ١٢٠

(ج) مؤهل ماجستير ٢٥

(د) مؤهل دكتوراه ١٥

وقد تم تحديد محورين أساسيين تدور حولهما أسئلة الاستبيان الذى طرح على المبحوثين وهما :

(أ) دور الإعلان فى اتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك .

(ب) العوامل المؤثرة على فاعلية الإعلان فى اتخاذ قرار الشراء من خلال المحورين السابقين

وجاءت النتائج على الوجه التالى :

المحور الأول : دور الإعلان فى اتخاذ قرار الشراء .

تبين من خلال هذا المحور النتائج التالية :

(١) التعرض للإعلان :

١ - أن نسبة ٢٦,٩٪ من العينة يتعرضون للإعلان في وسائل الإعلام المختلفة بصفة دائمة (أى اطلاق يوى) .

* أن نسبة ٦٣,٣٪ من أفراد العينة يتعرضون أحيانا للإعلان (أى أنهم غير منتظمين في عملية التعرض)

٢ - أن نسبة ١٠,١ من أفراد العينة لا يتعرضون للإعلان ، وهذه النتيجة تعنى أن الإعلان يخاطب ٨٩,٩٪ من العينة ، وهذه نسبة مرتفعة لهذا الشكل من أشكال الاتصال الجماهيرى حيث أصبح الإعلان أحد أهم مصادر المعلومات عن الأسواق بأنواعها المختلفة ، وكذا عن الخدمات التى تقدم من قبل المؤسسات الخدمية التعليمية والسياحية والصحية وغيرها .

٣ - كما تبين أن أكثر الرسائل الإعلانية تأثيرا فى اتخاذ قرار الشراء هى بالترتيب : التليفزيون فالمصحفات فالراديو فالمجلات الأسبوعية ثم الجرائد اليومية وأخيرا الفيديو ، كما يبين الجدول التالى :

وبين الجدول السابق أن التلفزيون يحتل المرتبة الأولى من حيث التأثير على المستهلك في اتخاذ قرار الشراء بنسبة ٩٤٪، يليه الملصقات في المرتبة الثانية بنسبة ٨١٪، يليها الراديو في المرتبة الثالثة بنسبة ٧٥٪، ثم المجلات الأسبوعية في المرتبة الرابعة بنسبة ٦٩-٦٧٪، فالجرائد اليومية في المرتبة الخامسة بنسبة ٨٨٪، وأخيراً الفيديو في المرتبة السادسة والأخيرة بنسبة ٩٦-٩٣٪.

ولعل هذه النتيجة تتوافق مع فاعلية كل وسيلة من حيث التأثير، حيث عازال التلفزيون صاحب قوة التأثير في هذا العصر، لما يتميز به من إمكانات الصور والموسيقى كما أنه أقرب إلى الاتصال الشخصي من أى وسيلة أخرى. بالإضافة إلى جاذبيات المواد المختلفة التي يقدمها.

ويلاحظ من خلال هذه النتيجة أن الفيديو جاء في المرتبة الأخيرة، وهذا يرجع في رأى الباحث إلى أن طبيعة المستهلك هي الهروب من الإعلان إذا تمكن من ذلك، ولما كان الفيديو يمكن التحكم في اختيار مواده المعروضة أمكن للمستهلك استبعاد الإعلان إذا مر به حين مشاهدته لما يرغب من مواد مختلفة، بالإضافة إلى ذلك فإن الإعلان في هذه الوسيلة يقطع على المشاهد قبل تفكيره من حيث يختار المعلن الأوقات المهمة في المادة المعروضة ليضع فيها إعلانه.

٤ - كذلك تبين من خلال نتائج الدراسة الميدانية أن أكثر المراحل العمرية تأثرًا بالإعلان في اتخاذها لقراء الشراء، هي مرحلة الطفولة بنسبة ٨٧-٨٣٪، يليها الشباب في المرتبة الثانية ٦٩-٦٧٪، يليها الرجولة في المرتبة الثالثة بنسبة ٦٧-٦٩٪، ثم أخيراً الشيخوخة في المرتبة الرابعة بنسبة ٩٠٪. كما هو مبين في الجدول التالي :

وبين الجدول السابق أن الأطفال هم أكثر فئات المجتمع تأثراً بالإعلان في اتخاذهم لقرار الشراء، وهذا يرجع إلى طبيعة هذه المرحلة العمرية، من حيث عدم اكتمال نضجها العقلي، وانخفاضها الشديد نحو الاستهلاك من ناحية، وكذلك الأوتار الإعلان التي يستخدمها الإعلان لجذب تلك الفئة إلى المنتجات المختلفة من ناحية أخرى.

هـ - كما تبين نتائج الدراسة الميدانية أن الإناث هم أكثر تأثراً بالإعلان في اتخاذهم لقرار الشراء، حيث بلغت نسبة ذلك ٩٧.٧٪ في حين بلغت نسبة الذكور ٢.٣٪. ويرجع ذلك في رأي الباحث إلى أن الإعلانات الموجة إلى المرأة تستخدم جاذبيات وأوتار تغلب عليها الناحية العاطفية، وهذا بسبب نوعية السلع الموجبة للمرأة، والتي تعدها بجمال أكثر، وأناقاة عالية، مع أن حقيقة هذه السلع في كثير من المنتجات لا تلي ما طرحته من وعود، ولكنه نوع من بيع الأمل الذي تحرص عليه المرأة في تعاملها مع سلعها وخدماتها الخاصة بها.

ب - أسباب التعرض للإعلان :

من خلال هذا العنصر تبين أن الأسباب التي تدفع المستهلك في عينة الدراسة إلى التعرض للإعلان في الوسائل المختلفة طبقاً للجدول رقم (١) هي كما يأتي :

١ - حين الرغبة في الشراء ٣٤٪ حيث يكون الإعلان مصدراً رئيساً للمعلومات عن السلع والخدمات المختلفة خاصة وسط هذا الكم الهائل من الإنتاج الذي يصعب للطرق التقليدية التعريف بتلك السلع والخدمات .

٢ - لأن الإعلانات مفروضة على المستهلك في الوسائل الإعلامية المختلفة (٢٧.٣٣٪) وهذه نسبة عالية في هيئة الدراسة تبرر تعرضها للإعلان بأن وجوده في الوسائل المرئية والمطبوعة والمسموعة أمر لا مفر منه بالنسبة للمستهلك وبالتالي فهو يتعرض له .

٣ - للاستمتاع بالإيهار الفني الموجود في الإعلان (٢٠٣٣٪) حيث ترى هذه النسبة أن سبب تعرضها للإيهار هو عوامل الإبراز من ألوان وأبناط وصور مصاحبة في الصحافة والمؤثرات الصوتية والألوان وفتيات الإعلان وغيرها في الإذاعة بشقيها المسموع والمرئي .

ويرى الباحث أن هناك نسبة عالية من المستهلكين يواظبون على مشاهدة الإعلانات لتلك الأسباب ، بصرف النظر عن حاجاتهم لتلك السلع ، خاصة قطاع الأطفال الذين يجذبهم ذلك الإيهار الفني والجل البسيطة والقصيرة التي قد يفتقدونها فيما يقدم لهم تعليميا في المدارس أو إعلاميا في برامجهم الخاصة .

٤ - متابعة الجديد في الأسواق (١٠٣٣٪) ويعنى به ما يستجد من سلع وخدمات .

٥ - لمعرفة التخفيضات في أسعار بعض السلع (٨٪) وهي فترة تعرض موسمية مثل أوكازيونات نهاية الفصول ، حيث يقل قطاع كبير على تلك الإعلانات .

٪	ك	أسباب التعرض للإعلان
٢٤	١٠٢	١ - حين الرغبة في شراء سلعة أو خدمة .
٢٧,٣٣	٨٢	٢ - لأن الإعلانات مفروضة على المستهلك في الوسائل المختلفة .
٢٠,٣٣	٦١	٣ - للاستمتاع بالإبهار التي الموجود في الإعلان
١,٣٣	٣١	٤ - لتأدية الجديد في الأسواق .
٨٥٠	٢٤	٥ - لمعرفة التخفيضات في أسعار بعض السلع .
١٠٠	٣٠٠	

(ب) المحور الثاني : العوامل المؤثرة على فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء :

تبين من خلال طرح عدة تساؤلات في الاستبيان الذي أجاب عنه المبحوثون النتائج التالية :

١ — أن هناك جماعات مرجعية يلجأ إليها المستهلك حال تعرضه للرسالة الإعلانية لأخذ رأيها فيما احتواء الإعلان من معلومات وحقائق ومغريات، وأن هذه الجماعات تعتبر حلقة أساسية في فاعلية الإعلان في الوصول إلى المستهلك، وحته هل اتخاذ قرار الشراء كما في الجدول التالي :

ترتيب تلك الجماعات من حيث فاعليتها في اتخاذ قرار الشراء							
١	%	٢	%	٣	%	٤	%
١٩٥	٦٥	٥٩	١٩,٧	٤٦	١٥,٣	—	—
٦٣	٢١	٢١١	٧٠,٣	٢٦	٨,٧	—	—
٤٢	١٤	٢٦	٨,٧	٢٢٣	٧٤,٣٣	٩	٣
—	—	٤	١,٣	٥	١,٧	٢٩١	٩٧
الجماعات التي يبلغها إليها المستهلك							
١ — زملاء العمل							
٢ — الأسرة							
٣ — الأصدقاء							
٤ — المتخصصون في مجال السلامة .							

وقد تبين من خلال الجدول رقم (٤) أن الجماعات المؤثرة على فاهلية الإعلان في اتخاذ المستهلك لقرار الشراء هي: زملاء العمل ويقصد بهم الجماعة التي يعايشها المستهلك في ساعات العمل اليومية ، والتي تعتبر متجانسة معه في المؤهل العلى والسن وكذا الدخل ، ولذلك ارتفعت نسبتها في لجوء المستهلك إليها ، حيث بلغت المرتبة الأولى بنسبة ٦٥٪ ، تليها الأسرة في المرتبة الثانية بنسبة ٧٠٪ ، فالأصدقاء في المرتبة الثالثة بنسبة ٧٤٪ ، ثم أخيراً المتخصصون في مجال السلعة المعلن عنها ، حيث جاءت في المرتبة الرابعة والأخيرة بنسبة ٩٧٪ من إجمالى المرتبة الرابعة .

٢ - انضغ من خلال إجابات المبحوثين في عينة الدراسة أن الأسباب التي تكن وراء لجوئهم للجماعات المرجعية التي سبق الإشارة إليها يرجع إلى عدة عوامل (تحسب النسبة المئوية هنا على أساس إجمالى ما أشار إليه المبحوثون من إجابات حيث أن المبحوث قد يجيب على أكثر من عامل) :

- ١ - لخبرة تلك الجماعات في شراء هذه السلعة أو الخدمة ٩٤٪
- ٢ - لأن السلعة أو الخدمة المعلن عنها غالية الثمن وتحتاج للتأني في الشراء ٦٧٪
- ٣ - لكثرة المبالغة التي توجد عادة في الإعلان ٦٣٪
- ٤ - لتقص المعلومات لتسليم عن السلعة أو الخدمة المعلن عنها ٥٦٪
- ٥ - إذا كانت السلعة غير شعبية في المجتمع الذى أحيش فيه ٥٤٪
- ٦ - لأن الإعلان أحياناً يتخذ معنى بمزايا غير موجودة بالفعل في السلع المعلن عنها ٤٨٪

• يلاحظ أن النسبة تزيد مع أن المرتبة أقل ، وهذا يرجع إلى أن النسبة المئوية تحسب على أساس إجمالية المرتبة الواحدة .

٣- تؤثر معرفة المستهلك باسم الدولة المنتجة على فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار الشراء حيث تساعد سمعتها على الشراء أو عدمه .

وقد تبين أن نسبة ٩٥٣٣٪ من العينة يرون أن معرفتهم باسم الدولة يؤثر على قرار شرائهم للسلعة ، حتى إن تعرضوا للرسالة الاعلانية .

— كما يرى ٨٣٣٢٪ أن من السهل عليهم اتخاذ قرار الشراء حين شرائهم لسلعة أجنبية . في حين يرى ١٦٣٧٪ أن من السهل عليهم اتخاذ قرار الشراء في السلع المحلية ، وهي نسبة عالية لمصلحة السلع والخدمات المنتجة في الدول الأجنبية ، ويرجع ، ذلك كما تبين في أدبيات الدراسة إلى أبعاد تاريخية وتقنية وتسويقية .

— أما عن العلاقة بين الدول المنتجة وبين مهمة الإعلان في إقناع المستهلك باتخاذ قرار الشراء ، فقد تبين أن ٨٩٣٣٪ من أفراد العينة يرون أن ثقتهم في الدولة المنتجة يسهل من مهمة الإعلان في إقناعهم بشراء السلع المعان عنها ، أي أن سمعة الدولة المنتجة تعتبر عاملا أساسيا في نجاح الإعلان ، وبالتالي في قرار الشراء لدى المستهلك .

وقد طرحت استمارة الاستبيان تساؤلا عن أى الدول التي يطمئن المستهلك في عينة الدراسة لها ، لجأت اليابان في المركز الأول بنسبة ٨٩٪ ، تليها الولايات المتحدة الأمريكية في المركز الثاني بنسبة ٨٦٣٪ . ثم ألمانيا في المركز الثالث بنسبة ٧٧٧٪ ، فبريطانيا في المركز الرابع بنسبة ٧٦٣٪ ، ثم فرنسا في المركز الخامس بنسبة ٧٣٦٪ ، وأخيراً إيطاليا في المركز السادس بنسبة ٧١٣٪ ، ولعل هذه النتيجة تشمل العينة المصرية بسبب علاقة المستهلك المصرى مع سلع ومنتجات تلك الدول وربما تتغير النتيجة إذا أجريت على مجتمعات أخرى ، إلا أنها أقرب من الصورة الذهنية الدولية لمنتجات تلك الدول خاصة لدى دول العالم الثالث .

مراجع الدراسات

- (١) Eggleston (1979), Teacher Decision - Making in the classroom : A collection of papers, London, Routledge & Kegan paul. P. 9.
- (٢) أنور رياض عبد الرحيم ، العوامل العقلية المؤثرة في اتخاذ القرار .
لدى عينة من طلاب كلية التربية بالمنيا ، مجلة البحث في التربية وعلم النفس ، كلية التربية بالمنيا ، العدد الأول ، المجلد الخامس يوليو ١٩٩١ ص ١٧ .
- (٣) Webster. Webster,s Third New International Dictionary, Copyright G. & C. merriam. 1971. (P. 585).
- (٤) Health, P. A., White, A. L, Berlin, D. f & Park J. C. 1987 Decision making : Influence of features and presentation mode upon generation of altnratives, Journal of Research in Science Teaching. 24, 821 - 833
- (٥) Cassidy, B. W & Kurfman, D. G (1977) Decision Making as parpose and process. in D. G. Kurfiman, E. d. Developing Decision - Making skills Arlington. VA, National Council for the Social studies P P. J- 28
- (٦) عبد الكريم درويش وليلى تسلا ، أصول الإدارة العامة (القاهرة : مكتبة الأنجلو) ١٩٨٠ ص ٤٧
- (٧) على السليبي ، الإعلان (القاهرة : دار المعارف بمصر : ١٩٧١) ص ٦١ .

(٨) سمير حسين ، الإعلان (القاهرة ، عالم الكتب : ١٩٧٤) ص ٣١٦
ومزيد من تفاصيل هذه النماذج من ص ٣١٤ : ٣٦١ .

(٩) عبد السلام أبو قحف وإسماعيل السيد ، اقتصاديات الإدارة
(الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة : ١٩٩٢ ص ٢٩١ .

La Ranas, R & Remy, R. (1978) Citizenship (١٠)
decision - making : Skill Activitics and materials.
Reading, M a : Addision - wesley.

+ J. Engel, R. Blackwell & D. Kollat, Consumer
Behavior, 3rd ed. (Illinois : The Dryden press,
1978) .

Herbert Schiller The Mind Mangers, Beacon press, (١١)
Boston 1974. P. 195

(١٢) منصور فهمى ، إدارة الإعلان (القاهرة ؛ دار النهضة العربية للنشر
١٩٨٢) ص ١٧٣ .

(١٣) طلعت أسعد عبد الحميد ، أساسيات إدارة الإعلان (القاهرة ،
مكتبة عين شمس ١٩٨٤) ص ٧٢ .

Wheeler, D & Jains, I. L. (1980) Apractical Guide (١٤)
for making decisions. New Yourk : The free press.

(١٥) سمير حسين ، الإعلان ، مرجع سابق ، ص ٣٦٣ .

(١٦) منصور ، فهمى ، إدارة الإعلان ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

(١٧) خليل صابات ، الإعلان ، تاريخه ، أسسه وقواعده ، فنونه
وأخلاقياته (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩) ص ١٣٨ .

(١٨) سمير حسين ، الإعلان ، مرجع سابق ، ص ٣٨٢ .

Woodley, C. P & Driscoll, L. A. (1977). A model (١٩) and Suggestions for evaluating decision] - Making Skills. In D. G Kufman, Ed.

Developing decision making Skills. Arlington, V A : National Council for the Social Studies, P 235.

Hayes, J. R (1981). The Complete problem solver (٢٠) Philadelphia, P A : The franklin Institute.

(٢١) سمير محمد حسين ، مداخل الإعلان ، القاهرة ، مؤسسة دار الشعب (١٩٧٣) ص ٢٣ .

(٢٢) محمد عبد الله مرزبان ، وعبد العزيز الشريف ، إدارة المبيعات القاهرة مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦١ ص ٣٧٢ .

Betnard. F. Baker, Effective Retail Seeling, American (٢٣) Technical Sociery, Chicago, U. S. A

(٢٤) شعبان شمس ، أخلاقيات الإعلان الصحفي في مصر إبان الافتتاح الاقتصادي ، دكتوراه ، غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٨ ص ١٨٦ .

(٢٥) السيد المتولى حسن (اتجاهات المواطن السعودي نحو الإعلان التلفزيوني ، كلية العلوم الإدارية ، جامعة الملك سعود ، مركز البحوث ١٩٩٠ ، إصدار رقم ١٠/٥ ص ٧١ .

(٢٦) علي السلي ، الإعلان ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

(٢٧) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٢٨) محمد عبد الله ، دراسة سلوك المستهلك والعلاقة معه (القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٧٧) .

(٢٩) طلعت أسعد عبد الحميد ، أساسيات إدارة الإعلان (القاهرة : مكتبة عين شمس ، ١٩٨٤) ص ٧٥ .

- (٣٠) عبد الجبار قنديل ، التسويق : أسس ومبادئ (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩) ص ٦٣ .
- (٣١) حسن عبد الله أبو ركة ، الإعلان ، (جدة : دار الشروق ١٩٧٨) ص ٨١ .
- (٣٢) سمير حسين ، الإعلان ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .
- (٣٣) هيثم هاشم ، حالات إدارية وتسويقية (دمشق ، مطبعة خالد بن الوليد) ١٩٧٦ ص ٣٧٢ .
- (٣٤) آلان إل ريد ، فن البيع التطليقي ، ترجمة محمد بدر الدين خليل . القاهرة ، دار المعارف ، بدون تاريخ (ص ٨٠ .
- (٣٥) هاني ميساك ، ترشيد عملية اتخاذ قرارات معالجة المنتجات الضعيفة ، دراسة تحليلية لموقف إحدى الشركات الصناعية الخليجية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد السابع عشر ، العدد الثاني ، صيف ١٩٨٩ ، ص ٢١٠ .
- (٣٦) هيثم هاشم ، حالات إدارية وتسويقية ، مرجع سابق ، ص ٣٦٣ .

محتويات العدد

الصفحة	الموضوع	مقدمة العدد
أجمدى		
		١. د/ طه مصطفى أبو كريشة
	القسم الأول	
٦٢ - ١	قسم الأدب والنقد	
٢	١ - التصوير القرآنى لتعاقب الليل والنهار د/ علي علي صبح	
٢٥	٢ - الشخصية الأدبية لفلاسفة الأندلس د/ حسن أحمد عبد السلام	
	القسم الثاني	
١٦٦ - ٦٣	قسم اللغويات	
	١ - مسائل نحوية مطردة في القرآن الكريم جمعاً ودراسة د/ بسيوني سعد لبن	
١٠٣	٢ - أسماء الأفعال في القرآن الكريم د/ أحمد نجيب عبد الوهاب	
١٣٣	٣ - (كي) في اللغة والقرآن الكريم د/ محمد أحمد عبد الوهاب	

القسم الثالث

٢٥٦ - ١٦٧

قسم البلاغة

١ - «دواء» مواضعها وأسرارها في نظم القرآن الكريم

د/ إبراهيم صلاح المدهد

٢٢١

٢ - الأثر النفسي للأسلوب البلاغي

د/ نعمان شعبان علوان

القسم الرابع

٢٥٧

قسم أصول اللغة

١ - ظاهرة القفلة في الأداء القرآني رؤية جديدة في

٢٥٩

ضوء المدرس الصوقي

د/ رشاد محمد سالم

٢ - آلية النطق في ضوء الفكر الصوقي عند العرب

٣٢٥

دراسة وصفية،

د/ عبد المنعم عبد الله محمد

القسم الخامس

٤٠٦ - ٣٧٩

قسم التاريخ

١ - قراء تاريخية جديدة في موقف عمر بن الخطاب .

٣٨١

رضى الله عنه من الفتوحات الإسلامية

أ. د / عبد الشافي محمد عبد اللطيف

القسم السادس

٤٤٩ - ٤٠٧

قسم الصحافة

١ - العوامل المؤثرة على فاعلية الإعلان في اتخاذ قرار

٤٠٩

الشراء ، دراسة استطلاعية

د/ شعبان أبو اليزيد شمس

رقم الإيداع ٢٢٦٧ / ١٩٩٥

بتاريخ ١٩٩٥/١/٢

والسعادة للطباعة

١٦ شارع البراري - باب الخفاف

ت : ٥١٠٨٣٧٩

تصويبات لغوية

الصفحة	البط	الخطأ	الصواب
٤	س ٤	إلا إلى	إلى
٤	س ١	أو	أم
٥	ق ١	أو	أم
١٠	تنقل الأرقام ٤، ٥، ٦ إلى نهاية الآية القرآنية		
٥٠	س ٢	إلا شهر	الأشهر
٥٢	س ٦	قلنا	وقلنا
٥٣	ق ٤	وإن كانت	وإن كانت
٨٩	ق ٤	ويقال	وقال
٩٧	ق ٤	أله	إله
١٠٦	ق ٢	إلا إياه	إلا إياه
١٢٠	س ٢	وغلط	وغلط
١٢٢	س ٩	وليس مبعاة	وليس مبعاة
١٢٧	ق ١	للتين	للتين
١٢٧	ق ٣	لغزو	إذ ذكر
١٣٨	ق ٣		
كي تمنحون إلى سلم وما ثرت قلاكم ولظى الهيجاء تضطرم			
١٤١	س ٦	كي لتفضيتي	كي لتفضيتي
١٤٣	ق ٨	بأن	أن
١٤٣	س ١	بقرتي	بقرتي
١٤٣	س ١	فيداء	بيداء
١٤٣	س ١	بلقم	بلقم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٤	ق ٥	م الباب	أم الباب
١٤٤	ق ٦	الفصل	من الفصل
١٤٥	ق ٣	ويجي	ويجي
١٤٦	س ٦	شدوذا	شدوذا
١٤٦	س ٧	على الجر	على حرف الجر
١٤٩	س ٨	ام	أم
١٤٩	س ٨	انها	أنها
١٥١	ق ١	• لا تشتم الناس •	• لا تشتم •
١٥١	س ٥	أن يكن	أن يكون
١٥٤	س ٢	لي زيادة لا	إلى زيادة لا
١٥٥	س ٥	إذا دخلت	إذ دخلت
١٦٠	ق ١	في أوري	أمرى
١٦٠	ق ٨	الكويين	الكوفيين
١٧١	س ٧	واه	وراء
١٧٣	س ٧	الموارة	الموارة
١٧٨	س ١٣	الإيما	الإيمان
١٨١	س ٢	كفروا علم	كفروا عن علم
١٨١	س ٢	تئين	يتبين
١٨١	س ٤	يتظر	يدل
١٨١	س ٤	إعراضهم	إعراضهم
١٨٣	س ٣	ناظر	ناظرا
١٨٦	ق ١	هدا	هذا
١٨٨	س ٧	أن تراخت	إن تراخت
١٨٨	س ٣	مسي	فهي

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٩	ق ٣	لقوله	قوله
١٨٩	ق ٨	يعن	يعن
١٨٩	ق ٩	العليظ	العليظ
١٩١	ع ٤	عاقلون	عاقلون
١٩٣	ق ٦	الالسان	الإنسان
١٩٤	ق ١٠	إلو	إلى
١٩٤	ع ٤	يعنى	بمعنى
١٩٤	ع ٤	اعمين	المحبين
١٩٦	س ١٠	أو	أن
١٩٨	س ٥	ولك	وذلك
٢٠٤	س ٧	أمل	أهل
٢٠٩	ع ٤	قرأ	قرأ
٢١٠	ق ٦	بظلة	بظله
٢١٠	س ٣	ولتأت طائفة	ولتأت طائفة أخرى
٢١٢	س ٣	دينى	دين
٢١٢	س ٦	بواء	براء
٢١٣	س ١١	هوم	قوم
٢١٣	س ١٢	هو	هود
٢١٤	ق ١٠	وقر	وقراءة
٢١٥	س ١	ابليس	إبليس
٢١٦	ق ٥	المقام	مقام
٢١٧	س ٣	محمد الخالق	محمد عبد الخالق
٢٢٥	س ١	الحجل	الجمل
٢٣٠	ق ١	الاستاذ	الاستاذ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣١	٤ س	يدل	الاصواب
٢٣٢	٧ ق	أدنى هو	يدل هو أدنى
٢٣٣	٦ س	واعتبرها	واعتبرها
٢٣٤	٣ ق	تجنى	وتجنى
٢٣٤	١٣ ق	طمع	طبع
٢٣٤	٣ س	يناسب	يناسب
٢٣٦	٦ ق	زال	زار
٢٣٨	٣ س	ويجب	ويجب
٢٣٩	١ س	والاستخفاف	والاستخفاف
٢٤٠	٣ ق	مطاطنو	مطاطنو
٢٤٠	٦ س	لظاهر	لظاهرة
٢٤٥	٢ س	علتك	عليك
٢٤٦	٩ س	يمسح	يمسح
٢٤٧	٧ ق	هامة	قهمة
٢٤٨	٩ ق	سأله	سأله
٢٥٣	١ ق	حذفت	حذفت
٢٦٢	٧ ق	أبن جنى	أبن جنى (١)
٢٦٢	١١ ق	و لقلقة	و لقلقة (٢)
٢٦٤	٢ ق	ضعف	ضعفت
٢٦٦	٥ ق	نكك	نكك
٢٦٧	٥ ق	على الرغم من	مع
٢٦٧	٧ ق	بأنها	بأنها
٢٦٩	٥ س	نكك	نكك
٢٧٧	٧ س	أن	إن

الصفحة	السطر	الخط	الصواب
٢٨٠	١ س	إلحق	الخط
٢٨١	٣ ق	تذبذب	تذبذب
٢٨١	٩ ق	أثناء	في أثناء
٢٨١	٦ س	أن لا	إلا
٢٨٢	٢ س	حسب	على حسب
٢٨٤	٩ ق	لبث	لبس
٢٨٥	١٢ ق	تخينه	تليينه
٢٩٦	٨ ق	بالإفاق	بالإتفاق
٣٠٢	٣ ق	فوق	فرق
٣٠٨	٣ س	الجزى	الجزرى
٣١٠	٧ س	ضعطت	ضعطت
٣١٢	٨ ق	تفك	تفك
٣١٢	١٥ ق	حسب	بحسب
٣١٣	٢ ق	الغنة	الغنة
٣١٤	١ ق	يصد	يقصد
٣١٤	٣ س	السالى	التالى
٣١٤	٩ ق	سياقها أثناء	سياقها في أثناء
٣١٦	٣ ق	تظافرت	تظافرت
٣١٧	٤ ق	فيه	عليه
٣١٨	١٠ ق	ينما	مع أن
٣٢٠	١ س	الضباغ	الصباغ
٣٢٦	٢ ق	على	في
٣٢٨	٢ ق	على	في
٣٣١	٥ ق	التمسوح	التمسوح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣١	٧ ق	المخارج	المخارج
٢٣١	١ س	الله	الله
٢٣٣	٧ ق	النطق	النطق
٢٣٥	٦ ق	المهم	المهم
٢٣٥	٣ س	المهم	المهم
٢٣٥	٣ س	هذا	هذا
٢٣٦	١٢ ق	وفق	على وفق
٢٣٦	٣ س	أى	آى
٢٣٧	٤ ق	ينحو	ينحو
٢٣٧	٧ ق	تكوين	تكوين
٢٣٧	١٠ ق	قلسة	فلسفة
٢٣٨	٤ ق	إذا	إذ
٢٣٨	٩ ق	وفق	على وفق
٢٣٩	٧ س	مخرجا	مخرجا
٢٤٢	٦ س	بالتأى	بالتأى
٢٤٣	١٣ ق	ثنائاه	ثنائاه
٢٤٤	٩ ق	يجذف	يجذف
٢٤٤	١٠ ق	والتبين	والتبين
٢٤٥	٥ ق	النطية	النطقية
٢٤٥	٨ ق	التبين	التبين
٢٤٥	١ س	تكوين	تكوين
٢٤٦	٧ ق	بذلك	بذاك
٢٤٦	٢ س	التماذح	التماذج
٢٤٦	١ س	البحث	البحث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٤٧	٣ ق	فصير	فصير
٣٤٩	١ ق	وفق	على وفق
٣٥٠	١٢ ق	نا	لنا
٣٥٢	٤ ق	تقراراتهم	تقريراتهم
٣٥٢	٦ ق	ققه	ققه
٣٥٣	٥ ق	أرادت	أردت
٣٥٧	٩ ق	أثناء	في أثناء
٣٥٧	٨ س	إذا	إذ
٣٥٧	١١ س	يبدءان	يبدأ ان
٣٥٧	١١ ق	إيان	في
٣٥٩	٤ س	وفق	على وفق
٣٦٠	٨ ق	وفق	على وفق
٣٦٠	٢ س	واستشفافهم	واستشفافهم
٣٦٤	٥ س	انصل	اتصل
٣٦٤	٦ س	الضابطة	الضابطة
٣٦٥	٨ س	بسطم	بسطمهم
٣٦٥	٧ س	عل	على
٣٦٧	٧ ق	بآليات	بآليات
٣٨٥	٣ ق	المسابين	المسلمون
٣٨٧	٥ س	مساسة	ماسة
٣٨٩	١ ق	وقوحاته	وقتوحاته
٣٨٩	١ س	تأيدا	تأيدا
٣٨٩	٣ س	فيكف	فكيف
٣٩٠	٥ ق	غيره	غرة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٩٠	١ س	النوايا	النيات
٣٩١	١١ ق	وارجعوا	ورجعوا
٣٩٢	٥ ق	يحظى	يحظر
٣٩٢	٨ ق	انتدبهم	ندبهم
٣٩٢	٥ س	تكون	نكون
٣٩٥	١٢ ق	وخطؤهما	وخطأوما
٣٩٦	٧ س	البائسة	البائسة
٣٩٨	٩ س	وأربعون	وأربعين
٣٩٩	٤ ق	الفاطمين	الفاطمون
٤٠١	٨ س	دغم	مع
٤٠٢	١ ق	زد جرد	يزد جرد
٤٠٢	١٠ ق	يمرك	يمرك
٤٠٢	١١ ق	تھاوند	تھاوند
٤٠٤	٦ ق	أندس	اندب
٤٠٥	٣ ق	فربه	فربه
٤٠٥	٤ ق	يريد	يرد
٤١٠	٤ ق	أم	أو
٤١٠	١٠ ق	الباجث	الباحث
٤١٠	٣ س	لقرر	لقرار
٤١١	١ ق	يؤثر	تؤثر
٤١٢	١ س	بسيطا	سبلا
٤١٢	٥ س	تواجه	يواجه
٤١٣	١ ق	يصبح	فيصبح
٤١٣	٩ س	هو	هي
٤١٣	٦ س	عملة	عملية

